اضواء على عقائد الشيعة الامامية

آیت الله سبحانی



الاضواء على عقائد الشيعة الامامية

كاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

دفتر آيت الله العظمی جعفر سبحانی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية

اشارة

نام كتاب: الاضواء على عقائد الشيعة الامامية

نويسنده: آيت الله سبحانى

موضوع: كلام شيعه اماميه

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

تعداد جلد: ١

ناشر: موسسه امام صادق ع

مقدّمة الناشر

مقدّمة الناشر

لا يأتى المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأنّ الحقبة الزمنيّة التى شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله وسنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تؤلّف بحدّ ذاتها انعطافاً رهيباً وتحوّلًا كبيراً فى حياة البشرية، فى وقت شهد فيه الخطّ البيانى الدالّ على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج السماوى وشرائعه المقدّسة انحداراً عميقاً وتردّياً ملحوظاً أصبح من العسير على أحد تحديد مدى انتهائه وحدود أبعاده.

بلى، إنّ مجرّد الاستقراء المتعجّل لأبعاد التحوّل الفكرى والعقائدى فى حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية فى أرض الجزيرة- المسترخية على رمال الوهم والخداع وسيل الدم المتدافع- يكشف وبلا تطرّف ومحاباة عظم ذلك التأثير الإيجابى الذى يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحوّل المعاكس فى كيفيّة التعامل اليومى مع أحداث الحياة وتطوّراتها، وبالتالى فى فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان ودوره فى بناء الحياة.

كما أنّ هذه الحقائق المجسّدة تكشف بالتالى عن عظم الجهد الذى بذله صاحب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶

الرسالة صلى الله عليه و آله فى تحقيق هذا الأمر وتثبيت أركانه، فى وقت شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعاً ملحوظاً فى جميع قيمها ومعتقداتها، وخلطاً وتزييفاً مدروساً فى مجمل عقائدها ومرتكزات أفكارها، كرّس بالتالى مسارها المبتعد عن الخطّ السماوى ومناهجه السويّة، وأنّ أىّ استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك- والتى كانت تؤلّف المعيار الأساسى والمفصل المهمّ الذى تستند إليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية، وتشذّب من خلاله- يكشف عن عمق المأساة التى كانت تعيشها تلك الأُمم فى تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك- والتى تعتبر فى تصوّر العوام وفهمهم مصدر القرار العرفى والشرعى المدير لشؤون الناس والمتحكّم بمصائرهم ومسار تفكيرهم- تنحصر فى ثلاثة مراكز معلومة أركانها الأساسية: اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدى وفكرى يستند إلى ثروات طائلة كبيرة، والصليبيون بما يؤلّفونه من قوّة مادّية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها إلى أبعد النقاط والحدود، وأصحاب الثروة والجاه من المتنفّذين والمتحكّمين فى مصائر الناس.

ومن هنا فإنّ كلّ الضوابط الأخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها

بما يتلاءم وتوجّهاتها التی لا تحدّها أیّ حدود.

إنّ هذه المراکز الفاسدة کانت تعمل جاهدة لأن تسلخ الإنسان من کیانه العظیم الذی أراده اللَّه تعالی له، ودفعه عن دوره الکبیر الذی خلق من أجله عندما قال تعالی للملائکة: إِنی جَاعِلٌ فِی الأرْضِ خَلِیفَةً «۱»

بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماماً رؤیة هذه الحقیقة العظیمة عن ناظر الإنسان لیبقی دائماً بیدقاً أعمی تجول به أصابعهم الشیطانیة لتنفیذ أفکارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۷

وأمّا ما یمکن الاعتقاد به من بقایا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو کونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود أمام تیارات التزییف والکذب والخداع التی مسخت صورتها إلی أبعد الحدود.

نعم بُعث محمّد صلی الله علیه و آله إلی قوم خیر تعبیر عنهم قول جعفر بن أبی طالب للنجاشی:

أیها الملک کنّا أهل جاهلیة؛ نعبد الأصنام، ونأکل المیتة، ونأتی الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسیء الجوار، ویأکل القویّ منا الضعیف.

هذا فی الوقت الذی کانت فیه مراکز القوی تلک تتضخّم وتتعاظم علی حساب ضیاع البشریة وموت مبادئها.

وهکذا فقد کانت الدعوة الإسلامیة الفتیّة وصاحبها صلی الله علیه و آله فی مواجهة هذه المراکز بامتداداتها الرهیبة وقدراتها العظیمة، والتی کوّنت أعنف مواجهة شرسة وقتالًا لیس له مثیل صبغ أرض الجزیرة ورمالها الصفراء بلون أحمر قانٍ لسنوات لم یعرف فیها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وخیرة أصحابه للراحة طعماً وللسکون مسکناً.

إنّ تلک الحصون الملیئة بالشرّ والخراب لم تتهاوَ إلّابعد جهد جهید وسیل جارف من الدماء الطاهرة التی لا توزن بها الجبال، من رجال وقفوا أنفسهم وأرواحهم من أجل هذا الدین وصاحبه صلی الله علیه و آله.

فاستطاع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن یقیم حکومة اللَّه تعالی فی الأرض، وأن یثبت فیها الأرکان علی أساس الواقع والوجود، فلم تجد آنذاک کلّ قوی الشرّ بدّاً من الاختباء فی زوایا العتمة والظلام تتحیّن الفرص السانحة والظروف الملائمة للانقضاض علی هذا البنیان الذی بدا یزداد شموخاً وعلوّاً مع تقادم السنین.

لقد کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یدرک عیاناً أنّ نقطة ضعف هذه الأُمّة یکمن فی تفرّقها وفی تبعثر جهودها ممّا سیمکّن من ظهور منافذ مشرعة فی هذا البنیان الکبیر لا تتردّد أرکان الکفر وأعداء الدین المتلوّنون والمتستّرون من النفوذ خلالها

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۸

والتسلّل بین أهلها، وفی ذلک الخطر الأکبر. ولذا فإنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کان یصرّح ویحذّر من افتراق أُمّته، ویلوح للمفترقین بالنار والجحیم.

بید أنّ ما حذّر منه صلی الله علیه و آله وما کان یخشاه، بدت أوّل معالمه الخطرة تتوضّح فی اللحظات الأُولی لرحیله صلی الله علیه و آله وانتقاله إلی عالم الخلود، وعندها وجد أعداء هذا الدین الفرصة مؤاتیة للولوج إلی داخل هذا البناء، والعمل علی هدمه بمعاول أهله لا بمعاولهم هم.

فتفرّقت هذه الأُمّة فرقاً فرقاً وجماعات جماعات، لا تتردّد کلّ واحدة من أن تکفّر الأُخری، وتکیل لها التهم الباطلة والافتراءات الظالمة، وانشغل المسلمون عن أعدائهم بقتال إخوانهم والتمثیل بأجسادهم، وحلّ بالأُمّة وباء وبیل بدأ یستشری فی جسدها الغضّ بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.

نعم بعد هذه السنین المرّة من الفرقة والتشتّت بدأ المسلمون فی أُخریات المطاف یلعقون جراحاً خلّفتها سیوف إخوانهم لا سیوف أعدائهم فی حین ینظر إلیهم أعداؤهم بتشفّ وشماتة.

إنّ ما حلّ بالمسلمین من مصائب وتخلّف فی کافة المستویات أوقعتهم فی براثن المستعمرین أعداء اللَّه ورسله یعود إلی تفرق

كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزّق وحدتهم، ولعلّ نظرة عاجلة لما يجرى فی بقاع المعمورة المختلفة يوضّح لنا هذه الصورة المؤلمة والمفجعة، فمن فلسطين مروراً بلبنان، والعراق، وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزّق والتبعثر.

وإن كان من كلمة تقال فإنّ للجهود المخلصة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر فی توقّی غيرها من المضاعفات الخطيرة التی تتولّد كلّ يوم فی بلد من بلاد المسلمين لا فی غيرها.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۹

ولا- نغالی إذا قلنا بأنّ للجمهورية الإسلامية فی إيران ومؤسّسها الإمام الخمينی- رضوان اللَّه تعالی عليه- الفضل الأكبر فی تشخيص موضع الداء وتحديد موطنه.

ولعل الاستقراء المختصر لجمل توجيهات الإمام قدس سره طوال حياته ولسنين طويلة يدلّنا بوضوح علی قدرته التشخيصية فی وضع يده علی موضع الداء، ودعوته إلى الالتفات إلى ذلك، لا إلى الانشغال بما عداه.

فمن نداء له قدس سره إلى حجّاج بيت اللَّه الحرام فی عام ۱۳۹۹ ه قال: ومن واجبات هذا التجمّع العظيم دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحياتی ويسعوا إلى إيجاد جبهة للمستضعفين للتحرّر- بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلّااللَّه)- من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلّة، وللتغلّب بالأُخوّة الإسلامية علی المشاكل.

فيامسلمی العالم، ويا أتباع مدرسة التوحيد: إنّ رمز كلّ مصائب البلدان الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم الانسجام، ورمز الانتصار وحدة الكلمة والانسجام، وقد بيّن اللَّه تعالی ذلك فی جملة واحدة: وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا «۱»

والاعتصام بحبل اللَّه تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام وفی اتّجاه الإسلام ولمصالح المسلمين، والابتعاد عن التفرقة والانفصال والفئوية التی هی أساس كل مصيبة وتخلّف.

وقال قدس سره فی كلمة له مع وفد من كبار علماء الحرمين الشريفين سنة ۱۳۹۹ ه:

رمز انتصار المسلمين فی صدر الإسلام كان وحدة الكلمة وقوة الإيمان.

لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، ولو كانت الحكومات والشعوب الإسلامية

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۰

متلاحمة فلا معنى لأن يبقى ما يقارب مليار إنسان مسلم تحت سيطرة القوى الأجنبية، لو أنّ هذه القدرة الإلهية الكبرى تقترن بقوة الإيمان، ونسير جميعاً متآخين علی طريق الإسلام فلا تستطيع أيّة قوّة أن تتغلب علينا.

وأكّد قدس سره علی مغزى سر انتصار المسلمين فی صدر الإسلام الأوّل رغم قلّة عددهم وتواضع إمكانياتهم، وانكسارهم فی الوقت الحاضر مع عظم إمكانياتهم وكثرة عددهم بقوله:

يا مسلمی العالم ماذا دهاكم فقد دحرتم فی صدر الإسلام بعدّة قليلة جداً القوى العظمی، وأوجدتم الأُمّة الكبرى الإسلامية الإنسانية، واليوم وأنتم تقربون من مليار إنسان، وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التی هی أكبر حربة، تقفون أمام العدو بمثل هذا الضعف والانهيار، أتعلمون أنّ كلّ مآسيكم تكمن فی التفرقة والاختلاف بين زعماء بلدانكم وبالتالی بينكم أنتم أنفسكم.

وقال أيضاً: إثارة الاختلافات بين المذاهب الإسلامية من الخطط الإجرامية التی تدبّرها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، بالتعاون مع عملائها الضالّين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودّة وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤجّجون نيران هذه الاختلافات باستمرار، وكلّ يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة، وفی كل مرحلة ينفّذون خطّة لإثارة الخلافات، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه.

وهكذا فإنّ الصورة تبدو أكثر وضوحاً عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخمينى وتوصياته المستمرّة إلى عموم المسلمين وخصوصاً فى مواسم الحج التى تؤلّف أفضل تجمّع إسلامى تشارك فيه أعداد ضخمة من المسلمين، ومن شتّى بقاع المعمورة فى مؤتمر ضخم لابد من أن يكرّسه المسلمون لتدارس أُمورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم، حيث إنّ الإمام قدس سره كان يواظب على إثارة هذه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١١

الأُمور الحسّاسة والمهمّة فى حياة الإسلام والمسلمين، ولم يدّخر فى ذلك جهداً.

كما أنّ الاطّلاع على فتاوى الإمام- رضوان اللَّه تعالى عليه- يكشف بوضوح عن عمق توجّهه إلى هذا الأمر الحيوى والدقيق، وتأكيده عليه.

فمن توجيهاته قدس سره إلى الحجّاج نورد هذه الملاحظات المختصرة:

قال: يلزم على الإخوة الإيرانيين والشيعة فى سائر البلدان الإسلامية أن يتجنّبوا الأعمال السقيمة المؤدّية إلى تفرقة صفوف المسلمين، ويلزم الحضور فى جماعات أهل السنّة، والابتعاد بشدّة عن إقامة صلاة الجماعة فى المنازل ووضع مكبّرات الصوت بِشَكلٍ غير مألوف وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة وعن الأعمال التى قد تكون مخالفة للشرع.

يلزم ويجزى (أى يكفى) فى الوقوفين متابعة حكم القاضى من أهل السنّة، وإن حصل لكم القطع بخلافه.

على عامّة الإخوة والأخوات فى الدين أن يلتفتوا إلى أنّ واحداً من أهم أركان فلسفة الحج إيجاد التفاهم وترسيخ الأُخوّة بين المسلمين.

وغير ذلك من الفتاوى المهمّة التى ندعو جميع المسلمين إلى مطالعتها والتأمّل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الإسلامية مسارها فى الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين بعد رحيل الإمام الخمينى- رضوان اللَّه تعالى عليه- وأخذت تؤكّد عليه فى كلّ مناسبة ومكان على لسان قائدها سماحة آية اللَّه السيد علىّ الخامنئى- حفظه اللَّه- وباقى مسؤوليها، ولم تدّخر جهداً فى العمل على إقامة هذا الأمر الشرعى المهمّ والدفاع عنه، من خلال توجيهاتها المستمرة فى هذا المنحى أو دعمها غير المحدود لكلّ الجهود المخلصة فى هذا الميدان.

وأخيراً.. فإنّ هذا الكتاب الماثل بين يدى القارئ الكريم- وهو بقلم الباحث

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٢

القدير الشيخ جعفر السبحانى- دعوة للتأمّل ضمن الحدود التى أشرنا إليها فى حديثنا، وهى بالتالى تعكس صورة صادقة عن حجم الهجمة الكافرة التى أرادت تمزيق الأُمّة ودفعها إلى التشتّت، وبيان ما أخذت من مساحة واسعة فى فكر هذه الأُمّة ومعتقداتها.

بلى لسنا فى معرض الدفاع عن الوجود المقدّس لهذه الشريعة السماوية فحسب، بل ابتغينا إزاحة اللثام وإماطة الخبث عن الدسائس الخبيثة التى تريد بالأُمّة الهلاك.

وقد قامت معاونية شؤون التعليم والبحوث بنشره، حتّى يعمّ نفعه ويتعرف المسلمون على الشيعة عن كثب.

واللَّه تعالى من وراء القصد.

معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية فى الحجّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٣

مقدّمة المؤلّف:

مقدّمة المؤلّف

التقريب ضرورة ملحّة

التقريب ضرورة ملحّة

لا شكّ أنّ التقريب بين المذاهب الإسلامية ضرورة ملحّة يشعر بها كلّ من يحمل هموم المسلمين، وتتفاقم الحاجة إليه كلّما ازدادت حدّة المواجهة بين الإسلام وأعدائه الذين يتربّصون به الدوائر، لا سيّما ونحن فى عصر العولمة الثقافيّة الذى تُشن فيه حملات مسعورة ضدّ ثقافتنا الإسلامية، ممّا يلحّ علينا باطّراد إلى تقريب الخُطى وتوثيق التعاون المشترك بين كافّة الطوائف الإسلامية.

كما أنّ تعزيز أواصر التقريب المنشود رهن عوامل عديدة أبرزها:

وقوف كلّ طائفة على ما لدى الطائفة الأُخرى من أفكار ومفاهيم، لتُدرك مدى عظمة المشتركات التى تجمعهما، وهامشيّة الأسباب التى تباعدهما.

ومع الأسف الشديد أنّ التاريخ أسدل ستار الجهالة على الشيعة، وهى الطائفة التى رفدت الفكر الإسلامى بالكثير من المفكّرين والعلماء والمثقفين، ونسج حولها الأوهام والشكوك.

وأنا لا أنسى أبداً حينما زرت مكّة المكرّمة عام ۱۳۷۶ ه ونزلت فى بيت أحد مدرّسى الحرم المكّى، فإذا هو يباغتنى بهذا السؤال؛ هل للشيعة تأليف؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴

فقد هزّنى كلامه هذا، وقلت فى نفسى، سبحان اللّه، فى وسط هذا البلد الحرام يجهل مدرسُ الحرم المكّى تاريخَ الشيعة الإمامية ومصنّفاتها، وكأنّه يسأل عن أُمّة بائدة لا تاريخ لها ولا ثقافة، فما بال الآخرين الذين هم فى منأى عن أُمّ القرى مكّة المكرّمة؟!!

ومنذ ذلك الحين راودتنى فكرة تحرير كتاب عن تاريخ الشيعة، وعقائدها، وأئمّتها، وأحكامها.

وقد حرصتُ فى هذا الكتاب على بيان المشتركات التى تجمع بين الطائفتين (السنّة والشيعة) على صعيد العقيدة والشريعة والفكر، إلى جانب بيان الفوارق التى ساقها إليهم الدليل والبرهان، هذا فى الوقت الذى نذعن فيه لما قاله أُستاذنا ورائدنا السيّد شرف الدين العاملى رحمه الله حينما خاطب علماء السنّة بقوله: ما يجمعنا أكثر ممّا يفرّقنا.

وتبعه الشاعر المفلق محمّد حسن عبدالغنى المصرى شاعر الأهرام لمّا قال:

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمّةً ويضمّنا دينُ الهدى أتباعاً

ويؤلّف الإسلامُ بينَ قلوبنا مهما ذهبْنا فى الهوى أشياعاً وفى الختام نرجو من اللّه سبحانه أن يكون هذا الكتاب مساهمة متواضعة فى سبيل تقريب الخطى بين المسلمين وتوثيق أواصر الأُخوّة، وتعزيز التعاون المشترك بينهم كى يكونوا صفّاً واحداً أمام أعدائهم، إنّه بذلك قدير وبالإجابة جدير.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

۱۷ صفر المظفّر من شهور عام ۱۴۲۱ ه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵

الفصل الأوّل

الشيعة فى موكب التاريخ

اشارة

الشيعة فى موكب التاريخ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷

مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته

مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته

اشارة

مبدأ التشيُّع وتاريخ نشأته

زعم غير واحد من الكتّاب القدامى والجدد: أنّ التشيّع كسائر المذاهب الإسلامية من إفرازات الصراعات السياسية، فى حين يذهب البعض الآخر إلى القول بأنّه نتاج الجدال الكلامى والصراع الفكرى. فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره فى الساحة الإسلامية، وكأنّهم يتلقّون التشيّع بوصفه ظاهرة جديدة وافدة على المجتمع الإسلامى، ويعتقدون بأنّ القطاع الشيعى وإن كان من جسم الأُمّة الإسلامية إلّاأنّه تكوّن على مرّ الزمن نتيجة لأحداث وتطوّرات سياسية أو اجتماعية فكرية أدّت إلى تكوين هذا المذهب كجزء من ذلك الجسم الكبير، ومن ثمّ اتّسع ذلك الجزء بالتدريج.

ولعلّ هذا التصور الخاطئ لمفهوم التشيّع هو ما دفع أصحاب هذه الأُطروحات إلى التخبّط والتعثّر فى فهمهم لحقيقة نشوء هذا المذهب، ومحاولاتهم الرامية لتقديم التفسير الأصوب، ولو أنّ أُولئك الدارسين شرعوا فى دراستهم لتأريخ هذه النشأة من خلال الأُطروحات العقائدية والفكرية التى ابتنى عليها التشيّع لأدركوا بوضوح ودون لبس أنّ هذا المذهب لا يؤلّف فى جوهر تكوينه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸

وقواعد أركانه إلّاالامتداد الحقيقى للفكر العقائدى للدين الإسلامى والذى قام عليه كيانه.

وإذا كان البعض يذهب إلى الاعتقاد بأنّ التشيع يظهر بأوضح صوره من خلال الالتفاف والمشايعة للوصى الذى اختاره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله خليفة له بأمر اللَّه تعالى ليكون قائداً وإماماً للناس- كما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله- ففى ذلك أوضح المصاديق على حقيقة هذا النشوء الذى اقترن بنشوء وتبلور الفكر الإسلامى الكبير، والذى لابدّ له من الاستمرار والتواصل والتكامل حتّى بعد رحيل صاحب الرسالة صلى الله عليه و آله، والذى ينبغى له أن يكون الاستمرار الحقيقى لتلك العقيدة السماوية وحامل أعباء تركتها.

فإذا اعتبرنا بأنّ التشيّع يرتكز أساساً فى استمرار القيادة بالوصى، فلا نجد له تأريخاً سوى تأريخ الإسلام، والنصوص الواردة عن رسوله صلى الله عليه و آله.

قد عرفت فى الصفحات السابقة نصوصاً متوفرة فى وصاية الإمام أمير المؤمنين، وإذا كانت تلك النصوص من القوّة والحجّية التى لا يرقى إليها الشكّ، وتعدّ وبدون تردّد ركائز عقائدية أراد أن يثبت أُسسها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فهى بلا شك تدلّ وبوضوح على أنّ هذه الاستجابة اللاحقة استمرار حقيقى لما سبقها فى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وإذا كان كذلك فإنّ جميع من استجابوا لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وانقادوا له انقياداً حقيقياً، يعدّون بلا شكّ روّاد التشيع الأوائل وحاملى بذوره، فالشيعة هم المسلمون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان فى الأجيال اللاحقة، من الذين بقوا على ما كانوا عليه فى عصر الرسول فى أمر القيادة، ولم يغيّروه، ولم يتعدوا عنه إلى غيره، ولم يأخذوا بالمصالح المزعومة فى مقابل النصوص، وصاروا بذلك المصداق الأبرز لقوله سبحانه: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيِ اللَّه

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۹

ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّه إنَّ اللَّه سَمیعٌ عَلیمٌ «۱»

ففزعوا فی الأُصول والفروع إلی علیّ وعترته الطاهرة، وانحازوا عن الطائفة الأُخری مِنَ الذین لم یتعبّدوا بنصوص الخلافة والولایة وزعامة العترة، حیث ترکوا النصوص، وأخذوا بالمصالح.

إنّ الآثار المرویّة فی حقّ شیعة الإمام عن لسان النبیّ الأکرم- والذین هم بالتالی شیعة لرسول اللّه صلی الله علیه و آله- ترفع اللثام عن وجه الحقیقة، وتعرب عن التفاف قسم من المهاجرین حول الوصی، فکانوا معروفین بشیعة علیّ فی عصر الرسالة، وإنّ النبیّ الأکرم وصفهم فی کلماته بأنّهم هم الفائزون، وإن کنت فی شکّ من هذا فسأتلو علیک بعض ما ورد من النصوص فی المقام:

۱- أخرج ابن مردویه عن عائشة، قالت: قلت: یا رسول اللّه من أکرم الخلق علی اللّه؟ قال: «یا عائشة أما تقرئین: إنَّ الَّذِین آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِکَ هُمْ خَیرُ البَرِیَّة» «۲»

.

۲- أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبد اللّه قال: کنّا عند النبیّ صلی الله علیه و آله فأقبل علیّ فقال النبیّ: «والذی نفسی بیده إنّ هذا وشیعته لهم الفائزون یوم القیامة»، ونزلت:

إنَّ الَّذِین آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِکَ هُمْ خَیرُ البَرِیَّة فکان أصحاب النبیّ إذا أقبل علیّ قالوا: جاء خیر البریّة «۳».

۳- أخرج ابن عدی وابن عساکر عن أبی سعید مرفوعاً: «علیّ خیر البریّة» «۴».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۰

۴- وأخرج ابن عدی عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: «إنَّ الَّذِین آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِک هُمْ خَیرُ البَرِیَّة» قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله لعلیّ: «هو أنت وشیعتک یوم القیامة راضین مرضیّین».

۵- أخرج ابن مردویه عن علیّ قال: قال لی رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «ألم تسمع قول اللّه: إنَّ الَّذِین آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولِئک هُمْ خَیرُ البَرِیَّة أنت وشیعتک، موعدی وموعدکم الحوض إذا جاءت الأُمم للحساب تدعون غرّاً محجّلین» «۱».

۶- روی ابن حجر فی صواعقه عن أُمّ سلمة: کانت لیلتی، وکان النبیّ صلی الله علیه و آله عندی فأتته فاطمة فتبعها علیّ- رضی اللّه عنهما- فقال النبیّ: «یا علیّ أنت وأصحابک فی الجنّة، أنت وشیعتک فی الجنّة» «۲».

۷- روی ابن الأثیر فی نهایته: قال النبیّ مخاطباً علیّاً: «یا علیّ، إنّک ستقدم علی اللّه أنت وشیعتک راضین مرضیّین، ویقدم علیه عدوُّک غضاباً مقمحین» ثمّ جمع یده إلی عنقه یریهم کیف الإقماح. قال ابن الأثیر: الإقماح: رفع الرأس وغض البصر «۳».

۸- روی الزمخشری فی ربیعه: أنّ رسول اللّه قال: «یا علیّ، إذا کان یوم القیامة أخذت بحجزة اللّه تعالی، وأخذت أنت بحجزتی، وأخذ ولدک بحجزتک، وأخذ شیعة ولدک بحجزهم، فتری أین یؤمر بنا؟» «۴».

۹- روی أحمد فی المناقب: أنّه صلی الله علیه و آله قال لعلیّ: «أما ترضی أنّک معی فی الجنّة، والحسن والحسین وذرّیتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّیتنا، وشیعتنا عن

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۱

أیماننا وشمائلنا» «۱».

۱۰- روی الطبرانی: أنّه صلی الله علیه و آله قال لعلیّ: «أوّل أربعة یدخلون الجنّة: أنا وأنت والحسن والحسین، وذرّیتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرّیاتنا، وشیعتنا عن أیماننا وشمائلنا» «۲».

۱۱- أخرج الدیلمی: «یا علی، إنّ اللّه قد غفر لک ولذرّیتک ولولدک ولأهلک ولشیعتک، فأبشر فإنّک الأنزع البطین» «۳».

۱۲- أخرج الدیلمی عن النبیّ أنّه قال: «أنت وشیعتک تردون الحوض رواء مرویّین، مبیضّة وجوهکم، وإنّ عدوّک یردّون الحوض

ظماء مقمحين» «۴».

۱۳- روى المغازلى بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه: «يـدخلون من أُمّتى الجنّـة سـبعون ألفاً لا حساب عليهم- ثمّ التفت إلى عليّ فقال:- هم شيعتك وأنت إمامهم» «۵».

۱۴- روى المغـازلى عن كثير بن زيـد قـال: دخل الأعمش على المنصور، فلمّا بصـر به قال له: يا سـليمان تصـدَّر، قال: أنا صـدر حيث جلست- إلى أن قال فى حديثه:- حدّثنى رسول اللَّه قال: «أتانى جبرئيل عليه السلام آنفاً فقال: تختّموا بالعقيق، فإنّه أوّل حجر شهد للَّه بالوحدانيّة، ولى بالنبوّة، ولعليّ بالوصيّة، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنّة» «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲

۱۵- روى ابن حجر: أنّه مرّ عليّ على جمعٍ فأسـرعوا إليه قيامـاً، فقال: «من القوم؟» فقالوا: من شـيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً، ثمّ قال: «يا هؤلاء مالى لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبَّتنا؟» فأمسكوا حياءً، فقال له من معه:

نسألك بالذى أكرمكم أهل البيت وخصّكم وحباكم، لما أنبأتنا بصفة شيعتكم فقال: «شيعتنا هم العارفون باللَّه، العاملون بأمر اللَّه» «۱».

۱۶- روى الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه): أنّ ابن عباس قال: سـمعت رسول اللَّه يقول: «إذا كان يوم القيامـة ورأى الكافر ما أعدّ اللَّه تبارك وتعالى لشيعة عليّ من الثواب والزلفى والكرامة...» «۲».

۱۷- وروى أيضاً بسنده إلى سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «يا على تختّم باليمين تكن من المقرّبين، قال: يا رسول اللَّه ومن المقرّبون؟ قـال: جبرئيـل وميكائيـل، قـال: فبمـا أتختّم يـا رسول اللَّه؟ قـال: بالعقيق الأحمر؛ فإنّه جبل أقرّ للَّه بالوحدانيّـة، ولى بالنبوّة، ولك يا عليّ بالوصيّة، ولولدك بالإمامة، ولمحبّيك بالجنّة، ولشيعتك وشيعة ولدك بالفردوس» «۳».

وهذه النصوص المتضافرة الغنيّة عن ملاحظة أسـنادها، تعرب عن كون عليّ عليه السـلام متميزاً بين أصحاب النبيّ بأنّ له شيعة وأتباعاً، ولهم مواصـفات وسـمات كانوا مشـهورين بها، فى حياة النبيّ وبعدها، وكان صـلى الله عليه و آله يشـيد بهم ويبشّر بفوزهم، وهـم- بلا ريب- ليسوا بخارجين قيـد أُنملـة عن الخط النبوى المبارك للفكر الإسـلامى العظيم، والذى يؤكّد على حقيقة التشيّع ومبدئه الذى لا يفترق عن نشوء الدين واستقراره.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳

فبعد هذه النصوص لا يصحّ لباحث أن يلتجئ إلى فروض ظنّية أو وهمية فى تحديد تكوّن الشيعة وظهورها.

الشيعة فى كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق

الشيعة فى كلمات المؤرّخين وأصحاب الفرق

قـد غلب اسـتعمال لفـظ الشيـعة بعـد عصـر الرسول تبعاً له فيمن يوالى عليّاً وأهل بيته ويعتقـد بإمامته ووصايته، ويظهر ذلك من خلال كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات والتى نشير إلى بعضها:

۱- روى المسعودى فى حوادث وفاة النبى: أنّ الإمام عليّاً أقام ومن معه من شيعته فى منزله بعد ان تمّت البيعة لأبى بكر «۱».

۲- قال أبو مخنف: اجتمعت الشـيعة فى منزل سـليمان بن صرد فذكروا هلاك معاوية فحمدنا اللَّه عليه فقال: إنّ معاوية قد هلك، وأنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة وأنتم شيعته وشيعة أبيه «۲».

۳- وقال محمّـد بن أحمد بن خالد البرقى (ت ۲۷۴ ه): إنّ أصـحاب عليّ ينقسمون إلى الأصحاب، ثمّ الأصفياء، ثمّ الأولياء، ثمّ شرطة الخميس... ومن الأصـفياء سـلمان الفارسـى، والمقداد، وأبو ذر، وعمّار، وأبو ليلى، وشبير، وأبو سنان، وأبو عمرة، وأبو سعيد الخدرى، وأبو برزة، وجابر بن عبد اللَّه، والبراء بن عازب، وطرفة الأزدى «۳».

۴- وقال النوبختى (ت ۳۱۳ ه): إنّ أوّل فرق الشيعة، وهم فرقة عليّ بن أبى طالب، المسمّون شيعة عليّ فى زمان النبيّ وبعده، معروفون

بانقطاعهم إليه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴

والقول بإمامته «۱».

۵- وقال أبو الحسن الأشعرى: وإنّما قيل لهم الشيعة؛ لأنّهم شايعوا عليّاً، ويقدّمونه على سائر أصحاب رسول اللّه «۲».

۶- وقال الشهرستانى: الشيعة هم الذين شايعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصيّةً «۳».

۷- وقال ابن حزم: ومن وافق الشيعة فى أنّ عليّاً أفضل الناس بعد رسول اللّه وأحقّهم بالإمامة، وولده من بعده، فهو شيعىّ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيّاً «۴».

هـذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا جاء فى كلمات المؤرّخين وأصحاب المقالات، تعرب عن أنّ لفيفاً من الأُمّة فى حياة الرسول وبعده إلى عصر الخلفاء وبعدهم كانوا مشهورين بالتشيّع لعلىّ، و أنّ لفظة الشيعة ممّا نطق بها الرسول وتبعته الأُمّة فى ذلك.

وإنّ الإمام علياً وإن تسامح وتساهل فى أخذ حقّه- تبعاً لمصالح عظيمة مكنونة فى مثل هذا التصرّف الحكيم- إلّاأنّ حقيقة استخلاف النبىّ له أمست فكرة عقائدية ثابتة فى النفوس والقلوب، وتضاعف عدد المؤمنين بها و المتشيّعين له على مرور الأيام، ورجع الكثير من المسلمين إلى الماضى القريب، واحتشدت فى أذهانهم صور عن مواقف النبىّ صلى الله عليه و آله، تلك المواقف التى كان يصرّح فيها باستخلاف علىّ من بعده تارة، ويلمّح فيها أُخرى، فالتفّوا حول علىّ عليه السلام وأصبحوا من الدعاة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵

الأوفياء له فى جميع المراحل التى مرّ بها، وما زال التشيّع ينمو وينتشر بين المسلمين فى الأقطار المختلفة، يدخلها مع الإسلام جنباً إلى جنب، بل أنّ حقيقته استحكمت من خلال التطبيق العملى لهذا الاستخلاف عبر السنوات القصيرة التى تولّى فيها الإمام علىّ منصب الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفّان، فشاعت بين المسلمين أحاديث استخلافه، ووجد الناس من سيرته وزهده وحكمته ما أكّد لهم صحّة تلك المرويّات، وأنّه هو المختار لقيادة الأُمّة وحماية القرآن ونشر تعاليمه ومبادئه «۱».

وإذا كان العنصر المقوّم لإطلاق عبارة الشيعة هو مشايعة علىّ بعد النبىّ الأكرم فى الزعامة والوصاية أوّلًا، وفى الفعل والترك ثانياً؛ فإنّه من غير المنطقى محاولة افتراض علّة اجتماعية أو سياسية أو كلامية لتكوّن هذه الفرقة.

ومن أجل أن ترتسم فى الأذهان الصورة واضحة عن مجسّدى هذه التسمية فى تلك الحقبة البعيدة فى التأريخ والملاصقة لعصر الرسالة الأوّل، نستعرض جملة من رواد هذا الميدان المقدّس والذين يعدّون بحقّ أوائل حملة هذه التسمية المباركة على وجه الإجمال. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ما كتب حولهم من المؤلّفات، وسنأتى بأسماء تلك الكتب فى آخر البحث:

روّاد التشيّع فى عصر النبىّ صلى الله عليه و آله

اشارة

روّاد التشيّع فى عصر النبىّ صلى الله عليه و آله

إنّ الإحالة للتعرّف على روّاد التشيّع إلى الكتب المؤلّفة فى ذلك المضمار لا تخلو من عسر وغموض، قد تدفع بالأمر إلى جملة من المناقشات، إلّاأنّنا سنقتصر فى حديثنا على إيراد جملة من أُولئك الصحابة الذين اشتهروا بالتشيّع ونسبوا له:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶

۱- عبد اللّه بن عبّاس.

۲- الفضل بن العبّاس.

۳- عبيد اللّه بن العبّاس.

۴- قثم بن العبّاس.

۵- عبد الرحمن بن العبّاس.

۶- تمام بن العبّاس.

۷- عقيل بن أبى طالب.

۸- أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.

۹- نوفل بن الحرث.

۱۰- عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب.

۱۱- عون بن جعفر.

۱۲- محمّد بن جعفر.

۱۳- ربيعة بن الحرث بن عبد المطّلب.

۱۴- الطفيل بن الحرث.

۱۵- المغيرة بن نوفل بن الحارث.

۱۶- عبداللّه بن الحرث بن نوفل.

۱۷- عبداللّه بن أبى سفيان بن الحرث.

۱۸- العبّاس بن ربيعة بن الحرث.

۱۹- العبّاس بن عتبة بن أبى لهب.

۲۰- عبدالمطّلب بن ربيعة بن الحرث.

۲۱- جعفر بن أبى سفيان بن الحرث.

هؤلاء من مشاهير بنى هاشم، وأمّا غيرهم فإليك أسماء طائفة منهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷

۲۲- سلمان الفارسى المحمّدى.

۲۳- المقداد بن الأسود الكندى.

۲۴- أبو ذرّ الغفارى.

۲۵- عمّار بن ياسر.

۲۶- حذيفة بن اليمان.

۲۷- خزيمة بن ثابت.

۲۸- أبو أيوب الأنصارى، مضيّف النبىّ صلى الله عليه و آله.

۲۹- أبو الهيثم مالك بن التيهان.

۳۰- أُبىّ بن كعب.

۳۱- سعد بن عبادة.

۳۲- قيس بن سعد بن عبادة.

۳۳- عدىّ بن حاتم.

۳۴- عبادة بن الصامت.

۳۵- بلال بن رباح الحبشى.

۳۶- أبو رافع مولى رسول اللَّه.

۳۷- هاشم بن عتبة.

۳۸- عثمان بن حنيف.

۳۹- سهل بن حنيف.

۴۰- حكيم بن جبلة العبدى.

۴۱- خالد بن سعيد بن العاص.

۴۲- ابن الحصيب الأسلمى.

۴۳- هند بن أبى هالة التميمى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸

۴۴- جعدة بن هبيرة.

۴۵- حجر بن عدىّ الكندى.

۴۶- عمرو بن الحمق الخزاعى.

۴۷- جابر بن عبد اللَّه الأنصارى.

۴۸- محمّد بن أبى بكر.

۴۹- أبان بن سعيد بن العاص.

۵۰- زيد بن صوحان العبدى.

هؤلاء خمسون صحابياً من الطبقة الأُولى للشيعة، فمن أراد التفصيل والوقوف على حياتهم وتشيّعهم فليرجع إلى الكتب المؤلّفة فى الرجال، ولكن بعين مفتوحة وبصيرة نافذة.

فى الختام نورد ما ذكره محمّد كرد علىّ فى كتابه «خطط الشام» قال: عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علىّ فى عصر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مثل سلمان الفارسى القائل: بايعنا رسول اللَّه على النصح للمسلمين والائتمام بعلىّ بن أبى طالب والموالاة له.

ومثل أبى سعيد الخدرى الذى يقول: أُمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة، ولمّا سئل عن الأربع، قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحجّ.

قيل: فما الواحدة التى تركوها؟

قال: ولاية علىّ بن أبى طالب.

قيل له: وإنّها لمفروضة معهنّ؟

قال: نعم هى مفروضة معهنّ.

ومثل أبى ذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وذى الشهادتين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹

خزيمة بن ثابت، وأبى أيّوب الأنصارى، وخالد بن سعيد، وقيس بن سعد بن عبادة «۱».

الکتب المؤلّفة حول روّاد التشیّع:

الکتب المؤلّفة حول روّاد التشیّع:

إنّ لفیفاً من علماء الإمامیة ومفکّریها قاموا بإفراد العدید من المؤلّفات القیّمة والتی تناولت فی متونها بالشرح والتفصیل ما یتعلّق بروّاد التشیع الأوائل ودورهم فی تثبیت الأرکان العقائدیة للفکر الإسلامی الناصع، نذکر فی هذا المقام ما وقفنا علیه:

۱- صدر الدین السیّد علیّ المدنی الحسینی الشیرازی، صاحب کتاب سلافة العصر فی محاسن الشعراء بکل مصر، وأنوار الربیع فی علم البدیع، وطراز اللغة، توفّی عام (۱۱۲۰ ه) أفرد تألیفاً فی ذلک المجال أسماه ب «الدرجات الرفیعة فی طبقات الشیعة الإمامیة» خصَّ الطبقة الأُولی بالصحابة الشیعة، وخصَّص الباب الأوّل لبنی هاشم من الصحابة، والباب الثانی فی غیرهم منهم. وقام فی الباب الأوّل بترجمة (۲۳) صحابیّاً من بنی هاشم لم یفارقوا علیّاً قط، کما قام فی الباب الثانی بترجمة (۴۶) صحابیّاً «۲».

۲- ذکر الشیخ محمّد حسین آل کاشف الغطاء فی کتابه «أصل الشیعة وأُصولها» أسماء جماعة من الصحابة الذین کانوا یشایعون علیّاً فی حلّه وترحاله وقال- معلقاً علی قول أحمد أمین الکاتب المصری: «والحقّ أنّ التشیع کان مأوی یرجع إلیه کل من أراد هدم الإسلام»-:

ونحن لولا محافظتنا علی میاه الصفاء أن لا تتعکّر، ونیران البغضاء أن لا

تتسعّر، وأن تنطبق علینا حکمة القائل: «لا تنه عن خلق وتأتی مثله» لعرّفناه من الذی یرید هدم قواعد الإسلام بمعاول الإلحاد والزندقة، ومن الذی یسعی لتمزیق وحدة المسلمین بعوامل التقطیع والتفرقة، ولکنّا نرید أن نسأل ذلک الکاتب: أیّ طبقة من طبقات الشیعة أرادت هدم الإسلام؟ هل الطبقة الأُولی وهم أعیان صحابة النبیّ وأبرارهم کسلمان المحمّدی أو الفارسی، وأبی ذر، والمقداد، وعمّار، وخزیمة ذی الشهادتین، وابن التیهان، وحذیفة ابن الیمان، والزبیر، والفضل بن العبّاس، وأخیه الحبر عبد اللَّه، وهاشم بن عتبة المرقال، وأبی أیّوب الأنصاری، وأبان وأخیه خالد بن سعید بن العاص، وأُبیّ بن کعب سید القرّاء، وأنس بن الحرث بن نبیه، الذی سمع النبیّ یقول: «إنّ ابنی الحسین یقتل فی أرض یقال لها کربلاء، فمن شهد ذلک منکم فلینصره» فخرج أنس وقتل مع الحسین راجع الإصابة والاستیعاب وهما من أوثق ما ألّف علماءُ السنّة فی تراجم الصحابة، ولو أردت أن أعدّ علیک الشیعة من الصحابة وإثبات تشیّعهم من نفس کتب السنّة لأحوجنی ذلک إلی إفراد کتاب ضخم «۱».

۳- کما أنّ الإمام السیّد عبد الحسین شرف الدین (۱۲۹۰- ۱۳۷۷ ه) قام بجمع أسماء الشیعة فی الصحابة حسب حروف الهجاء، وقال: وإلیک- إکمالًا للبحث- بعض ما یحضرنی من أسماء الشیعة من أصحاب رسول اللَّه لتعلم أنّ بهم اقتدینا، وبهدیهم اهتدینا، وسأُفرد لهم- إن وفّق اللَّه- کتاباً یوضّح للناس تشیّعهم، ویحتوی علی تفاصیل شؤونهم، ولعلّ بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقیقة یسبقنی إلی تألیف ذلک الکتاب، فیکون لی الشرف إذ خدمته بذکر أسماء بعضهم فی هذا الباب وهی علی ترتیب حروف الهجاء.

ثمّ ابتدأ بأبی رافع القبطی مولی رسول اللَّه، وختمهم بیزید بن حوثرة

الأنصاری، ولم یشر إلی شیء من حیاتهم، وإنّما ألقی ذلک علی الأمل أو علی من یسبقه من بعض أهل النشاط.

إلّا أنّه رحمه اللَّه ذکر ما یربو علی المائتین من أسمائهم «۱».

۴- قام الخطیب المصقع الدکتور الشیخ أحمد الوائلی «حفظه اللَّه» بذکر أسماء روّاد التشیّع فی عصر الرسول فی کتابه «هویّة التشیّع» فجاء بأسماء مائة وثلاثین من خُلّص أصحاب الإمام من الصحابة الکرام، وقال بعد ذکره لتنویه النبیّ باستخلاف علیّ فی غیر واحد من

المواقف:

ولا ـ يمكن أن تمرّ هـذه المواقف والكثير الكثير من أمثالها من دون أن تشـد الناس لعليّ، ودون أن تـدفعهم للتعرف على هـذا الإنسان الـذى هو وصـىّ النبىّ، ثمّ لابـدّ للمسـلمين من إطاعـة الأـوامر التى وردت فى النصوص، والالتفـاف حول من وردت فيه. ذلـك معنى التشيّع الـذى نقول إنّ النبىّ صـلى الله عليه و آله هو الـذى بـذر بـذرته، وقد أينعت فى حياته، وعرف جماعة بالتشيّع لعلىّ والالتفاف حوله، وللتدليل على ذلك سأذكر لك أسماء الرعيل الأوّل من الصحابة الذين عرفوا بتشيّعهم للإمام علىّ «۲».

۵- آخرهم وليس أخيرهم كاتب هذه السطور حيث قام مجيباً دعوة السيّد شرف الدين فألّف كتاباً باسم «الشخصيات الإسلامية» فى ذلك المجال فى عـدّة أجزاء، طُبع منه جزءان، وانتهينا فى الجزء الثانى إلى ترجمة أبى ذر (جندب بن جنادة) ذلك الصحابى العظيم، والكتاب باللغة الفارسية، ونقله إلى العربية الشيخ المحقّق البارع جعفر الهادى وطبع ونشر.

وأخيراً فإنّ من أراد أن يقف بشكل جلىّ على روّاد التشيّع فى كتب الرجال لأهل السنّة فإنّ هذا الأمر ليس بمتعسّر ولا بممتنع، والتى يمكننا الإشارة إلى البعض

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲

منها أمثال:

۱- الاستيعاب لابن عبد البرّ (ت ۴۵۶ ه).

۲- أُسد الغابة للجزرى (ت ۶۰۶ ه).

۳- الإصابة لابن حجر (ت ۸۵۲ ه).

وغير ذلك من أُمّهات كتب الرجال المعروفة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳

الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسى

الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسىّ

اشارة

الشيعة فى العصرين: الأُموىّ والعباسىّ

لا نأتى بجديـد إذا ذهبنا إلى القول بأنّ الهجمة الشرسة التى كانت تستهدف استئصال الشيعة والقضاء عليهم قد أخذت أبعاداً خطيرة ودامية أبان الحكمين الأُموى و العباسى، فما أن لبّى الإمام دعوة ربّه فى ليلة الحادى و العشرين من رمضان على يد أشقى الأوّلين و الآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، وهو يصلّى فى محراب عبادته، حتّى شرع أعداء الإمام وخصوم التشيّع إلى التعرّض الصريح بالقتل و التشريد لأنصار هـذا المـذهب و المنتسبين إليه، وإذا كـان استشـهاد الإمـام على يؤلّف فى حـدّ ذاته ضـربة قاصـمة فى هيكليـة البنـاء الإسلامى، إلّاأنّ هـذا لم يمنع البعض ممّن وقفوا موقفـاً باطلًا ومنحرفاً من الإمام علىّ فى حياته من التعبير عن سرورهم من هـذا الأمر الجلل، كما نقل ذلك ابن الأثير عن عائشة زوجة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حيث قالت عندما وصلها النبأ:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ ثمّ قالت: من قتله، فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يـك نائياً فلقـد نعـاهُ نعىٌّ ليس فى فيه الترابُ فقـالت زينب بنت أبى سـلمة: أتقولين هـذا لعلىّ؟ فقـالت: إنّى أنسـى، فـإذا نسيت فذكّرونى...!! «۱».

الشيعة فى العصر الأُموى

اشارة

الشيعة في العصر الأُموي

أمّا معاوية فلا مناص من القول بأنّه أكثر المستبشرين بهذا الأمر، حيث إنّه قال لمّا بلغه: إنّ الأسد الذى كان يفترش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه.

ثمّ أنشد:

قل للأرانب ترعى أينما سرّحت وللظباء بلا خوف و لا وجلِ «۲» في الجانب الآخر نرى أنّ الإمام الحسن الابن الأكبر للإمام عليّ ووارثه ينعى أباه بقوله في مسجد الكوفة: «ألا إنّه قد مضى في هذه الليلة، رجل لم يدركه الأوّلون، ولن يرى مثله الآخرون. من كان يقاتل وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله. واللّه لقد توفّى في هذه الليلة التى قبض فيها موسى بن عمران، ورفع فيها عيسى بن مريم، وأُنزل القرآن. ألا وإنّه ما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله» «۳».

ثمّ بويع الحسن في نهاية خطبته، وكان أوّل من بايعه قيس بن سعد الأنصارى، ثم تتابع الناس على بيعته، وكان أمير المؤمنين قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت. فبينما هو يتجهّز للمسير قُتل عليه السلام. فبايع هؤلاء ولده الحسن، فلمّا بلغهم مسير معاوية في أهل الشام إليه، تجهّز هو و الجيش الذين كانوا قد بايعوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵

عليّاً. وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية «۱».

بيد إنّ الأُمور لم تستقم للإمام الحسن لجملة من الأسباب المعروفة، أهمّها تخاذل أهل العراق أوّلًا، وكون الشيوخ الذين بايعوا عليّاً و التفّوا حوله كانوا من عبدة الغنائم و المناصب، ولم يكن لهؤلاء نصيب في خلافة الحسن إلّاما كان لهم عند أبيه من قبل ثانياً. وإنّ عدداً غير قليل ممّن بايع الحسن كانوا من المنافقين، يراسلون معاوية بالسمع والطاعة ثالثاً. كما أنّ قسماً من جيشه كانوا من الخوارج أو أبنائهم رابعاً. إلى غير ذلك من الأسباب التى دفعت الإمام إلى قبول الصلح مع معاوية تحت شروط خاصّة تضمن لشيعة عليّ الأمن والأمان، إلّاأنّ معاوية وبعد أن وقّع على صلحه مع الإمام الحسن لم يتردد من الإعلان عن سريرته بكل صراحة ووضوح على منبر الكوفة: إنّي واللّه ما قاتلتكم لتصلّوا ولا- لتصوموا، ولا- لتحجّوا ولا لتزكّوا- وإنّكم لتفعلون ذلك- ولكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني اللّه ذلك وأنتم له كارهون، ألا وإنّي قد كنت منّيتُ الحسن أشياء، وجميعها تحت قدمى لا أفي بشيء منها له «۲».

وكان ذلك التصريح الخطير، والمنافي لأبسط مبادئ الشريعة الإسلامية، يمثل الإعلان الرسمى لبدء الحملة الشرسة والمعلنة لاستئصال شيعة على و أنصاره تحت كلّ حجر ومدر. وتوالت المجازر تترى بعد معاوية إلى آخر عهد الدولة الأُمويّة، فلم يكن للشيعة في تلك الأيّام نصيب سوى القتل والنفي والحرمان. وهذا هو الذى نستعرضه في هذا الفصل على وجه الإجمال، حتّى يقف القارئ على أنّ بقاء التشيّع في هذه العصور المظلمة كان معجزة من معاجز اللّه سبحانه، كما يتوضّح له مدى الدور الخطير الذى لعبه الشيعة في الصمود والكفاح والردّ على الظلمة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶

وأعوانهم منذ عصر الإمام إلى يومنا هذا. وإليك بعض الوثائق من جرائم معاوية.

۱- رسالة الإمام الحسين إلى معاوية:

۱- رسالة الإمام الحسين إلى معاوية:

«أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّى أُمور لم تكن تظنّنى بها رغبة بى عنها، وأنّ الحسنات لا يهدى لها ولا يسدّد إليها إلّا اللّه تعالى، وأمّا ما ذكرت أنّه رمى إليك عنّى، فإنّما رقّاه الملّاقون المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أُريد لك حرباً ولا خلافاً، وإنّى لأخشى اللّه فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين حزب الظلمة وأعوان الشيطان الرجيم. ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين- إلى أن قال- أو لست قاتل الحضرمى الذى كتب إليك فى زياد أنّه على دين علىّ كرّم اللّه وجهه، ودين علىّ هو دين ابن عمّه صلى الله عليه و آله الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها اللّه عنكم بنا منّة عليكم، وقلت فيما قلت: لا تردنّ هذه الأُمّة فى فتنة وإنّى لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد. وإنّى واللّه ما أعرف فضلًا من جهادك، فإن أفعل فإنّه قربة إلى ربّى، وإن لم أفعله فأستغفر اللّه لدينى. وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت فيما قلت: متى تكدنى أكدك، فكدنى يا معاوية ما بدا لك، فلعمرى لقديماً يكاد الصالحون وإنّى لأرجو أن لا تضرّ إلّانفسك ولا تمحق إلّاعملك فكدنى ما بدا لك، واتّق اللّه يا معاوية، واعلم أنّ للّه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها، واعلم أنّ اللّه ليس بناسٍ لك قتلك

بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلّاقد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعيّة و السلام» «۱».

ولعلّ المتأمل فى جوانب هذه الرسالة والمتدبّر لمفرداتها يدرك وبوضوح مدى الدور المنحرف الذى وقفه الأُمويّون وعلى رأسهم معاوية فى محاربة أنصار مذهب التشيّع وروّاده، كما تتوضح له الصورة عن حجم المحنة التى مرّ بها الشيعة إبّان تلك الحقبة الزمنية.

ولكى تتوضّح الصورة فى ذهن القارئ الكريم ندعوه إلى قراءة رسالة الإمام محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام لأحد أصحابه، حيث قال:

«إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثمّ تداولتها قريش، واحد بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر فى صعود كؤود حتّى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثمّ غدر به وأُسلم ووثب عليه أهل العراق حتّى طعن بخنجر فى جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أُمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حقّ قليل. ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته فى أعناقهم وقتلوه.

ثمّ لم نزل- أهل البيت- نستذلّ ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم

ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء فى كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدى والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيداللّه بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكل ظنّة وتهمة، حتّى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال: شيعة علىّ، وحتّى صار الرجل الذى يذكر بالخير- ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً- يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق اللّه تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع» «۱».

بل وإليک ما أورده ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرحه لنهج البلاغة:

كان سعد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة عليّ بن أبى طالب، فلمّا قدم زياد الكوفة والياً عليها أخافه فطلبه زياد، فأتى الحسن بن عليّ، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته، فحبسهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد: «من الحسن بن عليّ إلى زياد، أمّا بعد: فإنّک عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله وعياله

فحبستهم، فإذا أتاک كتابى هذا، فابن له داره، واردد عليه عياله وماله، فانّى قد أجرته فشفّعنى فيه».

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعد: فقد أتانى كتابک تبدأ فيه بنفسک قبلى وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة، وتأمرنى فيه بأمر المطاع المسلط على رعيّته كتبت إليّ فى فاسق آويته إقامة منک على سوء الرأى و رضاً منک بذلک، وأيم اللَّه لا تسبقنى به ولو كان بين جلدک ولحمک، وإن نلت بعضک فغير رفيق بک ولا مرع عليک، فإنّ أحبّ لحم عليَّ أن آكله اللّحم الذى أنت منه، فسلّمه بجريرته إلى من هو أولى به منک، فإن عفوت عنه لم أكن شفّعتک فيه، وإن قتلته لم أقتله إلّالحبّه أباک الفاسق، والسلام» «۱».

«كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن عليّ أو البراءة منه، فملأ منهم المسجد والرحبة، فمن أبى ذلک عرضه على السيف» «۲».

وعن المنتظم لابن الجوزى: أنّ زياداً لمّا حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدى ثمانين منهم، وهمّ أن يخرب دورهم ويحرق نخلهم، فجمعهم حتّى ملأ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من عليّ، وعلم أنّهم سيمتنعون، فيحتجّ بذلک على استئصالهم وإخراب بلدهم «۳».

بيان معاوية إلى عماله:

بيان معاوية إلى عماله:

روى أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبى سيف المدائنى فى كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة!!: «أن برأت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل بيته» فقامت الخطباء فى كلّ كورة، وعلى كلّ

منبر، يلعنون عليّاً ويبرأون منه، ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام فاستعمل عليها زياد بن سميّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لى بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلک، حتّى أكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء و الحباء و القطائع، ويفيضه فى العرب منهم والموالى، فكثر ذلک فى كلّ مصر، وتنافسوا فى المنازل و الدنيا، فليس يجىء أحد مردود من الناس عاملًا من عمّال معاوية، فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبة إلّاكتب اسمه وقرّبه وشفّعه. فلبثوا بذلک حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاله: إنّ الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كلّ مصر وفى كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الروايـة فى فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلّا وتأتونى بمناقض له فى الصحابة؛ فإنّ هذا أحبّ إلىّ وأقرّ لعينى، وأدحض لحجّة أبى تراب و شيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله!!

فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لاحقيقة لها، وجدّ الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱

المنابر، وأُلقى إلى معلّمى الكتاتيب، فعلّموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم و نساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أُخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدموا داره.

فلم يكن بلد أشدّ بلاءً من العراق، ولا سيّما الكوفة، حتّى أنّ الرجل من شيعة علىّ عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه. فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس فى ذلك بليّة القرّاء والمراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويتقرّبوا من مجالسهم، ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدى الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها، ولا تديّنوا بها.

وقال ابن أبى الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علىّ عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّاوهو خائف على دمه، أو طريد فى الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام وولّى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علىّ وموالاة أعدائه، وموالاة من يدّعى من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا فى الرواية فى فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲

علىّ عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له، حتى أنّ إنساناً وقف للحجّاج- ويقال إنّه جدّ الأصمعى عبد الملك بن قريب- فصاح به: أيّها الأمير انّ أهلى عقّونى فسمّونى علياً، وانّى فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجّاج، وقال: للطف ما توسّلت به، قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه- وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم- فى تأريخه ما يناسب هذا الخبر، قال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيّام بنى أُميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أُنوف بنى هاشم «۱»

ضحايا الغدر الأُموى

ضحايا الغدر الأُموى

لعلّ المرء يصاب بالذهول وهو يتأمّل أسماء الصحابة والتابعين ذوى المنازل الرفيعة والمكانة السامية و الدور الجليل فى خدمة الإسلام وأهله، كيف سقطوا صرعى بسيف الأُمويّين لا لشىءٍ إلّالأنّهم شيعة علىّ عليه السلام، ومن هؤلاء:

۱- حجر بن عدیّ: الذی قبض علیه زیاد بعد هلاک المغیرة سنة (۵۱ ه) وبعثه مع أصحابه إلی الشام بشهادة مزوّرة، وفریة ظالمة، کان یراد منها قتله وتوجیه ضربة قویة لشیعة علیّ وتصفیتهم.

یقول المسعودی:

«فی سنة ثلاث وخمسین قتل معاویة حجر بن عدیّ الکندی- وهو أوّل من قتل صبراً فی الإسلام- وحمله زیاد من الکوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الکوفة وأربعة من غیرها، فلمّا صار علی أمیال من الکوفة یراد به دمشق

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۳

أنشأت ابنته تقول- ولا عقب له من غیرها-:

ت رفّع أیّها القمر المنیر لعلّک أن تری حجراً یسیر

یسیر إلی معاویة بن حرب لیقتله، کذا زعم الأمیر

ویصلبه علی بابی دمشق وتأکل من محاسنه النسور ثمّ قتله مع أصحابه فی مرج عذراء «۱» بصورة بشعة ینـدی لهـا الجبین، وهی مذکورة فی جمیع کتب التأریخ، فراجع.

۲- عمرو بن الحمق: ذلک الصحابی العظیم الذی وصفه الإمام الحسین سیّد الشهداء بأنّه: «أبلت وجهه العبادة». قتله معاویة بعدما أعطاه الأمان «۲».

۳- مالک الأشتر: ملک العرب، وأحد أشرف رجالاتها وأبطالها، کان شهماً مطاعاً وکان قائد القوات العلویة. قتله معاویة بالسمّ فی مسیره إلی مصر بید أحد عمّاله «۳».

۴- رشید الهجری: کان من تلامیذ الإمام وخواصّه، عرض علیه زیاد البراءة واللعن فأبی، فقطع یدیه ورجلیه ولسانه، وصلبه خنقاً فی عنقه «۴».

۵- جویریة بن مسهر العبدیّ: أخذه زیاد وقطع یدیه ورجلیه وصلبه علی جذع نخلة «۵».

۶- قنبر مولی أمیر المؤمنین: روی أن الحجّاج قال لبعض جلاوزته: أُحبّ أن أُصیب رجلًا من أصحاب أبی تراب فقالوا: ما نعلم أحداً کان أطول صحبة له من

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۴

مولاه قنبر. فبعث فی طلبه، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال له: ابرأ من دین علیّ، فقال له: هل تدلّنی علی دین أفضل من دینه؟ قال: إنّی قاتلک فاختر أیّ قتلة أحبّ إلیک، قال: أخبرنی أمیر المؤمنین: أنّ میتتی تکون ذبحاً بغیر حقّ. فأمر به فذبح کما تذبح الشاة «۱».

۷- کمیل بن زیاد: وهو من خیار الشیعة وخاصّة أمیر المؤمنین، طلبه الحجّاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلمّا رأی کمیل ذلک قال: أنا شیخ کبیر وقد نفد عمری ولا ینبغی أن أکون سبباً فی حرمان قومی. فاستسلم للحجّاج، فلمّا رآه قال له: کنت أحبُّ أن أجد علیک سبیلًا، فقال له کمیل:

لا تبرق ولا ترعد، فواللّه ما بقی من عمری إلّامثل الغبار، فاقض فإنّ الموعد اللّه عزّ وجلّ، وبعد القتل الحساب. وقد أخبرنی أمیر المؤمنین أنّک قاتلی، فقال الحجّاج: الحجّة علیک إذن، فقال: ذلک إن کان القضاء لک، قال: بلی، اضربوا عنقه «۲».

۸- سعید بن جبیر: التابعی المعروف بالعفّة والزهد والعبادة، وکان یصلّی خلف الإمام زین العابدین، فلمّا رآه الحجّاج قال له: أنت شقی ابن کسیر، فقال:

أُمّی أعرف باسمی منک. ثم بعد أخذ وردّ أمر الحجاج بقتله، فقال سعید: وجّهتُ وَجْهِی لِلَّذِی فَطَرَ السمّواتِ وَالأرضَ حنیفاً- مسلماً- وما أنا مِنَ المشرکین «۳»

.

فقال الحجّاج: شدّوه إلى غير القبلة، فقال: أينما تولّوا فثمَّ وَجهُ اللَّه «۴»

، فقال:

كبّوه على وجهه، قال: مِنْها خَلَقناكُمْ وَفِيها نُعِيدُكُم وَمِنْها نُخْرِجُكُم تارَةً

أُخرى «۱»

. ثم ضربت عنقه «۲».

وسيوافيك ما جرى على زيد بن عليّ من الصلب أيّام خلافة هشام بن عبدالملك عام (۱۲۲ ه) عند الكلام عن فرقة الزيدية إن شاء اللَّه تعالى.

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا جناه الأُمويّون فى حقّ الشيعة طوال فترة حكمهم وتولّيهم لدفّة الأُمور وزمام الحكم، وتاللَّه إنّ المرء ليصاب بالغثيان وهو يتأمّل هذه الصفحات السوداء التى لا تمحى من ذاكرة التاريخ وكيف لطّخت بالدماء الطاهرة المقدسة والتى أُريقت ظلماً وعدواناً وتجنّياً على الحقّ وأهله.

الشيعة فى العصر العباسى

الشيعة فى العصر العباسى

دار الزمان على بنى أُميّة، وقامت ثورات عنيفة ضدّهم أثناء خلافتهم، إلى أن قضت على آخر ملوكهم (مروان الحمار): فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للَّه رَبّ العالَمِينَ «۳»

وامتطى ناصية الخلافة بعدهم العباسيون، والذين تسربلوا بشعار مظلومية أهل البيت للوصول إلى سدّة الخلافة وإزاحة خصومهم الأُمويين عنها، بيد أنّهم ما أن استقر بهم المقام وثبتت لهم أركانه حتّى انقلبوا كالوحوش الكاسرة فى محاربتهم للشيعة وتشريدهم وتقتيلهم، فكانوا أسوأ من أسلافهم الأُمويين وأشدّ إجراماً، وللَّه درّ الشاعر حين قال:

واللَّه ما فعلت أُميّة فيهم معشار ما فعلت بنو العباسِ ۱- كان أوّل من تولّى منهم أبو العباس السفّاح، بويع سنة (۱۳۲ ه) ومات

سنة (۱۳۶ ه)، قضى وقته فى تتبع الأُمويّين والقضاء عليهم، وهو وإن لم يتعرّض للعلويين، لكنّه تنكّر لهم و لشيعتهم، بل وأوعز إلى الشعراء أن يتعرّضوا لأولاد عليّ وأهل بيته فى محاولة مدروسة للنيل من منزلتهم وتسفيه الدعوة المطالبة بإيكال أمر الخلافة الإسلامية إليهم. هذا محمّد أحمد براق يقول فى كتابه «أبو العباس السفاح»: «إنّ أصل الدعوة كان لآل عليّ؛ لأنّ أهل خراسان كان هواهم فى آل عليّ لا آل العباس، لذلك كان السفّاح ومن جاء بعده مفتّحة عيونهم لأهل خراسان حتّى لا يتفشّى فيهم التشيّع لآل عليّ... وكانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدّمون لهم الجوائز، وكان الشعراء يعرّضون بأبناء عليّ وينفون عنهم حقّ الخلافة؛ لأنّهم ينتسبون إلى النبيّ عن طريق ابنته فاطمة، أمّا بنو العباس فإنّهم أبناء عمومة» «۱».

۲- ثمّ جاء بعده أبو جعفر المنصور، وبالرغم ممّا أُثير حوله من منزلة ومكانة وذكاء، إلّاأنّ فى ذلك مجافاة عظيمة للحقّ وابتعاداً كبيراً عن جادّة الصواب، نعم حقّاً إنّ هذا الرجل قد ثبّت أركان دولته وأقام لها أُسساً قوية صلبة، إلّاأنّه أسرف كثيراً فى الظلم والقسوة والإجرام بشكل ملفت للأنظار، ويكفى للإلمام بجرائمه وقسوته ما كتبه ابن عبد ربّه فى العقد الفريد عن ذلك حيث قال:

إنّ المنصور كان يجلس ويُجلس إلى جانبه واعظاً، ثمّ تأتى الجلاوزة فى أيديهم السيوف يضربون أعناق الناس، فإذا جرت الدماء حتّى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ ويقول: عظنى فإذا ذكّره الواعظ باللَّه، أطرق المنصور كالمنكسر ثمّ يعود الجلاوزة إلى ضرب

الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانياً قال لواعظه: عظنی!! «۲».

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۴۷

فماذا یا تری یرید المنصور من قوله للواعظ: عظنی، وماذا یعنی بإطراقه بعد ذلک وسکوته، هل یرید الاستهزاء بالدین الذی نهی عن قتل النفس وسفک الدماء، أو یرید شیئاً آخر؟! ولیت شعری أین کان المؤرّخون وأصحاب الکلمات الصادقهٔ المنصفهٔ من هذه المواقف المخزیهٔ التی تقشعر لها الأبدان، وهم یتحدّثون عن هذا الرجل الذی ما آلوا یشیدون بذکره ویمجّدون بأعماله، وهلّا تأمّل القرّاء فی سیرهٔ هذا الرجل لیدرکوا ذلک الخطأ الکبیر.

بلی إنّ هذا الرجل أسرف فی القتل کثیراً، وکان للعلویین النصیب الأکبر، وحصّهٔ الأسد من هذا الظلم الکبیر.

یقول المسعودی: جمع المنصور أبناء الحسن، وأمر بجعل القیود والسلاسل فی أرجلهم وأعناقهم، وحملهم فی محامل مکشوفهٔ وبغیر وطاء، تماماً کما فعل یزید بن معاویهٔ بعیال الحسین. ثمّ أودعهم مکاناً تحت الأرض لا یعرفون فیه اللیل من النهار، وأُشکلت أوقات الصلاهٔ علیهم، فجزّأوا القرآن خمسهٔ أجزاء، فکانوا یصلّون علی فراغ کلّ واحد من حزبه، وکانوا یقضون الحاجهٔ الضروریهٔ فی مواضعهم، فاشتدّت علیهم الرائحهٔ، وتورّمت أجسادهم، ولا یزال الورم یصعد من القدم حتّی یبلغ الفؤاد، فیموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً «۱».

وقال ابن الأثیر: دعا المنصور محمّد بن عبد اللّه العثمانی، وکان أخاً لأبناء الحسن من أُمّهم، فأمر بشقّ ثیابه حتّی بانت عورته، ثمّ ضرب مائهٔ وخمسون سوطاً، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ویحک اکفف عن وجهی، فقال المنصور للجلّاد: الرأس الرأس، فضربه علی رأسه ثلاثین سوطاً، وأصاب إحدی عینیه فسالت علی وجهه، ثمّ قتله- ثمّ ذکر-: وأحضر المنصور محمّد بن إبراهیم بن الحسن، وکان أحس الناس صورهٔ، فقال له: أنت الدیباج الأصفر، لأقتلنّک قتلهٔ

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۴۸

لم أقتلها أحداً، ثمّ أمر به، فبنی علیه أُسطوانهٔ وهو حیّ، فمات فیها «۱».

۳- ثمّ ولی بعده المهدی ولد المنصور، وبقی فی الحکم من سنهٔ (۱۵۸ ه) إلی سنهٔ (۱۶۹ ه) وکفی فی الإشارهٔ إلی ظلمه للعلویّین، أنّه أخذ علی بن العبّاس بن الحسن ابن علیّ بن أبی طالب، فسجنه فدّس إلیه السمّ فتفسّخ لحمه وتباینت أعضاؤه.

۴- ولمّا هلک المهدی بویع ولده الهادی، وکانت خلافته سنهٔ وثلاثهٔ أشهر، سار فیها علی سیرهٔ من سبقه فی ظلم العلویین والتضییق علیهم، وکفی فی الإشارهٔ إلی ذلک ما ذکره أبو الفرج الإصبهانی فی مقاتل الطالبیین حیث قال:

إنّ أُمّ الحسین صاحب فخ هی زینب بنت عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب، قتل المنصور أباها وأُخوتها وعمومتها وزوجها علیّ بن الحسن، ثمّ قتل الهادی حفید المنصور ابنها الحسین، وکانت تلبس المسوح علی جسدها، لا تجعل بینها وبینه شیئاً حتّی لحقت باللّه عزّ وجلّ «۲».

۵- ثمّ تولّی بعده الرشید سنهٔ (۱۷۰ ه) ومات (۱۹۳ ه) وکان له سجّل أسود فی تعامله مع الشیعهٔ تبلورت أوضح صوره فیما لاقاه منه الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیه السلام، وهو ما سنذکره لاحقاً إن شاء اللّه تعالی، وإلیک واحدهٔ من تلک الأفعال الدامیهٔ التی سجّلها له التأریخ ورواها الإصبهانی عن إبراهیم بن رباح، قال: إنّ الرشید حین ظفر بیحیی بن عبد اللّه بن الحسن، بنی علیه أُسطوانهٔ وهو حیّ، وکان هذا العمل الإجرامی موروثاً من جدّه المنصور «۳».

۶- ثمّ جاء بعده ابنه الأمین، فتولّی الحکم أربع سنین وأشهراً، یقول أبوالفرج: کانت سیرهٔ الأمین فی أمر آل أبی طالب خلاف من تقدّم لتشاغله بما کان

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۴۹

فیه من اللهو ثمّ الحرب بینه وبین المأمون، حتّی قتل فلم یحدث علی أحد منهم فی أیّامه حدث.

۷- وتولّى الحكم بعده المأمون، و كان من أقوى الحكّام العباسيّين بعد أبيه الرشيد. فلمّا رأى المأمون إقبال الناس على العلويّين وعلى رأسهم الإمام الرضا، ألقى عليه القبض بحيلة الدعوة إلى بلاطه، ثمّ دسّ اليه السمّ فقتله.

۸- مات المأمون سنة (۲۱۰ ه) وجاء إلى الحكم ابنه المعتصم فسجن محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب إلّا أنّه استطاع الفرار من سجنه.

۹- ثمّ تولى الحكم بعده الواثق الذى قام بسجن الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام ودسّ له السمّ بيد زوجته الأثيمة أُمّ الفضل بنت المأمون.

۱۰- وولى الحكم بعد الواثق المتوكّل، وإليك نموذجاً من حقده على آل البيت وهو ما ذكره أبو الفرج قال: كان المتوكّل شديد الوطأة على آل أبى طالب، غليظاً فى جماعتهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظنّ والتهمة لهم. واتّفق له أنّ عبيد اللَّه بن يحيى بن خاقان وزيره يسىء الرأى فيهم، فحسَّن له القبيح فى معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بنى العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب «۱» قبر الحسين وعفّى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلّاأتوه به وقتله أو أنهكه عقوبة.

وقال: بعث برجل من أصحابه (يقال له الديزج وكان يهودياً فأسلم) إلى قبر الحسين وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراب ما حوله، فمضى ذلك فخرّب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله مائتى جريب، فلمّا بلغ إلى قبره لم يتقدّم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالحَ، بين كلّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰

مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلّاأخذوه ووجّهوا به إليه.

وقال أيضاً: حدّثنى محمّد بن الحسين الأشنانى: بَعُدَ عهدى بالزيارة فى تلك الأيّام، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسى فيها، وساعدنى رجل من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحى الغاضريّة، وخرجنا نصف الليل، فصرنا بين مسلحتين، وقد ناموا، حتى أتينا القبر فخفى علينا، فجعلنا نشمّه (نتسمه خ ل) ونتحرّى جهته حتّى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذى كان حواليه، وأُحرق وأُجرى الماء عليه، فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه وأكبنا عليه- إلى أن قال:- فودّعناه وجعلنا حول القبر علامات فى عدّة مواضع، فلمّا قتل المتوكّل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتّى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه.

وقال أيضاً: واستعمل على المدينة ومكّة عمر بن الفرج، فمنع آل أبى طالب من التعرّض لمسألة الناس ومنع الناس من البرّ بهم، وكان لا يبلغه أنّ أحداً أبرّ أحداً منهم بشىء وإن قلّ إلّاأنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثمّ يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عوارى حواسر، إلى أن قتل المتوكّل فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم بمال فرّقه بينهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه فى جميع أحواله ومضادّة مذهبه «۱».

۱۱- وولّى بعده المنتصر ابنه، وظهر منه الميل إلى أهل البيت وخالف أباه- كما عرفت- فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه فيما بلغنا.

وأوّل ما أحدثه انّه لمّا ولّى الخلافة عزل صالح بن عليّ عن المدينة، وبعث عليّ بن الحسين مكانه فقال له- عند الموادعة-: يا عليّ إنّى أُوجّهك إلى لحمى ودمى فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم- يعنى آل أبى طالب- فقلت:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱

أرجو أن أمتثل رأى أمير المؤمنين- أيّده اللَّه- فيهم، إن شاء اللَّه. قال: إذاً تسعد بذلك عندى «۱».

۱۲- وقام بعده المستعين بالأمر، فنقض كلّما غزله المنتصر من البرّ والإحسان، ومن جرائمه أنّه قتل يحيى بن عمر بن الحسين، قال أبو الفرج:

وكان- رضى اللّه عنه- رجلًا فارساً شجاعاً، شديد البدن، مجتمع القلب، بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله، ولمّا أَدخل رأسه إلى بغـداد جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له، ودخل أبو هاشم على محمّـد بن عبد اللّه بن طاهر، فقال: أيّها الأمير، قد جئتك مهنّئاً بما لو كان رسول اللّه حيّاً يُعزّى به.

وأُدخل الأُسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد ولم يكن فيما رؤى قبل ذلك من الأُسارى أحد لحقه ما لحقهم من العسف وسوء الحال، وكانوا يساقون وهم حفاة سوقاً عنيفاً، فمن تأخّر ضربت عنقه.

قال أبوالفرج: وما بلغنى أنّ أحداً ممّن قتل فى الدولة العباسيّة من آل أبى طالب رثى بأكثر ممّا رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر ممّا قيل فيه.

أقول: إنّ العباسيين قد أتوا من الجرائم التى ينـدى لها الجبين وتقشعرّ منها الجلود فى حقّ الشيعة بحيث تغصّ بـذكرها المجلّدات الكبيرة الواسعة، بل وفاقوا بأفعالهم المنكرة ما فعله الأُمويّون من قبل، وللّه درّ الشاعر حيث قال:

تاللّه إن كانت أُميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبعوه رميما ومن أراد أن يقف على سجلّ جرائم الدولتين (الأُموية والعباسية) وملفّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲

مظالمهم فعليه قراءة القصائد الثلاث التى نظمها رجال مؤمنون مخلصون، عرّضوا أنفسهم للمخاوف والأخطار طلباً لرضى الحقّ:

۱- تائية دعبل الخزاعى الشهيد عام (۲۴۶ ه)، فإنّها وثيقة تأريخية خالدة تعرب عن سياسة الدولتين تجاه أهل البيت عليهم السلام، وقد أنشدها الشاعر للإمام الرضا، فبكى وبكت معه النسوة.

أخرج الحموى عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعى قال: أنشدت قصيدة لمولاى علىّ الرضا- رضى اللّه عنه-:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحى مقفر العرصاتِ قال دعبل: ثمّ قرأت باقى القصيدة، فلمّا انتهيت إلى قولى:

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم اللّه والبركاتِ فبكى الرضا بكاءً شديداً.

ومن هذه القصيدة قوله:

هُمُ نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومحكمه بالزور والشبهاتِ

تراث بلا قربى، وملك بلا هدى وحكم بلا شورى، بغير هداةٍ وفيها أيضاً قوله:

لآل رسول اللّه بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمراتِ

ديار علىّ والحسين وجعفر وحمزة والسجّاد ذى الثفناتِ

ديار عفاها كلّ جون مبادر ولم تعف للأيّام والسنواتِ

منازل كانت للصلاة وللتقى وللصوم والتطهير والحسناتِ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳

منازل وحى اللّه معدن علمه سبيل رشاد واضح الطرقاتِ

منازل وحى اللّه ينزل حولها على أحمد الروحاتِ والغدواتِ إلى أن قال:

ديار رسول اللّه أصبحن بلقعا ودار زياد أصبحت عمراتِ

وآل رسول اللّه غُلَّتْ رقابهم وآل زياد غُلّظُ القصراتِ

وآل رسول اللّه تُدْمى نحورهم وآل زياد زيّنوا الحجلاتِ وفيها أيضاً:

أفاطم لو خلت الحسين مجدّلًا وقد مات عطشاناً بشطّ فراتِ

إذاً للطمتِ الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين فى الوجناتِ

أفاطم قومی یا ابنۀ الخیر واندبی نجوم سماوات بأرض فلاتِ «۱» ۲- میمیّۀ الأمیر أبی فراس الحمدانی (۳۲۰- ۳۵۷ ه)، و هذه القصیدۀ تعرف بالشافیۀ، وهی من القصائد الخالدۀ، وعلیها مسحۀ البلاغۀ، ورونق الجزالۀ، وجودۀ السرد، وقوّۀ الحجّۀ، وفخامۀ المعنی، أنشدها ناظمها لمّا وقف علی قصیدۀ ابن سکرۀ العبّاسی التی مستهلّها:

بنی علیّ دعوا مقالتکم لا یُنقص الدُّرَّ وضع من وضعه قال الأمیر فی جوابه میمیّته المعروفۀ وهی:

الحقّ مهتضمٌ والدین مخترم وفیء آل رسول اللَّه مقتسمُ إلی أن قال:

یا للرجال أما للَّه منتصرٌ من الطغاۀ؟ أما للَّه منتقمُ؟

بنو علی رعایا فی دیارهم والأمر تملکه النسوان والخدم! «۱» ۳- جیمیّۀ ابن الرومی التی رثی بها یحیی بن عمر بن الحسین بن زید، ومنها:

أمامک فانظر أیّ نهجیک تنهج طریقان شتّی مستقیم وأعوج

ألا أی هذا الناس طال ضریرکم بآل رسول اللَّه فاخشوا أو ارتَجُوا

أکلّ أوانٍ للنبیّ محمّد قتیل زکیّ بالدماء مضرّج «۲» وکم من الانصاف فیما کتبه الأصبهانی عن مدی العبء الذی تحمله أهل البیت وشیعتهم من أجل کلمۀ الحق، وموقف الصدق، وما ترتّب علی ذلک من تکالب لا- یعرف الرحمۀ من قبل الحکومات الجائرۀ المتلاحقۀ للقضاء علی هذا الوجود المقدّس واجتثاثه من أصله، حیث ذکر:

«ولا یعرف التأریخ أُسرۀ کأُسرۀ أبی طالب بلغت الغایۀ من شرف الأرومۀ، وطیب النجار، ضلّ عنها حقّها، وجاهدت فی سبیل اللَّه حقّ الجهاد من الأعصار، ثمّ لم تظفر من جهادها المریر إلّابالحسرات، ولم تعقب من جهادها إلّاالعبرات، علی ما فقدت من أبطال أسالوا نفوسهم فی ساحۀ الوغی، راضیۀ قلوبهم مطمئنۀ ضمائرهم، وصافحوا الموت فی بسالۀ فائقۀ، وتلقّوه فی صبر جمیل یثیر فی النفس الإعجاب والإکبار، ویشیع فیها ألوان التقدیر والإعظام.

وقد أسرف خصوم هذه الأُسرۀ الطاهرۀ فی محاربتها، وأذاقوها ضروب

النکال، وصبّوا علیها صنوف العذاب، ولم یرقبوا فیها إلّاً ولا ذمّۀً، ولم یرعوا لها حقّاً ولا حرمۀ، وأفرغوا بأسهم الشدید علی النساء والأطفال، والرجال جمیعاً، فی عنف لا یشوبه لین، وقسوۀ لا تمازجها رحمۀ، حتّی غدت مصائب أهل البیت مضرب الأمثال، فی فظاعۀ النکال، وقد فجّرت هذه القسوۀ البالغۀ ینابیع الرحمۀ والمودّۀ فی قلوب الناس، وأشاعت الأسف الممض فی ضمائرهم، وملأت علیهم أقطار نفوسهم شجناً، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حدیثاً یروی، وخبراً یتناقل، وقصصاً تقص، یجد فیها الناس إرضاء عواطفهم وإرواء مشاعرهم، فتطلّبوه وحرصوا علیه» «۱».

نعم، لقد اقترن تأریخ الشیعۀ بأنواع الظلم والنکال، والقتل والتشرید، بحیث لم تشهده أیّ طائفۀ أُخری من طوائف المسلمین. بلی، لم یر الأُمویّون ولا العباسیّون ولا الملوک الغزانوۀ ولا السلاجقۀ ولا من أتی بعدهم أیّ حرمۀ لنفوسهم وأعراضهم وعلومهم ومکتباتهم، فحین کان الیهود والنصاری یسرحون ویمرحون فی أرض الإسلام والمسلمین، وقد کفل لهم الحکّام حرّیّاتهم باسم الرحمۀ الإسلامیۀ، کان الشیعۀ یأخذون تحت کلّ حجر ومدر، ویقتلون بالشبهۀ والظنّۀ، وتشرّد أُسرهم، وتصادر أموالهم، ولا یجدون بدّاً من أن یخفوا کثیراً من عقائدهم خوف النکال والقتل، وبأیدی وقلوب نزعت منها الرحمۀ.

فلا تثریب إذن علی الشیعی أمام هذه الوحشیۀ المسرفۀ من أن یتعامل مع أخیه المسلم بالتقیۀ، وأن یظهر خلاف ما یعتقده، بل اللوم أجمعه یقع علی من حمله علی ذلک، بعد أن أباح دمه وعرضه وماله.

هذا هو طغرل بیک أوّل ملک من ملوک السلاجقۀ ورد بغداد سنۀ ۴۴۷ ه،

وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التى أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهى، وكانت من دور العلم المهمّة فى بغداد بناها هذا الوزير الجليل فى محلّة بين السورين فى الكرخ سنة ۳۸۱ ه على مثال بيت الحكمة الذى بناه هارون الرشيد، وكانت من الأهمية العلمية بمكان؛ حيث جمع فيها هذا الوزير ما تفرّق من كتب فارس والعراق، واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كرد على، ونافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفين «۱».

قال ياقوت الحموى: وبها كانت خزانة الكتب التى أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن فى الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأُصولهم المحرّرة «۲».

وكان من جملتها مصاحف بخطّ ابن مقلة على ما ذكره ابن الأثير «۳».

ولمّا كان الوزير سابور من أهل الفضل والأدب، فقد أخذ العلماء يهدون إليه مصنّفاتهم المختلفة، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، وقد أُحرقت هذه المكتبة العظيمة فى جملة ما أُحرق من محال الكرخ عند مجىء طغرل بيك، وتوسّعت الفتنة حتّى اتّجهت إلى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسيه الذى كان يجلس عليه للكلام.

قال ابن الجوزى فى حوادث سنة (۴۴۸ ه): وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره، ثمّ قال فى حوادث سنة (۴۴۹ ه): وفى صفر هذه السنة كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلّم الشيعة فى الكرخ، وأُخذ ما وجد من دفاتره وكرسى يجلس عليه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷

للكلام، وأُخرج إلى الكرخ وأُضيف إليه ثلاث مجانيق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إن قصدوا زيارة الكوفة، فأُحرق الجميع «۱».

وأخيراً فلعلّ القارئ الكريم إذا تأمّل بتدبرّ وتأنّ إلى جملة ما كتب وأُلّف من المراجع التاريخية- وحتّى تلك التى كتبت فى تلك العصور التى شهدت هذه المجازر المتلاحقة، والتى بلا أدنى شكّ كان أغلبها يجارى أهواء الأُسر الحاكمة آنذاك- فإنّه سيجد بوضوح أنّ بقاء الشيعة حتّى هذه الأزمنة من المعاجز والكرامات وخوارق العادات، كيف وإنّ تاريخهم كان سلسلة من عمليات الذبح، والقتل، والقمع، والاستئصال، والسحق، والإبادة، قد تظافرت قوى الكفر والفسق على إهلاكهم وقطع جذورهم، ومع ذلك فقد كانت لهم دول و دويلات، ومعاهد وكلّيّات، وبلدان وحضارات، وأعلام ومفاخر، وعباقرة وفلاسفة، وفقهاء، ومحدّثون، ووزراء وسياسيّون، ويؤلّفون اليوم خمس المسلمين أو ربعهم.

نعم إنّ ذلك من فضله سبحانه لتعلّق مشيئته على إبقاء الحقّ وإزهاق الباطل فى ظلّ قيام الشيعة طيلة القرون بواجبها وهو الصمود أمام الظلم، والتضحية والتفدية للمبدأ والمذهب وقد قال سبحانه: إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشرونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مائَتَينِ وإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَروا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ «۲»

.

ولا يفوتنّك أخى القارئ الكريم أنّ ثوراتهم المتعاقبة على الحكومات الظالمة الفاسدة الخارجة عن حدود الشريعة الإسلامية العظيمة هى التى أدّت إلى تشريدهم وقتلهم والفتك بهم، ولو أنّهم ساوموا السلطة الأُموية والعباسية،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸

لكانوا فى أعلى المناصب والمدارج، لكنّ ثوراتهم لم تكن عنصرية أو قوميّة أو طلباً للرئاسة، بل كانت لإزهاق الباطل ورفع الظلم عن المجتمع، والدعوة إلى إعلاء كلمة اللّه وغير ذلك ممّا هو من وظائف العلماء العارفين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع

اشارة

فرضيّات وهميّة لمبدأ التشيّع

لقد تقدّم الحديث منّا فى الصفحات السابقة حول ما يمكن تسميته بنشأة التشيّع، والتى تبين لنا بوضوح أنّه لا فصل هنا بين النشأتين، نشأة الإسلام، ونشأة التشيّع، وأنّهما وجهان لعملة واحدة، إلّاأنّ هناك جماعة من المؤرّخين وكتّاب المقالات ممّن قادهم الوهم وسوء الفهم إلى اعتبار التشيّع أمراً حادثاً وطارئ على المجتمع الإسلامى، فأخذوا يفتّشون عن مبدئه ومصدره، وأشدّ تلك الظنون عدوانية فيه ما تلوكه أشداق بعض المتقدّمين والمتأخّرين، هو كونه وليد عبد اللَّه ابن سبأ ذلك الرجل اليهودى، الذى- بزعمهم- طاف الشرق والغرب، وأفسد الأُمور على الخلفاء والمسلمين، وألّب الصحابة والتابعين على عثمان فقتل فى عقر داره، ثمّ دعا إلى علىّ بالإمامة والوصاية، وإلى النبىّ بالرجعة، وكوَّن مذهباً باسم الشيعة، فهو كما يتصوّر هؤلاء وصوّروه لغيرهم صنيع ذلك الرجل اليهودى المتظاهر بالإسلام. وبما أنّ لهذا الموضوع أهمية خاصة لما احتلّه من المساحة الواسعة فى أذهان العديد من السذج والسطحيّين، فإنّا لا نكتفى ببيان توهّم واحد بل نأتى على ذكر كلّ تلك الادّعاءات واحدة بعد الأُخرى، مع رعاية التسلسل الزمنى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰

الفرضيّة الأُولى: الشيعة ويوم السقيفة

الفرضيّة الأُولى: الشيعة ويوم السقيفة

ليس بخاف على أحد مدى الانعطافة الخطيرة التى حدثت فى تأريخ الإسلام عقب انتهاء مؤتمر سقيفة بنى ساعدة، وما ترتّب عليه من نتائج وقرارات خطيرة.

والحقّ يقال إنّ هذا المؤتمر الذى ضمّ بين صفوفة ثلّة كبيرة من وجوه الصحابة- من المهاجرين والأنصار- قد أغفل عند انعقاده الواجب الأعظم فى إكرام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صاحب الفضل الأكبر فيما وصل إليه الجميع- عندما تُرك مُسجّى بين يدى أهل بيته وانشغلوا بما كان من غير الإنصاف أن ينسب إليه صلى الله عليه و آله من قصور لا عذر فيه فى ترك الأُمّة حائرة به بعد موته.

أقول: ونتيجة لانشغالهم ذاك فقد حرموا من واجب إكرام الرسول صلى الله عليه و آله جلّه، ففاتهم أعظمه، وقصروا فى تأديته، وكان لأهل بيته وحدهم ذلك الدور كلّه، فأوفوه، ولم يألوا فى ذلك جهداً.

وإذا كان المؤتمرون فى السقيفة قد خرجوا إلى الملأ بقرار كان ثمرة مخاض عسير واعتراك صعب؛ فإنّه أوضح وبلا أدنى ريب تبعثر الآراء واختلافها، بل وظروف خطرة كان من الممكن أن تودى بالجهد العظيم الذى بذله رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومن معه من المؤمنين فى إرساء دعائم هذا الدين وتثبيت أركانه، وأوضحت- وذاك لا خفاء عليه- أنّ من غير المنطقى لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يرحل- مع أنّه لم يفاجئه الموت- دون أن يدرك هذه الحقيقة التى ليس هو ببعيد عنها، ولا يمكن أن يتغاضى عنها، وهو الذى ما خرج فى أمر جسيم إلّاوخلّف عنه من ينوبه فى إدارة شؤون الأُمّة فى فترة غيابه التى لا يلبث أن يعود منها بعد أيّام معدودات، فكيف بالرحيل الأبدى؟!

نعم إنّ هذا الأمر لابدّ وإن يستوقف كلّ ذى لب وعقل مستنير.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱

كما أنّ الاستقراء المتأنّى لأحداث السقيفة قد أوضح وبقوّة فى أثناء المؤتمر وبعده وجود تيار قوى ومتماسك تبنّته جملة من وجوه

الصحابة ومتقدّميها، وعمدت إلى التذكير بوجوده والإجهار به، ولو قادهم هذا الأمر إلى الإقتتال دون تنفيذه، وذاك الأمر هو الإصرار على إيكال أمر الخلافة إلى عليّ بن أبى طالب عليه السلام دون غيره، رغم ابتعاده عليه السلام عن ساحة الاعتراك وميدان التنازع فى تلك السقيفة.

ولعلّ تمسّك هذه الثلّة من الصحابة بموقفها من بيعة الإمام دون غيره هو ما دفع بعض المؤرّخين إلى الذهاب بأنّ التشيّع كان وليد هذا المؤتمر ونتاج مخاضه، وأن يليهم آخرون يتعبّدون بهذا الرأى ويرتّبون من خلاله تصوّراتهم وأفكارهم، فيتشعّب ذلك إلى جملة واسعة من المتبنّيات غير الواقعية والقائمة على أرض واسعة من الأوهام والاسترسال غير المنطقى.

ولعلّ هذا التصوّرات تعتمد فى فهمها أساساً لمبدأ نشأة التشيّع على ما رواه الطبرى وغيره عن مجريات هذا المؤتمر وما ترتّب عليه من نتائج، دون أن تمد بصرها إلى أبعد من هذه النقطة اللامعة التى أعمتهم عن التأمّل فى أبعادها.

قال الطبرى: اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا:

منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منّا الأُمراء ومنكم الوزراء- إلى أن قال:- فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار- أو بعض الأنصار: لانبايع إلّاعليّاً.

ثمّ قال (أى الطبرى): أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: واللَّه لأحرّقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة:

فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.

وقال أيضاً: وتخلّف عليّ والزبير، واخترط الزبير سيفه وقال: لا أغمده حتى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲

يبايع عليّ. فبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقالا: خذوا سيف الزبير «۱».

وقال اليعقوبى فى تأريخه: ومالوا مع عليّ بن أبى طالب، منهم: العبّاس بن عبد المطّلب، والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوّام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، والبراء ابن عازب، وأُبيّ بن كعب «۲».

وروى الزبير بن بكار فى الموفّقيات: انّ عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الأمر.

وروى الجوهرى فى كتاب السقيفة: أنّ سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً.

وروى أيضاً: أنّه لما بويع أبوبكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، ولام بعضهم بعضاً، وهتفوا باسم الإمام عليّ، ولكنّه لم يوافقهم «۳».

وروى ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة: كان أبو ذر وقت أخذ البيعة غائباً عن هذه الأحداث، فلمّا جاء قال: أصبتم قناعة، وتركتم قرابة، لو جعلتم الأمر فى أهل بيت نبيّكم لما اختلف عليكم الاثنان.

وقال سلمان: أصبتم ذا السن، وأخطأتم المعدن، أمّا لو جعلتموه فيهم ما اختلف منكم اثنان، ولأكلتموها رغداً.

وهكذا فمن خلال هذه النصوص المتقدّمة وغيرها اعتقد ذاك البعض- الذى أشرنا إليه سابقاً- أنّ مبتدأ التشيّع ونشأته كان فى تلك اللحظات الحرجة فى تأريخ الإسلام، متناسين أنّ ما اعتمدوه فى بناء تصوّراتهم هو ما ينقضها ويثبت بطلانها،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳

فإنّ المتأمل فى هذه النصوص يظهر له وبوضوح أنّ فكرة التشيّع لعليّ ليست وليدة هذا الظرف المعقّد، وثمرة اعتلاجه، ونقيض تصوّره، بقدر ما تؤكّد على أنّ هذه الفكرة كانت مختمرة فى أذهانهم ومركوزة فى عقولهم ولسنين طوال، فلمّا رأت هذه الجماعة انصراف الأمر إلى جهة لم تكن فى حساباتهم ولا فى حدود تصوّراتهم، وانحساره عمّا كان معهوداً به إليهم، عمدوا إلى التمسّك به

بالاجتماع فی بیت علیّ والإعلان صراحة عن موقفهم ومعتقدهم.

نعم إنّ من غیر المتوقع والمعهود أن یجتمع رأی هـذه الجماعـة- التی تؤلف خلاصـة غنیّـة من متقـدّمی الصـحابة- علی هـذا الأمر فی تلک اللحظات المضطربة والملیئة بالمفاجئات، وأن یترتّب علیه موقف موحّد ثابت، فهذا الأمر یدلّ بوضوح علی أنّه ما کان ولید یومه ونتاج مخاضه.

وممّا یؤکـد ذلک ویقوی أرکانه ما نقلته جمیع مصادر الحـدیث المختلفـة من نداءات رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله وتوصـیاته بحقّ علیّ وعترته وشـیعته فی أکثر من مناسـبة ومکان، وما کان یشـیر إلیه صـلی الله علیه و آله من فضل شیعة علیّ ومکانتهم، والتأکید علی وجوب ملازمتهم، وفی هذا دلالة لا تقبل النقض علی أنّ التشیّع ما کان ولید السقیفة أو ردّة رافضة آنیة لمجریات أحداثها، بل إنّ هذا الوجود یمتد عمقاً مع نشأة الإسلام واشتداد عوده فی زمن النبیّ محمّد صلی الله علیه و آله وحیاته المبارکة المقدّسة.

الفرضیّة الثانیة: التشیّع صنیع عبد اللَّه بن سبأ

اشارة

الفرضیّة الثانیة: التشیّع صنیع عبد اللَّه بن سبأ

لنقرأ ما کتبه الطبری حول هذا الوهم المصطنع:

قال: «إنّ یهودیاً باسم عبـد اللَّه بن سـبأ المکنّی بابن السوداء فی صـنعاء أظهر الإسـلام فی عصـر عثمان، وانـدسّ بین المسـلمین، وأخذ یتنقّل فی حواضرهم

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۴

وعواصم بلادهم: الشام، والکوفة، والبصـرة، ومصـر، مبشّـراً بأنّ للنبیّ الأکرم رجعة کما أنّ لعیسـی بن مریم رجعة، وأنّ علیّاً هو وصـی محمّـد صـلی الله علیه و آله کما کان لکل نبیّ وصـی، وأنّ علیّاً خاتم الأوصـیاء کما أنّ محمّـداً خاتم الأنبیاء، وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصیّ وظالمه، فیجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلی أهله».

«إنّ عبـد اللَّه بن سـبأ بثّ فی البلاـد الإسـلامیة دعـاته، وأشار علیهم أن یظهروا الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، والطعن فی الأُمراء، فمال إلیه وتبعه علی ذلک جماعات من المسـلمین، فیهم الصـحابی الکبیر والتابعی الصالح من أمثال أبی ذر، وعمّار بن یاسر، ومحمّد بـن حذیفـة، وعبـد الرحمن بن عـدیس، ومحمّـد بن أبی بکر، وصعصـعة بن صوحـان العبـدی، ومالـک الأـشتر، إلی غیرهم من أبرار المسـلمین وأخیـارهم، فکـانت السبئیـة تثیر النـاس علی ولاـتهم، تنفیـذاً لخطّـة زعیمهـا، وتضع کتبـاً فی عیوب الأُمراء وترسل إلی غیر مصـرهم من الأمصـار. فنتـج عن ذلک قیام جماعات من المسـلمین- بتحریض السبئیین- وقـدومهم إلی المدینـة وحصـرهم عثمان فی داره، حتّی قتل فیها، کلّ ذلک کان بقیادة السبئیین ومباشرتهم».

«إنّ المسـلمین بعـد ما بایعوا علیّاً، ونکث طلحـة والزبیر بیعته وخرجا إلی البصـرة، رأی السبئیّون أنّ رؤساء الجیشـین أخـذوا یتفاهمون، وأنّه إنّ تمّ ذلـک سـیؤخذون بـدم عثمـان، فاجتمعوا لیلًا وقرّروا أنّ ینـدسّوا بین الجیشـین ویثیروا الحرب بکرة دون علم غیرهم، وأنّهم اسـتطاعوا أنّ ینفّذوا هذا القرار الخطیر فی غلس اللیل قبل أن ینتبه الجیشان المتقاتلان، فناوش المندسّون من السیاسیین فی جیش علیّ من کان بأزائهم من جیش البصـرة، ففزع الجیشان وفزع رؤساؤهما، وظنّ کلّ بخصـمه شـرّاً، ثمّ إنّ حرب البصـرة وقعت بهـذا الطریق، دون أن یکون لرؤساء الجیشین رأی أو علم».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۵

روى الطبرى عن هذا الوهم فى موضع آخر من كتابه:

«فيما كتب به إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن عطيّة، عن يزيد الفقعسى، قال: كان عبد اللّه بن سبأ يهوديّاً من أهل صنعاء أُمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل فى بلدان المسلمين يحاول إضلالهم، فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة، ثمّ الكوفة، ثمّ الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: العجب فيمن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمداً يرجع، وقد قال اللّه عزّ وجلّ: إنّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْك القُرآنَ لَرَادُّك إلى مَعادٍ «۱»

، فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى. قال: فَقُبِل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبىّ، ولكلّ نبىّ وصىّ، وكان علىّ وصى محمّد. ثمّ قال: محمّد خاتم الأنبياء وعلىّ خاتم الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يجز وصية رسول اللّه صلى الله عليه و آله ووثب على وصىّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله وتناول أمر الأُمّة. ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حق وهذا وصىّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله فانهضوا فى هذا الأمر فحرّكوه، وابدأوا بالطعن على أُمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر. فبثّ دعاته، وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه، ودعوا فى السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أُولئك فى أمصارهم، وهؤلاء فى أمصارهم، حتّى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون... إلى آخر ما يذكره الطبرى فى المقام» حتّى يتوقّف عن إيراد هذه الأحداث بعد حرب الجمل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶

ولا يأتى بعد ذلك بشىء عن السبئية «۱».

وهكذا فقد تبيّن لك ممّا أوردناه عن الطبرى إنّ جلّة من فضلاء الصحابة قد عُدّوا من كبار السبئية وقادتها، وهم الذين كانوا يعرفون بالزهد والتقى والصدق والصفاء:

فأمّا عبد الرحمن بن عديس البلوى فهو ممّن بايع النبى تحت الشجرة وشهد فتح مصر، وكان رئيساً على من سار إلى عثمان من مصر «۲».

وأمّا محمّد بن أبى بكر: فأُمّه أسماء بنت عميس الخثعمية، تزوّجها أبو بكر بعد استشهاد جعفر بن أبى طالب، فولدت له محمّداً فى حجّة الوداع بطريق مكّة، ثم نشأ فى حجر علىّ بعد أبيه، وشهد معه حرب الجمل، كما شهد صفّين، ثمّ ولى مصر عن علىّ إلى أن قتل فيها بهجوم عمرو بن العاص عليها «۳».

وأمّا صعصعة بن صوحان العبدى: فقد أسلم على عهد رسول اللّه وكان خطيباً مفوّهاً، شهد صفّين مع على. ولما استشهد علىّ واستولى معاوية على العراق نفاه إلى البحرين ومات فيها «۴».

وأمّا الأشتر: فهو مالك بن الحرث النخعى، وهو من ثقات التابعين، شهد وقعة اليرموك، وصحب عليّاً فى الجمل وصفّين، ولّاه على مصر سنة (۳۸ ه) ولمّا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷

وصل إلى القلزم دسّ إليه معاوية السمّ بواسطة أحد عملائه فتوفّى مسموماً» «۱».

هذا هو الذى ذكره الطبرى، وقد أخذه من جاء بعده من المؤرّخين وكتّاب المقالات حقيقة راهنة، وبنوا عليه ما بنوا من الأفكار والآراء، فصارت الشيعة وليدة السبئية فى زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال.

ومن الذين وقعوا فى هذا الخطأ الفاحش دون فحص وتأمل فى حقائق الأُمور:

۱- ابن الأثير (ت ۶۳۰ ه)، فقد أورد القصّة منبثّة بين حوادث (۳۰- ۳۶ ه) وهو وإن لم يذكر المصدر فى المقام، لكنّه يصدر عن

تاريخ الطبرى فى حوادث القرون الثلاثة الأول «۲».

۲- ابن كثير الشامى (ت ۷۷۴ ه) فقد ذكر القصّة فى تأريخه «البداية والنهاية» وأسندها عندما انتهى من سرد واقعة الجمل إلى تاريخ الطبرى، وقال: هذا ملخّص ما ذكره أبو جعفر بن جرير «۳».

۳- ابن خلدون (ت ۸۰۸ ه)، فى تأريخه «المبتدأ والخبر» أورد القصّة فى حادثة الدار والجمل وقال: هذا أمر الجمل ملخّصاً من كتاب أبى جعفر الطبرى «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸

وأمّا من جاء بعد أُولئك المؤرّخين وأخذوا ما أورده السابقون مأخذ التسليم فنذكر منهم:

۴- محمّد رشيد رضا، مؤسس مجلة المنار (ت ۱۳۵۴ ه)، ذكره فى كتابه «السنّة والشيعة» وقال: وكان مبتدع أُصوله (أى التشيّع) يهودى اسمه عبد اللَّه بن سبأ، أظهر الإسلام خداعاً، ودعا إلى الغلو فى علىّ كرم اللَّه وجهه، لأجل تفريق هذه الأُمّة، وإفساد دينها ودنياها عليها، ثمّ سرد القصّة وقال: ومن راجع أخبار واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير مثلًا يرى مبلغ تأثير إفساد السبئيين دون ما كاد يقع من الصلح «۱».

۵- أحمد أمين (ت ۱۳۷۲ ه)، وهو الذى استبطل عبد اللَّه بن سبأ فى كتابه «فجر الإسلام» وقال: إنّ ابن السوداء كان يهوديّاً من صنعاء، أظهر الإسلام فى عهد عثمان، وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبثّ فى البلاد عقائد كثيرة ضارّة، وقد طاف فى بلاد كثيرة، فى الحجاز، والبصرة، والكوفة، والشام، ومصر.

ثمّ ذكر أنّ أبا ذر تلقّى فكرة الاشتراكية من ذلك اليهودى، وهو تلقّى هذه الفكرة من مزدكيى العراق أو اليمن.

وقد كان لكتاب «فجر الإسلام» عام انتشاره (۱۹۵۲ م) دوىّ واسع النطاق فى الأوساط الإسلامية؛ فإنّه أوّل من ألقى الحجر فى المياه الراكدة بشكل واسع، وقد ردّ عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألّف الشيخ المصلح كاشف الغطاء «أصل الشيعة وأُصولها» ردّاً عليه، كما ردّ عليه العلامة الشيخ عبد اللَّه السبيتى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹

بكتاب أسماه «تحت راية الحق».

۶- فريد وجدى مؤلّف دائرة المعارف (ت ۱۳۷۰ ه) فقد أشار إلى ذلك فى كتابه عند ذكره لحرب الجمل ضمن ترجمة الإمام علىّ بن أبى طالب «۱».

۷- حسن إبراهيم حسن، وذكره فى كتابه «تاريخ الإسلام السياسى» فى أُخريات خلافة عثمان بقوله: «فكان هذا الجوّ ملائماً تمام الملاءمة ومهيّأً لقبول دعوة (عبد اللَّه بن سبأ) ومن لفّ لفّه والتأثّر بها إلى أبعد حدّ- وأضاف- وقد أذكى نيران هذه الثورة صحابى قديم اشتهر بالورع والتقوى- وكان من كبار أئمّة الحديث- وهو أبو ذر الغفارى الذى تحدّى سياسة عثمان ومعاوية واليه على الشام بتحريض رجل من أهل صنعاء وهو عبد اللَّه بن سبأ، وكان يهوديّاً فأسلم، ثمّ أخذ ينتقل فى البلاد الإسلامية، فبدأ بالحجاز، ثمّ البصرة فالكوفة والشام ومصر... الخ «۲».

هذا حال من كتب عن الشيعة من المسلمين، وأمّا المستشرقون المتطفّلون على موائد المسلمين فحدّث عنهم ولا حرج، فقد ابتغوا تلك الفكرة الخاطئة فى كتبهم الاستشراقية التى تؤلّف لغايات خاصّة، فمن أراد الوقوف على كلماتهم فليرجع إلى ما ألّفه الباحث الكبير السيّد مرتضى العسكرى فى ذلك المجال، فإنّه- دام ظلّه- حقّق المقال ولم يبق فى القوس منزعاً «۳».

نظر المحقّقين فى الموضوع

نظر المحقّقين فى الموضوع:

۱- إنّ ما جاء فى تاريخ الطبرى من القصّة، على وجه لا يصحّ نسبته إلّاإلى عفاريت الأساطير ومردة الجنّ؛ إذ كيف يصحّ لإنسان أن يصدّق أنّ يهوديّاً جاء من صنعاء وأسلم فى عصر عثمان، واستطاع أن يغرى كبار الصحابة والتابعين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰

ويخدعهم، ويطوف بين البلاد ناشراً دعواه، بل واستطاع أن يكوّن خلايا ضدّ عثمان ويستقدمهم على المدينة، ويؤلّبهم على الخلافة الإسلامية، فيهاجموا داره ويقتلوه، بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم بإحسان، هذا شيء لا يحتمله العقل وإن وطّن على قبول العجائب والغرائب.

بل إنّ هذه القصّة تمسّ كرامة المسلمين والصحابة والتابعين وتصوّرهم أُمّة ساذجة يغترّون بفكر يهودى، وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكّرون.

۲- إنّ القراءة الموضوعية للسيرة والتاريخ توقفنا على سيرة عثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان؛ فإنّهما كانا يعاقبان المعارضين لهم، وينفون المخالفين ويضربونهم، فهذا أبو ذر الغفارى- رحمه اللَّه- نفاه عثمان من المدينة إلى الربذة لاعتراضه عليه فى تقسيم الفيء وبيت المال بين أبناء بيته، كما أنّه ضرب الصحابى الجليل عمّار بن ياسر حتى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه «۱»، إلى غير ذلك من مواقفهم من مخالفيهم ومعارضيهم التى يقف عليها المتتبع، ومع ذلك نرى فى الأوهام التى عرضناها مسبقاً أنّ رجال الخلافة وعمالها يغضّون الطرف عمّن يؤلّب الصحابة والتابعين على إخماد حكمهم، وقتل خليفتهم فى عقر داره، ويجرّ الويل والويلات على كيانهم!! وهذا شيء لا يقبله من له أدنى إلمام بتاريخ الخلافة وسيرة معاوية.

يقول العلّامة الأمينى: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين، وقد علم به وبعبثه أُمراء الأُمّة وساستها فى البلاد، وانتهى أمره إلى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة والتأديب بالضرب والإهانة، والزجّ إلى أعماق السجون؟ ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأُمّة من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۱

الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ وهتاف القرآن الكريم يرنُّ فى مسامع الملأ الدينى: إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّه وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فى الأرضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوا مِنَ الأرضِ ذَلِك لَهُمْ خِزْىٌ فى الدُّنْيا وَلَهُمْ فى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ «۱»

فهلّا اجتاح الخليفة جرثومة تلك القلاقل بقتله؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله ففعل بهم ما فعل «۲»؟!!

وهناك لفيف من الكتّاب ممّن حضر أو غبر، بدل أن يفتحوا عيونهم على الواقع المرير، ليقفوا على الأسباب المؤدّية إلى قتل الخليفة، حاولوا التخلّص من أوزار الحقيقة بالبحث عن فروض وهميّة سبّبت قتل الخليفة وأودت به.

وفى حقّ هؤلاء يقول أحد الكتّاب المعاصرين:

«وفى الشرق كتَّابٌ لا يعنيهم من التاريخ واقعٌ ولا من الحياة حالٌ أو ظرف، فإذا بهم يعلّلون ثورة المظلومين على عثمان، ويحصرون أحداث عصر بل عصور بإرادة فرد يطوف فى الأمصار والأقطار ويؤلّب الناس على خليفة ودولة!.

إنّ النتيجة العملية لمثل هذا الزعم وهذا الافتراء هى أنّ الدولة فى عهد عثمان ووزيره مروان إنَّما كانت دولة مثاليّة، وأنّ الأمويين والولاة و الأرستقراطيين إنَّما كانوا رُسُل العدالة الاجتماعية والإخاء البشرى فى أرض العرب. غير أنّ رجلًا فرداً هو عبد اللَّه بن سبأ أفسد على الأمويين والولاة و الأرستقراطيين صلاحهم وبرّهم؛ إذ جعل يطوف الأمصار والأقطار مؤلّباً على عثمان وأُمرائه وولاته

الصالحين المُصلحين، ولولا هذا الرجل الفرد وطوافه فى الأمصار والأقطار لعاش الناس فى نعيم مروان وعدل الوليد وحلم معاوية عيشاً هو الرغادة وهو الرخاء.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۲

فى مثل هذا الزعم افتراءٌ على الواقع، واعتداء على الخلق، ومسايرة ضئيلة الشأن لبعض الآراء، يغلّف ذلك جميعاً منطق ساذج وحجّة مصطنعة واهية. وفيه ما هو أخطر من ذلك؛ فيه تضليل عن حقائق أساسية فى بناء التاريخ؛ إذ يحاول صاحب هذا المسعى الفاشل أن يحصر أحداث عصر بكامله، بل عصور كثيرة، بإرادة فردٍ يطوف فى الأمصار ويؤلّب الناس على دولة فيثور هؤلاء الناس على هذه الدولة لا لشىء إلّاالأنّ هذا الفرد طاف بهم وأثارهم!.

أمّا طبيعة الحكم، وسياسة الحاكم، وفساد النظام الاقتصادى والمالى والعمرانى، وطغيان الأثرة على ذوى السلطان، واستبداد الولاة بالأرزاق، وحمل بنى أُميّة على الأعناق، والميل عن السياسة الشعبية الديمقراطية إلى سياسة عائلية أرستقراطية رأسمالية، وإذلال من يضمر لهم الشعبُ التقدير والاحترام الكثيرين أمثال أبى ذرّ وعمّار بن ياسر وغيرهما، أمّا هذه الأُمور وما إليها جميعاً من ظروف الحياة الاجتماعية، فليست بذات شأن فى تحريك الأمصار وإثارتها على الأُسرة الأمويّة الحاكمة ومن هم فى ركابها، بل الشأن كلّ الشأن فى الثورة على عثمان لعبد اللّه بن سبأ الذى يلفت الناس عن طاعة الأئمّة ويلقى بينهم الشرّ.

أليس من الخطر على التفكير أن ينشأ فى الشرق من يعلّلون الحوادث العامّة الكبرى المتّصلة اتّصالًا وثيقاً بطبيعة الجماعة وأُسس الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية بإرادة فرد من عامّة الناس يطوف فى البلاد باذراً للضلالات والفساد فى هذا المجتمع السليم.

أليس من الخطر على التفكير أن نعلّل الثورات الإصلاحية فى التاريخ تعليلًا صبيانياً نستند فيه إلى رغبات أفراد فى التاريخ شاءوا أن يحدثوا شغباً فطافوا الأمصار وأحدثوه» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۳

۳- إنّ رواية الطبرى نقلت عن أشخاص لا يصحّ الاحتجاج بهم:

أ- السرى: إنّ السرى الذى يروى عنه الطبرى، إنّما هو أحد رجلين:

۱- السرى بن إسماعيل الهمدانى الذى كذّبه يحيى بن سعيد، وضعّفه غير واحد من الحفّاظ «۱».

۲- السرى بن عاصم بن سهل الهمدانى نزيل بغداد المتوفّى عام (۲۵۸ ه) وقد أدرك ابن جرير الطبرى شطراً من حياته يربو على ثلاثين سنة، كذّبه ابن خراش، ووهاه ابن عدى، وقال: يسرق الحديث، و زاد ابن حبّان: ويرفع الموقوفات، لا يحلّ الاحتجاج به، وقال النقاش فى حديث وضعه السرى «۲».

فالاسم مشترك بين كذّابين لا يهمّنا تعيين أحدهما.

احتمال كونه السرى بن يحيى الثقة غير صحيح، لأنّه توفّى عام (۱۶۷ ه) مع أنّ الطبرى من مواليد عام (۲۳۴ ه) فالفرق بينهما (۵۷) عاماً، فلا مناص أن يكون السرى، أحد الرجلين الكذابين.

ب- شعيب: والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفى المجهول، قال ابن عدى:

ليس بالمعروف، وقال الذهبى: راوية، كتب سيف عنه: فيه جهالة «۳».

ج- سيف بن عمر: قال ابن حبّان: كان سيف بن عمر يروى الموضوعات عن الأثبات، وقال: قالوا: إنّه كان يضع الحديث واتّهم بالزندقة. وقال الحاكم: اتّهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط، وقال ابن عدى: بعض أحاديثه مشهورة، وعامّتها منكرة لم يتابع عليها. وقال ابن عدى: عامّة حديثه منكر. وقال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۴

البرقانى- عن الدارقطنى-: متروك. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه

حديث الواقدى. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال النسائى: ضعيف، وقال السيوطى: وضّاع، وذكر حديثاً من طريق السرى بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال: موضوع، فيه ضعفاء أشدّهم سيف «۱».

د- فإذا كان هذا حال السند، فكيف نعتمد فى تحليل نشوء طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تؤلّف خمسهم أو ربعهم على تلك الرواية، مع أنّ هذا هو حال سندها ومتنها، فالاعتماد عليها خداع وضلال لا يرتضيه العقل.

عبد اللَّه بن سبأ أُسطورة تاريخية

الفرضيّة الثالثة: التشيّع فارسىّ المبدأ أو الصبغة

اشارة

الفرضيّة الثالثة: التشيّع فارسىّ المبدأ أو الصبغة

وهناك فرضية ثالثة اخترعها المستشرقون لتكوّن مذهب الشيعة فى المجتمع الإسلامى، وهذه الفرضية كسابقتيها تعتمد اعتبار حداثة هذا المذهب قصداً أم جهلًا، فقادها هذا التصوّر الخاطئ إلى اعتماد نظرية تقول بفارسيّة المبدأ أو الصبغة لمذهب التشيّع، وهذا الترديد بين الأمرين مرجعه رأيان لأصحاب هذه النظرية فى المقام:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۱

۱- إنّ التشيع من مخترعات الفرس؛ اخترعوه لأغراض سياسية ولم يعتنقه أحد من العرب قبل الفرس، ولكنّهم لما أسلموا اخترعوا تلك الفكرة لغاية خاصّة.

۲- إنّ التشيّع عربى المبدأ، وإنّ لفيفاً من العرب اعتنقوه قبل أن يدخل الفرس فى الإسلام، ولمّا أسلموا اعتنقوه وصبغوه بصبغة فارسية لم تكن من قبل.

وهذان الرأيان هما اللّذان عبّرنا عنهما فى العنوان بما عرفت، وإليك تفصيل أمرهما:

أمّا النظرية الأُولى: فقد اخترعها المستشرق دوزى، وملخّصها: أنّ للمذهب الشيعى نزعة فارسية؛ لأنّ العرب كانت تدين بالحرّيّة، والفرس تدين بالملك والوراثة، ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولمّا انتقل النبىّ إلى دار البقاء ولم يترك ولداً، قالوا: على أولى بالخلافة من بعده.

وحاصله: أنّ الانسجام الفكرى بين الفرس والشيعة- أعنى: كون الخلافة أمراً وراثياً- دليل على أنّ التشيّع وليد الفرس.

وهذا التصوّر مردود لجملة واسعة من البديهيات، منها:

أوّلًا: أنّ التشيّع حسبما عرفت ظهر فى عصر النبىّ الأكرم، وهو الذى سمّى أتباع علىّ بالشيعة، وكانوا موجودين فى عصر النبىّ وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس- سوى سلمان- فى الإسلام.

بلى، فإنّ روّاد التشيّع فى عصر الرسول والوصى كانوا كلّهم عرباً ولم يكن بينهم أىّ فارسىّ سوى سلمان المحمّدى، وكلّهم كانوا يتبنّون فكرة التشيّع.

وكان لأبى الحسن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام أيام خلافته ثلاثة حروب: حرب الجمل، وصفّين، والنهروان. وكان جيشه كلّه عرباً ينتمون إلى أُصول وقبائل عربية مشهورة بين عدنانية وقحطانية، فقد انضمّ إلى جيشه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۲

زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج، وهمدان، و طى، وكندة، وتميم، ومضر، بل كان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل كعمّار بن ياسر، وهاشم المرقال، ومالك الأشتر، وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد اللَّه بن عباس، ومحمّد بن أبى بكر، وحجر بن عدى، وعدى بن حاتم، وأضرابهم. وبهذا الجند وبأُولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصرة، وحارب القاسطين- معاوية وجنوده- يوم صفّين، وبهم قضى على المارقين.

فأين الفرس فى ذلك الجيش وأُولئك القادة كى نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيّع؟ ثمّ إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب.

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ:

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ:

إنّ عدداً من المستشرقين وغيرهم صرّحوا بأنّ العرب اعتنقت التشيّع قبل الفرس وإليك نصوصهم:

۱- قال الدكتور أحمد أمين: الذى أرى- كما يدلّنا التاريخ- أنّ التشيّع لعلىّ بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام ولكن بمعنى ساذج، ولكن هذا التشيّع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأُخرى فى الإسلام، وحيث إنّ أكبر عنصر دخل فى الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر فى التشيّع «۱». وسيوافيك الكلام على ما فى ذيل كلامه من أنّ التشيّع أخذ صبغة جديدة بعد فترة من حدوثه.

۲- وقال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق فى عهد معاوية- خصوصاً أهل الكوفة- شيعة، ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۳

ورؤساء العرب «۱».

۳- وقال المستشرق جولد تسيهر: إنّ من الخطأ القول بأنّ التشيّع فى نشأته ومراحل نموه يمثّل الأثر التعديلى الذى أحدثته أفكار الأُمم الإيرانية فى الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة «۲».

۴- وأمّا المستشرق آدم متز فإنّه قال: إنّ مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الإيرانية يخالف الإسلام، فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبرى مثل مكّة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة فى بعض المدن أيضاً مثل عمان، وهجر، وصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة، ما عدا قم، وكان أهل إصفهان يغالون فى معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنّه نبى مرسل «۳».

ولعلّ المتأمّل فى كلمات هؤلاء يجد بوضوح أنّهم يقطعون بفساد الرأى الذاهب إلى فارسيّة التشيّع، وأنّهم لم يجدوا له تبريراً معقولًا، بالرغم من عدم تعاطفهم أصلًا مع التشيّع، فتأمل.

۵- يقول الشيخ أبو زهرة: إنّ الفرس تشيّعوا على أيدى العرب وليس التشيّع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأمّا فارس وخراسان وما وراءهما من بلدان الإسلام، فقد هاجر إليها كثيرون من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيّعون فراراً بعقيدتهم من الأُمويين أوّلًا، ثمّ العباسيين ثانياً، وأنّ التشيّع كان منتشراً فى هذه البلاد انتشاراً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۴

عظيماً قبل سقوط الدولة الأُموية بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها «۱».

۶- وقال السيّد الأمين: إنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة فى أوّل الأمر إلّاالقليل، وجلّ علماء السنّة وأجلّائهم من الفرس،

كالبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم النيسابورى والبيهقى، وهكذا غيرهم ممّن أتوا فى الطبقة التالية «۲».

وأما النظرية الثانية فإنّ التاريخ يدلّنا على أنّ الفرس دخلوا فى الإسلام يوم دخلوا بالصبغة السنّية، وهذا هو البلاذرى يحدّثنا فى كتابه عن ذلك بقوله:

كان ابرويز وجّه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف، وكانوا خدمه وخاصّيته، ثمّ كانوا على تلك المنزلة بعده، وشهدوا القادسية مع رستم، ولمّا قتل وانهزم المجوس اعتزلوا، قالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ، وأثرنا عندهم غير جميل، والرأى لنا أن ندخل معهم فى دينهم، فاعتزلوا. فقال سعد: ما لهؤلاء؟ فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم، فأخبروا بخبرهم، وقالوا: ندخل فى دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره فآمنهم، فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء، ثمّ تحوّلوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين «۳».

لم يكن إسلامهم- يوم ذاك- إلّاكإسلام سائر الشعوب، فهل يمكن أن يقال: إنّ إسلامهم يوم ذاك كان إسلاماً شيعياً؟

وأمّا النظرية الثالثة: فإنّ الإسلام كان ينتشر بين الفرس بالمعنى الذى كان ينتشر به فى سائر الشعوب، ولم يكن بلد من بلاد إيران معروفاً بالتشيّع إلى أن انتقل قسم من الأشعريين الشيعة إلى قم وكاشان، فبذروا بذرة التشيّع، وكان ذلك

فى أواخر القرن الأوّل، مع أنّ الفرس دخلوا فى الإسلام فى عهد الخليفة الثانى؛ أى ابتداء من عام (۱۷ ه)، وهذا يعنى أنّه قد انقضت أعوام كثيرة قبل أن يدركوا ويعلموا معنى ومفهوم التشيّع، فأين هذا من ذاك. وهذا هو ياقوت الحموى يحدّثنا فى معجم البلدان بقوله:

قم، مدينة تذكر مع قاشان، وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأوّل من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعرى، وكان بدو تمصيرها فى أيام الحجّاج بن يوسف سنة (۸۳ ه)، وذلك أنّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس، كان أمير سجستان من جهة الحجّاج، ثمّ خرج عليه، وكان فى عسكره سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين، فلمّا انهزم ابن الأشعث ورجع إلى كابل منهزماً كان فى جملة إخوة يقال لهم: عبد اللّه، والأحوص، وعبد الرحمن، وإسحاق، ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعرى، وقعوا فى ناحية قم، وكان هناك سبع قرى اسم احداها «كمندان» فنزل هؤلاء الأُخوة على هذه القرى حتّى افتتحوها واستولوا عليها، وانتقلوا إليها واستوطنوها، واجتمع عليهم بنو عمّهم وصارت السبع قرى سبع محالّ بها، وسمّيت باسم إحداها «كمندان»، فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قماً، وكان متقدّم هؤلاء الأُخوة عبد اللّه ابن سعد، وكان له ولد قد ربّى بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، وكان إمامياً، وهو الذى نقل التشيّع إلى أهلها، فلا يوجد بها سنّىّ قط «۱».

إذن فهذا كلّه راجع إلى تحليل النظرية من منظار التاريخ، وأمّا دليله فهو أوهن من بيت العنكبوت، فإذا كان الفرس لايعرفون معنى الانتخاب والحرية، فإنّ العرب أيضاً مثلهم، فالعربى الذى كان يعيش بالبادية عيشة فردية كان يحبّ

الحرية ويمارسها، وأمّا العربى الذى يعيش عيشة قبلية، فقد كان شيخ القبيلة يملك زمام أُمورهم وشؤونهم وعند موته يقوم أبناؤه وأولاده مكانه واحداً بعد الآخر، فما معنى الحرية بعد هذا؟!

تحليل النظرية

تحليل النظرية:

إنّ هذه النظرية وإن كانت تعترف بأنّ التشيّع عربى المولد والمنشأ، ولكنّها تدّعى أنّه اصطبغ بصبغة فارسية بعد دخول الفرس فى الإسلام، وهذا هو الذى اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولفيف من المستشرقين ك «فلهوزن» فيما ذهبوا إليه فى تفسير نشأة

التشيّع.

يقول الثاني: إنّ آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين، أمّا كون هذه الآراء قد انبثقت من الإيرانيين فليست تلك الملاءمة دليلًا عليه، بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك؛ إذ تقول إنّ التشيّع الواضح الصريح كان قائماً أوّلًا فى الأوساط العربية، ثمّ انتقل بعد ذلك منها إلى الموالى، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الأوساط.

ولكن لمّا ارتبطت الشيعة العربية بالعناصر المضطهدة تخلّت عن تربية القومية العربية، وكانت حلقة الارتباط هى الإسلام، ولكنّه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين «۱».

أقول: إنّ مراده أنّ التشيّع كان فى عصر الرسول وبعده بمعنى الحبّ والولاء لعلىّ لكنّه انتقل بيد الفرس إلى معنى آخر وهو كون الخلافة أمراً وراثياً فى بيت علىّ عليه السلام وهو الذى يصرّح به الدكتور أحمد أمين فى قوله: إنّ الفكر الفارسى استولى على التشيّع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس فى عهد ملوك بنى ساسان وغيرهم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۷

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل إنّ مبدأ وراثية الحكم كان سائداً فى جميع المجتمعات، فالنظام السائد بين ملوك الحيرة وغسّان وحمير فى العراق والشام واليمن كان هو الوراثة، والحكم فى الحياة القبلية فى الجزيرة العربية كان وراثياً، والمناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أُموراً وراثية، حتّى أنّ النبىّ الأكرم لم يغيّرها بل إنّه أمضاها كما فى قضيّة دفعه لمفاتيح البيت إلى بنى شيبة وإقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد.

فإلصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمر عجيب لا يقرّه العقلاء، فعلى ذلك يجب أن نقول: انّ التشيّع اصطبغ بصبغة فارسية وغسّانية وحميرية وأخيراً عربية، وإلّا فما معنى تخصيص فكرة الوصاية بالفرس مع كونها آنذاك فكرة عامّة عالمية؟!

إنّ النبوّة والوصاية من الأُمور الوراثية فى الشرائع السماوية، لا بمعنى أنّ الوراثة هى الملاك المعيّن بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نور النبوّة والإمامة فى بيوتات خاصّة، فكان يتوارث نبىّ نبيّاً، ووصىّ وصيّاً، يقول سبحانه:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإِبرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهما النُّبُوَّةَ والكِتابَ «۱». وإِذِ ابْتَلَى إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنّى جَاعِلُك لِلنّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاـ يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ «۲». أَمْ يَحْسُدُون النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّه مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبراهِيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۸

لماذا لا يكون سبب تشيّع الفرس مفاد هذه الآيات والروايات التى تصرّح بأنّ الوصاية بين الأنبياء كانت أمراً وراثياً؟ وإنّ هذه سنّة اللَّه فى الأُمم كما هو ظاهر قوله سبحانه: «لا ينال عهدِى الظالمين» فسمّى الإمامة عهد اللَّه لا عهد الناس.

ثمّ إنّ من زعم أنّ التشيّع من صنع الفرس مبدأ وصبغة فهو جاهل بتاريخ الفرس، وذلك لأنّ التسنّن كان هو السائد فيهم إلى أوائل القرن العاشر حتّى غلب عليهم التشيّع فى عصر الصفويين، نعم كانت مدن رى وقم وكاشان معقل التشيّع ومع ذلك يقول أبو زهرة: إنّ أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة، وإنّ الشيعة الأوّلين كانوا من فارس «۱».

أمّا غلبة التشيّع عليهم فى الأوان الأخير فلا ينكره أحد، إنّما الكلام فى كونهم كذلك فى بداية دخولهم إلى الإسلام، فالذى يظهر أنّ الرجل جاهل بتاريخ بلاد إيران وليس له معرفة حقيقية بتفاصيل التركيبة المذهبية المختلفة التى كانت واضحة فى أطراف المجتمع الإيرانى وبيّنة فيه.

وإليك ما ذكره أحد الكتّاب القدامى فى كتابه «أحسن التقاسيم» لتقف على أنّ المذهب السائد فى ذلك القرن، هل كان هو التشيّع أم التسنّن؟ يقول:

«إقليم خراسان للمعتزلة والشيعة، والغلبة لأصحاب أبى حنيفة إلّافى كورة الشاش؛ فأنّهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبد اللَّه

السرخسى، وإقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلّاأنّ أهل الحديث حنابلة والغالب بديل- لعلّه يريد أردبيل- مذهب أبى حنيفة وبالجبال، أمّا بالرىّ فمذاهبهم مختلفة، والغلبة فيهم للحنفية، وبالرى حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة، والدينور غلبه مذهب سفيان الثورى، وإقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف أهل الأهواز شيعة، وبه أصحاب أبى حنيفة كثير، وبالأهواز مالكيّون...

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۸۹

إقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث وأصحاب أبى حنيفة... إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعى... إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب حديث، وأهل الملتان شيعة يهوعلون فى الأذان- أى يقولون حىّ على خير العمل- ويثّنون فى الإقامة- أى يقولون اللّه أكبر مرّتين، وأشهد أن لا إله إلّااللّه مرّتين أيضاً وهكذا- ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة «۱».

وأمّا ابن بطوطة فى رحلته فيقول: «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه فى حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمّى جمال الدين بن مطهّر- يعنى العلّامة الحلى (۶۴۸- ۷۲۶ ه)- فلمّا أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتر زاد فى تعظيم هذا الفقيه، فزيّن له مذهب الروافض وفضّله على غيره... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وآذربايجان وإصفهان وكرمان وخراسان، وبعث الرسل إلى البلاد، فكان أوّل بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز وإصفهان، فأمّا أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الأزج يقولون: لا سمعاً ولا طاعة، وجاءوا للجامع وهدّدوا الخطيب بالقتل إن غيّر الخطبة، وهكذا فعل أهل شيراز وأهل إصفهان «۲».

وقال القاضى عيّاض فى مقدّمة «ترتيب المدارك» وهو يحكى انتشار مذهب مالك: وأمّا خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أوّلًا بيحيى بن يحيى التميمى، وعبد اللّه بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، فكان له هناك أئمّة على مرّ الأزمان، وتفشّى بقزوين وما والاها من بلاد الجبل. وكان آخر من درس منه بنيسابور أبوإسحاق بن القطّان، وغلب على تلك البلاد مذهبا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۰

أبى حنيفة والشافعى «۱».

قال «بروكلمان»: إنّ شاه إسماعيل الصفوى بعد انتصاره على «الوند» توجّه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أنّ ثلثى سكان المدينة- الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف- من السنّة «۲».

إذن فالنصوص المتقدّمة تدلّ دلالة واضحة على أنّ مذهب التسنّن كان هو المذهب السائد إلى القرن العاشر بين الفرس، فكيف يمكن أن يقال: إنّ بلاد فارس كانت هى الموطن الأصلى للتشيّع؟

وممّا يؤكّد ذلك أيضاً ما رواه ابن الأثير فى تأريخه من أنّ أهل طوس كانوا سنّة إلى عصر محمود بن سبكتكين، قال: إنّ محمود بن سبكتكين جدّد عمارة المشهد بطوس الذى فيه قبر علىّ بن موسى الرضا وأحسن عمارته، وكان أبوه سبكتكين أخربه، وكان أهل طوس يؤذون من يزوره، فمنعهم ابنه عن ذلك، وكان سبب فعله ذلك أنّه رأى فى المنام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب وهو يقول: إلى متى هذا؟

فعلم أنّه يريد أمر المشهد، فأمر بعمارته «۳».

ويؤيّد ذلك ما رواه البيهقى: أنّ المأمون العباسى همَّ بأن يكتب كتاباً فى الطعن على معاوية، فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين، العامّة لا تتحمّل هذا ولا سيما أهل خراسان، ولا تأمن أن يكون لهم نفرة «۴».

إلّا أنّ المتوكل عمد وبصلافة وتهتّك إلى هدم قبر الحسين عليه السلام وفى ذلك قال الشاعر المعروف بالبسّامى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۱

تاللّه إن كانت أميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبعوه رميما «۱» فقد بان ممّا ذكر أمران:

۱- إنّ التشيّع ليس فارسيّ المبدأ، وإنّما هو حجازى المولد والمنشأ، اعتنقه العرب فترة طويلة لم يدخل فيها أحد من الفرس- سوى سلمان المحمّدى- وإنّ الإسلام دخل بين الفرس مثل دخوله بين سائر الشعوب، وأنّهم اعتنقوا الإسلام بمذاهبه المختلفة مثل اعتناق سائر الأُمم له، وبقوا على ذلك طويلًا إلى أن اشتد عود التشيّع وكثر معتنقوه فى عهد بعض ملوك المغول أو عهد الصفوية (۹۰۵ ه).

۲- إنّ كون الإمامة منحصرة فى علىّ وأولاده ليس صبغة عارضة على التشيّع، بل هو جوهر التشيّع وحقيقته، ولولاه فقد التشيّع روحه وجوهره، فجعل الولاء لآل محمّد أو تفضيل علىّ على سائر الخلفاء أصله وجوهره، واعتبار هذا الأمر- كما يعتقده البعض- أمراً عرضياً دخيلًا على مذهب التشيع، تصوّر لا دليل له إلّاالتخرص والاختلاق.

قال المفيد- رحمه اللَّه-: الشيعى من دان بوجوب الإمامة ووجودها فى كل زمان وأوجب النصّ الجلىّ والعصمة والكمال لكلّ إمام، ثمّ حصر الإمامة فى ولد الحسين بن علىّ عليهما السلام وساقها إلى الرضا علىّ بن موسى عليهما السلام.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۲

الفرضيّة الرابعة: الشيعة ويوم الجمل

أصحاب أمير المؤمنين

أصحاب أمير المؤمنين:

من أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: الأصحاب، ثمّ الأصفياء، ثمّ الأولياء، ثمّ شرطة الخميس:

من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: سلمان الفارسى، المقداد، أبو ذر،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۳

عمّار، أبو ليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، أبو سعيد الخدرى (عربى أنصارى) أبو برزة، جابر بن عبد اللَّه، البراء بن عازب (أنصارى)، عرفة الأزدى، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله دعا له فقال: «اللّهمّ بارك له فى صفقته».

وأصحاب أمير المؤمنين، الذين كانوا شرطة الخميس كانوا ستّة آلاف رجل، وقال علىّ بن الحكم: (أصحاب) أمير المؤمنين الذين قال لهم: «تشرّطوا إنّما أُشارطكم على الجنّة، ولست أُشارطكم على ذهب أو فضّة، إنّ نبيّنا عليه السلام قال لأصحابه فيما مضى: تشرّطوا فانّى لست أُشارطكم، إلّاعلى الجنّة» «۱»

وممّا تقدّم يظهر أنّ من عدّه ابن النديم من أصحاب الإمام رجالًا ماتوا قبل أيام خلافته كسلمان و أبو ذر والمقداد، وكلّهم كانوا شيعة للإمام، فكيف يكون التشيّع وليد يوم الجمل؟ والظاهر وجود التحريف فى عبارة ابن النديم.

على كل تقدير فما تلونا عليك من النصوص الدالّة على وجود التشيّع فى عصر الرسول وظهوره بشكل جلىّ بعد وفاته صلى الله عليه و آله وهذا قبل أن تشبّ نار الحرب فى البصرة، دليل على وهن هذا الرأى- على تسليم دلالة كلام ابن النديم- فإنّ الإمام وشيعته بعد خروج الحقّ عن محوره، واستتباب الأمر لأبى بكر، رأوا أنّ مصالح الإسلام والمسلمين تكمن فى السكوت ومماشاة القوم، بينما كان نداء التشيّع يعلو بين آن وآخر من جانب المجاهرين بالحقيقة، كأبى ذر الغفارى وغيره، ولكن كانت القاعدة الغالبة هى المحافظة قدر الإمكان على بقاء الإسلام وعدم جرّ المسلمين إلى صدام كبير ونار متأجّجة لا تبقى ولا تذر، والعمل قدر الإمكان لدعم الواجهة السياسية للخلافة الإسلامية ورفدها بالجهد المخلص والنصح المتواصل.

إلّا أنّ الأمر عندما آل إلى الإمام علىّ وجدت شيعته متنفساً واسعاً للتعبير عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۴

وجودها والإفصاح عن حقيقتها، فظهرت بأوضح وأجلى صورها، فمن هنا وقع أصحاب هذه الفرضية وغيرها فى هذه الاشتباهات الواضحة البطلان.

الفرضيّة الخامسة: الشيعة ويوم صفّين

الفرضيّة الخامسة: الشيعة ويوم صفّين

زعم بعض المستشرقين «۱» أنّ الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش علىّ فى مسألة التحكيم إلى فرقتين، فلمّا دخل علىّ الكوفة وفارقته الحرورية، وثبت إليه الشيعة، فقالوا: فى أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت.

وهذا الفهم الخاطئ لهذه الواقعة، وامتطاء هذه العبارة المذكورة لتحديد نشأة التشيّع يعتمد بالأساس على افتراض أنّ لتكوّن الشيعة تاريخاً مفصولًا عن تاريخ الإسلام، فأخذ يتمسّك بهذه العبارة، مع أنّ تعبير الطبرى- أعنى قوله: وثبت إليه الشيعة «۲»- دليل على سبق وجودهم على ذلك.

نعم كان للشيعة بعد تولّى الإمام الخلافة وجود واضح حيث ارتفع الضغط فالتفّ حوله موالوه من الصحابة والتابعين، إلّاأنّ الأمر الثابت هو أنّ ليس جميع من كان فى جيشه من شيعته بالمعنى المفروض والواقعى للتشيّع، بل أغلب من انخرط فى ذلك الجيش كانوا تابعين له لأنّه خليفة لهم، وقد بايعوه على ذلك.

الفرضيّة السادسة: الشيعة والبويهيّون

الفرضيّة السادسة: الشيعة والبويهيّون

تقلّد آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام (۳۲۰) إلى (۴۴۷ ه)، فكانت لهم السلطة فى العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۵

وإصفهان والرى، وقد أُقصوا عن الحكم فى الأخير بهجوم الغزاونة عليهم عام (۴۲۰ ه). وقد ذكر المؤرّخون- خصوصاً ابن الأثير فى الكامل وابن الجوزى فى المنتظم- شيئاً كثيراً من أحوالهم، وخدماتهم، وإفساحهم المجال لجميع العلماء من دون أن يفرقوا بينهم بمختلف طوائفهم، وقد ألّف المستشرق «استانلى لين بول» كتاباً فى حياتهم ترجم باسم: طبقات سلاطين الإسلام.

يقول ابن الأثير فى حوادث عام (۳۷۲ ه) فى حديثه عن أحد الملوك البويهيين، وهو عضد الدولة: وكان عاقلًا، فاضلًا، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمّة، ثاقب الرأى، محبّاً للفضائل وأهلها، باذلًا فى مواضع العطاء... إلى أن قال: وكان محبّاً للعلوم وأهلها، مقرّباً للعلماء، محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم فى المسائل، فقصده العلماء من كلّ بلد، وصنّفوا له الكتب، ومنها الإيضاح فى النحو، والحجّة فى القراءات، والملكى فى الطبّ، والتاجى فى التاريخ إلى غير ذلك «۱». وهذا يدل على أنّهم كانوا محبّين للعلم ومروّجين له ولهم أياد مشكورة فى نشر العلم ومساندة العلماء.

وبالرغم من أنّ فى عصرهم كان يغلب على أكثر البلاد مذهب التسنّن إلّاأنّ البويهين لم يقفوا موقف المعادى لهم على الرغم مما وقفه غيرهم من الملوك الآخرين من غير الشيعة من معاداة التشيّع ومحاربته.

ولعلّ التأريخ قد سجّل فى صفحاته أحداثاً مؤلمة بعد سقوط البويهيين ودخول طغرل بك مدينة السلام (بغداد) عام (۴۴۷ ه)، عندما

أَحرقت مكتبة الشيخ الطوسى وكرسيّه الذى كان يجلس عليه للتدريس «۲».
نعم راج مذهب الشيعة فى عصرهم واستنشق رجالاته نسيم الحرية بعد أن
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۶
تحملوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً فى عهد المتوكّل ومن بعده، غير أنّ تكوّن مذهب الشيعة فى أيّامهم شىءٌ وكونهم مروّجين ومعاضدين له شىء آخر، ومن السذاجة بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما.

الفرضيّة السابعة: الشيعة والصفويّون

اشارة

الفرضيّة السابعة: الشيعة والصفويّون
والكلام عن هذه الأُسرة هو عين الكلام عن البويهيين.
إنّ الصفويين هم أُسرة الشيخ صفىّ الدين العارف المشهور فى أردبيل المتوفّى عام (۷۳۵ ه). فعندما انقرضت دولة المغول، انقسمت البلاد التى كانت تحت نفوذهم إلى دويلات صغيرة شيعية وغير شيعية، إلى أن قام أحد أحفاد صفىّ الدين، الشاه إسماعيل عام (۹۰۵ ه) بتسلّم مقاليد الحكم والسيطرة على بلاد فارس وإقامة حكومة خاصّة به استطاع أن يمدّ نفوذها ويبسط سلطتها، واستمرّ فى الحكم إلى عام (۹۳۰ ه)، ثمّ ورثه أولاده إلى أن أُقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة على إيران عام (۱۱۳۵ ه) فكان الصفويون خير الملوك؛ لقلّة شرورهم وكثرة بركاتهم، وقد راج العلم والأدب والفنون المعمارية أثناء حكمهم، ولهم آثار خالدة إلى الآن فى إيران والعراق، ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيّع لا تكوّنه، وهو أمر لا مراء فيه، ولا يقتنع به إلّاالسذّج والجهلاء.
نعم إنّ هذه الآراء الساقطة فى تحليل تاريخ الشيعة ومبدأ تكوّنهم، كلّها كانت أُموراً افتراضية بنوها على أساس خاطئ وهو أنّ الشيعة ظاهرة طارئة على المجتمع الإسلامى بعد عهد النبىّ، سامح اللَّه الذين لم يتعمّدوا التزييف وغفر اللَّه لنا ولهم.
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۷

زلّة لا تستقال

زلّة لا تستقال:
إنّ الدكتور عبد اللَّه فياض زعم أنّ التشيّع بمعنى الموالاة لعلىّ عليه السلام نضج فى مراحل ثلاث:
۱- التشيّع الروحى، يقول: إنّ التشيّع لعلىّ بمعناه الروحى زرعت بذرته فى عهد النبىّ وتمّت قبل تولّيه الخلافة. ثمّ ساق الأدلّة على ذلك وجاء بأحاديث يوم الدار أو بدء الدعوة وأحاديث الغدير وما قال النبىّ فى حقّ علىّ من التسليم على علىّ بإمرة المؤمنين.
۲- التشيّع السياسى، ويريد من التشيّع السياسى: كون علىّ أحق بالإمامة لا لأجل النص بل لأجل مناقبه وفضائله، ويقول: إنّ التشيّع السياسى ظهرت بوادره- دون الالتزام بقضية الاعتراف بإمامته الدينية (يريد النصّ)- فى سقيفة بنى ساعدة، حين أسند حقّ علىّ بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير والعبّاس وغيرهما، وبلغ التشيّع السياسى أقصى مداه حين بويع علىّ بالخلافة بعد مقتل عثمان.
۳- ظهوره بصورة فرقة، فإنّما كان ذلك بعد فاجعة كربلاء سنة (۶۱ ه) ولم يظهر التشيّع قبل ذلك بصورة فرقة دينية تعرف بالشيعة. ثمّ

استشهد بكلام المقدسی حيث قال: إنّ أصل مذاهب المسلمين كلّها منشعبة من أربع:
الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة. وأصل افتراقهم قتل عثمان، ثمّ تشعّبوا «۱».
وأيّد نظريته بما ذكره المستشرق «فلهوزن» من قوله: تمكّن الشيعة أوّلًا فی العراق ولم يكونوا فی الأصل فرقة دينية، بل تعبيراً عن الرأی السياسی فی هذا الإقليم كلّه، فكان جميع سكان العراق خصوصاً أهل الكوفة شيعة علیّ علی

الاضواء علی عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۸

تفاوت بينهم «۱».
وهذا التصوّر المذكور يمكن تثبيت جملة من الملاحظات عليه:
أوّلًا: انّ التفكيك بين المرحلتين الأوليين، وإنّ الأُولی منهما كانت فی عصر النبیّ، وظهرت بوادر المرحلة الثانية بعد رحلة النبیّ، قد نقضه نفس الكاتب فی كلامه حيث قال: كان روّاد التشيّع الروحی يلتزمون بآراء علیّ الفقهية إلی جانب الالتزام بإسناده سياسياً «۲».
وثانياً: إنّ ما ذكره من النصوص فی مجال التشيّع الروحی كما يدلّ علی أنّ عليّاً هو القائد الروحی، فإنّه يدلّ بوضوح علی أنّه القائد السياسی، وقد نقل الكاتب جلّ النصوص الواردة فی هذا المبنی، فمعنی التفكيك بينهما هو أنّ الصحابة الواعين أخذوا ببعض مضامينها وتركوا بعضها، ولو صحّ إسناد ذلك إلی بعض الصحابة فلا يصح إسناده إلی سلمان، وأبی ذر، وعمّار، الذين لا يتركون الحق وإن بلغ الأمر ما بلغ.
وبما أنّ النبیّ كان هو القائد المحنَّك للمسلمين، فإنّه لم تكن هناك حاجة لظهور التشيّع السياسی فی حياته، بل كان المجال واسعاً لظهور التشيّع الروحی ورجوع الناس إلی علیّ فی القضايا والأحكام الفقهية، وهذا لا يعنی عدم كونه قائداً سياسياً وإنّ وصايا النبیّ لم تكن هادفة إلی ذلك الجانب.
وثالثاً: إنّ التشيّع السياسی ظهر فی أيّام السقيفة فی ظل الاعتراف بإمامته الروحية؛ فإنّ الطبری وغيره وإن لم يذكروا مصدر رجوع الزبير والعباس إلی علیّ، ولكن هناك نصوص عن طرق الشيعة وردت فی احتجاج جماعة من الصحابة علی أبی بكر مستندين إلی النصوص الدينية.
فقد روی الصدوق عن زيد بن وهب أنّه قال: كان الذين أنكروا علی أبی بكر

الاضواء علی عقائد الشيعة الامامية، ص: ۹۹

تقدّمه علی علیّ بن أبی طالب اثنی عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار؛ فمن المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأُبیّ بن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبو ذر الغفاری، وسلمان الفارسی، وعبد اللَّه بن مسعود، وبريدة الأسلمی.
ومن الأنصار: زيد بن ثابت، وذو الشهادتين، وابن حنيف، وأبو أيّوب الأنصاری، وأبو الهيثم بن التيهان.
وبعدما صعد أبو بكر علی المنبر قال خالد بن سعيد: يا أبا بكر اتقّ اللَّه... ثمّ استدل علی تقدم علیّ بما ذكره النبیّ فقال: «معاشر المهاجرين والأنصار، أُوصيكم بوصيّة فاحفظوها، وانّی مؤدّ إليكم أمراً فاقبلوه: ألا إنّ علياً أميركم من بعدی وخليفتی فيكم»- إلی آخر ما ذكره- ثمّ قام أبو ذر وقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار... طرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ما أوعز إليكم. ثمّ ذكر مناشدة كل منهم مستندين فی احتجاجهم علی أبی بكر بالأحاديث التی سمعوها من النبیّ الأكرم «۱».
وهذا يعرب عن أنّ التشيّع السياسی- الذی كان ظرف ظهوره حسب طبع الحال بعد الرحلة- كان مستفاداً من نصوص النبیّ صلی الله عليه و آله.
رابعاً: ماذا يريد من الفرقة وأنّ الشيعة تكوّنت بصورة فرقة بعد مقتل الإمام الحسين؟ فهل يريد الفرقة الكلامية التی تبتنی علی آراء فی العقائد تخالف فيها الفرق الأُخری؟ فهذا الأمر لم يعلم له أیّ وجود يذكر إلی أواسط العقد الثالث من الهجرة، ولم تكن يومذاك أيّة مسألة كلامية مطروحة حتّی تأخذ شيعة علیّ بجانب والآخرون بجانب آخر، بل كان المسلمون متسالمين فی العقائد والأحكام حسب

ما بلغ إليهم من الرسول، ولم يكن آنذاك أىّ اختلاف عقائدى إلّافى مسألة القيادة،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۰

فالفرقة بهذا المعنى لم تكن موجودة فى أوساط المسلمين.

وإن أراد من الفرقة الجماعة المتبنّية ولاية علىّ روحيّاً وسياسياً وأنّه أحقّ بالقيادة على جميع الموازين، فإنّها كانت موجودة فى يوم السقيفة وبعدها.

نعم إنّ توسّع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وما رافق ذلك من احتكاك مباشر بكثير من الفرق والجماعات صاحبة الأفكار العقائدية المختلفة، وتأثّر بعض الفرق الإسلامية ومفكّريها بجملة من تلك الآراء والتصوّرات، ساعد بشكل كبير فى إيجاد مدارس كلامية متعدّدة فى كيان المجتمع الإسلامى، ولمّا كان الشيعة أشد تمسّكاً بحديث الثقلين المشهور، فقد رجعوا إلى أئمّة أهل البيت فصاروا فرقة كلامية متشعّبة الأفنان، ضاربة جذورها فى الكتاب والسنّة والعقل.

وهكذا فلا مرية من القول بخطأ كلّ الافتراضات السابقة وعدم حجّيتها فى محاولة تثبيت كون التشيّع ظاهرة طارئة على الإسلام، وإنّما هو نفس الإسلام فى إطار ثبوت القيادة لعلىّ بعد رحلة النبىّ بتنصيصه، وتبنّاه منذ بعثة النبىّ الأكرم جملة من الصحابة والتابعين وامتدّ ذلك حسب الأجيال والقرون، بل وظهر بفضل التمسّك بالثقلين علماء مجاهدون، وشعراء مجاهرون، وعباقرة فى الحديث، والفقه، والتفسير، والفلسفة، والكلام، واللغة، والأدب، وشاركوا جميع المسلمين فى بناء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة، يتّفقون مع جميع الفرق فى أكثر الأُصول والفروع وإن اختلفوا معهم فى بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر.

وسيوافيك تفصيل عقائدهم فى مبحث خاصّ بإذن اللَّه.

كما يظهر لك أيضاً وهن ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز الدورى من أنّ التشيّع باعتباره عقيدة روحية ظهر فى عصر النبىّ وباعتباره حزباً سياسياً قد حدث بعد قتل علىّ «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۱

الفصل الثانى

الأئمّة الاثنا عشر

الأئمّة الاثنا عشر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۲

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۳

الأئمة الاثناعشر

الأئمة الاثناعشر

اشارة

الأئمة الاثناعشر

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الاثنى عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثنى عشر إماماً من بنى هاشم نصّ عليهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، كما هو معلوم للجميع، ثمّ نصّ كلّ إمام على الإمام الذى بعده، بشكل يخلو من الشكّ والإبهام.

لقد تضافر عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه یملک هذه الأمّة اثنا عشر خلیفة کعدد نقباء بنی إسرائیل، وکما هو معلوم ومبسّط فی کتب الشیعة بشکل لا یقبل الشک. إنّ هذه الروایات مع ما فیها من المواصفات لا تنطبق إلّاعلی أئمّة الشیعة والعترة الطاهرة «وإذا کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عیبته، ومعدن الحکم وهم خزائنه، وشارع الدین وهم حفظته، وصاحب الکتاب وهم حملته» «۱» فتلزم علینا معرفتهم، کیف وهم أحد الثقلین اللَّذین ترکهما الرسول صلی الله علیه و آله، قدوة للأُمّة ونوراً علی جبین الدهر.

ونحن نحاول هنا أن نعرض فی هذا الفصل موجزاً عن أحوالهم وحیاتهم متوخّین الاختصار والإیجاز فیما نورده، لأنّ بسط الکلام عنهم یحتاج إلی تدوین

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۰۴

موسوعة کبیرة، وقد قام بذلک لفیف من علماء الإسلام فأثبتوا الشیء الکثیر عن حیاتهم وسیرتهم وأقوالهم، جزاهم اللَّه عن الإسلام وأهله خیر الجزاء.

الأئمّة الاثنا عشر فی حدیث الرسول صلی الله علیه و آله

الأئمّة الاثنا عشر فی حدیث الرسول صلی الله علیه و آله

إنّ من تصفّح مصنّفات الحدیث النبوی الشریف یجد أنّ هناک روایات تحدِّد وتعیِّن عدد الأئمّة بعد الرسول وسماتهم، من دون ذکر لأسمائهم، وهی أحادیث الأئمّة الاثنی عشر التی رواها أصحاب الصحاح والمسانید، وهی علی وجه لا ینطبق إلّا علی من عیّنهم الرسول صلی الله علیه و آله للخلافة والزعامة، ولذلک نذکرها فی عداد أدلّة التنصیص علی الخلافة، والإمعان فیها یرشد القارئ إلی الحقّ، ویأخذ بیده حتّی یرسی مرکبه علی شاطئ الأمان والحقیقة.

ویطیب لی أن أذکر مجموع هذه النصوص؛ فإنّها تؤکّد بعضها بعضاً، وإلیک البیان.

۱- روی البخاری عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: «یکون اثنا عشر أمیراً» فقال کلمة لم أسمعها، فقال أبی: أنّه قال: «کلّهم من قریش» «۱».

۲- روی مسلم عنه أیضاً، قال: دخلت مع أبی علی النبی صلی الله علیه و آله فسمعته یقول:

«إنّ هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی فیهم اثنا عشر خلیفة». قال: ثم تکلّم بکلام خفی علیّ، قال: فقلت لأبی: ما قال؟ قال: «کلّهم من قریش».

۳- وروی عنه أیضاً، قال: سمعت النبی صلی الله علیه و آله یقول: «لا یزال أمر الناس ماضیاً ما ولیهم اثنا عشر رجلًا» ثمّ تکلّم النبی صلی الله علیه و آله بکلمة خفیت علیّ، فسألت أبی: ماذا قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟ فقال: قال: «کلّهم من قریش».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۰۵

۴- وروی عنه أیضاً نفس الحدیث إلّاأنّه لم یذکر: «لا یزال أمر الناس ماضیاً».

۵- وروی مسلم عنه أیضاً قال: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: «لا یزال الإسلام عزیزاً إلی اثنی عشر خلیفة» ثمّ قال کلمة لم أفهمها، فقلت لأبی: ما قال؟ فقال: قال:

«کلّهم من قریش» «۱».

۶- وروی مسلم عنه أیضاً، قال: انطلقت إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ومعی أبی فسمعته یقول: «لا یزال هذا الدین عزیزاً منیعاً إلی اثنی عشر خلیفة» فقال کلمة صمّنیها الناس، فقلت لأبی: ما قال؟ فقال: قال: «کلّهم من قریش».

۷- وروی مسلم عنه أیضاً قال: سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یوم جمعة عشیة رجم الأسلمی یقول: «لا یزال الدین قائماً حتی

تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» «۲».

۸- روى أبو داود عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة» فكبر الناس وضجّوا، ثمّ قال كلمة خفيّة، قلت لأبى: يا أبتِ ما قال؟ فقال: قال: «كلّهم من قريش» «۳».

۹- روى الترمذى عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يكون من بعدى اثنا عشر أميراً» ثمّ تكلّم بشىء لم أفهمه فسألت الذى يلينى، فقال: قال:

«كلّهم من قريش».

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن جابر، ثمّ ذكر طريقاً آخر إلى جابر «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۶

۱۰- روى أحمد فى مسنده عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول:

«يكون لهذه الأُمّة اثنا عشر خليفة» ورواه عن ۳۴ طريقاً «۱».

۱۱- روى الحاكم فى المستدرك على الصحيحين فى كتاب معرفة الصحابة عن عون بن جحيفة عن أبيه، قال: كنت مع عمّى عند النبى صلى الله عليه و آله فقال: «لا يزال أمر أُمّتى صالحاً حتّى يمضى اثنا عشر خليفة» ثمّ قال كلمة وخفض بها صوته، فقلت لعمّى- وكان أمامى-: ما قال يا عمّ؟ قال: يا بنى قال: «كلّهم من قريش» «۲».

۱۲- وروى أيضاً بسنده عن جرير عن المغيرة عن الشعبى عن جابر، قال:

كنت عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فسمعته يقول: «لا يزال أمر هذه الأُمّة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر خليفة» وقال كلمة خفيت علىّ، وكان أبى أدنى إليه مجلساً منّى فقلت: ما قال؟ فقال: «كلّهم من قريش».

۱۳- قال ابن حجر فى الصواعق: أخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: «يكون بعدى اثنا عشر أميراً كلّهم من قريش» «۳».

كما أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد شبّه عدّة خلفائه بعدّة نقباء بنى إسرائيل.

۱۴- فقد روى أحمد بسنده عن مسروق، قال: كنّا جلوساً عند عبداللَّه بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول اللَّه كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال عبداللَّه بن مسعود: ما سألنى عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «اثنا عشر كعدّة نقباء بنى إسرائيل» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۷

۱۵- ورواه الخطيب فى تاريخه بسنده عن جابر بن سمرة «۱».

۱۶- وأورده المتقى الهندى فى منتخب كنز العمّال عن أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير، والحاكم فى المستدرك «۲».

۱۷- قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء بسند حسن عن ابن مسعود: أنّه سئل كم يملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «اثنا عشر كعدّة نقباء بنى إسرائيل» «۳».

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالّة على أنّ الأئمّة بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله اثنا عشر، وقد جاء فيها سماتهم وصفاتهم وعددهم، غير أنّ المهمّ هو تعيين مصاديقها والإشارة إلى أعيانها وأشخاصها، ولا تعلم إلّاباستقصاء وحصر السمات الواردة فى هذه الأحاديث، وهذا ما يمكن إجماله بما يلى:

۱- لا يزال الإسلام عزيزاً.

۲- لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً.

۳- لا يزال الدين قائماً.

۴- لا يزال أمر الأمّة صالحاً.

۵- لا يزال أمر هذه الأُمّة ظاهراً.

۶- كلّ ذلك حتّى يمضى فيهم اثنا عشر أميراً من قريش.

۷- وحتى يليهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

۸- وإنّ عددهم كعدد نقباء بنى إسرائيل.

وهذه السمات والخصوصيات لا تتمثّل مجتمعة إلّافى الأئمة الاثنى عشر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۸

المعروفين عند الفريقين، وهذه الأحاديث من أنباء الغيب ومعجزات النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، خصوصاً إذا ضُمّت إليها أحاديث الثقلين والسفينة وكون أهل بيت النبى أماناً لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، وسيوافيك تفصيل هذه الأحاديث الثلاثة.

فالأئمّة الاثنا عشر المعروفون بين المسلمين، والذين ينادى بإمامتهم الشيعة الإمامية، والذين أوّلهم على أمير المؤمنين وآخرهم المهدى تنطبق عليهم تلك العلائم، ومن وقف على حياتهم العلمية والاجتماعية والسياسية يقف على أنّهم هم المَثَل الأعلى فى الأخلاق، والقمّة السامقة فى العلم والعمل والتقوى والإحاطة بالقرآن والسنّة، وبهم حفظ اللَّه تعالى دينه وأعزّ رسالته.

وأمّا ما ورد فى بعض هذه الطرق أنّ: «كلّهم تجتمع عليهم الأُمّة» فهو على فرض الصحّة، فالمراد منه تجتمع على الإقرار بإمامتهم جميعاً وقت ظهور آخرهم، و- على فرض الإبهام- لا تمنع عن الأخذ بمضامين الحديث.

هلمّ معى نقرأ ماذا يقول غير الشيعة فى حقّ هذه الأحاديث، وكيف يؤوّلونها بالخلفاء القائمين بالأمر بعد النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وإليك نصوص كلامهم:

۱- إنّ قوله اثنا عشر إشارة إلى عدد خلفاء بنى أُميّة!! وأوّل بنى أُميّة يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار وعدّتهم اثنا عشر، ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير؛ لكونهم صحابة، ولا مروان بن الحكم لكونه صحابياً أو لأنّه كان متغلّباً بعد أن اجتمع الناس على عبداللَّه بن الزبير، وليس على المدح بل على استقامة السلطنة، وهم يزيد بن معاوية وابنه معاوية ثم عبدالملك ثمّ الوليد ثمّ سليمان ثمّ عمر ابن عبد العزيز ثمّ يزيد بن عبد الملك ثمّ هشام بن عبد الملك ثمّ الوليد بن يزيد ثمّ يزيد بن الوليد ثمّ إبراهيم بن الوليد ثمّ مروان بن محمد «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۰۹

وجوابه: أنّه لو كان الرسول أراد هذا ولم يكن فى مقام مدحهم فأىّ فائدة فى الإخبار بذلك. ثمّ كيف يقول: إنّها صدرت على غير سبيل المدح مع ما عرفت من السمات الواردة الصريحة فى المدح مثل: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً قائماً»، أو «أمر أُمّتى صالحاً».

والعجب أنّه جعل أوّل الخلفاء يزيد بن معاوية بحجّة أنّه استقامت له السلطنة، مع أنّه كيف استتبت له السلطنة وقد ثار عليه العراق فى السنة الأُولى، وثار عليه أهل المدينة فى السنة الثانية، وكان مجموع أيّامه مؤلّفة من حروب دامية وقتل ونهب وتدمير لا يقرّ بها صاحب ذرّة من الشرف والإيمان.

۲- «إنّ المراد أنّه يملك اثنا عشر خليفة بهذه السمات بعد وفاة المهدى» «۱» وهذا من أغرب التفاسير؛ لأنّ الأخبار ظاهرة فى اتصال خلافتهم بعصر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، ولأجل تبادر ذلك فى أذهان الناس سألوا عبداللَّه بن مسعود عن عدد من يملك أمر هذه الأُمّة.

۳- ما نقله ابن حجر فى فتح البارى عن القاضى عياض: أنّ المراد بهم الخلفاء الذين اجتمع عليهم الناس، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية، ويزيد، وعبد الملك، وأولاده الأربعة، الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد ثمّ هشام، وعمر بن عبد العزيز بن سليمان

ويزيد، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك «۲».

ولاـ يكاد ينقضـى تعجّبى من القاضـى عياض وابن حجر كيف يعرّفان هؤلاء بمن عزّ بهم الإسـلام والـدين وصار منيعاً وفيهم يزيـد بن معاوية ذلك السكير المستهتر الذى كان يشرب الخمر ويدع الصلاة، ولم يكتف بذلك بل ضرب الكعبة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١١٠

بالمنجنيق، وأباح المدينة ثلاثة أيّام بأعراضـها وأموالها وأنفسها بعد قتله لابن بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الحسين بن على عليه السلام وأُخوانه وأبنائه وخيرة أصحابه، وسيَّر بنات رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سبايا دون حرمة لجدّهم إلى الشام من أرض كربلاء، فليت شعرى ما هو ميزان القوم فى تفسيرهم للسنّة النبوية وتعاملهم معها؟ وكلّ الحقائق تكذب ما ذهبوا إليه وما صرّحوا به.

وهل اعتزّ الإسلام بعبد الملك الذى يكفى فى ذكر مساوئه تنصيبه الحجّاج على العراق فقتل من الصحابة والتابعين ما لا يخفى «۱»؟!

وكيف اعتزّ الدين بالوليد بن يزيد بن عبد الملك المنتهك لحرمات اللَّه حاول أن يشـرب الخمر فوق ظهر الكعبة ففتح المصحف فإذا بالآية الكريمة: واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ «۲»

فألقاه ورماه بالسهام وأنشد:

تهدّدنى بجبّار عنيد فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا مـا جئت ربّـك يوم حشـر فقل ياربّ مزّقنى الوليـد ومن أراد أن يقف على جنايات الرجل وأقربائه وأجـداده فليقرأ التاريـخ الـذى اسودّت صفحاته بأفعالهم الشنيعة التى لا يسترها شىء ولا يغفل عنها إلّاالسذج والبلهاء.

أقول: إنّ للكاتب القدير السيّد محمد تقى الحكيم كلاماً فى هذه الأحاديث يطيب لى نقله. قال: والذى يستفاد من هذه الروايات:

١- أنّ عدد الأُمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الاثنى عشر وكلّهم من قريش.

٢- أنّ هؤلاء الأُمراء معيّنون بالنص، كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١١١

بنى إسرائيل، لقوله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً «۱».

٣- أنّ هـذه الروايات افترضت لهم البقاء ما بقى الـدين الإسـلامى أو حتى تقوم الساعة كما هو مقتضـى رواية مسـلم: «إنّ هذا الأمر لا ينقضـى حتّى يمضـى فيهم اثنا عشـر خليفة» وأصـرح من ذلك روايته الأُخرى فى نفس الباب: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان».

إذا صـحّت هذه الاستفادة فهى لا تلتئم إلّامع مبنى الإمامية فى عدد الأئمّة وبقائهم وكونهم من المنصوص عليهم من قبله صلى الله عليه و آله وهى منسجمة جدّاً مع حديث الثقلين وبقاؤهما حتّى يردا عليه الحوض.

وصـحّة هـذه الاسـتفادة موقوفـة على أن يكون المراد من بقاء الأمر فيهم بقاء الإمامـة والخلافـة بالاسـتحقاق لا بالسـلطة الظاهريـة؛ لأنّ الخليفة الشـرعى خليفة يستمدّ سلطته من اللَّه، وهى فى حدود السلطة التشريعية لا التكوينية؛ لأنّ هذا النوع من السلطة هو الذى تقتضيه وظيفته باعتبـاره مشـرّعاً، ولاـ ينـافى ذلك ذهاب السـلطة منهم فى واقعها الخارجى وتسـلّط الآخرين عليهم، على أنّ الروايات تبقى بلا تفسـير لو تخلّينا عن حملها على هـذا المعنى، لبداهة أنّ السـلطة الظاهرية قد تولّاها من قريش أضـعاف أضـعاف هذا العدد، فضـلًا عن انقراض دولهم وعدم النص على أحد منهم- أُمويين وعباسيين- باتّفاق المسلمين.

ومن الجـدير بالذكر أنّ هذه الروايات كانت مأثورة فى بعض الصـحاح والمسانيد قبل أن يكتمل عدد الأئمّة، فلا تحتمل أن تكون من الموضوعات بعـد اكتمال العـدد المذكور، على أنّ جميع رواتها من أهل السـنّة ومن الموثوقين لديهم، ولعلّ حيرة كثير من العلماء فى توجيه هذه الأحاديث، ومحاولة ملائمتها للواقع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١١٢

التاریخی کان منشؤها عدم تمکّنهم من تکذیبها، ومن هنا تضاربت الأقوال فی توجیهها وبیان المراد منها.

والسیوطی- بعد أن أورد ما قاله العلماء فی هذه الأحادیث المشکلة- خرج برأی غریب وهو أنّه وجد من الاثنی عشر الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاویة، وابن الزبیر، وعمر بن عبد العزیز فی بنی أُمیة، وکذلک الظاهر لما أُوتیه من العدل، وبقی اثنان منتظران، أحدهما المهدی؛ لأنّه من أهل بیت محمّد صلی الله علیه و آله. ولم یُبیّن المنتظر الثانی، ورحم اللّه من قال فی السیوطی: إنّه حاطب لیل.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۱۳

الإمام الأوّل: أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام

الإمام الأوّل: أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام

اشارة

الإمام الأوّل: أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام

إنّ الإمام علی بن أبی طالب أشهر من أن یعرَّف، ولقد قام لفیف من السنّة والشیعة بتألیف کتب وموسوعات عن حیاته، ومناقبه، وفضائله، وجهاده، وعلومه، وخطبه، وقصار کلماته، وسیاسته، وحروبه مع الناکثین والقاسطین والمارقین، فالأولی لنا الاکتفاء بالمیسور فی هذا المجال، وإحالة القارئ إلی تلک الموسوعات، بید أنّنا نکتفی هنا بذکر أوصافه الواردة فی السنّة فنقول:

هو أمیر المؤمنین، وسیّد المسلمین، وقائد الغرّ المحجّلین، وخاتم الوصیّین، وأوّل القوم إیماناً، وأوفاهم بعهد اللّه، وأعظمهم مزیّة، وأقومهم بأمر اللّه، وأعلمهم بالقضیة، ورایة الهدی، ومنار الإیمان، وباب الحکمة، والممسوس فی ذات اللّه، خلیفة النبیّ صلی الله علیه و آله، الهاشمی، ولید الکعبة المشرّفة، ومُطهّرها من کل صنم ووثن، الشهید فی البیت الإلهی (مسجد الکوفة) فی محرابه حال الصلاة سنة ۴۰ ه.

وکلّ جملة من هذه الجمل، وعبارة من هذه العبارات، کلمة قدسیّة نبویّة أخرجها الحفّاظ من أهل السنّة «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۱۴

مکوّنات الشخصیّة الإنسانیة

مکوّنات الشخصیّة الإنسانیة

تعود شخصیة کلّ إنسان- حسب مایری علماء النفس- إلی ثلاثة عوامل هامّة لکلّ منها نصیب وافر فی تکوین الشخصیة وأثر عمیق فی بناء کیانها.

وکأنّ الشخصیة الإنسانیة لدی کل إنسان أشبه بمثلث یتألّف من اتّصال هذه الأضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هی:

۱- الوراثة.

۲- التعلیم والثقافة.

۳- البیئة والمحیط.

إنّ کلّ ما یتّصف به المرء من صفات حسنة أو قبیحة، عالیة أو وضیعة تنتقل إلی الإنسان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فیه من خلال هذه الطرق.

وإنّ الأبناء لا یرثون منّا المال والثروة والأوصاف الظاهریة فقط کملامح الوجه ولون العیون وکیفیات الجسم، بل یرثون کلّ ما یتمتّع به الآباء من خصائص روحیة وصفات أخلاقیة عن طریق الوراثة کذلک.

فالأبوان- بانفصال جزئى «الحويمن» و «البويضة» المكوّنين للطفل منهما- إنّما ينقلان- فى الحقيقة- صفاتهما ملخّصة إلى الخلية الأُولى المكوّنة من ذينك الجزأين، تلك الخلية الجنينية التى تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة.
ويشكّل تأثير الثقافة والمحيط، الضلعين الآخرين فى مثلث الشخصية الإنسانية، فإنّ لهذين الأمرين أثراً مهمّاً وعميقاً فى تنمية السجايا الرفيعة المودعة فى باطن كل إنسان بصورة فطرية جبليّة أو الموجودة فى كيانه بسبب الوراثة من الأبوين.
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۵
فإنّ فى مقدور كل معلّم أن يرسم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقى إليه من تعليمات وتوصيات وما يعطيه من سيرة وسلوك ومن آراء وأفكار، فكم من بيئة حوّلت أفراداً صالحين إلى فاسدين، أو فاسدين إلى صالحين.
وإنّ تأثير هذين العاملين المهمّين من الوضوح بحيث لايحتاج إلى المزيد من البيان والتوضيح. على أنّنا يجب أن لاننسى دور إرادة الإنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

مكوّنات شخصيّة الإمام على عليه السلام

اشارة

مكوّنات شخصيّة الإمام على عليه السلام
لم يكن الإمام على عليه السلام بصفته بشراً بمستثنى من هذه القاعدة؛ فقد ورث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جانباً كبيراً من شخصيته النفسية والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، وإليك تفصيل ذلك:

١- الإمام على عليه السلام والوراثة من الأبوين:

١- الإمام على عليه السلام والوراثة من الأبوين:
لقد انحدر الإمام على من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصيّة هو أبوطالب، ولقد كان أبو طالب زعيم مكّة، وسيّد البطحاء، ورئيس بنى هاشم، وهو إلى جانب ذلك، كان معروفاً بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبّة والفداء والتضحية فى سبيل الهدف المقدّس، والعقيدة التوحيديّة المباركة.
فهو الذى تكفّل رسول اللّه منذ توفّى جدّه وكفيله الأوّل عبدالمطلب وهو آنذاك فى الثامنة من عمره، وتولّى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته فى السفر والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لانظير لهما، بل وبقى يدافع عن رسالة التوحيد، والدين الحق الذى جاء به النبى الكريم صلى الله عليه و آله ويقوم فى سبيل إرساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، و يتحمّل لتحقيق هذه الأهداف العليا كلّ تعب
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۶
ونصب وعناء.
وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلّى موقفه هذا فى كثير من أشعاره وأبياته المجموعة فى ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:
ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً نبىّ كموسى والمسيح ابن مريم وقوله:
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً رسولًا كموسى خُطّ فى أوّل الكتب «۱» إنّ من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التى كان أبرزها محاصرة بنى هاشم جميعاً فى الشعب، ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الإيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذى كان يتّصف به أبوطالب؛ إذ لا تستطيع مجرّد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجِد فى الإنسان مثل هذه الروح التضحويّة.

إنّ الدلائل على إيمان أبى طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كلّ المحقّقين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصّبين توقّف فى إيمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة، بالدعوة المحمدية، بينما تجاوز فريق هذا الحدّ إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنّه مات غير مؤمن.

ولو صحّت عُشر هذه الدلائل الدالّة على إيمان أبى طالب الثابتة فى كتب التاريخ والحديث فى حقّ رجل آخر لما شكّ أحد فى إيمانه فضلًا عن إسلامه، ولكن لايعلم الإنسان لماذا لاتسطيع كل هذه الأدلّة إقناع هذه الزمرة، و إنارة الحقيقة لهم؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۷

هذا عن والد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا أُمّه فهى فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى من السابقات إلى الإسلام والإيمان برسول اللّه صلى الله عليه و آله وقد كانت قبل ذلك تتّبع ملّة إبراهيم.

إنّها المرأة الطاهرة التى لجأت- عند المخاض- إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول:

«يا ربّ إنّى مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّى مصدّقة بكلام جدّى إبراهيم وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذى بنى هذا البيت و (بحقّ) المولود الذى فى بطنى إلّا ما يسّرت علىّ ولادتى». فدخلت فاطمة بنت أسد الكعبة ووضعت عليّاً هناك «۱».

تلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرّخين والمحدّثين الشيعة، وكذا علماء الأنساب فى مصنّفاتهم، كما نقلها ثلّة كبيرة من علماء السنّة وصرّحوا بها فى كتبهم، واعتبروها حادثة فريدة، وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل «۲».

وقال الحاكم النيسابورى: وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه فى جوف الكعبة «۳».

وقال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسى: «وكون الأمير كرّم اللّه وجهه، ولد فى البيت، أمر مشهور فى الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرّم اللّه وجهه، كما اشتهر وضعه» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۱۸

۲- الامام علىّ وتربيته فى حجر النبىّ صلى الله عليه و آله:

اشارة

۲- الامام علىّ وتربيته فى حجر النبىّ صلى الله عليه و آله:

وأمّا التربية الروحية والفكرية والأخلاقية فقد تلقّاها على عليه السلام فى حجر رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهى الضلع الثانى من أضلاع شخصيته الثلاثة.

ولو أنّنا قسّمنا مجموعة سنوات عمر الإمام عليه السلام إلى خمسة أقسام لوجدنا القسم الأوّل من هذه الأقسام الخمسة من حياته الشريفة، يؤلّف السنوات التى قضاها عليه السلام قبل بعثة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

وانّ هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات؛ لأنّ اللّحظة التى ولد فيها علىّ عليه السلام لم يكن النبىّ صلى الله عليه و آله قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنّه صلى الله عليه و آله قد بعث بالرسالة فى سنّ الأربعين.

وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام علىّ عليه السلام قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالرسالة، وتوّج بالنبوّة.

إنّ أبرز الحوادث فی حیاة الإمام علیّ علیه السلام هو تکوین الشخصیة العلویة، وتحقّق الضلع الثانی من المثلّث الذی أسلفناه بواسطة النبیّ الأکرم، وفی ظلّ ما أعطاه صلی الله علیه و آله لعلیّ علیه السلام من أخلاق وأفکار؛ لأنّ هذا القسم فی حیاة کل إنسان وهذه الفترة من عمره هی من اللحظات الخطیرة، والقیّمة جدّاً، فشخصیّة الطفل فی هذه الفترة تشبه صفحة بیضاء نقیّة تقبل کلّ لون، وهی مستعدّة لأن ینطبع علیها کلّ صورة مهما کانت، وهذه الفترة من العمر تعتبر- بالتالی- خیر فرصة لأن ینمّی المربّون والمعلّمون فیها کلّما أودعت ید الخالق فی کیان الطفل من سجایا طیّبة وصفات کریمة، وفضائل أخلاقیة نبیلة، ویوقفوا الطفل- عن طریق التربیة- علی القیم الأخلاقیة والقواعد الإنسانیة وطریقة الحیاة السعیدة، وتحقیقاً لهذا الهدف السامیّ تولّی النبی الکریم صلی الله علیه و آله بنفسه تربیة علیّ علیه السلام بعد ولادته، وذلک عندما أتت فاطمة بنت أسد بولیدها علیّ علیه السلام إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فلقیت من رسول اللَّه حبّاً

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۱۹

شدیداً لعلیّ حتّی أنّه قال لها: «اجعلی مهده بقرب فراشی» وکان صلی الله علیه و آله یطهّر علیاً فی وقت غسله، ویوجره اللّبن عند شربه، ویحرّک مهده عند نومه، ویناغیه فی یقظته، ویلاحظه ویقول: «هذا أخی، وولیّی، وناصری، وصفیّی، وذخری، وکهفی، وصهری، ووصیّی، و زوج کریمتی، وأمینی علی وصیّتی، وخلیفتی» «۱».

ولقد کانت الغایة من هذه العنایة هی أن یتمّ توفیر الضلع الثانی فی مثلّث الشخصیة (وهو التربیة) بواسطته صلی الله علیه و آله، وأن لا یکون لأحد غیر النبیّ صلی الله علیه و آله دخل فی تکوین الشخصیة العلویة الکریمة.

وقد ذکر الإمام علیّ علیه السلام ما أسداه الرسول الکریم إلیه وما قام به تجاهه فی تلکم الفترة إذ قال:

«وقد علمتم موضعی من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بالقرابة القریبة، والمنزلة الخَصیصة، وضعنی فی حجره وأنا ولید، یضمّنی إلی صدره، ویَکنُفنی فی فراشه، ویمسُّنی جسدَه، ویُشمّنی عَرْفَه، وکان یمضغ الشیء ثمّ یُلقمنیه» «۲».

النبی یأخذ علیّاً إلی بیته:

النبی یأخذ علیّاً إلی بیته:

وإذ کان اللَّه تعالی یرید لولی دینه أن ینشأ نشأة صالحة وأن یأخذ النبی علیّاً إلی بیته وأن یقع منذ نعومة أظفاره تحت تربیة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، ألفت نظر نبیّه إلی ذلک.

قد ذکر المؤرّخون أنّه أصابت مکّة- ذات سنة- أزمة مهلکة وسنة مجدبة منهکة، وکان أبوطالب- رضی اللَّه عنه- ذا مال یسیر وعیال کثیر فأصابه ما أصاب قریشاً من العدم والضائقة والجهد والفاقة، فعند ذلک دعا رسول اللَّه عمّه

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۲۰

العباس إلی أن یتکفّل کل واحد منهما واحداً من أبناء أبی طالب وکان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس علی ذلک؛ أخذ النبی علیّاً، وأخذ العباس جعفراً وتکفّل أمره، وتولّی شؤونه «۱».

هکذا وللمرّة الأُخری أصبح علیّ علیه السلام فی حوزة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بصورة کاملة، واستطاع بهذه المرافقة الکاملة أن یقتطف من ثمار أخلاقه العالیة وسجایاه النبیلة، الشیء الکثیر، وأن یصل تحت رعایة النبی وعنایته وبتوجیهه وقیادته، إلی أعلی ذروة من ذری الکمال الروحی.

وهذا هو الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام یشیر إلی تلک الأیام القیّمة وإلی تلک الرعایة النبویّة المبارکة المستمرّة إذ یقول:

«ولقد کنت أتبعه اتباع الفصیل أثر أُمّه، یرفع لی کل یوم من أخلاقه علماً ویأمرنی بالاقتداء به» «۲».

علیّ فی غار حراء

علیّ فی غار حراء

کان النبیّ- حتّی قبل أن یبعث بالرسالة والنبوّة- یعتکف ویتعبّد فی غار حراء شهراً من کلّ سنة، فإذا انقضی الشهر وقضی جواره من حراء انحدر من الجبل، وتوجّه إلی المسجد الحرام رأساً وطاف بالبیت سبعاً، ثم عاد إلی منزله. وهنا یطرح سؤال: ماذا کان شأن علیّ علیه السلام فی تلک الأیام التی کان یتعبّد ویعتکف فیها رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی ذلک المکان مع ما عرفناه من حبّ الرسول الأکرم له؟ هل کان یأخذ صلی الله علیه و آله علیاً معه إلی ذلک المکان العجیب أم کان یترکه ویفارقه؟

إنّ القرائن الکثیرة تدلّ علی أنّ النبی صلی الله علیه و آله منذ أن أخذ علیاً لم یفارقه یوماً أبداً؛

فهاهم المؤرّخون یقولون: کان علیّ یرافق النبیّ دائماً ولا یفارقه أبداً، حتّی أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله کان إذا خرج إلی الصحراء أو الجبل أخذ علیّاً معه «۱».

یقول ابن أبی الحدید: وقد ذکر علیّ علیه السلام هذا الأمر فی الخطبة القاصعة إذ قال:

«ولقد کان یجاور فی کلّ سنة بحراء، فأراه ولایراه غیری» «۲».

إنّ هذه العبارة وإن کانت محتملة فی مرافقته للنبیّ فی حرّاء بعد البعثة الشریفة إلّا أنّ القرائن السابقة وکون مجاورة النبیّ بحراء کانت فی الأغلب قبل البعثة، تؤیّد أنّ هذه الجملة، یمکن أن تکون إشارة إلی صحبة علیّ للنبیّ فی حراء قبل البعثة.

إنّ طهارة النفسیّة العلویة، ونقاوة الروح التی کان علیّ علیه السلام یتحلّی بها، والتربیة المستمرّة التی کان یحظی بها فی حجر رسول اللّه صلی الله علیه و آله، کل ذلک کان سبباً فی أن یتّصف علیّ علیه السلام- ومنذ نعومة أظفاره- ببصیرة نفّاذة وقلب مستنیر، وأُذن سمیعة واعیة تمکّنه من أن یری أشیاءَ ویسمع أمواجاً تخفی علی الناس العادیین، و یتعذّر علیهم سماعها ورؤیتها، کما یصرّح نفسه بذلک إذ یقول:

«أری نور الوحی والرسالة، وأشمّ ریح النبوّة» «۳».

یقول الإمام الصادق علیه السلام:

«کان علیّ علیه السلام یری مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله قبل الرسالة الضوء، ویسمع الصوت».

وقد قال له النبیّ صلی الله علیه و آله: لولا أنّی خاتم الأنبیاء لکنتَ شریکاً فی النبوّة، فإن لا تکن نبیّاً فإنّک وصیّ نبیّ ووارثه، بل أنت سیّد الأوصیاء وإمام الأتقیاء» «۴».

ویقول الإمام علیّ علیه السلام: «لقد سمعت رنّة الشیطان حین نزل الوحی علیه صلی الله علیه و آله

فقلت: یا رسول اللّه ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشیطان أیس من عبادته، ثمّ قال له:

«إنّک تسمع ما أسمع وتری ما أری إلّاأنّک لست بنبیّ ولکنّک وزیر» «۱».

هذا هو الرافد الثانی الذی کان یرفد الشخصیة العلویة بالأخلاق والسجایا الرفیعة.

۳- البیئة الرسالیة وشخصیة الإمام:

اشارة

۳- البیئة الرسالیة وشخصیة الإمام:

ولو أضفنا ذینک الأمرین (أی ما اکتسبه من والدیه الطاهرین بالوراثة، وما تلقّاه فی حجر النبیّ) إلی ما أخذه من بیئة الرسالة والإسلام من أفکار وآراء رفیعة، وتأثّر عنها أدرکنا عظمة الشخصیة العلویة من هذا الجانب.

ومن هنا یحظی الإمام علیّ علیه السلام بمکانة مرموقة لدی الجمیع؛ مسلمین وغیر مسلمین؛ لما کان یتمتّع به من شخصیة سامقة، وخصوصیات خاصّة یتمیّز بها.

وهذا هو ما دفع بالبعید والقریب إلی أن یصف علیّاً بما لم یوصف به أحد من البشر، ویخصّه بنعوت، حرم منها غیره، فهذا الدکتور شبلی شمیل المتوفّی سنة ۱۳۳۵ ه/ ۱۹۱۷ م وهو من کبار المادّیین فی القرن الحاضر یقول:

الإمام علیّ بن أبی طالب عظیم العظماء نسخة مفردة لم یر لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قدیماً ولاحدیثاً «۲».

قال عمر بن الخطّاب:

«عقمت النساء أن یلدن مثل علیّ بن أبی طالب» «۳».

ویقول جورج جرداق الکاتب المسیحی اللبنانی المعروف:

«وماذا علیک یا دنیا لو حشدت قواک فأعطیت فی کلّ زمن علیّاً بعقله وقلبه

ولسانه وذی فقاره» «۱».

هذه الأبعاد التی ألمحنا إلیها هی الأبعاد الطبیعیة للشخصیة العلویة.

البعد المعنوی لشخصیّة الإمام علیه السلام:

البعد المعنوی لشخصیّة الإمام علیه السلام:

غیر أنّ أبعاد شخصیة الإمام علیّ علیه السلام لاتنحصر فی هذه الأبعاد الثلاثة؛ فإنّ لأولیاء اللَّه سبحانه بعداً رابعاً، داخلًا فی هویّة ذاتهم، وحقیقة شخصیتهم، وهذا البعد هوالذی میّزهم عن سائر الشخصیات وأضفی علیهم بریقاً خاصّاً ولمعاناً عظیماً.

وهذا البعد هو البعد المعنوی الذی میّز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة وثلّة مختارة من بین الناس؛ وهو کونهم رسل اللَّه وأنبیاءه، أو خلفاءه وأوصیاء أنبیائه.

نری أنّه سبحانه یأمر رسوله أن یصف نفسه بقوله: «قُلْ سُبْحان ربِّی هَلْ کُنْتُ إلّابَشَراً رَسُولًا» «۲».

فقوله: «بَشَراً» إشارة إلی الأبعاد البشریة الموجودة فی کلّ إنسان طبیعیّ، وإن کانوا یختلفون فیها فیما بینهم کمالًا ولمعاناً.

وقوله: «رَسُولًا» إشارة إلی ذلک البعد المعنوی الذی میّزه صلی الله علیه و آله عن الناس وجعله معلّماً وقدوة للبشر، فلأجل ذلک یقف المرء فی تحدید الشخصیات الإلهیة علی شخصیة مرکّبة من بعدین: طبیعی و إلهی ولا یقدر علی توصیفها إلّابنفس ما وصفهم به اللَّه سبحانه مثل قوله فی شأن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله:

الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الأُمّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی

التَّوْراةِ وَالإنْجِیلِ یَأمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَیَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَیُحَرّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَیَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ وَ الأغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ «۱»

وقد نزلت في حقّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام آيات، ووردت روايات.

كيف وقد قال رسو ل اللَّه صلى الله عليه و آله:

«عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام» «۲».

وقال صلى الله عليه و آله:

«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال عليّاً بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي؛ فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم اللَّه شفاعتي» «۳».

وقال الإمام أحمد بن حنبل:

ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعليّ رضي الله عنه «۴».

وقال الإمام الفخر الرازي:

من اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه «۵».

وقال أيضاً:

من اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى لقول النبيّ صلى الله عليه و آله: اللّهمّ أدر الحقّ مع عليّ حيث دار «۶».

تسليط الضوء على شخصيته السامية:

تسليط الضوء على شخصيته السامية:

لاعتب على اليراع لو وقف عند تحديد شخصيّة كريمة معنويّة خصّها اللَّه تعالى بمواهب وفضائل، وكفى في ذلك ما رواه طارق بن شهاب، قال: كنت عند عبداللَّه ابن عباس فجاء أُناس من أبناء المهاجرين فقالوا له: يا بن عباس أيّ رجل كان عليّ بن أبي طالب؟ قال: ملئ جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة وقرابة من رسول اللَّه «۱».

روى عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل في القرآن: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» إلّا وعليّ عليه السلام رأسها وأميرها، ولقد عاتب اللَّه أصحاب محمّد في غير مكان، وما ذكر عليّاً إلّابخير «۲».

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب اللَّه ما نزل في عليّ «۳».

وقال ابن عباس: نزلت في عليّ أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه «۴».

نكتفي في ترجمة عليّ عليه السلام بكلمتين عن تلميذيه اللّذين كانا معه سرّاً وجهراً.

۱- قال ابن عباس- عندما سئل عن عليّ-: رحمة اللَّه على أبي الحسن، كان واللَّه علم الهدى، وكهف التقى، وطود النهى، ومحلّ الحجى، وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر في الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى، ومستمسكاً بالعروة الوثقى، أتقى من تقمّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين، وأبو السبطين، وزوجته خير النساء، فما يفوقه أحد،

لم تر عيناي مثله، ولم أسمع بمثله، فعلى من أبغضه لعنة اللَّه ولعنة العباد إلى يوم التناد «۱».

۲- إنّ معاوية سأل ضرار بن حمزة بعد موت عليّ عنه، فقال: صف لي عليّاً، فقال: أو تعفيني؟ قال: صفه، قال: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك، قال: أمّا إذ لابدّ فأقول ما أعلمه منه:

واللَّه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من

الـدنيا وزهرتهـا، ويسـتأنس بالليـل وظلمته، كـان واللَّه غزير الدمعـة، طويـل الفكرة، يقلّب كفّيه، ويخـاطب نفسه، يعجبه من اللبـاس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كـان واللَّه كأحـدنا، يجيبنـا إذا سألناه ويبتـدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن واللَّه مع تقريبه لنا وقربه منّا لانكلّمه هيبـة، ولانبتـدئه عظمة، إن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشـهد باللَّه لقـد رأيته فى بعض مواقفه وقـد أرخى الليل سـدوله، وغارت نجومه، وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السـليم ويبكى بكـاء الحزين، وكأنّى أسـمعه وهو يقول: يا دنيا أبى تعرّضت؟ أم إلىّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّى غيرى، قـد باينتك ثلاثاً لارجعة لى فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

قـال: فـذرفت دموع معاويـة على لحيته فما يملكها وهو ينشـفها بكمّه وقـد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاويـة: رحم اللَّه أباالحسن! كان واللَّه كذلك، فكيف حزنك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٢٧

عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها فى حجرها؛ فلا ترقأ عبرتها ولايسكن حزنها «١».

هذه شذرات من فضائله، وقبسات من مناقبه الكثيرة التى حفظها التاريخ من تلاعب الأيدى.

غير أنّه لا يعرف عليّاً غير خالقه، وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى صلى الله عليه و آله.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٢٨

تنصيب على عليه السلام للإمامة

اشارة

تنصيب على عليه السلام للإمامة

لا شكّ فى أنّ الدين الإسـلامى دين عالمىّ، وشـريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأُمّة الإسـلامية من شؤون النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضى أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأُمّة وأكملهم.

إنّ فى هـذه المسألـة؛ وهى أنّ منصب القيـادة بعـد النبىّ صـلى الله عليه و آله هـل هو منصب تنصيصـىّ تعيينىّ أو أنّه منصب انتخابىّ؟ اتّجاهين:

فالشـيعة ترى أنّ مقام القيادة منصب تنصيصـىّ، ولابـدّ أن يُنصّ على خليفـة النبىّ من السـماء، بينما يرى أهل السـنّة أنّ هـذا المنصـب انتخابىّ جمهورىّ؛ أى أنّ على الأُمّة أن تقوم بعد النبىّ باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد.

إنّ لكل من الاتّجاهين المـذكورين دلائل، ذكرها أصـحابهما فى الكتب العقائدية، إلّاأنّ ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة فى ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة فى عصر الرسالة؛ فإنّ هذه الدراسة كفيلة بإثبات صحّة أحد الاتّجاهين.

إنّ تقييم الأوضاع السياسـية داخل المنطقـة الإسـلامية وخارجها فى عصـر الرسالة يقضـى بأنّ خليفة النبىّ صـلى الله عليه و آله لابدّ أن يعيَّن من جانب اللَّه تعالى، ولا يصـحّ أن يوكل هـذا إلى الأُمّة؛ فإنّ المجتمع الإسـلامى كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثى (الروم- الفرس- المنافقون) بشنّ الهجوم الكاسح، وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالـح الأُمّـة كانت توجب أن تتوحّـد صـفوف المسـلمين فى مواجهة الخطر الخارجى، وذلك بتعيين قائد سياسـى من بعده، وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدو فى جسم الأُمّة الإسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٢٩

وإليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

لقد كانت الإمبراطورية الرومانيّة أحد أضلاع الخطر المثلّث الذى يحيط بالكيان الإسلامى، ويهدّده من الخارج والداخل، وكانت هذه القوّة الرهيبة تتمركز فى شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبى القائد على الدوام، حتّى إنّ التفكير فى أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتّى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت أوّل مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحى الرومى وقعت فى السنة الثامنة من الهجرة فى أرض فلسطين، وقد أدّت هذه المواجهة إلى استشهاد القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم: «جعفر الطيار» و «زيد بن حارثة» و «عبد اللَّه بن رواحة»، ولقد تسبّب انسحاب الجيش الإسلامى بعد استشهاد القادة المذكورين إلى تزايد جرأة الجيش القيصرى المسيحى، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى السنة التاسعة للهجرة على رأس جيش كبير جدّاً إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش فى هذا الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة، ويجدّد حياته السياسية.

غير أنّ هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فأعدّ قُبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين، وأمّر عليهم «أُسامة بن زيد»، وكلّفهم بالتوجّه إلى حدود الشام، والحضور فى تلك الجبهة.

أمّا الضلع الثانى من المثلث الخطير الذى كان يهدّد الكيان الإسلامى، فكان الإمبراطورية الإيرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الإمبراطورية على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومعاداتها لدعوته، أن أقدم إمبراطور إيران «خسرو برويز» على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۰

تمزيق رسالة النبى صلى الله عليه و آله، وتوجيه الإهانة إلى سفيره بإخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه وعامله على اليمن بأن يوجّه إلى المدينة من يقبض على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، أو يقتله إن امتنع.

و «خسرو» هذا وإن قتل فى زمن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلّاأنّ استقلال اليمن- التى رزخت تحت استعمار الامبراطورية الإيرانية ردحاً طويلًا من الزمان- لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أُولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم.

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذى كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس على تقويض دعائم الكيان الإسلامى من الداخل إلى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى طريق العودة من تبوك إلى المدينة.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول فى نفسه: إنّ الحركة الإسلامية سينتهى أمرها بموت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورحيله، وبذلك يستريح الجميع «۱».

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة إلى الأُمّة الإسلامية من الداخل، وذلك عندما أتى علياً عليه السلام وعرض عليه أن يبايعه ضدّ من عيّنه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الأُمّة الإسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن من التصيّد فى الماء العكر.

ولكنّ الإمام علياً عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نيّات أبى سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونيّاته الشريرة:

«واللَّه ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وإنّك- واللَّه- طالما بغيت للإسلام شرّاً.

لا حاجة لنا فى نصيحتك» «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۱

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبى من الشدّة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم فى سور عديدة هى: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمّد صلى الله عليه و آله، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقون، والحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الخطرين والأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصحّ أن يترك رسول اللَّه أُمّته الحديثة العهد بالإسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعيّن لهم قائداً دينياً سياسياً؟!!

إنّ المحاسبات الاجتماعية تقول: إنّه كان من الواجب أن يمنع رسول الإسلام بتعيين قائد للأُمّة،... من ظهور أىّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية بإيجاد حصن قوىّ وسياج دفاعى متين حول تلك الأُمّة.

إنّ تحصين الأُمّة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون مطالبة كلّ فريق «الزعامة» لنفسه دون غيره، وبالتالى التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن ليتحقّق، إلّابتعيين قائد للأُمّة، وعدم ترك الأُمور للأقدار.

إنّ هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحّة نظرية «التنصيص على القائد بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» ولعلّ لهذه الجهة ولجهات أُخرى طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة فى الأيام الأُولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتّى الساعات الأخيرة منها، حيث عيّن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح فى بدء دعوته، وفى نهايتها أيضاً.

وإليك بيان كلا هذين المقامين:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۲

۱- النبوّة والإمامة توأمان

۱- النبوّة والإمامة توأمان:

بغضّ النظر عن الأدلّة العقلية والفلسفية التى تثبت صحّة الرأى الأوّل بصورة قطعيّة، هناك أخبار وروايات وردت فى المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأى الذى ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبىّ صلى الله عليه و آله على خليفته من بعده فى الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبى والرأى العام.

فهو لم يعيّن (ولم ينصّ على) خليفته ووصيّه من بعده فى أُخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيّه منذ بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعدُ سوى بضعة عشر من الأشخاص، وذلك يوم أُمر من جانب اللَّه العلىّ القدير أن ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلهى الأليم، وأن يدعوهم إلى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع برسالته للجميع، ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع أربعين رجلًا من زعماء بنى هاشم وبنى المطلّب، ثمّ وقف فيهم خطيباً فقال:

«أيّكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم؟»

فأحجم القوم، وقام علىّ عليه السلام وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله برقبته، والتفت إلى الحاضرين، وقال:

«إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم» «۱».

وقد عرف هذا الحديث عند المفسّرين والمحدّثين: ب «حديث يوم الدار» و «حديث بدء الدعوة».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۳

على أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يكتف بالنصّ على خليفته فى بدء رسالته، بل صرّح فى مناسبات شتّى فى السفر والحضر، بخلافة علىّ عليه السلام من بعده، ولكن لا يبلغ شىء من ذلك فى الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

۲- قصة الغدير

۲- قصة الغدير:

لمّا انتهت مراسم الحجّ، وتعلّم المسلمون مناسک الحجّ من رسول اللّه، قرّر رسول اللّه صلی الله علیه و آله الرحيل عن مكّة، والعودة إلى المدينة، فأصدر أمراً بذلک، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» «۱» التى تبعد عن «الجحفة» «۲» بثلاثة أميال، نزل أمين الوحى جبرئيل على رسول اللّه صلی الله علیه و آله بمنطقة تدعى «غدير خم»، وخاطبه بالآية التالية:

يأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْک مِنْ رَبِّک وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّه يَعْصِمُک مِنَ النّاسِ «۳».

إنّ لسان الآية وظاهرها يكشف عن أنّ اللّه تعالى ألقى على عاتق النبىّ صلی الله علیه و آله مسؤولية القيام بمهمّة خطيرة، وأىّ أمر أكثر خطورة من أن ينصّب علياً علیه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد؟!

من هنا أصدر رسول اللّه صلی الله علیه و آله أمره بالتوقّف، فتوقّف طلائع ذلک الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان المناخ حارّاً إلى درجة كبيرة جّداً، وكان الشخص يضع قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصنع للنبىّ صلی الله علیه و آله مظلّة، وكانت عبارة عن عباءة أُلقيت على أغصان شجرة (سمرة)، وصلّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۴

رسول اللّه صلی الله علیه و آله بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد صلی الله علیه و آله على منبر أُعدّ من أحداج الإبل وأقتابها، وخطب فى الناس رافعاً صوته، وهو يقول:

«الحمد للّه نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلّا هو، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ أيّها الناس إنّى أُوشک أن أُدعى فأُجيب، وإنّى مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟»

قالوا: نشهد أنّک قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاک اللّه خيراً.

قال صلی الله علیه و آله: «ألستم تشهدون أن لا إله إلّااللّه، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ اللّه يبعث من فى القبور؟»

قالوا: بلى نشهد بذلک.

قال صلی الله علیه و آله: «اللّهمّ اشهد».

ثمّ قال صلی الله علیه و آله: «وإنّى تارک فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً».

فنادى منادٍ: بأبى أنت وأُمّى يا رسول اللّه، وما الثقلان؟

قال صلی الله علیه و آله: «كتاب اللّه سبب طرف بيد اللّه، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به؛ والآخر عترتى، وإنّ اللّطيف الخبير نبّأنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا».

وهنا أخذ بيد علىّ علیه السلام ورفعها، حتى رؤى بياض آباطهما، وعرفه الناس أجمعون ثمّ قال:

«أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قالوا: اللّه ورسوله أعلم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۵

فقال صلی الله علیه و آله:

«إنّ اللّه مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه «۱».

اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبّه، وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار» «۲».

فلمّا نزل من المنبر، استجازه حسّان بن ثابت شاعر عهد الرسالة فى أن يفرغ ما نزل به الوحى فى قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام

وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ وأكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمن مولاكم ووليّكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت وليّنا ولم ترَ منّا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا عليّ فإنّني رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدقٍ ومواليا

هناك دعا: اللّهمّ! وال وليّه وكن للذى عادى عليّاً معاديا

مصادر الواقعة

مصادر الواقعة:

هـذه هي واقعـة الغدير استعرضـناها لك على وجه الإجمال، وهي بحقّ واقعة لا يسوغ لأحد إنكارها بأدنى مراتب التشـكيك والقدح، فقـد تناولهـا بالـذكر أئمـة المؤرّخين أمثال: البلاذرى، وابن قتيبـة، والطبرى، والخطيب البغـدادى، وابن عبـدالبرّ، وابن عساكر، وياقوت الحموى، وابن الأثير، وابن أبى الحديد، وابن خلّكان، واليافعي، وابن كثير، وابن خلدون، والذهبى، وابن حجر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۶

العسـقلانى، وابن الصبـاغ المالكى، والمقريزى، وجلال الدين السيوطى، ونور الدين الحلبى إلى غير ذلك من المؤرّخين الذين جادت بهم القرون والأجيال.

كمـا ذكره أيضـاً أئمـة الحـديث أمثـال: الإمـام الشـافعى، وأحمـد بن حنبـل، وابن ماجـة، والترمـذى، والنسـائى، وأبو يعلى الموصـلى، والبغـوى، والطحّـاوى، والحـاكم النيسـابورى، وابن المغـازلى، والخطيب الخـوارزمى، والكنجى، ومحبّ الـدين الطـبرى، والحمـوينى، والهيثمى، والجزرى، والقسـطلانى، والمتقى الهنـدى، وتاج الدين المناوى، وأبو عبداللّه الزرقانى، وابن حمزة الدمشـقى إلى غير ذلك من أعلام المحدّثين الذين يقصر المقال عن عدّهم وحصرهم.

كما تعرّض له كبار المفسـرين، فقد ذكره: الطبرى، والثعلبى، والواحدى- فى أسـباب النزول، والقرطبى، وأبو السـعود، والفخر الرازى، وابن كثير الشامى، والنيسابورى، وجلال الدين السيوطى، والآلوسى، والبغدادى.

وذكره من المتكلّمين طائفة جمّة فى خاتمة مباحث الإمامة وإن ناقشوا نقضاً وإبراماً فى دلالته كالقاضى أبى بكر الباقلانى فى تمهيده، والقاضـى عبـد الرحمـن الإيـجى فى مـواقفه، والسـيد الشـريف الجرجـانى فى شـرحه، وشـمس الـدين الأصـفهانى فى مطـالع الأنوار، والتفتازانى فى شـرح المقاصد، والقوشـجى فى شـرح التجريد إلى غير ذلك من المتكلّمين الذين تعرّضوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالته ووجه الحجّة فيه.

واقعة الغدير ورمز الخلود

واقعة الغدير ورمز الخلود:

أراد المولى عزّوجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الأجيال لم يُكدّر صـفاء حقيقته الناصعة تطاول الأحقاب، وكرّ الأزمان، وانصرام الأعوام، ويرجع ذلك إلى أُمور ثلاثة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۳۷

۱- إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قد هتف به فى مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف عند منصرفه من الحجّ الأكبر، فنهض بالدعوة والإعلان، وحوله جموع من وجوه الصحابة وأعيان الأُمّة، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافّة على علم وخبر بما تمّ إبلاغه.

۲- إنّ اللَّه سبحانه قد أنزل فى تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ إلى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ- «يا أيُّها الرَّسُولُ بَلّغ مَا أُنْزِلَ إلَيْك مِنْ رَبّك وإنْ لمْ تَفْعَلْ فما بَلَّغْتَ رِسالَتهُ وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ» «۱».

وقد ذكر نزولها فى واقعة الغدير طائفة من المفسّرين يربو عددهم على الثلاثين، وقد ذكر العلّامة البحّاثة المحقّق الأمينى فى كتاب «الغدير» نصوص عبارات هؤلاء، فمن أراد الاطلاع عليها، فليرجع إليه.

ب- «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً» «۲».

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستّة عشر.

ج- «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ* مِنَ اللَّه ذى المَعارِجِ» «۳».

وقد ذكر أيضاً نزول هذه الآية جماعة من المفسّرين ينوف على الثلاثين، أضف إلى ذلك أنّ الشيعة عن بكرة أبيهم متّفقون على نزول هذه الآيات الثلاث فى شأن هذه الواقعة «۴».

۳- إنّ الحديث منذ صدوره من منبع الوحى، تسابقت الشعراء والأُدباء على نظمه، وإنشاده فى أبيات وقصائد امتدّت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النصّ فى تلك المناسبة إلى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات، وقد تمكّن البحّاثة المتضلّع العلّامة الأمينى من استقصاء وجمع كلّ ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة، والمؤمّل والمنتظر من كافّة المحقّقين على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم استنهاض هممهم لجمع ما نظم وأُنشد فى أدبهم الخاص.

وحصيلة الكلام: قلّما نجد حادثة تاريخية حظيت فى العالم البشرى عامّة، وفى التاريخ الإسلامى والأُمّة الإسلامية خاصّة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، وقلّما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدّثين والمفسّرين والكلاميّين والفلاسفة والأُدباء والكتّاب والخطباء وأرباب السير والمؤرّخين كما استقطبت هذه الحادثة، وقلّما اعتنوا بشىء مثلما اعتنوا بها.

هذا ويستفاد من مراجعة التاريخ أنّ يوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة الحرام كان معروفاً بين المسلمين بيوم عيد الغدير، وكانت هذه التسمية تحظى بشهرة كبيرة إلى درجة أنّ ابن خلّكان يقول حول «المستعلى ابن المستنصر»:

«فبويع فى يوم غدير خمّ؛ وهو الثامن عشر من شهر ذى الحجّة سنة ۴۸۷ ه» «۱».

وقال فى ترجمة المستنصر باللَّه، العبّاسى: «وتوفّى ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجّة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، قلت: وهذه هى ليلة عيد الغدير، أعنى ليلة الثامن عشر من شهر ذى الحجّة، وهو غدير خمّ» «۲».

وقد عدّه أبو ريحان البيرونى فى كتابه «الآثار الباقية ممّا استعمله أهل الإسلام

من الأعياد» «۱».

وليس ابن خلّكان، وأبو ريحان البيرونى، هما الوحيدين اللّذين صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الأعياد، بل هذا الثعالبى قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالى المعروفة بين المسلمين «۲».

إنّ عهد هذا العيد الإسلامى، وجذوره ترجع إلى نفس يوم «الغدير»؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله أمر المهاجرين والأنصار، بل أمر زوجاته ونساءه فى ذلك اليوم بالدخول على علىّ عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أوّل من صافح النبىّ صلى الله عليه و آله وعليّاً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقى المهاجرين والأنصار، وباقى الناس «۳».

فالحمد للَّه الذی جعلنا من المتمسّکین بولایة علیّ بن أبی طالب علیه السلام.

شذرات من فضائله

شذرات من فضائله

یطیب لی أن أُشیر إلی بعض خصائصه قیاماً ببعض الوظیفة تجاه ما له من الحقوق علی الإسلام والمسلمین عامّة، فنقول: إنّ له خصائص لم یشارکه فیها أحد:

۱- ولادته فی جوف الکعبة.

۲- احتضان النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله له منذ صغره.

۳- سبقه الجمیع فی الإسلام.

۴- مؤاخاة النبیّ صلی الله علیه و آله له من دون باقی الصحابة.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۴۰

۵- حمله من قبل النبیّ صلی الله علیه و آله علی کتفه لطرح الأصنام الموضوعة فی الکعبة.

۶- استمرار ذریّة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من صلبه.

۷- بصاق النبیّ صلی الله علیه و آله فی عینیه یوم خیبر، ودعاؤه له بأن لا یصیبه حرّ ولا قرّ.

۸- إنّ حبّه إیمان وبغضه نفاق.

۹- إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله باهل النصاری به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.

۱۰- تبلیغه سورة براءة عن النبیّ صلی الله علیه و آله.

۱۱- إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله خصّه یوم الغدیر بالولایة.

۱۲- إنّه القائل: «سلونی قبل أن تفقدونی».

۱۳- إنّ النبیّ صلی الله علیه و آله خصّه بتغسیله وتجهیزه والصلاة علیه.

۱۴- إنّ الناس جمیعاً من أرباب الأدیان، وغیرهم ینظرون إلیه کأعظم رجل عرفه التاریخ «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۴۱

الإمام الثانی: أبو محمد الحسن بن علی المجتبی علیه السلام

الإمام الثانی: أبو محمد الحسن بن علی المجتبی علیه السلام

ولادته

ولادته

ولد فی المدینة لیلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتین من الهجرة، وهو أوّل أولاد علیّ وفاطمة علیهما السلام.

نسب کان علیه من شمس الضحی نور ومن فلق الصباح عمودا وروی عن أنس بن مالک قال: لم یکن أحد أشبه برسول اللَّه صلی الله علیه و آله من الحسن بن علی علیهما السلام «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۴۲

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعلیّ: سمّه، فقال: «ما کنت لأسبق باسمه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله»، فجاء النبیّ صلی الله علیه و آله

فأَخرج إليه فقال: «اللّهمّ إنّى أَعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم، وأذّن فى أَذنه اليمنى وأقام فى اليسرى.

ألقابه عليه السلام

ألقابه عليه السلام

أشهرها: التقىّ والزكىّ والسبط.

علمه عليه السلام

علمه عليه السلام

يكفى أنّه كـان يجلس فى مسـجد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله ويجتمع النـاس حوله فيتكلّم بمـا يشـفى غليـل السائـل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علىّ ابن أحمـد الواحـدى فى تفسـير الوسـيط: أنّ رجلًا دخل إلى مسـجد المدينة فوجد شخصاً يحدّث عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل، قال:

أخبرنى عن شاهد ومشهود «۱»

؟ فقال: «نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة».

فتجاوزه إلى آخر غيره يحدّث فى المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود قال:

«أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود يوم النحر».

قال: فتجاوزه إلى ثالث، غلام كأنّ وجهه الـدينار، وهو يحدّث فى المسـجد، فسأله عن شاهد ومشـهود، فقال: «نعم، أمّا الشاهد فرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته عزّ وجلّ يقول: يا أَيُّها النَّبِىُّ إنّا أرْسَلْناك شاهِداً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۳

وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً «۱»

، وقال تعالى: ذلِكَ يَومٌ مَجمَوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلِكَ يَومٌ مَشْهُودٌ» «۲»

.

فسـأل عن الأـوّل، فقـالوا: ابن عبّـاس، وسـأل عن الثـانى، فقـالوا: ابن عمر، وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام «۳».

زهده عليه السلام

زهده عليه السلام

يكفى فى ذلـك مـا نقله الحافظ أبو نعيم فى حليته بسـنده أنّه عليه السـلام قـال: «إنّى لأسـتحيى من ربّى أن ألقـاه ولـم أمش إلى بيته» فمشى عشرين مرّة من المدينة إلى مكّة على قدميه.

وروى عن الحافظ أبى نعيم فى حليته أيضاً: أنّه عليه السلام خرج من ماله مرّتين، وقاسم اللَّه تعالى ثلاث مرّات ماله وتصدّق به.

وكان عليه السلام من أزهد الناس فى الدنيا ولذّاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان عليه السلام يتمثّل بهذا البيت شعراً:

يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها إنّ اغتراراً بظلّ زائلٍ حَمَقُ «۴»

حلمه عليه السلام

حلمه عليه السلام

روى ابن خلّكان عن ابن عائشة: أنّ رجلًا من أهل الشام قال: دخلت

المدينة- على ساكنها أفضل الصلاة والسلام- فرأيت رجلًا راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابّة منه، فمال قلبى إليه، فسألت عنه فقيل:

هـذا الحسن بن علىّ بن أبى طـالب، فامتلأـ قلبى له بغضاً وحسـدت عليّاً أن يكون له ابن مثله، فصـرت إليه وقلت له: أأنت ابن علىّ بن أبى طالب؟ قال: «أنا ابنه»، قلت: فعل بك وبأبيك، أسبّهما، فلمّا انقضى كلامى قال لى: «أحسبك غريباً»؟

قلت: أجـل، قـال: «مِلْ بنـا، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال آتيناك، أو إلى حاجـة عاونّاكَ» قال: فانصـرفت عنه وما على الأرض أحبّ إلىّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلّاشكرته وخزيت نفسى «۱».

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

يكفى فى ذلك ما صرّح به النبىّ صلى الله عليه و آله من قوله: «هذان ابناى إمامان قاما أو قعدا...».

وروت الشـيعة بطرقهم عن سـليم بن قيس الهلالـى قـال: شـهدت أمير المـؤمنين عليه السـلام حين أوصـى إلى ابنه الحسن عليه السـلام وأشـهد على وصـيّته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: «يا بنىّ إنّه أمرنى رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله أن أُوصـى إليـك، وأدفع إليك كتبى وسـلاحى، كما أوصـى إلىّ ودفع إلىّ كتبه وسـلاحه، وأمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن تـدفعها إلى ابنك هـذا، ثمّ أخذ بيد علىّ بن الحسـين وقال: وأمرك رسول اللَّه أن تدفعها إلى ابنك محمّد بن علىّ فاقرأه من رسول اللَّه

ومنّى السلام» «۱».

روى أبو الفرج الأصـفهانى: أنّه خطب الحسن بن علىّ بعد وفاة أمير المؤمنين علىّ عليه السـلام وقال: «قد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يـدركه الآخرون بعمل، ولقـد كان يجاهـد مع رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح اللَّه عليه، ولقد توفّى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسـى بن مريم، ولقد توفّى فيها يوشع بن نون وصـى موسى، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلّاسبعمائة درهم بقيّة من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثمّ قال: «أيّها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمّد صـلى الله عليه و آله، أنا ابن البشـير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى اللَّه عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والذين افترض اللَّه مودّتهم فى كتابه إذ يقول: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً «۲»

فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عباس بين يـديه فـدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة، فبايعوه «۳».

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء، وأنفذ عبد اللَّه بن العبّاس إلى

البصرة، ونظر فى الأُمور «۱».

وقال أبو الفرج الأصفهانى: وكان أوّل شىء أحدثه الحسن [عليه السلام] أنّه زاد فى المقاتلة مائة مائة، وقد كان علىّ فعل ذلك يوم الجمل، وهو فعله يوم الاستخلاف، فتبعه الخلفاء بعد ذلك «۲».

قال المفيد: فلمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دسَّ رجلًا من حمير إلى الكوفة، ورجلًا من بنى القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأُمور، فعرف ذلك الحسن، فأمر باستخراج الحميرى من عند لحّام فى الكوفة فأُخرج وأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم، فأُخرج وضربت عنقه «۳».

صلحه عليه السلام مع معاوية

صلحه عليه السلام مع معاوية

ثمّ إنّه استمرّت المراسلات «۴» بين الحسن ومعاوية وانجرّت إلى حوادث مريرة إلى أن أدّت إلى الصلح واضطرّ إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فعقدا صلحاً وإليك صورته:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علىّ بن أبى طالب معاوية بن أبى

سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب اللَّه وسنّة رسول اللَّه، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض اللَّه تعالى فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم.

على أنّ أصحاب علىّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد اللَّه وميثاقه.

على أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله غائلة سوء سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً فى أُفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى باللَّه شهيداً «۱».

ولمّا تمّ الصلح صعد معاوية المنبر وقال فى خطبته: إنّى واللَّه ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّى قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطانى اللَّه ذلك وأنتم كارهون. ألا وإنّى كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمىّ هاتين لا أفى بشىء منها له «۲».

شهادته ودفنه عليه السلام

اشارة

شهادته ودفنه عليه السلام

لمّا نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن عليه السلام، وما كان ذلك بغريب على رجل أبوه أبوسفيان، وأُمّه هند، وهو طليق ابن طلقاء عمد إلى أخذ البيعة ليزيد ولده المشهور بمجونه وتهتكه وزندقته، وما كان شىء أثقل عليه من أمر الحسن بن علىّ عليهما السلام، فدسّ إليه السمّ، فمات بسببه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۸

فقد روى: أنّ معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث- وكانت تحت الحسن عليه السلام-: إنّى مزوّجك بيزيد ابنى على أن تسمّى الحسن بن عليّ. وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه «۱».

فلمّا دنا موته أوصى لأخيه الحسين عليه السلام وقال: «إذا قضيت نحبى غسّلنى وكفّنى واحملنى على سريرى إلى قبر جدّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ثمّ ردّنى إلى قبر جدّتى فاطمة بنت أسد فادفنّى هناك، وباللَّه أُقسم عليك أن تهريق فى أمرى محجمة دم».

فلمّا حملوه إلى روضة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لم يشكّ مروان ومن معه من بنى أُميّة أنّهم سيدفنونه عند جدّه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فتجمّعوا له ولبسوا السلاح، ولحقتهم عائشة على بغل وهى تقول: ما لى ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتى من لا أُحبّ!!

وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجاء هى خير من دعةٍ، أيدفن عثمان فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبيّ؟! وكادت الفتنة تقع بين بنى هاشم وبنى أُميّة. ولأجل وصيّة الحسن مضوا به إلى البقيع ودفنوه عند جدّته فاطمة بنت أسد «۲».

وتوفّى الحسن وله من العمر (۴۷) عاماً وكانت سنة وفاته سنة (۵۰) من الهجرة النبويّة. والعجيب أنّ مروان بن الحكم حمل سريره إلى البقيع فقال له الحسين: «أتحمل سريره؟! أما واللَّه لقد كنت تجرّعه الغيظ» فقال مروان: إنّى كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال «۳».

فرح معاوية بموته

فرح معاوية بموته:

ولما بلغ معاوية موت الحسن عليه السلام سجد وسجد من حوله وكبر وكبروا معه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۴۹

ذكره الزمخشرى فى ربيع الأبرار وابن عبد البرّ فى الاستيعاب وغيرهما.

فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ظاهر النخوة إذ مات الحسنْ

يا ابن هند إن تذق كأس الردى تكُ فى الدهر كشيء لم يكنْ

لستَ بالباقى فلا تشمت به كلّ حيّ للمنايا مرتهن «۱» هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير ممّا يرجع إلى جوانب حياته، خصوصاً ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى تحف العقول «۲» فقد ذكر قسماً كبيراً من كلماته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۰

الإمام الثالث: أبو عبداللَّه الحسين بن على سيّد الشهداء عليه السلام

الإمام الثالث: أبو عبداللَّه الحسين بن على سيّد الشهداء عليه السلام

اشارة

الإمام الثالث: أبو عبداللَّه الحسين بن على سيّد الشهداء عليه السلام

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر، وثانى السبطين، وسيدى شباب أهل الجنّة، وريحانتى المصطفى صلى الله عليه و آله، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيّد الشهداء، وأُمّه فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام
ولـد فى المدينـة المنوّرة فى الثـالث من شـعبان سـنة ثلاـث أو أربع من الهجرة، ولمّا ولـد جىء به إلى رسول اللّه صـلى الله عليه و آله فاستبشـر به، وأذّن فى أُذنه اليمنى وأقـام فى اليسـرى، فلمّـا كـان اليوم السابع سـمّاه حسـيناً، وعقّ عنه بكبش، وأمر أُمّه أن تحلق رأسـه وتتصدّق بوزن شعره فضّة، كما فعلت بأخيه الحسن، فامتثلت عليها السلام ما أمرها به.

خصائصه عليه السلام

اشارة

خصائصه عليه السلام
إنّ حياة الإمام الحسين من ولادته إلى شهادته حافلة بالأحداث،
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۱
والإشـارة- فضـلًا عن الإحاطـة- إلى كـلّ مـا يرجع إليه يحتـاج إلى تأليف مفرد، وقـد أغنانا فى ذلك ما كتبه المؤلّفون والباحثون عن جوانب حيـاته عليه السـلام، حيث تحـدّثوا فى مؤلّفاتهم المختلفـة عن النصوص الواردة من جـدّه وأبيه فى حقّه، وعن علمه ومناظراته، وخطبه وكتبه وقصـار كلمه، وفصـاحته وبلاـغته، ومكـارم أخلاـقه، وكرمه وجوده، وزهـده وعبـادته، ورأفته بالفقراء والمساكين، وعن أصحابه والرواة عنه، والجيل الذى تربّى على يديه. وذلك فى مؤلّفات قيّمة لا تعد ولاتحصى.

كفاحه وجهاده الرسالى

كفاحه وجهاده الرسالى:
غير إنّ للحسـين عليه السلام وراء ذلك، خصّيصة أُخرى وهى كفاحه وجهاده الرسالى والسياسى الذى عُرِفَ به، والذى أصبح مدرسة سياسـية دينيّة، لعلها أصـبحت الطابع المميّز له عليه السلام والصبغة التى اصطبغت حياته الشريفة بها، وأُسوة وقدوة مدى أجيال وقرون، ولم يزل منهجه يؤثّر فى ضـمير الأُمّـة ووعيها، ويحرّك العقول المتفتّحـة، والقلوب المسـتنيرة إلى التحرّك والثورة، ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدّة.
وهـا نحن نقـدّم إليـك نموذجـاً من غرر كلمـاته فى ذلـك المجـال حتّى تقف على كفـاحه وجهاده أمام التيارات الإلحاديّـة والانهيار الخلقى.

إباؤه للضيم ومعاندة الجور

إباؤه للضيم ومعاندة الجور
لمّا توفّى أخوه الحسن فى السـنة الخمسـين من الهجرة أوصـى إليه بالإمامـة فاجتمعت الشـيعة حوله، يرجعون إليه فى حلّهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون فى المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمّة التى لا توافق هوى السلطة
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۲
الأُموية المنحرفة، والتى قد تؤلّف خطراً جدّياً على وجودها غير المشـروع، ولقد كان همّ هذه السلطة هو الإمام الحسين عليه السلام لما

يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن فى الحقّ، ومن هنا فقد كتب مروان بن الحكم- وكان عامل معاوية على المدينة-: إنّ رجالًا من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علىّ وأنّه لا يأمن وثوبه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغنى أنّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده.

ولمّا بلغ الكتاب إلى معاوية كتب رسالة إلى الحسين وهذا نصّها:

أمّا بعد؛ فقد انتهت إلىّ أُمور عنك إن كانت حقّاً فإنّى أرغب بك عنها، ولعمر اللّه إنّ من أعطى اللّه عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء من كان فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك اللّه لها... «۱».

ولمّا وصل الكتاب إلى الحسين بن علىّ، كتب إليه رسالة مفصّلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقتبس منها ما يلى:

«ألست قاتل حجر بن عدىّ أخا كندة وأصحابه المصلّين، العابدين، الّذين ينكرون الظلم، ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون فى اللّه لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على اللّه واستخفافاً بعهده؟

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول اللّه، العبد الصالح الذى أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۳

أولست المدّعى زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فتركت سنّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله تعمّداً وتبعت هواك بغير هدى من اللّه، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويُسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأُمّة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنّهم على دين علىّ- صلوات اللّه عليه- فكتبت إليه: أن اقتل كلّ من كان على دين علىّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علىّ هو دين ابن عمّه صلى الله عليه و آله الذى كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذى أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف» «۱».

هذا هو الحسين، وهذا هو إباؤه للضيم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين فى عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التى ضبطها التاريخ.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۴

الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء

رفضه البيعة ليزيد:

رفضه البيعة ليزيد:

لمّا هلك معاوية فى منتصف رجب سنة ۶۰ هجرية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والى المدينة أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له، فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام فاستدعاه، فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال: «اجلسوا على الباب فإذا سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا علىّ».

وصار عليه السلام إلى الوليد فنعى الوليد إليه معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية، فقال الحسين عليه السلام: «إنّى لا أراك تقنع ببيعتى ليزيد سرّاً حتّى أُبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين عليه

السلام: «فتصبح وترى رأيك فى ذلك» فقال الوليد: انصرف على اسم اللّه تعالى، فقال مروان: واللّه لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: «أنت يا بن الزرقاء تقتلنى أو هو؟ كذبت واللّه وأثمت» ثمّ خرج «۱».

وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه فى طريقه فقال: أبا عبد اللّه إنّى لك ناصح فأطعنى ترشد وتسدّد، فقال:

«وما ذاك قل أسمعْ» فقال: إنّى أرشدك لبيعة يزيد؛ فانّها خير لك فى دينك وفى

دنياك!! فاسترجع الحسين وقال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون وعلى الإسلام السّلام إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد، ثمّ قال: يا مروان أترشدنى لبيعة يزيد!! ويزيد رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول وزللًا، ولا ألومك؛ فإنّك اللعين الذى لعنك رسول اللّه وأنت فى صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول اللّه فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عنّى يا عدوّ اللّه، فإنّا أهل بيت رسول اللّه الحقّ فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدّى رسول اللّه يقول: الخلافة محرّمة على آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول اللّه فلم يفعلوا به ما أُمروا فابتلاهم بابنه يزيد» «۱».

خروجه من مكّة ومكاتبة أهل الكوفة له:

خروجه من مكّة ومكاتبة أهل الكوفة له:

ثمّ إنّ الحسين غادر المدينة إلى مكّة، ولمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا إلى الحسين رسائل وينفذوا رسلًا طالبين منه القدوم إليهم فى الكوفة؛ لأنّ القوم قد بايعوه ونبذوا بيعة الأمويّين، وألحّوا فى ذلك الأمر أيّما إلحاح، مبيّنين للإمام عليه السلام أنّ السبل ميسّرة والظروف مهيّأة لقدومه، حيث كتب له وجهاؤهم من جملة ما كتبوه:

«أمّا بعد؛ فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجنّدة».

ولما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين عليه السلام أرسل ابن عمّه مسلم ابن عقيل- رضوان اللّه عليه- إلى الكوفة ممثّلًا عنه لأخذ البيعة له منهم، وللتحقّق

من جدّية هذا الأمر، ثمّ كتب إليهم: «أمّا بعد؛ فإنّ هانئاً وسعيداً قدما علىَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم علىَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ اللّه أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى، وإنّى باعث إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل، فإن كتب إلىَّ: أنّه قد اجتمع رأى ملَئِكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم، وقرأته فى كتبكم، فإنّى أقدم عليكم وشيكاً إن شاء اللّه، فلعمرى ما الإمام إلّاالحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات اللّه» «۱».

ثمّ خرج الإمام من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله مع أهل بيته وجماعة من أصحابه وشيعته، وكان كتاب من مسلم بن عقيل قد وصل إليه يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة، وذلك قبل أن تنقلب الأُمور على مجاريها بشكل لا تصدّقه العقول، حيث استطاع عبيد اللّه بن زياد بخبثه ودهائه، وإفراطه فى القتل، أن يثبّط همم أهل الكوفة، وأن تنكث بيعة الإمام الحسين عليه السلام، ويقتل سفيره بشكل وحشىّ بشع.

ولمّا أخذ الإمام عليه السلام يقترب من الكوفة استقبله الحرّ بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيد اللّه بن زياد لاستقدامه

وإكراهه على إعطاء البيعة ليزيد، وإرساله قهراً إلى الكوفة، فعند ذلك قام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحرّ بقوله: «أيّها الناس إنّ رسول اللَّه قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّا حرم اللَّه ناكثاً لعهد اللَّه، مخالفاً لسنّة رسول اللَّه، يعمل فى عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على اللَّه أن يدخله مدخله، ألا

وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام اللَّه وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غَيَّر» «١».

الدافع الواقعى للهجرة إلى العراق:

الدافع الواقعى للهجرة إلى العراق:

رغم انّ الدافع الظاهرى لهجرته عليه السلام إلى العراق كانت رسائل أهل الكوفة ورسلهم حتّى أنّ الإمام احتجّ بها عندما واجه الحرّ بن يزيد الرياحى وعمر بن سعد عندما سألاه عن سرّ مجيئه إلى العراق فقال: «كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم» «٢». إلّاأنّ السرّ الحقيقى لهجرته عليه السلام رغم إدراكه الواضح لما سيترتّب عليها من نتائج خطرة ستودى بحياته الشريفة- وهو ما وطّن نفسه عليه السلام عليه- يمكن إدراكه من خلال الاستقراء الشامل لمسيرة حياته، وكيفية تعامله مع مجريات الأحداث.

إنّ الأمر الذى لا مناص من الذهاب إليه هو إدراك الإمام عليه السلام ما ينتجه الإذعان والتسليم لتولّى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين رغم ما عُرف عنه من تهتّك ومجون وانحراف واضح عن أبسط المعايير الإسلامية، وفى هذا مؤشّر خطر على عظم الانحراف الذى أصاب مفهوم الخلافة الإسلامية، وابتعادها الرهيب عن مضمونها الشرعى.

ومن هنا فكان لابدّ من وقفة شجاعة تعيد للأُمّة جانباً من رشدها المضاع وتفكيرها المسلوب. إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أعلنها صراحة بقوله لمّا طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد، حيث قال: «فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأُمّة

براع مثل يزيد» كما عرفت سابقاً.

نعم إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: «صنفان من أُمّتى إذا صلحا صلحت أُمّتى، وإذا فسدا فسدت أُمّتى، قيل: يا رسول اللَّه ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأُمراء» «١»، فإذا كان صلاح الأُمّة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها، فقيادة مثل يزيد لا تزيد الأمر إلّاعيثاً وفساداً.

إنّ القيادة الإسلامية بين التنصيص والشورى، ولم يملك يزيد السلطة لا بتنصيص من اللَّه سبحانه ولا بشورى من الأُمّة، وهذا ما أدركه المسلمون آنذاك حيث كتبوا إلى الحسين عليه السلام رسالة جاء فيها: أمّا بعد فالحمد للَّه الذى قصم عدوّك الجبّار العنيد الذى انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها «٢».

ولم يكن الولد (يزيد) فريداً فى غصب حقّ الأُمّة، بل سبقه والده معاوية إلى ذلك كما هو معروف، وليس بخاف على أحد، وإلى تلك الحقيقة المرّة يشير الإمام علىّ عليه السلام فى كتاب له إلى معاوية، حيث يقول:

«فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأُمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختزن دونك فراراً من الحقّ وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فماذا بعد الحق إلّا الضلال المبين» «٣».

هذا ونظائره المذكورة فى التاريخ ما دفع الحسين إلى الثورة، وتقديم نفسه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۵۹

وأهل بيته قرابين طاهرة من أجل نصرة هذا الدين العظيم، مع علمه بأنّه وفقاً لما تحت يديه من الإمكانات المادّية لن يستطيع أن يواجه دولة كبيرة تمتلك القدرات المادّية الضخمة ما يمكنها من القضاء على أىّ ثورة فتيّة، نعم إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يدرك قطعاً هذه الحقيقة، إلّاأنّه أراد أن يسقى بدمائه الطاهرة المقدّسة شجرة الإسلام الوارفة التى يريد الأُمويّون اقتلاعها من جذورها.

كما أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يكسر حاجز الخوف الذى أصاب الأُمّة فجعلها حائرة متردّدة أمام طغيان الجبابرة وحكّام الجور، وأن تصبح ثورته مدرسة تتعلّم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من أجل المبادئ والعقائد، وكان كلّ ذلك بعد استشهاد الإمام عليه السلام، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

كان المعروف منذ ولادة الإمام الحسين عليه السلام أنّه سيستشهد فى العراق فى أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلك فى عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ووصيّه، لذا كان الناس يترقّبون حدوث تلك الفاجعة، كما أنّ هناك الكثير من القرائن التى تدلّ بوضوح على حتميّة استشهاده عليه السلام، ومن ذلك:

۱- روى غير واحد من المحدّثين عن أنس بن الحارث الذى استشهد فى كربلاء أنّه قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «إنّ ابنى هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره» فخرج أنس بن الحارث فقتل بها مع الحسين عليه السلام «۱».

۲- إنّ أهل الخبرة والسياسة فى عصر الإمام كانوا متّفقين على أنّ الخروج إلى العراق يكون خطراً كبيراً على حياة الإمام عليه السلام وأهل بيته، ولأجل ذلك أخلصوا له النصيحة، وأصرّوا عليه عدم الخروج، ويتمثّل ذلك فى كلام أخيه محمّد بن الحنفيّة، وابن عمّه ابن عبّاس، ونساء بنى عبدالمطّلب، ومع ذلك اعتذر لهم الإمام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۰

وأفصح عن عزمه على الخروج «۱».

۳- لمّا عزم الإمام المسير إلى العراق خطب وقال: «الحمد للَّه وما شاء اللَّه ولا قوّة إلّاباللَّه وصلّى اللَّه على رسوله، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهنى إلى أسلافى، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّر لى مصرع أنا أُلاقيه، كأنّى بأوصالى تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء فيملأن منّى أكراشاً جُوَّفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم. رضى اللَّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لحمته، بل هى مجموعة له فى حظيرة القدس تَقَرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلًا مهجته، موطّناً على لقاء اللَّه نفسه فليرحل معنا؛ فإنّى راحل مصبحاً إن شاء اللَّه تعالى» «۲».

۴- لمّا بلغ عبد اللَّه بن عمر ما عزم عليه الحسين عليه السلام دخل عليه فلامه فى المسير، ولما رآه مصرّاً عليه قبّل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك اللَّه من قتيل «۳».

۵- لمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلى أين يا بن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ ما أعجلك عن الموسم؟ قال: «لو لم أعجل لأُخذْتُ، ثمّ قال له:

أخبرنى عن الناس خلفك» فقال: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيافهم عليك «۴».

۶- لما أتى إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبد اللَّه بن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۱

يقطر، قال لأصحابه: «لقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج ليس عليه ذمام» فتفرّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالًا، حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه. ومع ذلك فقد واصل عليه السلام مسيره

نحو الكوفة، ولما مرّ ببطن العقبة لقيه شيخ من بنى عكرمة يقال له: عمر بن لوذان، فسأل الإمام: أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام: «الكوفة» فقال الشيخ: أُنشدك لمّا انصرفت، فواللّه ما تقدِمُ إلّاعلى الأسنّة وحدّ السيوف، فقال له الحسين: «ليس يخفى علىّ الرأى، وأنّ اللّه تعالى لا يُغلب على أمره» «۱».

فى نفس النصّ دلالة على أنّ الإمام كان يدرك ما كان يتخوّفه غيره، و أنّ مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل، ومع ذلك أكمل السير طلباً للشهادة من أجل نصرة الدين وردّ كيد أعدائه، وحتى لا تبقى لأحد حجة يتذرّع بها لتبرير تخاذله وضعفه.

نعم لقد كان الحسين عليه السلام على بيّنة من أمره وما سيؤول إليه سفره من مصير محتوم، فلا شىء يقف أمام إرادته من أجل إعلاء كلمة الدين وتثبيت دعائمه التى أراد الأُمويّون تقويضها، انظر إليه وهو يخاطب الحرّ بن يزيد الرياحى الذى يحذّره من مغبّة إصراره على موقفه حيث يقول له: «أفبالموت تخوّفنى، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول اللّه فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتول، فقال:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أندَم وإن مِتُّ لم أُلَمْ كفى بك ذلّاً أن تعيش وترغما» «۲» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۲

ثمّ إنّه كان لشهادة الحسين عليه السلام أثر كبير فى إيقاظ شعور الأُمّة وتشجيعها على الثورة ضدّ الحكومة الأُموية التى أصبحت رمزاً للفساد والانحراف عن الدين، ولأجل ذلك توالت الثورات بعد شهادته من قبل المسلمين فى العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقّق هدفها فى وقتها، ولكن كان لها الدور الأساسى فى سقوط الحكومة الأُمويّة بعد زمان.

ولقد أجاد من قال: لولا نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه- رضى اللّه عنهم- يوم الطفّ لما قام للإسلام عمود، ولا اخضرّ له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدفنوه فى أوّل عهده فى لحده. فالمسلمون جميعاً بل الإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين عليه السلام وأصحابه- رضى اللّه عنهم- «۱».

بلى، فلا مغالاة فى قول من قال: إنّ الإسلام محمّدىّ الحدوث حسينىّ البقاء والخلود.

ترى أنّى للإمام الحسين عليه السلام الإذعان لحقيقة تسلّم يزيد مقاليد خلافة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، يزيد المنحرف الفاسد، عدوّ اللّه وعدوّ رسوله، الذى لم يستطع إخفاء دفائنه عندما أُحضر رأس سيد الشهداء بين يديه حيث أنشد:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسلْ

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشلّ

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا قتل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل «۲» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۳

وأمّا بيان خروجه من مكة متوجّهاً إلى العراق والحوادث التى عرضت له فى مسيره إلى أن نزل بأرض كربلاء، والتى استشهد فيها مع أولاده وأصحابه البالغ عددهم ۷۲ شخصاً، ظمآنَ وعطشانَ، فهو خارج عن موضوع البحث. وقد أُلّفت فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات.

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

لقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ۶۱ من الهجرة، وقيل يوم السبت، وكان قد أدرك من حياة النبىّ الأكرم صلى الله

علیه و آله خمس أو ستّ سنوات، وعاش مع أبیه ۳۶ سنة، ومع أخیه ۴۶ سنة.

فسلام اللَّه علیه یوم ولد، ویوم استشهد ویوم یبعث حیّاً.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۶۴

الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام

الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام

اشارة

الإمام الرابع: علیّ بن الحسین بن علیّ زین العابدین علیه السلام

هو رابع أئمّة أهل البیت الطاهر، المشهور بزین العابدین أو سیّدهم، والسجّاد، وذی الثفنات.

ولادته و جوانب من سیرته علیه السلام

اشارة

ولادته و جوانب من سیرته علیه السلام

ولد فی المدینة سنة ۳۸ أو ۳۷ ه.

قال ابن خلّکان: هو أحد الأئمّة الاثنی عشر ومن سادات التابعین. قال الزهری: ما رأیت قرشیّاً أفضل منه. وفضائله ومناقبه أکثر من أن تحصی وتذکر، ولمّا توفّی دفن فی البقیع فی جنب عمّه الحسن فی القبّة التی فیها قبر العباس- رضی اللَّه عنه- «۱».

ولقد تولّی الإمامة بعد استشهاد أبیه الحسین علیه السلام فی کربلاء، وللاطّلاع علی النصوص الواردة فی إمامته ینبغی الرجوع إلی کتب الحدیث والعقائد المتکفّلة بهذا

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۶۵

الجانب المهم، وأخصّ منها بالذکر کتاب «الکافی» للکلینی، و «الإرشاد» للشیخ المفید، و «کفایة الأثر» للخزّاز، و «إثبات الهداة» للحرّ العاملی.

ومن أراد الاطّلاع علی مناقبه وکراماته وفضائله فی مجالات شتّی کالعلم، والحلم، والجرأة والإقدام، وثبات الجنان، وشدة الکرم والسخاء، والورع، والزهد، والتقوی، وکثرة التهجّد والتنفّل، والفصاحة والبلاغة، وشدّة هیبته بین الناس ومحبّتهم له، وتربیته لجیل عظیم من الصحابة والعلماء وقّفوا حیاتهم فی خدمة الإسلام، وغیر ذلک ممّا لا یسعنا التعرّض لها هنا، فعلیه یطلب ذلک فی الموسوعات المتعدّدة التی تعرّضت لذلک بالشرح والتفصیل.

إلّا أنّا نکتفی هنا بجانب من سیرته علیه السلام تتعلّق بجملة محدّدة من الأُمور:

۱- هیبته ومنزلته العظیمة:

۱- هیبته ومنزلته العظیمة:

لقد کان علیه السلام مهاباً جلیلًا بین الناس بشکل کبیر، حتّی أنّ هذه المنزلة العظیمة جعلت الأُمراء والحکّام یحسدونه علیها، والتاریخ

يذكر لنا على ذلك شواهد كثيرة ومتعدّدة، ومن ذلك:

لمّا حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك، وجاء علىّ بن الحسين عليهما السلام فتوقّف له الناس، وتنحّوا حتّى استلم، فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه (مع أنّه كان يعرفه أنّه علىّ بن الحسين عليه السلام) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنّى أعرفه، هذا علىّ بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته التى منها هذه الأبيات:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم هذا التقى النقى الطاهر العلمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۶

يُغضى حياء ويُغضى من مهابته فما يكلّم إلّاحين يبتسمُ

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء اللّه قد خُتموا

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجمُ إلى آخر القصيدة التى حفظتها الأُمّة وشطّرها جماعة من الشعراء.

وقدثقل ذلك على هشام فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكّة والمدينة، فقال معترضاً على عمل هشام:

أيحبسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها فأخرجه من الحبس فوجّه إليه على بن الحسين عليهما السلام عشرة آلاف درهم وقال: «اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به» فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلّا للّه، فقال له على عليه السلام: «قد رأى اللّه مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه» وأقسم عليه فقبلها.

۲- زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

۲- زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من اللّه فغنى عن البيان. فقد روى عنه عليه السلام أنّه إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقال: ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء؟

قال: «أتدرون بين يَدى من أُريد أن أقف».

من كلماته عليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا اللّه رياضة؛ فتلك عبادة العبيد، وأنّ قوماً عبدوه رغبة؛ فتلك عبادة التجّار، وأنّ قوماً عبدوه شكراً؛ فتلك عبادة الأحرار».

وكان إذا أتاه سائل يقول له: «مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۶۷

كان عليه السلام كثير الصدقات حريصاً عليها، و كان يوصل صدقاته ليلًا دون أن يعلم به أحد، وقد روى أنّه عليه السلام كان يعول مائة عائلة من أهالى المدينة لا يدرون من يأتيهم بالصدقات، ولما توفّى عليه السلام أدركوا ذلك.

وفى رواية: أنّه عليه السلام كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: «صدقة السر تطفئ غضب الربّ».

وفى رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتّى مات علىّ بن الحسين عليه السلام «۱».

وقال رجل لسعيد بن المسيّب: ما رأيت رجلًا أورع من فلان- وسمّى رجلًا- فقال له سعيد: أما رأيت علىّ بن الحسين؟ فقال: لا، فقال:

ما رأيت أورع منه.

قال أبو حازم: ما رأيت هاشمياً أفضل من عليّ بن الحسين.

قال طاووس: رأيت عليّ بن الحسين عليهما السلام ساجداً في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيّب لأسمعنّ ما يقول، فأصغيت إليه فسمعته يقول: «عُبيدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك» قال طاووس: فواللَّه ما دعوت بهنّ في كرب إلّاكشف عنّي.

وكان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشيّاً عليه، وكانت الريح تميله كالسنبلة، وكان يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال لهم علي عليه السلام: «مهلًا كفّوا» ثمّ أقبل على ذلك الرجل فقال له: «ما سُترَ عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟» فاستحيى الرجل فألقى إليه عليه السلام خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسل «٢».

ثروته عليه السلام العلمية

اشارة

ثروته عليه السلام العلمية

أمّا الثروة العلمية والعرفانية، فهي أدعيته التي رواها المحدّثون بأسانيدهم المتضافرة، والتي جمعت بما سمّي بالصحيفة السجّادية المنتشرة في العالم، فهي زبور آل محمد، ومن الخسارة الفادحة أنّ إخواننا أهل السنّة- إلّا النادر القليل منهم- غير واقفين على هذا الأثر القيّم الخالد.

نعم، إنَّ فصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، وعلوّ مضامينها، وما فيها من أنواع التذلّل للَّه تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه، أقوى شاهد على صحّة نسبتها إليه، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة، إلى زين العابدين «١».

وقد أرسل أحد الأعلام نسخة من الصحيفة مع رسالة إلى العلّامة الشيخ الجوهري الطنطاوي (المتوفّى عام ١٣٥٨ ه) صاحب التفسير المعروف، فكتب في جواب رسالته: «ومن الشقاء أنّا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيّم الخالد في مواريث النبوّة وأهل البيت، وإنّي كلّما تأمّلتها رأيتها فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق» «٢».

وكان المعروف بين الشيعة هو الصحيفة الأُولى التي تتضمّن واحداً وستّين دعاء في فنون الخير وأنواع السؤال من اللَّه سبحانه، والتي تعلّم الإنسان كيف يلجأ إلى

ربّه في الشدائد والمهمّات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتذلّل ويتضرّع له، وكيف يحمده ويشكره. غير أنّ لفيفاً من العلماء استدركوا عليها فجمعوا من شوارد أدعيته صحائف خمسة كان آخرها ما جمعه العلّامة السيد محسن الأمين العاملي قدس سره.

ولقد قام العلّامة الحجة السيّد محمد باقر الأبطحي- دام ظلّه- بجمع جميع أدعية الإمام الموجودة في هذه الصحف في جامع واحد، وقال في مقدّمته:

وحريّ بنا القول إنّ أدعيته عليه السلام كانت ذات وجهين: وجهاً عبادياً، وآخر اجتماعياً يتّسق مع مسار الحركة الإصلاحية التى قادها الإمام عليه السلام فى ذلك الظرف الصعب. فاستطاع بقدرته الفائقة المسدّدة أن يمنح أدعيته- إلى جانب روحها التعبّدية- محتوىً اجتماعياً متعدّد الجوانب، بما حملته من مفاهيم خصبة، وأفكار نابضة بالحياة، فهو عليه السلام صاحب مدرسة إلهيّة، تارة يعلّم المؤمن كيف يمجّد اللّه ويقدّسه، وكيف يلج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع إليه، وأُخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه أُسلوب البرّ بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد، والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم فى سلوكه الاجتماعى، كلّ ذلك بأُسلوب تعليميّ رائع وبليغ.

وصفوة القول: إنّها كانت أُسلوباً مبتكراً فى إيصال الفكر الإسلامى والمفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى القلوب الظمأى، والأفئدة التى تهوى إليها لترتزق من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحقّ عملية تربوية نموذجية من الطراز الأوّل، أسّس بناءها الإمام السجاد عليه السلام مستلهماً جوانبها من سير الأنبياء وسنن المرسلين «١».

ومن أدعيته عليه السلام فى هذه الصحيفة دعاؤه فى يوم عرفة، ومنه:

«اللّهمَّ هذا يوم عرفةَ، يومٌ شرَّفتهُ وكرَّمتهُ وعظَّمتهُ، نَشَرتَ فيهِ رحمتَيكَ، وَمَننتَ فيهِ بعفوك، وأجزلتَ فيهِ عطيتكَ، وتفضَّلتَ بهِ على عبادِك.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٧٠

اللّهمَّ وأنا عبدك الذى أنعمتَ عليهِ قَبلَ خَلقِكَ لهُ، وبعدَ خَلقِكَ إيّاهُ، فَجَعَلتَهُ مِمَّن هَديتَهُ لدينِكَ، وَوفَّقتَهُ لَحقّك، وعصمتَهُ بِحَبلِكَ، وأدْخَلتَهُ فى حِزبِكَ، وأَرْشَدتَهُ لموالاةِ أوليائِكَ ومعاداةِ أعدائِكَ».

رسالة الحقوق

رسالة الحقوق:

إنّ للإمام عليّ بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، أوردها الصدوق فى خصاله «١» بسند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة فى تحف العقول «٢» مرسلة، وبين النقلين اختلاف يسير.

وهى من جلائل الرسائل فى أنواع الحقوق، يذكر الإمام فيها حقوق اللّه سبحانه على الإنسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحجّ والصدقة والهدى... التى تبلغ خمسين حقّاً، آخرها حقّ الذمّة.

كما روى الحفّاظ وتلاميذ مدرسته أحاديث وحكماً مختلفة جليلة حوَتها بطون الكتب المختلفة، جمع الكثير منها العلّامة المجلسى فى موسوعته الموسومة ببحار الأنوار من مختلف المصادر، فراجع.

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

توفّى بالمدينة عام ٩۵ أو ٩۴ ه، يوم السبت الثانى عشر من محرّم. وقيل الخامس والعشرين منه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٧١

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علیّ الباقر علیه السلام

اشارة

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علیّ الباقر علیه السلام

هو خامس أئمّة أهل البیت الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجیره له. قال ابن منظور فی لسان العرب: لقّب به؛ لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فیه «۱».

أقوال العلماء فیه علیه السلام

أقوال العلماء فیه علیه السلام

وقال ابن حجر: سمّی بذلک لأنّه من بقر الأرض؛ أی شقّها، وإثارة مخبّآتها، ومکامنها، فکذلک هو أظهر من مخبّآتها کنوز المعارف وحقائق الأحکام، والحکم واللطائف ما لا یخفی إلّاعلی منطمس البصیرة أو فاسد الطویّة والسریرة، ومن ثمّ قیل فیه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه «۲».

وقال ابن کثیر: أبو جعفر محمّد بن علیّ بن الحسین بن علیّ بن أبی طالب،

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۷۲

وسمّی بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحکم، کان ذاکراً خاشعاً صابراً، وکان من سلالة النبوّة، رفیع النسب، عالی الحسب، وکان عارفاً بالخطرات، کثیر البکاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات «۱».

وقال ابن خلّکان: أبو جعفر محمّد بن زین العابدین، الملقّب بالباقر، أحد الأئمّة الاثنی عشر فی اعتقاد الإمامیّة، وهو والد جعفر الصادق. کان الباقر عالماً سیّداً کبیراً، وإنّما قیل له الباقر؛ لأنّه تَبقَّر فی العلم؛ أی توسّع، وفیه یقول الشاعر:

یا باقر العلم لأهل التُّقی وخیر من لبّی علی الأجبُلِ «۲»

ولد بالمدینة غرّة رجب سنة ۵۷ ه وقیل ۵۶ ه، وتوفّی فی السابع من ذی الحجّة سنة ۱۱۴ ه، وعمره الشریف ۵۷ سنة. عاش مع جدّه الحسین علیه السلام ۴ سنین، ومع أبیه علیه السلام بعد جدّه علیه السلام ۳۹ سنة، وکانت مدة إمامته علیه السلام ۱۸ سنة «۳».

وأمّا النصوص الدالّة علی إمامته من أبیه وأجداده والتی ذکرها المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الأعلام فهی مستفیضة نقلها الکلینی- رضی اللَّه عنه- وغیره.

وقال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعین من المدینة، کان عالماً عابداً ثقة، وروی عنه الأئمّة أبو حنیفة وغیره.

قال أبو یوسف: قلت لأبی حنیفة: لقیت محمّد بن علی الباقر؟ فقال: نعم وسألته یوماً فقلت له: أراد اللَّه المعاصی؟ فقال: «أفیعصی قهراً»؟ قال أبو حنیفة:

فما رأیت جواباً أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأیت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبی جعفر، لقد

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۱۷۳

رأیت الحکم عنده کأنّه مغلوب، ویعنی الحکم بن عیینة، وکان عالماً نبیلًا جلیلًا فی زمانه.

وذکر المدائنی عن جابر بن عبد اللَّه: أنّه أتی أبا جعفر محمّد بن علی إلی الکتّاب وهو صغیر فقال له: رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یسلّم علیک، فقیل لجابر: وکیف هذا؟ فقال:

كنت جالساً عنـد رسول اللَّه والحسـين فى حجره وهو يداعبه فقال: «يا جابر يولد مولود اسـمه علىّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد، اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام».

وذكر ابن الصبّاغ المالكى بعـد نقل القصّـة: أنّ النبىّ صـلى الله عليه و آله قال لجابر: «وإن لاقيته فاعلم أنّ بقاءك فى الـدنيا قليل» فلم يعش جابر بعد ذلك إلّاثلاثة أيّام. ثمّ قال:

هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام، وفضيلة شهد له بها الخاصّ والعام «١».

وقـال المفيـد: لم يظهر عن أحـد من ولـد الحسن والحسـين عليهما السـلام فى علم الـدين والآثار والسـنّة وعلم القرآن والسـيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبى جعفر الباقر عليه السلام «٢».

وروى عنه معالم الـدين بقيّة الصـحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسـلمين، وسارت بذكر كلامه الأخبار وأُنشدت فى مدائحه الأشـعار... «٣».

قـال ابـن حجر: صـفا قلبـه، وزكـا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشـرف خلقه، وعمرت أوقـاته بطاعـة اللَّه، وله من الرسـوم فى مقامـات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۴

مناظراته

مناظراته

وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنها ولا حرج، وقد جمعها العلّامة الطبرسى فى كتاب الاحتجاج «١».

قـال الشيـخ المفيـد فى الإرشـاد: وجاءت الأخبار: أنّ نافع بن الأزرق «٢» جـاء إلى محمّـد بن علىّ، فجلس بين يـديه يسـأله عن مسائل الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر فى عرض كلامه: «قل لهذه المارقة، بم اسـتحللتم فراق أمير المؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه فى طاعته والقربة إلى اللَّه بنصـرته؟ فسيقولون لك: إنّه حكَّم فى دين اللَّه، فقل لهم: قد حكَّم اللَّه تعالى فى شريعة نبيّه صلى الله عليه و آله رجلين من خلقه فقال: فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يُريدا إصـلاحاً يوفّق اللَّه بينهما، وحكَّم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سـعد بن معـاذ فى بنى قريظـة فحكم فيهم بما أمضاه اللَّه، أوما علمتم أنَّ أمير المؤمنين إنَّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه، واشترط ردّ ما خالف القرآن فى أحكام الرجال، وقال حين قالوا له:

حكّمت على نفسـك من حكم عليك؟ فقال: ما حكّمت مخلوقاً وإنّما حكّمت كتاب اللَّه. فأين تجـد المارقـة تضـليل من أمر بالحكم بـالقرآن، واشترط ردّ مـا خـالفه لولا ارتكابهم فى بـدعتهم البهتان»؟ فقال نافع بن الأزرق: هـذا واللَّه كلام ما مرّ بسـمعى قط، ولا خطر منّى ببال، وهو الحقّ إن شاء اللَّه.

ثمّ إنّ الشيعة الإمامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه وعن ولده البارّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۵

جعفر الصادق عليه السـلام وحسب الترتيب المتـداول فى الكتب الفقهيّـة، حيث روى عنه عليه السـلام الكثير من الروايات الفقهيّة التى تناولت مختلف جوانب الحياة، وللاطلاع على ذلك تراجع كتب الفقه وموسوعاته المختلفة.

وأمّا ما روى عنه فى الحِكَم والمواعظ، فقد نقلها أبو نعيم الأصفهانى فى حلية الأولياء، والحسن بن شعبة الحرّانى فى تحفه «١».

وقد توفّى الإمام محمّد الباقر عليه السـلام عام ۱۱۴ ه، ودفن فى البقيع إلى جنب قـبر أبيه، ومن أراد البحث عن فصول حيـاته فى شـتّى المجالات فليراجع الموسوعات التى تحفل بها المكتبات العامّة والخاصّة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۶

الإمام السادس: أبو عبداللَّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

الإمام السادس: أبو عبداللَّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

اشارة

الإمام السادس: أبو عبداللَّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

هو الإمام السادس من أئمّة أهل البيت الطاهر- رضى اللَّه عنهم أجمعين- ولقّب بالصادق لصدقه فى مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر.

ولادته وخصائصه عليه السلام

ولادته وخصائصه عليه السلام

ولد عام ۸۰ ه، وتوفّى عام ۱۴۸ ه، ودفن فى البقيع جنب قبر أبيه محمّد الباقر وجدّه علىّ زين العابدين وعم جدّه الحسن بن علىّ- رضى اللَّه عنهم أجمعين- فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه! «۱».

قال محمّد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتبع معانى القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسِّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۷

الدنيا، والاقتداء بهداه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذرّيّة الرسالة. نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصارى، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثورى، وابن عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة، وأبو أيّوب السجستانى «۱» وغيرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها، وفضيلة اكتسبوها «۲».

ذكر أبو القاسم البغّاء فى مسند أبى حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمّد، لمّا أقدمه المنصور بعث إلىّ فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ لى من مسائلك الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إلىّ أبوجعفر وهو بالحيرة فأتيته، فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت به، دخلنى من الهيبة لجعفر ما لم يدخلنى لأبى جعفر، فسلمت عليه، فأومأ إلىّ فجلست، ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبد اللَّه هذا أبو حنيفة. قال: نعم أعرفه، ثمّ التفت إلىّ فقال: يا أبا حنيفة ألقِ على أبى عبداللَّه من مسائلك، فجعلت أُلقى عليه فيجيبنى فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعنا وربّما تابعهم، وربّما خالفنا جميعاً حتّى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشىء. ثمّ قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس «۳».

عن مالك بن أنس: جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّاعلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۸

إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلّ، وإمّا صائم، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأت عين، ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً «۱».

وعن عمرو بن بحر الجاحظ (مع عدائه لأهل البيت): جعفر بن محمّد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه، ويقال: إنّ أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثورى، وحسبك بهما فى هذا الباب «۲».

مناقبه عليه السلام

مناقبه عليه السلام

وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدّ الحاصر، ويَحار فى أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التى لا تدرك عللها، والعلوم التى تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه «۳».

وقال ابن الصبّاغ المالكى: كان جعفر الصادق عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه، ووصيّه، والقائم بالإمامة من بعده، برز على جماعة بالفضل، وكان أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره فى البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث.

إنّك إذا تتبعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلّها تعرب عن اتّفاق الأُمّة على إمامته فى العلم والقيادة الروحيّة، وإن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۷۹

اختلفوا فى كونه إماماً منصوصاً من قبل اللّه عزّ وجلّ، فذهبت الشيعة إلى الثانى نظراً إلى النصوص المتواترة المذكورة فى مظانّها «۱».

حياته العلميّة عليه السلام

حياته العلميّة عليه السلام

ولقد امتدّ عصر الإمام الصادق عليه السلام من آخر خلافة عبد الملك بن مروان إلى وسط خلافة المنصور الدوانيقى، أى من سنة ۸۳ ه إلى سنة ۱۴۸ ه. فقد أدرك طرفاً كبيراً من العصر الأُموى، وعاصر كثيراً من ملوكهم، وشاهد من حكمهم أعنف أشكاله، وقضى سنوات عمره الأُولى حتّى الحادية عشرة من عمره مع جدّه زين العابدين، وحتّى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ فى ظلّهما يتغذّى من تعاليمهما وتنمو مواهبه وتربّى تربيته الدينية، وتخرّج من تلك المدرسة الجامعة فاختصّ بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ۱۱۴ ه، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلميّة فى المدينة ومكّة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وقد اتّسم العصر المذكور الذى عاشه الإمام بظهور الحركات الفكريّة، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامى، وأهمها عنده هى حركة الغلاة الهدّامة، الذين تطلّعت رؤوسهم فى تلك العاصفة الهوجاء إلى بثّ روح التفرقة بين المسلمين، وترعرت بنات أفكارهم فى ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التى قضى عليها الإسلام، فقد اغتنموا الفرصة فى بثّ تلك الآراء الفاسدة فى المجتمع الإسلامى، فكانوا يبثّون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليغروا بها العامّة، فكان المغيرة بن سعيد يدّعى الاتصال بأبى جعفر الباقر ويروى عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق عليه السلام كذبه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۰

والبراءة منه، وأعطى لأصحابه قاعدة فى الأحاديث التى تروى عنه، فقال:

«لا تقبلوا علينا حديثاً إلّاما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة».

ثمّ إنّ الإمام قام بهداية الأُمّة إلى النهج الصواب فى عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأُمويين ومعارضيهم من العباسيين، ففى تلك الظروف الصعبة والقاسية استغلّ الإمام الفرصة فنشر من أحاديث جدّه، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان، وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء.

ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات- على اختلاف آرائهم ومقالاتهم- فكانوا أربعة آلاف رجل «۱». وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمّة- عليه و عليهم السلام-.

إنّ الإمام عليه السلام شرع بالرواية عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبىّ صلى الله عليه و آله بعد الغفلة التى استمرّت إلى عام ۱۴۳ ه «۲» حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسرّبت إلى السنّة، العديد من الروايات الاسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين والمجوس، بالإضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الأُموى.

ومن هنا فقد وجد الإمام عليه السلام أنّ أمر السنّة النبويّة قد بدأ يأخذ اتّجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد عليه السلام للتصدّى لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام والتى تسرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكرى والعقائدى بين المسلمين وغيرهم.

إنّ تلك الفترة كوّنت تحدّياً خطيراً لوجود السنّة النبويّة، وخلطاً فاضحاً فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۱

كثير من المعتقدات، لذا فإنّ الإمام عليه السلام كان بحقّ سفينة النجاة من هذا المعترك العسر.

إنّ علوم أهل البيت عليهم السلام متوارثة عن جدّهم المصطفى محمّد صلى الله عليه و آله، الذى أخذها عن اللَّه تعالى بواسطة الأمين جبرئيل عليه السلام، فلا غرو أن تجد الأُمّة ضالّتها فيهم عليهم السلام، وتجد مرفأ الأمان فى هذه اللجج العظيمة، ففى ذلك الوقت حيث أخذ كلّ يحدّث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة، أو أسانيد مشوّشة، تجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث علىّ بن أبى طالب، وحديث علىّ حديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وحديث رسول اللَّه قول اللَّه عزّ وجلّ».

بيد أنّ ما يثير العجب أن تجد من يعرض عن دوحة النبوّة إلى رجال قد كانوا وبالًا على الإسلام وأهله، وتلك وصمة عار وتقصير لا عذر فيه خصوصاً فى صحيح البخارى.

فالإمام البخارى مثلًا يروى ويحتج بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطّان وحريز بن عثمان الرحبى وغيرهم، ويعرض عن الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام!!

أمّا الأوّل: فهو الوزغ بن الوزغ، اللعين بن اللعين على لسان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأمّا الثانى: فهو الخارجى المعروف الذى أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث: فكان ينتقص عليّاً وينال منه، ولست أدرى لمَ هذا الأمر؟ إنّه مجرد تساؤل.

إنّ للإمام الصادق وراء ما نشر عنه من الأحاديث فى الأحكام التى تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدين فى عصره، والمتقشّفين من الصوفيّة، ضبط المحقّقون كثيراً منها، وهى فى حد ذاتها ثروة علميّة تركها الإمام عليه السلام، وأمّا الرواية عنه فى الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۲

حتّى أنّ الحسن بن علىّ الوشّاء قال: أدركت فى هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كلّ يقول حدّثنى جعفر بن محمّد «۱».

وأمّا ما أُثر عنه من المعارف والعقائد فحدّث عنها ولا حرج، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن أراد فليرجع إلى مظانّها «۲».

يقول «سيد أمير على» بعد النقاش حول الفرق المذهبيّة والفلسفيّة فى عصر الإمام:

«ولم تتخذ الآراء الدينيّة اتّجاهاً فلسفياً إلّاعند الفاطميّين، ذلك أنّ انتشار العلم فى ذلك الحين أطلق روح البحث والاستقصاء، وأصبحت المناقشات الفلسفية عامّة فى كلّ مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر أنّ زعامة تلك الحركة الفكريّة إنّما وجدت فى تلك المدرسة التى ازدهرت فى المدينة، والتى أسّسها حفيد علىّ بن أبى طالب المسمّى بالإمام جعفر والملقّب بالصادق، وكان رجلًا بحّاثة ومفكّراً كبيراً جيد الإلمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أوّل من أسّس المدارس الفلسفيّة الرئيسيّة فى الإسلام.

ولم يكن يحضر محاضراته أُولئك الذين أسّسوا فيما بعد المذاهب الفقهيّة فحسب «۳» بل كان يحضرها الفلاسفة وطلّاب الفلسفة من

الأنحاء القصيّة، وكان الإمام «الحسن البصرى» مؤسس المدرسة الفلسفيّة فى مدينة البصرة، وواصل بن عطاء مؤسّس مذهب المعتزلة من تلاميذه، الذين نهلوا من معين علمه الفيّاض وقد عرف واصل والإمام العلوى بدعوتهما إلى حرية إرادة الانسان... «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٨٣

وأمّا حِكَمه وقصار كلمه، فلاحظ تحف العقول، وأمّا رسائله فكثيرة منها رسالته إلى النجاشى والى الأهواز، ومنها: رسالته فى شرائع الدين نقلها الصدوق فى الخصال، ومنها: ما أملاه فى التوحيد للمفضّل بن عمر، إلى غير ذلك من الرسائل التى رسمها بخطّه «١».

نتف من أقواله

نتف من أقواله

ونقتطف من وصاياه وكلماته الغزيرة وصية واحدة وهى وصيته لسفيان الثورى:

«الوقوف عند كلّ شبهة خير من الاقتحام فى الهلكة، وترك حديث لم تُرْوَه «٢»، أفضل من روايتك حديثاً لم تحصِه».

«إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب اللَّه فخذوه وما خالفه فدعوه» «٣».

من أقوال العلماء المحدِّثين فيه عليه السلام

من أقوال العلماء المحدِّثين فيه عليه السلام

ونختم هذا البحث بما قاله أبو زهرة فى هذا المجال:

إنّ للإمام الصادق فضل السبق، وله على الأكابر فضل خاصّ، فقد كان أبو حنيفة يروى عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه دارساً راوياً، وكان له فضل الأُستاذية على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٨۴

أبى حنيفة فحسبه ذلك فضلًا.

وهو فوق هذا حفيد علىّ زين العابدين الذى كان سيّد أهل المدينة فى عصره فضلًا وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهرى، وكثير من التابعين، وهو ابن محمّد الباقر الذى بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو ممّن جعل اللَّه له الشرف الذاتى والشرف الإضافى بكريم النسب، والقرابة الهاشمية، والعترة المحمّديّة «١».

وبما كتبه الأُستاذ أسد حيدر إذ قال:

كان يؤمّ مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية، لرفع الرقابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط، والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها، ومن كلّ قبيلة من بنى أسدّ، ومخارق، وطى، وسليم، وغطفان، وغفار، والأزد، وخزاعة، وخثعم، ومخزوم، وبنى ضبة، ومن قريش، ولا سيّما بنى الحارث بن عبد المطلب، وبنى الحسن بن الحسن بن علىّ «٢».

وفاته

وفاته

ولمّا توفّى الإمام شيّعه عامّة الناس فى المدينة، وحُمِل إلى البقيع، ودفن فى جوار أبيه وجدّه عليهما السلام، وقد أنشد فيه أبو هريرة العجلى قوله:

أقول وقد راحوا به يحملونه على كاهل من حامليه وعاتقِ

أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهقِ
غداة حثا، الحاثون فوق ضريحه تراباً وأولى كان فوق المفارقِ فسلام اللّه عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۵
الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام
ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد في ۷ صفر سنة ۱۲۸ ه.

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام
كان عليه السلام نموذج عصره، وفريد دهره، جليل القدر، عظيم المنزلة، مهيب الطلعة، كثير التعبّد، يطوى ليله قائماً ونهاره صائماً، عظيم الحلم، شديد التجاوز، حتّى سمّى لذلك كاظماً، لاقى من المحن ما تنهدّ لهولها الجبال فلم تحرّك منه طرفاً، بل كان عليه السلام صابراً محتسباً كحال آبائه وأجداده عليهم السلام.
يُعرَف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.
قال ابن الصباغ: روى عبد الأعلى عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبى عبداللّه جعفر الصادق عليه السلام: خذ بيدى من النار، من لنا بعدك؟ فدخل موسى
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۶
الكاظم وهو يومئذ غلام، فقال (أى الصادق عليه السلام): «هذا صاحبكم فتمسّك به» «۱».
قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد أبيه، والمقدّم على جميع بنيه؛ لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلىّ الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولىّ عهده والإمام القائم من بعده «۲».
وقد تولّى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق عليه السلام فى وقت شهدت فيه الدولة العبّاسية استقرار أركانها وثبات بنيانها، فتنكّرت للشعار الذى كانت تنادى به من الدعوة لآل محمد- عليه و عليهم السلام- فالتفتت إلى الوارث الشرعى لشجرة النبوّة مشهرة سيف العداء له ولشيعته تلافياً من تعاظم نفوذه أن يؤتى على أركان دولتهم وينقضها، فشهد الإمام الكاظم عليه السلام طيلة سنىّ حياته صنوف التضييق والمزاحمة، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه عليه السلام من أن يؤدّى رسالته فى حماية الدين وقيادة الأُمّة، فعرفه المسلمون آية من آيات العلم والشجاعة، ومعيناً لا ينضب من الحلم والكرم والسخاء، ونموذجاً عظيماً لا يدانى فى التعبّد والزهد والخوف من اللّه تعالى.

جوانب من سيرته العطرة عليه السلام

جوانب من سيرته العطرة عليه السلام

ولقد أفرد الباحثون والمحقّقون مصنّفات كثيرة فى سيرة هذا الإمام العظيم، كفتنا عن التعرّض لها هنا فى هذه العجالة، إلّا أنّنا سنحاول فى هذه الصفحات التعرّض لجوانب مختارة من تلك السيرة العطرة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۷

۱- روى الخطيب فى تاريخ بغداد بسنده قال: حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبىّ صلى الله عليه و آله زائراً، وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر، فلمّا انتهى إلى القبر قال:

السلام عليك يا رسول اللّه يا بن عمّى- افتخاراً على من حوله- فدنا موسى بن جعفر فقال: «السلام عليك يا أبة» فتغيّر وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا أباالحسن حقّاً! «۱».

۲- ذكر الزمخشرى فى ربيع الأبرار: أنّ هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا أبا الحسن خذ فدكاً «۲» حتّى أردّها عليك، فيأبى، حتى ألحّ عليه فقال: «لا آخذها إلّا بحدودها» قال: وما حدودها؟ قال: «يا أمير المؤمنين إن حددتها لم تردّها»، قال: بحقّ جدّك إلّافعلت، قال: «أمّا الحدّ الأوّل فعدن» فتغيّر وجه الرشيد وقال:

هيه، قال: «والحدّ الثانى سمرقند» فأربد وجهه، قال: «والحدّ الثالث إفريقية» فاسودّ وجهه وقال: هيه، قال: «والرابع سيف البحر ممّا يلى الخزر وإرمينية»، قال الرشيد: فلم يبق لنا شىء، فتحوّل فى مجلسى، قال موسى عليه السلام: «قد أعلمتك أنّى إن حددتها لم تردّها». فعند ذلك عزم على قتله «۳».

۳- كان يصلّى نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثمّ يعقّب حتّى تطلع الشمس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۸

ويخرّ للّه ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتّى يقرب زوال الشمس.

كان يدعو كثيراً فيقول: «اللّهمّ إنّى أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب»، ويكرّر ذلك.

وكان من دعائه عليه السلام: «عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك».

وكان يبكى من خشية اللّه حتّى تخضل لحيته بالدموع.

وكان أوصل الناس لأهله ورحمه.

وكان يتفقّد فقراء المدينة فى الليل، فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والأدقة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أيّة جهة هو «۱».

۴- فى تحف العقول للحسن بن علىّ بن شعبة: قال أبو حنيفة: حججت فى أيام أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام فلمّا أتيت المدينة دخلت داره فجلست فى الدهليز أنتظر إذنه، إذ خرج صبى فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: «على رسلك»، ثمّ جلس مستنداً إلى الحائط، ثمّ قال: «توقّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت» فأعجبنى ما سمعت من الصبىّ فقلت له: ما اسمك؟ فقال: «أنا موسى بن جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب» فقلت له: يا غلام ممّن المعصية؟ فقال: «إنّ السيّئات لا تخلو من إحدى ثلاث: إمّا أن تكون من اللّه وليست من العبد؛ فلا ينبغى للربّ أن يعذّب العبد على ما لا يرتكب، وإمّا أن تكون منه ومن العبد- وليست كذلك- فلا ينبغى للشريك القوىّ أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد- وهى منه- فإن عفا فكرمه وجوده، وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته».

قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبد اللّه واستغنيت بما سمعت.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۸۹

وروى ابن شهر آشوب فى المناقب نحوه إلّاأنّه قال: «يتوارى خلف الجدار ويتوقّى أعين الجار»، وقال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل

فى عينى، وعظم فى قلبى. وقال فى آخر الحديث: فقلت: ذرّية بعضها من بعض «١». «٢» ۵- روى أبو الفرج الأصفهانى: حدّثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى بن جعفر إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير. وكانت صراره ما بين الثلاثمائة وإلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلًا.

وقال: إنّ رجلًا من آل عمر بن الخطّاب كان يشتم عليّ بن أبى طالب إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال:

«لا» ثمّ مضى راكباً حتّى قصده فى مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا.

فلم يصغ إليه وأقبل حتّى نزل عنده، فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له:

«كم غرمت على زرعك هذا»؟ قال: مائة درهم. قال: «كم ترجو أن تربح»؟ قال:

لا أدرى. قال: «إنّما سألتك كم ترجو». قال: مائة أُخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبه له، فقام فقبّل رأسه، فلمّا دخل المسجد بعد ذلك وثب العمرى فسلّم عليه وجعل يقول: اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته.

وكان بعد ذلك كلّما دخل موسى خرج وسلّم عليه ويقوم له، فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله: «أيّما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت» «٣».

۶- حكى أنّ الرشيد سأله يوماً: كيف قلتم: نحن ذرّية رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأنتم بنو عليّ، وإنّما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأُمّه؟ فقال الكاظم عليه السلام: «أعوذ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٩٠

باللَّه من الشيطان الرجيم بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ... وليس لعيسى أب إنّما أُلحق بذرية الأنبياء من قبل أُمّه، وكذلك أُلحقنا بذرية النبيّ من قبل أُمّنا فاطمة الزهراء، وزيادة أُخرى يا أميرالمؤمنين: قال اللَّه عزّ وجلّ: فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ ما جاءَك مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنْفُسَنَا وأنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...

ولم يدع صلى الله عليه و آله عند مباهلة النصارى غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء» «١».

٧- أمّا علمه والحديث عنه فقد روى عنه العلماء فى فنون العلم ما ملأ الكتب، وكان يعرف بين الرواة بالعالم. وقد روى الناس عنه فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب اللَّه «٢».

وفاته

وفاته:

وقد اتفقت كلمة المؤرّخين على أنّ هارون الرشيد قام باعتقال الإمام الكاظم عليه السلام وإيداعه السجن لسنين طويلة مع تأكيده على سجّانيه بالتشديد والتضييق عليه.

قال ابن كثير: فلمّا طال سجن الإمام الكاظم عليه السلام كتب إلى الرشيد: «أمّا بعد يا أمير المؤمنين إنّه لم ينقض عنّى يوم من البلاء إلّاانقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضى بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون» «٣».

ولم يزل ذلك الأمر بالإمام عليه السلام، يُنقل من سجن إلى سجن حتى انتهى به الأمر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ١٩١

إلى سجن السندى بن شاهك «١»، وكان فاجراً فاسقاً، لا يتورّع عن أى شيء تملّقاً ومداهنة للسلطان، فغالى فى سجن الإمام عليه السلام وزاد فى تقييده حتّى جاء أمر الرشيد بدسّ السمّ للكاظم عليه السلام، فأسرع السندى إلى إنفاذ هذا الأمر العظيم، واستشهد

الإمام عليه السلام بعد طول سجن ومعاناة في عام ۱۸۳ ه.

ولمّا كان الرشيد يخشى ردّة فعل المسلمين عند انتشار خبر استشهاد الإمام عليه السلام، لذا عمد إلى حيلة ماكرة للتنصّل من تبعة هذا الأمر الجلل، فقد ذكر أبوالفرج الاصفهاني وغيره «۲»: أنّ الإمام الكاظم لما توفّي مسموماً أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عديّ وغيره ليشهدوا على أنّه مات حتف أنفه دون فعل من الرشيد وجلاوزته، ولما شهدوا على ذلك أُخرج بجثمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد ونودي بوفاته. ودفن في بغداد في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في أيامنا هذه بالكاظمية.

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً، ويوم يبعث حيّاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۲

الإمام الثامن: أبوالحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

الإمام الثامن: أبوالحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولد في المدينة سنة ۱۴۸ ه.

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، القائم بالإمامة بعد أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه وإخوته في عصره، ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً إلى النصوص الواردة في حقّه من أبيه على إمامته «۱». وكانت مدة إمامته بعد أبيه ۲۰ سنة «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۳

أقوال العلماء فيه عليه السلام

أقوال العلماء فيه عليه السلام

قال الواقدي: عليّ بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي بمسجد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة «۱».

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أمعن نظره وفكره، وجده في الحقيقة وارثهما (المراد عليّ بن أبي طالب وعليّ بن الحسين عليهما السلام) نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفعت مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتّى أدخله الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّة، وصفاته ثنيّة، ونفسه الشريفة زكيّة هاشميّة، وأرومته النبوية كريمة «۲».

وقد عاش الإمام الرضا عليه السلام في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم،

وازداد التشكيك فى الأصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصارى، ومجسّمة أهل الحديث.

وفى تلك الأزمنة أُتيحت له عليه السلام فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء «۳».

ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۴

دخل أبو قرّة المحدّث على أبى الحسن الرضا عليه السلام فقال: روينا أنّ اللّه قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمّد صلى الله عليه و آله الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: «فمن المبلّغ عن اللّه إلى الثقلين الجنّ والإنس: أنّه لا تدركه الأبصار «۱»

، و لا يحيطون به علماً «۲»

، و ليس كمثله شىء «۳»

، أليس محمد صلى الله عليه و آله»؟ قال: بلى.

قال: «فكيف يجىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللّه، وأنّه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه، فيقول: لا تدركه الأبصار، و لا يحيطون به علماً، و ليس كمثله شىء، ثمّ يقول: أنا رأيته بعينى وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يأتى من عند اللّه بشىء ثمّ يأتى بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قرّة: فإنّه يقول: ولَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخرى «۴»

.

قال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال:

ما كذب الفؤادُ ما رأى «۵»

يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه و آله ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأى فقال: لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرى «۶»

فآيات اللّه غير اللّه، وقال: «لا يُحيطون بِهِ عِلْماً» فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرة: فتكذّب بالرواية؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۵

فقال أبو الحسن: «إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه: أنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شىء» «۱».

ولما انتشر علم الإمام وفضله، أخذت الأفئدة والقلوب تشدّ إليه، وفى الأُمّة الإسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكثر التفاف المسلمين حول الإمام الرضا عليه السلام وازدادت أعدادهم، ممّا دفع بالخلافة العباسية إلى محاولة سحب البساط من تحت رجلى الإمام عليه السلام وأعوانه قبل أن تستفحل الأُمور ويصعب السيطرة على الموقف بعدها، فلجأ المأمون إلى مناورة ذكيّة ماكرة استطاع من خلالها قلب تيار الأحداث لصالحه، حيث استقدم الإمام الرضا عليه السلام وجملة من وجوه الطالبيين إلى مقر الحكومة آنذاك فى مرو من مدينة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، معزّزين مكرّمين حتّى أنزلوهم إلى جوار مقر الخلافة ريثما يلتقى المأمون بالإمام علىّ ابن موسى عليهما السلام.

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

وما كان من المأمون إلّاأن بعث إلى الإمام الرضا عليه السلام قبل اجتماعه به: إنّى أَريد أن أخلع نفسى من الخلافة وأَقلّدك إيّاها فما رأيك؟ فأنكر الرضا عليه السلام هذا الأمر وقال له: «أُعيذك باللَّه يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد» فردّ عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلابد من ولاية العهد بعدى، فأبى عليه الرضا إباءً شديداً.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين- ليس فى المجلس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۶

غيرهم- وقال له: إنّى قد رأيت أن أُقلّدك أمر المسلمين وأفسخ ما فى رقبتى وأضعه فى رقبتك.

فقال له الرضا عليه السلام: «اللَّه اللَّه يا أمير المؤمنين إنّه لا طاقة لى بذلك ولا قوّة لى عليه».

قال له: فإنّى موليك العهد من بعدى.

فقال له: «أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين».

فقال له المأمون- كلاماً فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال فى كلامه-: إنّ عمر بن الخطّاب جعل الشورى فى ستة أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليه السلام وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولابد من قبولك ما أُريد منك فإنّى لا أجد محيصاً عنه.

فقال له الرضا عليه السلام: «فإنّى أُجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنّنى لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتى، ولا أقضى، ولا أُولى، ولا أعزل، ولا أُغير شيئاً ممّا هو قائم» فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه «۱».

أقول: ليس بخاف على ذى لبّ مغزى إصرار المأمون على تولية الإمام الرضا عليه السلام لمنصب ولاية العهد، وتبدو هذه الصورة واضحة عند استقراء الأحداث التى سبقت أو رافقت هذه المؤامرة المحكمة.

فعندما قدّم هارون الرشيد ولده الأمين رغم إقراره ومعرفته بقوّة شخصيّة المأمون وذكائه قياساً بأخيه المدلّل الذى لا يشفع له إلّامكانة أُمّه زبيدة الحاكمة فى قصر الرشيد، كان يعنى ذلك إيذاناً بقيام الفتنة التى حصلت من بعد وراح ضحيتها عشرات الأُلوف وعلى رأسهم الأمين الذى وقف العباسيون إلى صفّه وقاتلوا معه، ولما انتقلت السلطة بأكملها إلى المأمون المستقرّ فى خراسان والمدعوم بأهلها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۷

آنذاك، فقد واجه خطر نقمة أكثر العباسيين وعدائهم له وتحيّنهم الفرص السانحة للانقضاض عليه وعلى حكمه.

وفى الجانب الآخر كان الشيعة فى كلّ مكان يرفضون ويناصبون الخلافة العباسية العداء نتيجة سوء صنيعهم وظلمهم للعلويين ولآل البيت خاصة، والذين يؤلف شيعة خراسان جانباً مهماً منهم.

وكان فى أوّل سنة لخلافة المأمون أن خرج السرى بن منصور الشيبانى المعروف بأبى السرايا فى الكوفة منادياً بالدعوة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن على عليه السلام حيث بايعه عامّة الناس على ذلك.

وفى المدينة خرج محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، وفى البصرة علىّ بن محمد بن جعفر بن علىّ بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقّب بزيد النار، وفى اليمن إبراهيم بن موسى، ومن ثمّ فقد ظهر فى المدينة أيضاً الحسن بن الحسين بن على بن الحسين المعروف بالأفطس.

وهكذا فقد اندلعت فى أنحاء الدولة الكثير من الثورات تناصرها الآلاف من الناس الذين ذاقوا الأمرّين من حكم الطواغيت والظلمة.

وهكذا فقد أدرك المأمون مدى تأزّم الموقف، وتخلخل وضع الحكومة آنذاك، فلم يجد بداً من تظاهره أمام الرأى العام الشيعى- الذى كان من أقوى التيارات المؤهلة للإطاحة بالخلافة العباسية دون أىّ شكّ- بتنازله عن الخلافة- التى قتل أخاه من أجلها- إلى الإمام الرضا عليه السلام إمام الشيعة وقائدهم.

وهكذا فبعد قبول على بن موسى الرضا عليهما السلام ولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء، فخفقت الألوية على رأسه، وكان

فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل بن عليّ الخزاعيّ، فلمّا دخل عليه قال: قلت قصيدة وجعلت على نفسى أن لاأنشدها أحداً قبلك، فأمره بالجلوس حتى خفّ مجلسه ثمّ قال له: «هاتها»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۸

فأنشد قصيدته المعروفة:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصاتِ

لآل رسول اللّه بالخيف من منى وبالركن والتعريف والجمراتِ

ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفناتِ

ديار عفاها كلّ جون مبادر ولم تعف للأيّام والسنواتِ إلى أن قال:

قبور بكوفان وأُخرى بطيبة وأُخرى بفخ نالها صلواتى وقبر ببغداد لنفس زكيّة تضمّنها الرحمن بالغرفاتِ

فأمّا المصمّات التى لست بالغاً مبالغها منّى بكنه صفاتِ

إلى الحشر حتّى يبعث اللّه قائماً يفرّج منها الهمّ والكربات إلى أن قال:

ألم تر أنّى مذ ثلاثين حجّة أروح وأغدو دائم الحسرات؟

أرى فيئهم فى غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم أكفّاً من الأوتار منقبضات حتّى أتى على آخرها، فلمّا فرغ من إنشادها قام الرضا عليه السلام فدخل إلى حجرته وأنفذ إليه صُرّة فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردّها دعبل وقال: واللّه ما لهذا جئت، وإنّما جئت للسلام عليك والتبرّك بالنظر إلى وجهك الميمون، وإنّى لفى غنى، فإن رأيت أن تعطيَنى شيئاً من ثيابك للتبرّك فهو أحب إليَّ. فأعطاه الرضا جبّة خز وردّ عليه الصرّة «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۱۹۹

الإمام الرضا عليه السلام وصلاة العيد

الإمام الرضا عليه السلام وصلاة العيد

كان الإمام فى مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته فى بقاع الأرض، وعظم تعلّق المسلمين به، ممّا أثار مخاوف المأمون وتوجّسه من أن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما كان يتمنّاه، وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، وقوى ذلك الظن أنّ المأمون بعث إليه يوم العيد فى أن يصلّى بالناس ويخطب فيهم فأجابه الرضا عليه السلام: «إنّك قد علمت ما كان بينى وبينك من الشروط فى دخول الأمر، فاعفنى من الصلاة بالناس». فقال له المأمون: إنّما أُريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضلك.

ولم تزل الرسل تتردّد بينهما فى ذلك، فلمّا ألحّ عليه المأمون، أرسل إليه الرضا: «إن أعفيتنى فهو أحبّ إلىّ وإن لم تعفنى خرجت كما خرج رسول اللّه وأمير المؤمنين عليه السلام» فقال له المأمون: اخرج كيف شئت. وأمر القوّاد والحجاب والناس أن يبكروا إلى باب الرضا عليه السلام.

قال: فقعد الناس لأبى الحسن عليه السلام فى الطرقات والسطوح، واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه، فاغتسل أبو الحسن ولبس ثيابه وتعمّم بعمامةٍ بيضاء من قطنٍ، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه، ومسّ شيئاً من الطيب، وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه: «افعلوا مثل ما فعلت» فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمّرة، فمشى قليلًا ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، فلمّا رآه الجند والقوّاد سقطوا كلّهم عن الدوابّ إلى الأرض، ثمّ كبّر وكبّر الناس، فخيّل إلى الناس أنّ

السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لمّا رأوا الإمام الرضا عليه السلام وسمعوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۰

تكبيره، فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلّنا على دمائنا، فأنفذ إليه أن يرجع. فأرسل إليه من يطلب منه العودة، فرجع الرضا عليه السلام واختلف أمر الناس فى ذلك اليوم «۱».

وقد أشار الشاعر البحترى إلى تلك القصّة بأبيات منها:

ذكروا بطلعتك النبىّ فهلّلوا لما طلعت من الصفوف وكبّروا

حتّى انتهيت إلى المصلّى لابساً نور الهدى يبدو عليك فيظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع للّه لا يزهى ولا يتكبّر «۲» إنّ هذا وأمثاله، وبالأخصّ خروج بعض العباسيّين بالبصرة على المأمون؛ لتفويضه ولاية العهد لعلىّ بن موسى الرضا الذى كان فى تصوّره سيؤدى إلى خروج الأمر من بيت العباسيين، كل ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدسّ إليه السم على النحو المذكور فى كتب التاريخ.

من شعر أبى نؤاس فيه عليه السلام

من شعر أبى نؤاس فيه عليه السلام

ومن لطيف ما نقل عن أبى نؤاس أنّه كان ينشد الشعر فى كلّ جليل وطفيف ولم يمدح الإمام، ولما عوتب على ذلك من قبل بعض أصحابه حيث قال له: ما رأيت أوقح منك، ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى إلّاقلت فيه شيئاً، وهذا علىّ بن موسى الرضا فى عصرك لم تقل فيه شيئاً! فقال أبو نواس: واللّه ما تركت ذلك إلّا إعظاماً له، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله، ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۱

قيل لى أنت أحسن الناس طراً فى فنون من الكلام النبيه

لك من جيّد القريض مديحٌ يثمر الدر فى يدىّ مجتنيه

فعلامَ تركت مدح ابن موسى والخصال التى تجمّعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمامٍ كان جبريلُ خادماً لأبيه وقال فيه عليه السلام أيضاً:

مطهّرون نقيّات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له فى قديم الدهر مفتخر

اللّه لمّا برا خلقاً فأتقنه صفّاكُمُ واصطفاكم أيّها البشر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور «۱»

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

واستشهد فى طوس من أرض خراسان فى صفر ۲۰۳ ه، وله يومئذ ۵۵ سنة.

ولما استشهد الإمام عليه السلام دفن فى مدينة طوس فى قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضا الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرك به.

فسلام اللّه عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۲

الإمام التاسع: أبوجعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

الإمام التاسع: أبوجعفر محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولادته عليه السلام

ولد بالمدينة المنورة فى شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة، فورث الشرف من آبائه وأجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوّة، وارتوت شجرته من منهل الرسالة.

إمامته عليه السلام

إمامته عليه السلام

قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا عليه السلام عام ۲۰۳ ه، واستشهد ببغداد عام ۲۲۰ ه، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.

أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة «۱».

لقّب بالجواد والقانع والمرتضى والنجيب والتقىّ والزكىّ وغيرها من الألقاب الدالّة على علو شأنه وارتفاع منزلته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۳

استقدامه إلى بغداد

استقدامه إلى بغداد

لمّا توفّى الرضا عليه السلام كان الإمام الجواد فى المدينة، وقام بأمر الإمامة بوصية من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس السياسة التى مارسها مع أبيه عليه السلام خلافاً لأسلافه من العباسيين، حيث إنّهم كانوا يتعاملون مع أئمّة أهل البيت بالقتل والسجن، وكان ذلك يزيد فى قلوب الناس حبّاً لأهل البيت وبغضاً للخلفاء، ولمّا شعر المأمون بذلك بدّل ذلك الأُسلوب بأُسلوب آخر وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكى يشرف على حركاتهم وسكناتهم، وقد استمرّت هذه السياسة فى حقّهم إلى الإمام الحادى عشر كما ستعرف.

وما كان من المأمون عندما استقدم الإمام إلى مركز الخلافة، إلّاأن شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه فى العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته أُمّ الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره، ونحن نكتفى فى المقام بذكر أمرين:

۱- لمّا توفّى الإمام الرضا عليه السلام وقدم المأمون بغداد، اتّفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمّد الجواد واقف عندهم، فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمّد الجواد، وعمره آنذاك تسع سنين، فلمّا قرب منه الخليفة قال له: يا غلام ما منعك أن لا تفرّ كما فرّ أصحابك؟! فقال له محمّد الجواد مسرعاً: «يا أمير المؤمنين فرّ أصحابى فرقاً والظنّ بك حسن

أنّه لا يفرّ منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فانتحى عن أميرالمؤمنين» فأعجب

المأمون كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام» فترحّم على أبيه «۱».

۲- لمّا أراد المأمون تزويج ابنته أُمّ الفضل من الإمام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقالوا له: ننشدك اللّه أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا؛ فانّا نخاف أن تخرج به عنّا أمراً قد ملّكناه اللّه! وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه اللّه! فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا حتى كفى اللّه المهمّ من ذلك- إلى أن قالوا-: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه؛ فإنّه صبي لا معرفة له؛ فأمهله حتّى يتأدّب ويتفقّه في الدين ثمّ اصنع ما ترى.

قال المأمون: ويحكم إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من اللّه تعالى وإلهامه، ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب من الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر حتّى يتبيّن لكم ما وصفت لكم من حاله. قالوا: رضينا. فخرجوا واتّفق رأيهم على أنّ يحيى بن أكثم يسأله مسألة وهو قاضي الزمان فأجابهم المأمون على ذلك.

واجتمع القوم في يوم اتّفقوا عليه، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ففعل ذلك، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متّصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟

فقال: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي- جعلت فداك- في مسألة؟

فقال: «سل إن شئت».

فقال: ما تقول- جعلت فداك- في مُحْرِم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلًا؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً كان بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرّاً كان على ما فعل أو نادماً؟ ليلًا كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟».

فتحيّر يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد للّه على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ قال لأبي جعفر عليه السلام: اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أُمّ الفضل ابنتي «۱».

ولمّا تمّ الزواج قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت- جعلت فداك- أن تذكر الجواب فيما فصّلته من وجوه قتل المُحْرِم الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً؛ فإن قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فطم من اللّبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره

بمكّة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفى العمد له المأثم وهو موضوع عنه فى الخطأ، والكفّارة على الحرّ فى نفسه، وعلى السيّد فى عبده، والصغير لا كفّارة عليه وهى على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب فى الآخرة».

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر... «۱».

رجوعه عليه السلام إلى المدينة

رجوعه عليه السلام إلى المدينة

ثمّ إنّ أبا جعفر بعد أن أقام مدّة فى بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدّة إلى أن توفّى المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكّراً فى أبى جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التى مارسها أخوه المأمون من قبله فاستقدم الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد سنة ۲۲۰ «۲» وبقى فيها عليه السلام حتى توفّى فى آخر ذى القعدة من تلك السنة، وله من العمر ۲۵ سنة وأشهر. ودفن عند جدّه موسى بن جعفر فى مقابر قريش.

وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموماً «۳».

فسلام اللَّه على إمامنا الجواد يوم ولد، ويوم مات أو استشهد بالسمّ، ويوم يبعث حيّاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۷

الإمام العاشر: أبو الحسن علىّ بن محمّد الهادى عليه السلام

الإمام العاشر: أبو الحسن علىّ بن محمّد الهادى عليه السلام

ولادته وإمامته عليه السلام

ولادته وإمامته عليه السلام

ولد عام ۲۱۲ ه، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصاية والخلافة، وثمرة من شجرة النبوّة.

قام عليه السلام بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد عليه السلام، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاء قضايا لا يتّسع المقام لذكرها.

قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علَتْه هيبة الوقار، وإذا تكلّم سماه البهاء «۱».

وقال عماد الدين الحنبلى: كان فقيهاً إماماً متعبّداً «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۸

وقال المفيد: تقلّد الإمامة بعد أبى جعفر ابنه أبو الحسن علىّ بن محمّد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة «۱».

وقد تضافرت النصوص على إمامته عن طرقنا، فمن أراد فليرجع إلى الكافى وإثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدّة لذلك «۲».

المتوكّل ومواقفه الشنيعة مع الإمام عليه السلام

المتوكّل ومواقفه الشنيعة مع الإمام عليه السلام

لقد مارس المتوكّل نفس الأُسلوب الخبيث الذى رسمه المأمون ثمّ أخوه المعتصم من إشخاص أئمّة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الإقامة فى مقرّ الخلافة، وجعل العيون والحرّاس عليهم حتى يطّلعوا على دقيق حياتهم وجليلها.

وكان المتوكّل من أخبث الخلفاء العباسيين، وأشدّهم عداءً لعليّ، فبلغه مقام عليّ الهادى بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس إليه، فخاف منه «۳»، فدعا يحيى ابن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة، وانظر فى حاله وأشخصه إلينا.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على عليّ الهادى، وقامت الدنيا على ساق؛ لأنّه كان مُحْسِناً إليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

قال يحيى: فجعلت أُسكّنهم وأحلِف لهم أنّى لم أُؤمر فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه، ثمّ فتّشت منزله فلم أجد فيه إلّامصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۰۹

عينى، وتولّيت خدمته بنفسى، وأحسنت عشرته، فلمّا قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهرى وكان والياً على بغداد، فقال لى: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول اللّه، والمتوكّل مَنْ تعلَم، فإن حرّضته عليه قتله، كان رسول اللّه خصمك يوم القيامة. فقلت له: واللّه ما وقعت منه إلّاعلى كلّ أمر جميل.

ثمّ صرت به إلى «سرّ من رأى» فبدأت ب «وصيف» التركى، فأخبرته بوصوله، فقال: واللّه لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فلمّا دخلت على المتوكّل سألنى عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته، وأنّى فتّشت داره ولم أجد فيها إلّاالمصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكّل وأحسن جائزته وأجزل برّه، وأنزله معه سامراء «۱».

ومع أنّ الإمام كان يعيش فى نفس البلد الذى يسكن فيه المتوكّل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، إلّاأنّه وشى به إلى المتوكّل بأنّ فى منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلًا فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه فى بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجّه إلى اللّه تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد فى بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكّل جالساً فى مجلس الشراب فأُدخل عليه والكأس فى يده، فلمّا رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التى كانت فى يده، فقال الإمام عليه السلام: «واللّه ما خامر لحمى ودمى قط، فاعفنى» فأعفاه، فقال له: انشدنى شعراً، فقال عليّ: «أنا قليل الرواية للشعر» فقال: لابدّ، فأنشده وهو جالس عنده:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۰

«باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم وأُسكنوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهمُ صارخ من بعد دفنهم أين الأسرّة والتيجان والحلل أين الوجوه التى كانت منعّمة من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل «۱»

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا» فبكى المتوكّل حتى بلّتْ لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون، ورفع إلى عليّ أربعة آلاف دينار ثمّ ردّه إلى منزله مكرّماً «۲».

آثاره العلمية

آثاره العلمية

روى الحفّاظ والرواة عن الإمام أحاديث كثيرة فى شتّى المجالات من العقيدة والشريعة، وقد جمعها المحدّثون فى كتبهم، وبثّها الحرّ العاملى فى كتابه الموسوم ب «وسائل الشيعة» على أبواب مختلفة، وممّا نلفت إليه النظر أنّ للإمام عليه السلام بعض الرسائل؛ وهى:

١- رسالته فى الردّ على الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، أوردهابتمامها الحسن بن على بن شعبة الحرّانى فى كتابه الموسوم ب «تحف العقول» «٣».

٢- أجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله، وهذه أيضاً أوردها الحرّانى فى تحف العقول.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢١١

٣- قطعة من أحكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب فى المناقب.

ولأجل إيقاف القارئ على نمط خاصّ من تفسير الإمام نأتى بنموذج من هذا التفسير:

قُدّم إلى المتوكّل رجل نصرانى فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدّ، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الإمام الهادى يسأله، فلمّا قرأ الكتاب، كتب:

«يضرب حتى يموت» فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العلّة، فكتب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قَالوا آمَنَّا بِاللّه وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشرِكينَ* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بأسنا سُنَّةَ اللّه الَّتى قَدْ خَلَتْ فى عبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرونَ «١»

، فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات «٢».

شهادته عليه السلام

شهادته عليه السلام

توفّى أبو الحسن عليه السلام فى رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن فى داره بسرّ من رأى، وخلّف من الولد أبا محمّد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمّد، وجعفر، وابنته عائشة، وكان مقامه بسرّ من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهر، وتوفّى وسنّه يومئذ على ما قدمناه إحدى وأربعون سنة «٣».

وقد ذكر المسعودى فى إثبات الوصيّة «تفصيل كيفية وفاته وتشييعه وإيصاء الإمامة لابنه أبى محمّد العسكرى» فمن أراد فليراجع «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢١٢

الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام

الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام

الإمام الحادى عشر: أبو محمّد الحسن بن على العسكرى عليه السلام

أبو محمّد الحسن بن على الهادى بن محمّد الجواد، أحد أئمّة أهل البيت، والإمام الحادى عشر، الملقب بالعسكرى، ولد عام ٢٣٢ ه «١»، وقال الخطيب فى تاريخه «٢» وابن الجوزى فى تذكرته «٣»: أنّه ولد عام ٢٣١ ه وأشخص والده إلى العراق سنة ٢٣۶ ه وله من العمر أربع سنين وعدّة شهور، وقام بأمر الامامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرز تقدّمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة «۴»، وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدّثين يربو عددهم على ١۵٠ شخصاً «۵». وتوفّى عام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢١٣

٢۶٠ ه ودفن فى داره التى دفن فيها أبوه بسامراء.

وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطة، واجتهادها فى البحث عن أمره، ولكنّه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم، فقد خابت السلطة فى طلبهما والاعتداء عليهما.

وقد اشتهر الإمام بالعسكرى لأنّه منسوب إلى عسكر، ويراد بها سرّ من رأى التى بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، حيث أشخص المتوكل أباه عليّاً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنُسب هو وولده إليها «۱». قال سبط ابن الجوزى: كان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جدّه ومن جملة مسانيده حديث فى الخمر عزيز.

ثمّ ذكر الحديث عن جدّه أبى الفرج الجوزىّ فى كتابه المسمّى ب «تحريم الخمر»، ثمّ ساق سند الحديث إلى الحسن العسكرى وهو يسند الحديث إلى آبائه إلى على بن أبى طالب وهو يقول: «أشهد باللَّه لقد سمعت محمّداً رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: أشهد باللَّه لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد باللَّه لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد باللَّه لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد باللَّه على اللوح المحفوظ أنّه قال: سمعت اللَّه يقول:

شارب الخمر كعابد الوثن» «۲».

ولقد وقع سبط ابن الجوزى فى الاشتباه عندما توهّم أنّ اسناد الإمام عليه السلام هذا الحديث إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنّ أحاديث أهل البيت مروية كلّها عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فهم لا يروون فى مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلّا ما وصل إليهم عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا تعبّر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصوّر كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين مّمن يعتمدون على آرائهم

الشخصية، وهو فى قياسه خاطىء؛ منذ نعومة أظفارهم إلى أن لبّوا دعوة ربّهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء، ولا تعلّموا شيئاً من غير آبائهم، فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وراثة غيبية لا يعلم كنهها إلّااللَّه سبحانه والراسخون فى العلم.

وهذا الإمام جعفر الصادق عليه السلام يبيّن هذا الأمر بوضوح لا لبس فيه، حيث يقول: «إنّ حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وحديث على أمير المؤمنين حديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وحديث رسول اللَّه قول اللَّه عزّ وجلّ» «۱».

وروى حفص بن البخترى، قال: قلت لأبى عبداللَّه الصادق عليه السلام أسمع الحديث منك فلا أدرى منك سماعه أو من أبيك، فقال: «ما سمعته منّى فاروه عن أبى، وما سمعته منّى فاروه عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۲».

فأئمّة المسلمين على حد قول القائل:

ووال أُناساً نقلهم وحديثهم روى جدّنا عن جبرئيل عن البارى ولقد عاتب الإمام الباقر عليه السلام سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانايأخذان الحديث من الناس ولايهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّاشيئاً خرج من عندنا أهلَ البيت».

ورغم أنّ الخلفاء العباسيين قد وضعوا الإمام تحت الإقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيساً، ولكن روى عنه الحفّاظ والرواة أحديثاً جمّة فى شتى المجالات، بل يروى أنّ الإمام عليه السلام ورغم كلّ ذلك كان على اتّصال مستمر بالشيعة الذين كان عددهم يقدر بعشرات الملايين، وحيث كان لامرجع لهم سوى الإمام عليه السلام.

كما أنّ الكلام عن أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته وعظمته، ومجابهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزّة وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا فى ذلك علماؤنا الأبرار، بيد أنّا نشير إلى لمحة من علومه.

۱– لقد شغلت الحروف المقطّعة بال المفسّرين فضربوا يميناً وشمالًا، وقد أنهى الرازى أقوالهم فيها فى أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولًا، ولكن الإمام عليه السلام عالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: «كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبين تقوّله، فقال اللَّه: الم* ذلِكَ الكتابُ أى: يا محمّد، هذا الكتاب الذى نزّلناه عليك هو الحروف المقطّعة اليى منها «ألف»، «لام»، «ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن أنّه لا يقدرون عليه بقوله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا «۱»» «۲»

.

وقد روى هذا المعنى عن أبيه الإمام الهادى عليه السلام «۳».

۲– كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك فى طريق المسلمين فيقولون إنّكم تقولون فى صلواتكم: اهدنا الصِّراط المُستقيم أو لستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو أنّكم متنكّبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام الآية قاطعاً لشغبهم فقال: «أدِم لناتوفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيّامنا حتّى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمالنا».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۶

ثمّ فسّر الصراط بقوله: «الصراط المستقيم هو: صراطان: صراط فى الدينا وصراط فى الآخرة، أمّا الأوّل فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شىء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذى هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة» «۱»،

وكان قد استفحل أمر الغلاة فى عصر الإمام العسكرى ونسبوا إلى الأئمّة الهداة أُموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركّز الإمام على أنّ الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير.

۳– ربّما تغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: صِراطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيهِم ويتصوّر أنّ المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحّة البدن، وإن كان كلّ هذا نعمة من اللَّه، ولكنّ المراد من الآية بقرنية قوله: غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّالِّين «۲»

هو نعمة التوفيق والهداية، ولأجل ذلك نرى أنّ الإمام يفسّر هذا الإنعام بقوله:

«قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال اللَّه عزّ وجلّ: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ فَأُولِئكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصَّديقينَ والشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولِئكَ رَفيقاً ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من اللَّه ظاهرة» «۳».

۴– لقد تفشّت آنذاك فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء قبل أن تخلق، تأثراً بتصورات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمّد بن صالح عن قول اللَّه: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ «۴»

فقال: «هل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۷

يمحو إلّاما كان وهل يثبت إلّامالم يكن»؟

فقلت فى نفسى: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطى: إنّه لا يعلم الشىء حتى يكون، فنظرإلىّ شزراً، وقال: «تعالى اللَّه الجبّار العالم بالشىء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۱۸

الإمام الثانى عشر: المهدى ابن الحسن المنتظر عليه السلام

الإمام الثانی عشر: المهدی ابن الحسن المنتظر علیه السلام

اشارهٔ

الإمام الثانی عشر: المهدی ابن الحسن المنتظر علیه السلام

هو أبو القاسم محمّد بن الحسن العسکری الحجّهٔ، الخلف الصالح، ولد علیه السلام بسرّ من رأی لیلهٔ النصف من شعبان، سنهٔ خمس وخمسین ومائتین، وله من العمر عند وفاهٔ أبیه خمس سنین، آتاه اللَّه الحکم صبیّاً کما حدث لیحیی، حیث قال سبحانه:

یایَحْیی خُذِ الکِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَیْناهُ الحُکْمَ صَبیّاً «۱»

،

وجعله إماماً وهو طفل، کما جعل المسیح نبیّاً وهو رضیع قال سبحانه عن لسانه وهو یخاطب قومه: إنّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الکِتابَ وَجَعَلَنی نَبیّاً «۲»

.

اتّفق المسلمون علی ظهور المهدی فی آخر الزمان لإزالهٔ الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل، وإعلاء کلمهٔ الحق، وإظهار الدین کلّه ولو کره المشرکون، فهو بإذن اللَّه ینجی العالم من ذلّ العبودیهٔ لغیر اللَّه، ویلغی الأخلاق والعادات الذمیمهٔ، ویبطل القوانین الکافرهٔ التی سنّتها الأهواء، ویقطع أُواصر التعصّبات القومیهٔ والعنصریهٔ، ویمحی أسباب العداء والبغضاء التی صارت سبباً

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۲۱۹

لاختلاف الأُمّهٔ وافتراق الکلمهٔ، ویحقّق اللَّه سبحانه بظهوره وعده الذی وعد به المؤمنین بقوله:

۱- وعَدَ اللَّهُ الَّذینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَستَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأرْضِ کما اسْتَخْلَفَ الَّذینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ وَلَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً یَعْبُدُونَنِی لا یُشْرِکُونَ بی شَیْئاً وَمَنْ کَفَرَ بَعَدَ ذلِکَ فَأولئِکَ هُمُ الفاسِقُونَ «۱».

۲- وَنُرِیدُ أنْ نَمُنَّ عَلیَ الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الأرْضِ وَنَجْعَلهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلهُمُ الوارِثِینَ «۲».

۳- وَلَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أنَّ الأرْضَ یَرِثُها عِبادیَ الصّالِحُونَ «۳».

وتشهد الأُمّهٔ بعد ظهوره علیه السلام عصراً ذهبیاً لا یبقی فیه علی الأرض بیت إلّا ودخلته کلمهٔ الإسلام، ولا تبقی قریهٔ إلّاوینادی فیها بشهادهٔ «لا إله إلّا اللَّه» بکرهٔ وعشیاً.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحیحهٔ والأخبار المرویهٔ من طریق أهل السنّهٔ والشیعهٔ المؤکدهٔ علی إمامهٔ أهل البیت علیه السلام، والمشیرهٔ صراحهٔ إلی أنّ عددهم کعدد نقباء بنی إسرائیل، وأنّ آخر هؤلاء الأئمّهٔ هو الذی یملأ الأرض- فی عهده- عدلًا وقسطاً کما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّ أحادیث الإمام الثانی عشر الموسوم بالمهدی المنتظر قد رواها جملهٔ من محدثی السنَّهٔ فی صحاحهم المختلفهٔ کأمثال الترمذی (المتوفّی عام ۲۹۷ ه)، وأبی داود (المتوفّی عام ۲۷۵ ه) وغیرهم؛ حیث

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۲۲۰

أسندوا روایاتهم هذه إلی جملهٔ من أهل بیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وصحابته، أمثال علی ابن أبی طالب علیه السلام، وعبداللَّه بن عباس، وعبداللَّه بن عمر علیه السلام وأُمّ سلمهٔ زوجهٔ الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله، وأبی سعید الخدری، وأبی هریرهٔ وغیرهم:

۱- روی الإمام أحمد فی مسنده عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لو لم یبق من الدهر إلّا یوم واحد لبعث اللَّه رجلًا من أهل بیتی یملأها عدلًا کما ملئت جوراً» «۱».

۲- أخرج أبو داود عن عبداللَّه بن مسعود: أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «لا تنقضی الدنیا حتی یملک العرب رجل من أهل

بيتى يواطئ اسمه اسمى» «۲».

۳- أخرج أبو داود عن أُمّ سلمة- رضى اللّه عنها- قالت: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة» «۳».

۴- أخرج الترمذى عن ابن مسعود: أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى» «۴».

إلى غير ذلک من الروايات المتضافرة التى بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه حتّى قال الدكتور عبدالباقى: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح «۵».

هذا هو المهدى الذى اتّفق المحدّثون والمتكلّمون عليه، وإنّما الاختلاف بين الشيعة والسنّة فى ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدى الموعود هو الإمام الثانى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۱

عشر الذى ولد بسامراء عام ۲۵۵ ه واختفى بعد وفاة أبيه عام ۲۶۰ ه، وقد تضافرت عليه النصوص من آبائه، على وجه ما ترک شكّاً ولا شبهة «۱» ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة، وقالوا بأنّه ولد وأنّه محمّد بن الحسن العسكرى.

نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد فى آخر الزمان، وبما أنّ أهل البيت أدرى بما فى البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل البيت فى كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للإمام العسكرى هو المهدى الموعود.

وممّن وافق من علماء أهل السنّة بأنّ وليد بيت الحسن العسكرى هو المهدى الموعود:

۱- كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشى الشافعى فى كتابه «مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول». وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعى فى «مرآة الجنان» فى حوادث سنة ۶۵۲ ه.

قال- بعد سرد اسمه ونسبه-: «المهدى الحجّة، الخلف الصالح المنتظر، فأمّا مولده فبسر من رأى، وأمّا نسبه أباً فأبوه الحسن الخالص» ثمّ أورد عدّة أخبار واردة فى المهدى من طريق أبى داود، والترمذى ومسلم، والبخارى وغيرهم، ثمّ ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله عليه السلام من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلک، وأجاب عنها جميعاً، ثمّ قال راداً على تأويل البعض لهذه الروايات بأنّها لا تدلّ على أنّه محمّد بن الحسن العسكرى قائلًا: بأنّ الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلک الصفات والعلامات موجوده فى محمّد بن الحسن العسكرى علمنا هو المهدى.

۲- أبو عبداللّه محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجى الشافعى فى كتابيه: «البيان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۲

فى أخبار صاحب الزمان» و «كفاية الطالب فى مناقب على ابن أبى طالب».

۳- نور الدين على بن محمّد بن الصباغ المالكى فى كتابه: «الفصول المهمّة فى معرفة الأئمّة».

۴- الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبطابن الجوزى فى «تذكرة الخواص».

إلى غير ذلک من علماء وحفّاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين فى أعيان الشيعة وأنهاها إلى ثلاثة عشر، ثمّ قال: والقائلون بوجود المهدى من علماء أهل السنّة كثيرون، وفيما ذكرناه منهم كفاية، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا «البرهان على وجود صاحب الزمان» ورسالة «كشف الأستار» للشيخ حسين النورى «۱».

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدى فى عصر الأئمّة الهداة أمراً مسلّماً، حتى أنّ شاعراً مثل دعبل الخزاعى ذكره فى قصيدته التى أنشدها لعلى بن موسى الرضا عليه السلام فقال:

خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم اللّه والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزى على النعماء والنقمات ولمّا وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه، فقال له: «يا خزاعى نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدرى من هذا الإمام ومتى يقوم»؟

فقلت: لا يا مولاى، إلّاأنّى سمعت بخروج إمام منكم يطّهر الأرض من الفساد، ويملأها عدلًا كما ملئت جور.

فقال: «يا دعبل، الإمام بعدى محمّد ابنى (الجواد) وبعد محمّد ابنه على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۳

(الهادى)، وبعد على ابنه الحسن (العسكرى)، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللَّه ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلًا كما ملئت جوراً، وأمّا متى؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدّثنى أبى عن أبيه عن آبائه عن على عليه السلام إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قيل له: يا رسول اللَّه متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله الساعة لا يجليها لوقتها إلّا هو، ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة «۱».

ثمّ إنّ للمهدى- عجّل اللَّه تعالى فرجه- غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّة أهل البيت، أمّا الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير على بن محمّد السمرى عام ۳۲۹ ه، ففى هذه الفترة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته فى أُمور شتّى.

وأمّا الغيبة الكبرى فهى بعد الأُولى إلى أن يقوم بإذن اللَّه تعالى.

وأمّا من رأى الحجّة فى زمان أبيه وفى الغيبة الصغرى وحتى فى الكبرى، فحدّث عنه ولا حرج، وقد أُلّفت فى ذلك كتب أحسنها وأجملها: «كمال الدين» للصدوق، و «الغيبة» للشيخ الطوسى.

فنذكر هنا بعض من رآه فى صباه:

فيمن رأى المهدى فى بيت الإمام العسكرى:

فيمن رأى المهدى فى بيت الإمام العسكرى:

إنّ هناك لفيفاً من أصحاب الإمام العسكرى رأوا الإمام المهدى فى أيام صباه، ووالده بعد حى. وها نحن نذكر من الكثير شيئاً قليلًا حتى لا يرتاب المنصف فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۴

ولادته:

۱- روى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبى محمّد الحسن بن على عليه السلام هو جالس على دكّان فى الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فرفعته فخرج إلينا غلام خماسى له عشرة أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، درّى المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، فى خدّه الأيمن خال، وفى رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبى محمد ثمّ قال لى: هذا صاحبكم «۱».

۲- روى إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابورى قال: لما همّ الوالى عمر بن عوف بقتلى غلب علىَّ خوف عظيم، فودعت أهلى وتوجهت إلى دار أبى محمّد لأُودّعه، وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً فى جنبه وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسينى ما كنت فيه، فقال: يا إبراهيم لا تهرب فإنّ اللَّه سيكفيك شره، فازداد تحّيرى، فقلت لأبى محمّد: يا سيدى يا بن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من هذا وقد أخبرنى بما كان فى ضميرى؟

فقال: هو ابنى وخليفتى من بعدى «۲».

۳- روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لأبى محمد الحسن العسكرى: يا ابن رسول اللّه فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لو لا كرامتك على اللّه عزّوجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابنى هذا، إنّه سمّى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكنّيه، الذى يملأ الأرض قسطاً و عدلًا كما ملئت جوراً و ظلماً «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۵

۴- روى أبو الحسين الحسن بن وجناء قال: حدثنى أبى عن جده أنّه كان فى دار الحسن بن على عليه السلام فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن على الكذّاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همّتى فى مولاى القائم عليه السلام، قال: فإذا أنا به، قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو عليه السلام ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب «۱».

۵- روى عبداللّه بن جعفر الحميرى قال: سألت أبا عمر عثمان بن سعيد العمرى (أحد وكلاء الإمام أيام غيبته) فقلت له: هل أنت رأيت الخلف من بعد أبى محمد عليه السلام؟ فقال: أى واللّه ورقبته مثل ذا- أومأ بيده- فقلت له: فبقيت واحدة؟

فقال لى: هات. قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك... «۲».

۶- روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إلىّ أبو محمّد الحسن بن على عليه السلام فقال: يا عمة اجعلى إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ اللّه تبارك وتعالى سيظهر فى هذه الليلة الحجة، وهو حجّته فى أرضه.

ثمّ إنّ حكيمة عمة الإمام العسكرى تتحدث عن ولادة الإمام المهدى وتقول:

فصممته إلىّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بى أبو محمد عليه السلام: هلمّ إلىّ ابنى يا عمة، فجئت إليه... «۳».

۷- ورى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدى أبى محمد عليه السلام إذ نظرت إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت فى نفسى: ولى اللّه وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة إخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا للّه وهذا لكم، فجاءت الريح، فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۶

فقال لى: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، والهمت أن قلت: لبيك يا سيدى. فقال: جئت إلى ولىّ اللّه وحجّته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلّامن عرف معرفتك وعرف مقالتك... إلى أن قال: فنظر إلىّ أبو محمّد وتبسّم وقال: يا كامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدى والحجّة من بعدى بما كان فى نفسك وجئت تسألنى عنه. قال: فنهضت وقد أخذت الجواب الذى أسررته فى نفسى من الإمام المهدى ولم ألقه بعد ذلك «۱».

هذه نماذج ممّن رأى الإمام المهدى بعد ولادته، وقبل غيبته ذكرناه ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام فى المقال.

أسئلة مهمّة حول المهدى

اشارة

أسئلة مهمّة حول المهدى

- عجّل اللّه تعالى فرجه-

إنّ القول بأنّ الإمام المهدى لا يزال حياً يرزق منذ ولادته عام ۲۵۵ هجرية إلى الآن، وأنّه غائب سوف يظهر بأمر من اللّه سبحانه، أثار أسئلة حول حياته وإمامته، نذكر رؤوسها:

۱- كيف يكون إماماً وهو غائب، وما الفائدة المرتقبة منه فى غيبته؟

۲- لماذا غاب؟

۳- كيف يمكن أن يعيش إنسان هذه المدة الطويلة؟

۴- ماهى أشراط وعلائم ظهوره؟

هـذه أسـئلة أُثيرت حول الإمـام المهـدى منـذ أن غـاب، وكلّمـا طالت غيبته اشـتدّ التركيز عليها، وقـد قام المحققون من علماء الإمامية بالإجابة عليها فى مؤلّفات مستقلة لا مجال لنقل معشار ما جاء فيها، غير أنّ الإحالة لما كانت غير خالية عن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۷

المحذور، نبحث عنها على وجه الإجمال، ونحيل من أراد التبسّط إلى المصادر المؤلّفة فى هذا المجال.

الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

إنّ القيـادة والهدايـة والقيـام بوظـائف الإمامـة، هو الغايـة من تنصـيب الإمام، أو اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهراً بين أبناء الأُمـة، مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً، وهو غائب عنهم؟!

والجواب: على وجهين نقضاً وحلًا.

أمّا النقض: فـإنّ التركيز على هـذا السؤال يعرب عن عـدم التعرّف على أوليـاء اللَّه، وأنّهم بين ظـاهرٍ قائم بالأُمور ومُختَفٍ قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إنّ كتاب اللَّه العزيز يعرّفنا على وجود نوعين من الأئمّـة والأولياء والقادة للأُمّـة: ولىّ غائب مسـتور، لا يعرفه حتى نبى زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسـى عليه السـلام بقوله: فَوَجَدا عَبْداً مِن عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْماً* قالَ لَهُ موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ على أنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً الآيات «۱».

وولىّ ظاهر باسط اليد، تعرفه الأُمّة وتقتدى به.

فـالقرآن إذن يـدلّ على أنّ الولى ربّمـا يكون غائبـاً، ولكنّه مع ذلـك لاـ يعيش فى غفلـة عن أُمّته، بـل يتصـرّف فى مصالحهـا ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه أبناء الأُمّة.

فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الولى إمّا ولى حاضر مشاهَد، أو غائب محجوب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۲۸

وإلى ذلـك يشير الإمـام على بن أبى طالب فى كلامه لكميل بن زياد النخعىّ، يقول كميل: أخـذ بيـدى أمير المؤمنين على بن طالب عليه السـلام فـأخرجنى إلى الجبّان، فلمّا أصـحر، تنفَّس الصـعداء، وكان مما قاله: «اللّهم، لا تخلو الأرض من قائم للَّه بحجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حُجج اللَّه وبيّناته» «۱».

وليست غيبة الإمام المهدى، بِدعاً فى تاريخ الأولياء، فهذا موسـى بن عمران، قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً، وكان نبيّاً وليّاً، يقول سبحانه:

وواعَدنا موسـى ثلاثينَ لَيلةً وأتممناها بِعَشرٍ فَتمَّ ميقاتُ ربِّهِ أربعينَ لِيلةً وقالَ مُوسى لأخيهِ هارونَ اخلُفنى فى قومى وأصلح ولا تتّبعْ سبيلَ المفسدين «۲».

وهـذا يونس كان من أنبياء اللَّه سـبحانه، ومع ذلك فقـد غاب فى الظلمات كما يقول سـبحانه: وذا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فى الظُّلُمات أن لا إله إلّاأنت سُبحانك إنّى كُنْتُ من الظّالمين* فاستجبنا له ونَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وكذلك نُنْجى المُؤْمنين «٣».

أولم يكن موسى ويونس نبّين من أنبياء اللّه سبحانه؟ وما فائدة نبى يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيداً عن قومه؟

فالجواب فى هذا المقام، هو الجواب فى الإمام المهدى عليه السلام وسيوافيك ما يفيدك من الانتفاع بوجود الإمام الغائب فى زمان غيبته فى جواب السؤال التالى.

وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده فى زمن غيبته، لايدلّ على عدم كونه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢٢٩

مفيداً فى زمن غيبته، فالسائل جَعَلَ عدم العلم طريقاً إلى العلم بالعدم!! وكم لهذا السؤال من نظائر فى التشريع الإسلامى، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل فى تحليل المسائل العلمية، ولا شك أنّ عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأُمور المهمّة فى عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه، وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو.

وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما عرفت من تواتر الروايات على غَيبته.

الثانى: إنّ الغَيبَة لا تلازم عدم التصرف فى الأُمور، وعدم الاستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء اللّه فى عصره، فقد خرق السفينة التى يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعْلَم أصحاب السفينة بتصرّفه، وإلّا لصدُّوه عن الخرق، جهلًا منهم بغاية علمه. كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأى مانع حينئذ من أن يكون للإمام الغائب فى كلّ يوم وليلة تصرّف من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك مادلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم فى أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلتّ على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل- بنفسه الشريفة- قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المُسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه فى غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذى دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأُمّة الذين يُستَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالى تستفيد الأُمّة بواسطتهم.

الرابع: لا- يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف فى الأُمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف فى الأُمور كما فعل الإمام المهدى- أرواحنا له الفداء-

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٢٣٠

فى غَيبته. ففى الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم. وفى الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء وتدبير الأُمور، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون فى عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكل ما يتوقّف عليه نظم أُمور الناس «١».

وإلى هذه الأجوبة أشار الإمام المهدى عليه السلام فى آخر توقيع له إلى بعض نوّابه، بقوله: «وأمّا وجهُ الانتفاع بى فى غَيبتى، فكالانتفاع بالشَّمسِ إذا غيّبَها عن الأبصارالسحاب» «٢».

الثانى: لماذا غاب المهدى عليه السلام؟

الثانی: لماذا غاب المهدی علیه السلام؟

إنّ ظهور الإمام بین الناس، یترتّب علیه من الفائدة ما لا یترتب علیه فی زمن الغیبة، فلماذا غاب عن الناس، حتی حرموا من الاستفادة من وجوده، وما هی المصلحة التی أخفته عن أعین الناس؟

الجواب:

أنّ هذا السؤال یجاب علیه بالنقض والحل:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۳۱

أمّا النقض: فبما ذکرناه فی الإجابة عن السؤال الأوّل، فإنّ قصور عقولنا عن إدراک أسباب غیبته، لا یجرّنا إلی إنکار المتضافرات من الروایات، فالاعتراف بقصور أفهامنا أولی من ردّ الروایات المتواترة، بل هو المتعّین.

وأمّا الحلّ: فإنّ أسباب غیبته، واضحة لمن أمعن فیما ورد حولها من الروایات، فإنّ الإمام المهدی علیه السلام هو آخر الأئمة الاثنی عشر الذین وعد بهم الرسول، وأناط عزّة الإسلام بهم، ومن المعلوم أنّ الحکومات الإسلامیة لم تُقدِّرْهُم، بل کانت لهم بالمرصاد، تلقیهم فی السجون وتریق دماءهم الطاهرة بالسیف أو السمّ، فلو کان ظاهراً، لأقدموا علی قتله، إطفاءً لنوره، فلأجل ذلک اقتضت المصلحة أن یکن مستوراً عن أعین الناس، یراهم ویرونه ولکن لا ـ یعرفونه، إلی أن تقتضی مشیئة اللَّه سبحانه ظهوره، بعد حصول استعدادٍ خاص فی العالم لقبوله، والانضواء تحت لواء طاعته، حتی یحقّق اللَّه تعالی به ما وعد به الأُمم جمعاء من توریث الأرض للمستضعفین.

وقد ورد فی بعض الروایات إشارة إلی هذه النکتة، روی زرارة قال: سمعت أبا جعفر (الباقر علیه السلام) یقول: إنّ للقائم غَیبة قبل أن یقوم، قال: قلت: ولِمَ؟ قال: یخاف.

قال زرارة: یعنی القتل.

وفی روایة أُخری: یخاف علی نفسه الذبح «۱».

وسیوافیک ما یفیدک عند الکلام عن علائم ظهوره.

الثالث: الإمام المهدی وطول عمره:

الثالث: الإمام المهدی وطول عمره:

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدی، طول عمره فی فترة غَیبته، فإنّه ولد عام ۲۵۵ ه، فیکون عمره إلی العصر الحاضر أکثر من ألف ومائة وخمسین

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۳۲

عاماً، فهل یمکن فی منطق العلم أن یعیش إنسان هذا العمر الطویل؟

الجواب:

من وجهین، نقضاً وحلًّا.

أمّا النقض: فقد دلّ الذکر الحکیم علی أنّ شیخ الأنبیاء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالی: فَلَبِثَ فیهم أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسینَ عاماً «۱».

وقد تضمّنت التوارة أسماء جماعة کثیرة من المعمّرین، وذکرت أحوالهم فی سِفْر التکوین «۲».

وقد قام المسلمون بتألیف کتب حول المعمّرین، ککتاب «المعمّرین» لأبی حاتم السجستانی، کما ذکر الصدوق أسماء عدّة منهم فی کتاب «کمال الدین» «۳»، والعلّامة الکراجکی فی رسالته الخاصّة، باسم «البرهان علی صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان» «۴»،

والعلّامة المجلسی فی البحار «۵»، وغیرهم.

وأمّا الحلّ: فإنّ السؤال عن إمکان طول العمر، یعرب عن عدم التعرّف علی سعة قدرة اللَّه سبحانه: وَما قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ «۶»

، فإنّه إذا کانت حیاته وغیبته وسائر شؤونه، برعایة اللَّه سبحانه، فأی مشکلة فی أن یمدّ اللَّه سبحانه فی عمره ما شاء، ویدفع عنه عوادی المرض ویرزقه عیش الهناء.

وبعبارة أُخری: إنّ الحیاة الطویلة إمّا ممکنة فی حد ذاتها أو ممتنعة، والثانی لم

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۳۳

یقل به أحد، فتعیّن الأوّل، فلا مانع من أن یقوم سبحانه بمدّ عمر ولیّه، لتحقیق غرض من أغراض التشریع.

أضف إلی ذلک ما ثبت فی علم الحیاة، من إمکان طول عمر الإنسان إذا کان مراعیاً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان فی فترة متدنیة، لیس لقصور الاقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحیاة، ولو أمکن تحصین الإنسان منها بالأدویة والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

وهناک کلمات ضافیة من مَهَرة علم الطب فی إمکان إطالة العمر، وتمدید حیاة البشر، نشرت فی الکتب والمجلات العلمیة المختلفة «۱».

وبالجملة، اتّفقت کلمة الأطباء علی أنّ رعایة أُصول حفظ الصحّة، توجب طول العمر، فکلّما کثرت العنایة برعایة تلک الأُصول، طال العمر، ولأجل ذلک نری أنّ الوفیات فی هذا الزمان، فی بعض الممالک، أقلّ من السابق، والمعمّرین فیها أکثر من ذی قبل، وما هو إلّالرعایة أُصول الصحّة، ومن هنا أُسّست شرکات تضمن حیاة الإنسان إلی أمد معلوم تحت مقرّرات خاصة وحدود معیّنة، جاریة علی قوانین حفظ الصحّة، فلو فرض فی حیاة شخص اجتماع موجبات الصحّة من کلّ وجه، طال عمره إلی ما شاء اللَّه.

وإذا قرأت ما تُدَوِّنه أقلام الأطباء فی هذا المجال، یتّضح لک معنی قوله سبحانه: فَلَوْلا أنّه کانَ مِنَ المُسَبِّحینَ* لَلَبِثَ فی بَطْنِهِ إِلی یَومِ یُبْعَثونَ «۲»

.

فإذا کان عیش الإنسان فی بطون الحیتان، فی أعماق المحیطات، ممکناً إلی یوم البعث، فکیف لا یعیش إنسان علی الیابسة، فی أجواء طبیعیة، تحت رعایة اللَّه وعنایته، إلی ما شاء اللَّه؟

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۳۴

الرابع: ماهی علائم ظهوره علیه السلام؟

الرابع: ماهی علائم ظهوره علیه السلام؟

إذا کان للإمام الغائب، ظهورٌ بعد غیبة طویلة، فلا بدّ من أن یکون لظهوره علامات وأشراط تخبر عن ظهوره، فما هی هذه العلامات؟

الجواب:

إنّ ما جاء فی کتب الأحادیث من الحوادث والفتن الواقعة فی آخر الزمان علی قسمین:

قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنوّ القیامة.

وقسم هو ما یقع قبل ظهور المهدی المنتظر.

وربّما وقع الخلط بینهما فی الکتب، ونحن نذکر القسم الثانی منهما، وهو عبارة عن أُمور عدّة، منها:

۱- النداء فی السماء.

۲- الخسوف والكسوف فى غير مواقعهما.

۳- الشقاق والنفاق فى المجتمع.

۴- ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج فى الأُمّة.

۵- ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.

۶- قتل النفس الزكية.

۷- خروج الدجّال.

۸- خروج السفيانى.

وغير ذلك مما جاء فى الأحاديث الإسلامية «۱».

هذه هى علامات ظهوره، ولكن هناك أُمور تمهّد لظهوره، وتسهّل تحقيق

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۵

أهدافه نشير إلى إبرزها:

۱- الاستعداد العالمى: والمراد منه أنّ المجتمع الإنسانى- وبسبب شيوع الفساد- يصل إلى حدّ، يقنطمعه من تحقّق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التى تحمل عناوين مختلفة، وأنّ ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله عن أن يُذعن ويُقرّ بأنّ الإصلاح لا يتحقّق إلّابظهور إعجاز إلهى، وحضور قوّة غيبية، تدمّر كلّ تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التى قَيّدَتْ بسلاسلها أعناق البشر.

۲- تكامل العقول: إنّ الحكومة العالمية للإمام المهدى عليه السلام لا تتحقّق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنّما تتحقّق برغبة الناس إليها، وتأييدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم.

يقول الإمام الباقر عليه السلام فى حديث له يرشد فيه إلى أنّه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: «إذا قام قائمنا، وَضَعَ اللَّه يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم» «۱».

فقوله عليه السلام: «فيجمع بها عقولهم»، بمعنى أنّ التكامل الاجتماعى يبلغ بالبشر إلى الحدّ الذى يَقْبَلُ فيه تلك الموهبة الإلهية، ولن يترصّد للثورة على الإمام والانقلاب عليه، وقتله أو سجنه.

۳- تكامل الصناعات: إنّ الحكومة العالمية الموحّدة لا تتحقق إلّابتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كلّه صوته ونداءه، وتعاليمه وقوانينه فى يوم واحد، وزمنٍ واحدٍ.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمنَ فى زمان القائم، وهو بالمشرق يرى أخاه الذى فى المغرب، وكذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى بالمشرق» «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۶

۴- الجيش الثورى العالمى: إنّ حكومة الإمام المهدى، وإن كانت قائمة على تكامل العقول، ولكن الحكومة لا تستغنى عن جيش فدائى ثائر وفعّال، يُمَهِّد الطريق للإمام عليه السلام ويواكبه بعد الظهور إلى تحقّق أهدافه وغاياته المتوخّاة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۷

حصيلة البحث

حصيلة البحث

حصيلة البحث

هؤلاء هم أئمّـة الشيعة وقادتهم بل أئمّـة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك؟ وقد ترك رسول اللّه بعد رحلته الثقلين وحثّ الأُمّة على التمسّك بهما وقال:

«إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً» «۱».

ولكن المؤسف أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا فى تفسير كتاب اللّه العزيز على أقوال أئمّة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنّما استعانوا فى تفسيره بأُناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقّون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفّى عام ۱۰۴ ه)، وعكرمة البربرى (المتوفّى عام ۱۰۴ ه)، وطاووس بن كيسان اليمانى (المتوفّى عام ۱۰۶ ه) وعطاء بن أبى رباح (المتوفّى عام ۱۱۴ ه)، ومحمّد بن كعب القرظى (المتوفّى عام ۱۱۸ ه)، إلى غير ذلك من أُناس لا يبلغون فى الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمّة أهل البيت- صلوات اللّه عليهم-...

فالإسلام عقيدة وشريعة، والنجاة عن الضلال- حسب مفاد حديث الثقلين- هو الرجوع إليهما، وأمّا غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلّا فلا قيمة له، أمّا الصحابة والتابعون، فلا يعتد برأيهم إلّاإذا كان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سنّة نبيّه، وليس حديث أئمّة أهل البيت إلّاإشراقاً خالداً لحديث جدّهم الأكرم وسنّته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۸

صفحه سفيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۳۹

الفصل الثالث

دور الشيعة

اشارة

دور الشيعة

فى

بناء الحضارة الإسلاميّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۰

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۱

تمهيد

اشارة

تمهيد

إنّ الحديث عن دور الإنسان فى بناء الحضارة البشرية حديث ذو شجون لا يسع المرء وهو يتحدّث عنه إلّاأن يتبيّن بوضوح أثر العمق العقائدى فى استقرار هذه الحضارات المتلاحقة والتى تركت- وبلا شكّ- لها بعض الآثار الدالّة عليها، وهذا العامل الداعم لقيام تلك الحضارات يكون وبلا أدنى ريب المفصل الأساسى فى هيكلية ذلك البناء الكبير.

ولقد شـهدت الحياة البشـرية على هذا الكوكب (الأرض) حضارات متعدّدة، لكلّ ميزاتها وخصائصـها التى ضـبطها التاريخ، وأفصحت عنها الاكتشافات الأثرية.

ومن مشاهير هـذه الحضارات: الحضارة الصـينية، المصـرية، البابليـة، اليونانيـة، الرومانيـة، الفارسـية، وأخيراً الحضارة الغربيـة القائمة فى عصرنا الحاضر، ولكلّ من هذه الحضارات انطباعاتها الخاصة.

وأمّا الحضـارة الإسـلامية و التى تتوسّط بين الحضارة الأخيرة (الغربيـة) وما تقـدّمها فهى تعـدّ بلا شكّ من أكبر الحضارات فى تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون. وهى الأساس الوطيد الذى قامت عليه حركة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۲

النهضـة الأوروبيـة. ولقد وضع عشـرات من العلماء موسوعات وكتباً لبيان ما قدّمته الحضارة الإسـلامية من خدمات جليلة إلى المجتمع البشرى فى المجالات المختلفة.

ولا يمكن لأحـد القول بأنّ الحضارة الإسـلامية حضارة عربيـة بحتـة تفرَّد العرب فى إقامـة بنيانها وتثبيت أركانها، بقدر ما كانت تمثّل الجهـد المتفاعل لجميع الشـعوب الإسـلامية بقومياتها المختلفة من عرب وفرس وترك وغيرهم من القوميات، الذين ذابوا فى الإسـلام ونسوا قوميّاتهم ومشخّصاتهم العنصرية والبيئية.

ومن هنا فإنّ أىّ تعبير عن الحضارة التى سادت إبّان تلك الحقبة الزاهرة من حياة البلاد العربية وما يجاورها، فإنّ المراد به الإشارة إلى الحضارة الإسـلامية بكلّ أبعادها وأُسـس بنيانها، والتى شارك فيها جميع المسلمين، المخلصين لرسالة السماء التى جاء بها نبىّ الرحمة محمّد صلى الله عليه و آله.

إنّ المسـلمين الأوائـل وبفضـل جهـدهم المخلص فى بنـاء حياة الأُمم والشـعوب، اسـتطاعوا أن يقيموا للإسـلام حضارة عظيمـة ورائعة مترامية الأطراف كانت متوازيـة مع خطّ انتشار الـدعوة الإسـلامية، فلا غرو أن تخفق راياتها فى بقاع واسـعة من العالم تمتد من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً.

بلى لقد اسـتطاع المسـلمون أن يقيموا حضارة حقيقية ترتكز على أُسـس أخلاقية وعقائدية سـماوية، ضـربت جذورها فى أعماق البناء الإنسانى واستطاعت أن تجعل منه وكما أراد خالقه له أن يكون خليفته فى أرضه.

وإذا كان «ويل دورانت» فى كتابه الشهير «قصّة الحضارة» قد أشار إلى أنّ الحضارة تتألّف من عناصر أربعة، وهى:

۱- الموارد الاقتصادية.

۲- النظم السياسية.

۳- التقاليد الخلقية.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۳

۴- متابعة العلوم والفنون.

وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق؛ لأنّه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحرّرت فى نفسه دوافع التضلّع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفكّ الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضى فى طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها «۱».

فـإنّ مـا ذكره ذلـك العـالم البـاحث من أُسـس الحضـارة وأركانها يرجع إلى تفسير الحضارة بالمعنى الجامع الشامل للحضارة الإلهية والماديّة، وأمّا بالنظر إلى الحضارة المرتكزة على الأُسس الدينية فمن أهمّ أركانها توعية الإنسان فى ظلال الاعتقاد باللَّه سبحانه واليوم الآخر، حتى يكون هو الدافع إلى العمل والالتزام بالسلوك الأخلاقى والدينى، فالحضارة المنقطعة عن التوعية الدينية حضارة صـناعية لا إنسانية، وتمدّن مادّى وليس بإلهى.

إنّ مؤسّـس الحضارة الإسـلامية هو النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله، وقد جاء بسـنن وقوانين دفعت البشـرية إلى مكارم الأخلاق كما

دفعتهم إلى متابعة العلوم والفنون، واستغلال الموارد الطبيعية، وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة.

ولا يشكّ فى ذلك من قرأ تاريخ الإسلام، وتاريخ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، خصوصاً إذا قارن بين حياة البشرية بعد بزوغ شمس الإسلام بما قبلها.

ثمّ إنّ المسلمين شيّدوا أركان الحضارة الإسلامية فى ظل الخطوط التى رسمها النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله من خلال القرآن والسنّة، فأصبحت لهم قوّة اقتصادية، ونظم سياسية، وتقاليد دينية وخلقية، وأعطوا العلوم المختلفة جلّ اهتمامهم، فبرز منهم العديد من العلماء المتفوّقين والبارعين فى شتّى مناحى العلم، ورفدوا حركة تطوّر الحضارة البشرية بجهودهم المخلصة، والتى تعكسها مؤلّفاتهم القيّمة والتى لا زالت حتّى يومنا هذا مثار إعجاب الجميع، بل إنّهم عمدوا إلى ترجمة كتب العلم المختلفة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۴

لدى غيرهم من الأُمم، مثل الفرس واليونانيين وغيرهم، فأغنوا المكتبة الإسلامية بسيل وافر من المؤلّفات القيّمة والمهمة.

لقد شملت الحضارة الإسلامية كلّ ميادين الحياة المختلفة، فلم تلق جلّ جهدها فى جانب واحد من جوانب الرقىّ الحضارى دون غيره، بل شمل اهتمامها كلّ جوانب الحياة المختلفة، وتلك حقيقة لا ـ يمكن لأحد الإغضاء عنها، فإذا كانت كلّ حضارة من الحضارات المعروفة قد تميّزت برقىّ فى جانب واحد من الجوانب الحياتية، سواء الاقتصادى كان أو العسكرى، فإنّ الحضارة الإسلامية تتمتّع بمجموع هذه المميزات؛ فلم تترك ميزة دون أُخرى.

والذى يطيب لنا هنا ذكر مشاركة الشيعة فى بناء هذه الحضارة، خصوصاً فيما يتعلّق بالركن الرابع وهو متابعة العلوم والفنون، وأمّا الأركان الثلاثة الباقية فغير مطلوبة لنا فى هذا المقام؛ وذلك لأنّ الموارد الاقتصادية شارك فيها المسلمون انطلاقاً من دوافعهم النفسية من خلال الاهتمام بالأُمور التالية:

۱- التنمية الزراعية بجوانبها المختلفة.

۲- استخراج وصناعة المعادن المختلفة، مثل الذهب والفضة والأحجار الكريمة بأنواعها النفيسة المختلفة.

۳- إحداث القنوات المائية وبناء السدود.

۴- الاهتمام بتطوير الثروة الحيوانية وتوسيعها.

۵- صناعة الألبسة والأقمشة وغيرها.

۶- صناعة الورق وكتابة الكتب ونشرها فى العالم.

۷- إيجاد المواصلات البريّة و البحريّة، وتنظيم حركة الملاحة، ومحاربة قطّاع الطرق واللصوص فى البرّ والبحر.

۸- العناية الفائقة بالتجارة، وعقد الاتّفاقيات التجارية مع البلدان المجاورة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۵

إلى غير ذلك ممّا يوجب ازدهار الوضع الاقتصادى، فلا يصح إبعاد قوم عن تلك الساحة وتخصيص الازدهار الاقتصادى بطائفة دون أُخرى؛ فإنّ الإنسان حسب الفطرة والدافع الغريزى ينساق إلى ذلك.

وأمّا النظم السياسية؛ فإنّ الدول الإسلامية المختلفة قد ساهمت فى إرساء دعائمها وتثبيت أركانها خلال سنى حكمها، ولا فرق فى ذلك بين دول الشيعة منها كالحمدانيين والبويهيين والفاطميين وغيرهم كالسامانيين والسلاجقة وغيرهم.

وأمّا التقاليد الخلقية فقد كانت منبثقة من صميم الإسلام، ومأخوذة من الكتاب والسنّة، كما أنّ التقاليد القومية للشعوب المختلفة، والتى لم تكن معارضة لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء فقد فسح لها الإسلام المجال ولم ينه عنها.

فلأجل ذلك نركّز على الركن الرابع من هذه الأركان الأربعة للحضارة، وهو متابعة العلوم والفنون، فهى الطابع الأساسى للحضارة الإسلامية، وبها تتميّز عمّا تقدّم عليها وما تأخّر، فنأتى بموجز عن دور الشيعة فى بناء هذا الركن- أى ازدهار العلوم والفنون- ليظهر

أنّهم كانوا فى الطليعة، وكان لهم الدور الأساسى فى ازدهارها.

ولمّا كانت الحضارة الإسلامية تستمدّ أسباب وجودها من الكتاب والسنّة، فكلّ من قدّم خدمة للقرآن والسنّة لفظاً ومعنى، صورة ومادة، فقد شارك فى بناء الحضارة الإسلامية. وإليك هذا البيان تأييداً لما أسلفنا:

۱- قدماء الشيعة وعلم البيان ۲- قدماء الشيعة وعلم النحو

۱- قدماء الشيعة وعلم البيان ۲- قدماء الشيعة وعلم النحو

إنّ دراسة القرآن بين الأُمّية ونشر مفاهيمه يتوقّف على معرفة العلوم التى تعدّ مفتاحاً له؛ إذ لولا تلك العلوم لكانت الدراسة ممتنعة، ونشرها فى ربوع العالم غير ميسور جدّاً. بل لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتّى العرب منهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۶

من الاستفادة من القرآن الكريم؛ لأنّ الفتوحات فرضت على المجتمع العربى الاختلاط مع بقية القوميات، وسبَّب ذلك خطراً على بقاء اللغة العربية، وكان العرب عند ظهور الإسلام يعربون كلامهم على النحو الذى كان فى القرآن، إلّامن خالطهم من الموالى والمتعرّبين، ولكن اللحن لم يكثر إلّابعد الفتوح وانتشار العرب فى الآفاق، فشاع اللحن فى قراءة القرآن، فمسّت الحاجة الشديدة إلى ضبط قواعد اللّغة «۱».

فقام أبو الأسود الدؤلى بوضع قواعد نحوية بأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأبو الأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه، وكان من سادات التابعين، وقد صاحب عليّاً وشهد معه صفّين، ثمّ أقام فى البصرة.

يقول الشيخ أبو الحسن سلامة الشامى النحوى: إنّ علياً دخل عليه أبو الأسود يوماً. قال: فرأيته مفكّراً، فقلت له: ما لى أراك مفكّراً يا أمير المؤمنين؟

قال: «إنّى سمعت من بعض الناس لحناً، وقد هممت أن أضع كتاباً أجمع فيه كلام العرب».

فقلت: إن فعلت ذلك أحييت أقواماً من الهلاك.

فألقى إليَّ صحيفة فيها: «الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما دلّ على المسمّى، والفعل ما دلّ على حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى وليس باسم ولا فعل». وجعل يزيد على ذلك زيادات.

قال: واستأذنته أن أصنع فى النحو ما صنع، فأذن، وأتيته به فزاد فيه ونقص.

وفى رواية: أنّه ألقى إليه الصحيفة وقال له: «انحَ نحو هذه» فلهذا سمّى النحو نحواً «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۷

ومن المعلوم أنّ هذه القواعد لم تكن لتسد الحاجة الملحّة، ولكن أبا الأسود قام بإكمالها وضبطها وبتمييز المنصوب من المرفوع، والاسم من الفعل، بعلامات نسمّيها الإعراب. فالروايات مجمعة على أنّ أبا الأسود (وهو شيعى المذهب توفّى سنة (۶۹ ه) إمّا مدوّن علم النحو أو واضعه، وأضحى ما دوّنه مصدراً لهذا العلم فى العصور اللاحقة.

وهناك كلام لابن النديم دونك لفظه، يقول:

قال محمّد بن إسحاق: زعم أكثر العلماء أنّ النحو أُخذ عن أبى الأسود الدؤلى، وأنّ أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

ثمّ نقل عن الطبرى وقال: إنّما سمّى النحو نحواً لأنّ أبا الأسود الدؤلى قال لعلىّ عليه السلام وقد ألقى عليه شيئاً من أُصول النحو، قال أبو الأسود: واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع. فسمّى ذلك نحواً «۱».

۲- وإذا كان أبو الأسود الدؤلى واضعاً للنحو، فالخليل بن أحمد الفراهيدى هو المنقّح له والباسط له. قال أبو بكر محمّد بن الحسن

الزبيـدى: والخليل بن أحمـد، أوحـد العصـر، وفريـد الـدهر، وجهبـذ الأمّة، وأَسـتاذ أهل الفطنة، الذى لم ير نظيره، ولا عرف فى الدنيا عديله، وهو الذى بسط النحو ومدّ أطنابه وبيّن علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتّى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غايته... وسيوافيك أنّ الخليل من أصحاب الإمام الصادق ومن شيعته.

ثمّ إنّ علمـاء الفريقين شاركوا فى إنضاج هـذا العلم وإيصاله إلى القمّـة. وليس للمنصف بخس حق طائفـة لمصالـح أُخرى، ولكن لمّا كان الهدف هو بيان دور الشيعة فى تطوير العلوم وتتبعها فانّا نذكر من ألّف فى علم النحو من قدماء الشيعة فقط، ومنهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۸

۱- عطاء بن أبى الأسود: قال الشيخ الطوسى فى باب أصحاب الحسين بن علىّ: ومنهم ابن أبى الأسود الدؤلى.

وقال الحافظ السيوطى فى الطبقات: عطاء، أُستاذ الأصمعى وأبو عبيدة «۱».

۲- أبو جعفر محمّد بن الحسن بن أبى سارة الرواسى الكوفى: قال السيوطى:

هو أوّل من وضع من الكوفيين كتاباً فى النحو وسمّاه الفيصل، وهو أُستاذ الكسائى والفرّاء «۲».

قـال النجاشـى: روى هو وأبوه عن أبى جعفر وأبى عبـد اللَّه عليهما السـلام وله: كتاب الوقف والابتـداء، وكتاب الهمز، وكتاب إعراب القرآن «۳».

۳- حمران بـن أعين، أخـو زرارة بن أعين: كـان نحويـاً إمامـاً فيه، عالمـاً بالحـديث واللغـة والقرآن، أخـذ النحـو والقراءة عن ابن أبى الأسود، وأخذ عنه الفرّاء، وكان قد أخذ الحديث عن الإمام السجّاد والباقر والصادق.

وآل أعين بيت كبير بالكوفة من أجلّ بيوت الشيعة، ولأبى غالب الزرارى رسالة فى ترجمة آل أعين قال: كان حمران من أكابر مشايخ الشيعة وكان عالماً بالنحو واللغة «۴».

۴- أبو عثمان المازنى، بكر بن محمّـد: قال النجاشـى: كان سـيّد أهل العلم بالنحو والعربية واللغة، ومقدّمته بذلك مشـهورة، وكان من علماء الإمامية، قد تأدّب على يد إسماعيل بن ميثم «۵»، له فى الأدب: كتاب التصريف، كتاب ما يلحن فيه العامة،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۴۹

التعليق. مات سنة ۲۴۸ ه «۱».

۵- ابن السـكيت، يعقـوب بن إسـحاق السـكيت: كـان مقـدّماً عنـد أبى جعفر (الجـواد) وأبى الحسن (الهـادى) عليهمـا السـلام وكـانا يختصّانه. وله عن أبى جعفر عليه السـلام روايـة ومسائل، وقتله المتوكّل لأجل تشيّعه عام ۲۴۴ ه، وأمره مشـهور. وكان وجيهاً فى علم العربيـة واللغـة، ثقـة، مصـدّقاً، لاـ يطعن عليه. وله كتب: إصـلاح المنطق، كتـاب الألفـاظ، كتـاب مـا اتّفق لفظه واختلف معنـاه، كتـاب الأضداد، كتاب المذكّر والمؤنث، كتاب المقصور والممدود، و... «۲».

وسـبب قتله: أنّ المتوكّل سأله يوماً وهو يعلّم ابنيه وقال: يا يعقوب، أيّهما أحبّ إليك، ابناى هـذان، أم الحسن والحسـين؟ فأجابه: «انّ قنبر خـادم على خير منـك ومن ابنيـك» فـأمر المتوكّل، فسلّوا لسانه من قفاه فمات، وقـد خلّف بضـعة وعشـرين أثراً فى النحو واللغة والشعر «۳».

۶- ابن حمدون، أحمد بن إبراهيم بن إسـماعيل بن داود بن حمدون: قال فيه النجاشى: الكاتب النديم شيخ أهل اللغة ووجههم. أُستاذ أبى العبّاس «۴» وكان خصّيصاً بسيّدنا أبى محمّد العسكرى وأبى الحسن قبله. له كتب. ثمّ ذكر كتبه «۵».

۷- أبو إسـحاق النحوى، ثعلبـة بن ميمون: قـال عنه النجاشـى: كـان وجهاً فى أصـحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحويّاً، لغويّاً، راويـة، وكان حسـن العمل، كثير العبادة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۰

والزهد، روى عن الصادق والكاظم «۱». وبما أنّ الإمام الكاظم توفّى عام مائة وثلاثة وثمانين، فهو من أهل المائة الثانية.

٨- قتيبة النحوی الجعفی الكوفی: قال النجاشی: المؤدّب، المقرئ، ثقة عين، روی عن الصادق عليه السلام «٢».

وذكره السيوطی فی بغية الوعاة، ووصفه فی تأسيس الشيعة بأنّه إمام أهل النحو واللغة «٣».

٩- إبراهيم بن أبی البلاد: قال النجاشی: كان ثقة، قارئاً، أديباً، روی عن الصادق والكاظم عليهما السلام «۴».

١٠- محمّد بن سلمة اليشكری: قال النجاشی: جليل من أصحابنا الكوفيين، عظيم القدر، فقيه، قارئ، لغوی، راوية، خرج إلی البادية ولقی العرب وأخذ عنهم. وأخذ عنه يعقوب بن السكّيت. ثمّ ذكر كتبه «۵»، وبما أنّه شيخ ابن السكيت فهو من أهل المائة الثانية وأوائل الثالثة.

١١- أبو عبد اللّه النحوی، الحسين بن أحمد بن خالويه: سكن حلب ومات بها، وكان عارفاً بمذهبنا، مع علمه بعلوم العربية، واللغة، والشعر. وله كتب، ومن كتبه: مستحسن القراءات والشواذّ، كتاب فی اللغة «۶».

ووصفه السيوطی فی الطبقات: إنّه إمام اللغة والعربية، وغيرهما من العلوم الأدبية، دفن ببغداد سنة ٣١۴ ه.

١٢- أبو القاسم التنوخی: قال الشيخ رشيد الدين بن شهر آشوب: إنّه من جملة الشعراء المجاهرين بالشعر فی مدح أهل البيت.

وقال ياقوت: كان فی النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة والعروض قدوة، وكان يحفظ من اللغة والنحو شيئاً عظيماً «١».

ما ذكرناه نماذج من أئمّة اللغة من الشيعة الإمامية فی القرون الأُولی، وأمّا من وليهم من الأئمّة فحدّث عنهم ولا حرج، فإنّ ذكر أسمائهم ونبذٍ من حياتهم يدفعنا إلی تأليف كتاب مفرد، وقد كفانا فی ذلك ما كتبه السيد الصدر فی هذا المجال، فقد بلغ النهاية، وقد ذكر أئمّة النحو من الشيعة إلی القرن السابع «٢» فبلغوا (١۴٠) إماماً وأُستاذاً ومؤلّفاً فی الأدب العربی، ولا سيما النحو، وبينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضی والشريف الرضی وابن الشجریّ الذی يقول فی حقّه السيوطی: كان أوحد زمانه، وفرد أوانه فی علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب، توفّی عام (۵۴٢ ه).

ونجم الأئمّة الرضی الاسترآبادی، إلی غير ذلك من الشخصيات البارزة.

٣- قدماء الشيعة وعلم الصرف

٣- قدماء الشيعة وعلم الصرف

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبو عثمان المازنی، وكان قبل ذلك مندرجاً فی علم النحو، كما ذكره فی كشف الظنون، وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنّی المتوفّی فی (٣٩٢ ه) «٣».

وأبسط كتاب فی الصرف، ما كتبه نجم الأئمّة محمّد بن الحسن الاسترآبادی

الغروی، وله شرح الشافية فی الصرف، كما له شرح الكافية فی النحو، وكلا كتابيه جليل الخطر، محمود الأثر، قد جمع فيهما بين الدلائل والمبانی.

قال فی كشف الظنون: للكافية شروح أعظمها شرح الشيخ رضیّ الدين محمّد ابن الحسن الطوسی الاستر آبادی النحوی. قال السيوطی: لم يؤلّف عليها، بل ولا فی غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً، فتداوله الناس واعتمدوا عليه، وله فيه أبحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها، فرغ من تأليفه سنة (۶٨٣ ه).

أقول: فرغ من شرح الكافية سنة (۶٨۶ ه) فی النجف الأشرف، كما هو مذكور فی آخر الكتاب.

ولنكتف بهذا المقدار عن مساهمة الشيعة مع غيرهم فی بناء الأدب العربی، وتجديد قواعده وإرسائها فی مجالی النحو والصرف، وفيما ذكرناه غنی وكفاية.

۴- قدماء الشيعة وعلم اللغة

۴- قدماء الشيعة وعلم اللغة

ونريد بعلم اللغة: الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أُصولها، واشتقاقاتها ومعانيها، وهو يعدّ بحقّ من العلوم الإنسانية التى ساهمت بشكل مباشر فى إقامة صرح الحضارة الإسلامية، وقد ظهر فى ميدان هذا العلم المهم جملة واسعة من علماء الشيعة، خلَّفوا آثاراً مهمة أصبحت زاداً لطلّاب العلم والمعرفة، ومن هؤلاء الأفاضل:

۱- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الأزدى: سيد أهل الأدب، وهو أوّل من ضبط اللغة، وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، فهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم، فألّف كتابه «العين» الذى جمع فيه ما كان معروفاً فى أيّامه من ألفاظ اللغة، وأحكامها، وقواعدها، ورتّب ذلك على حروف الهجاء، لكنّه رتّب الحروف حسب مخارجها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۳

من الحلق، فاللسان، فالأسنان، فالشفتين، وبدأ بحرف العين وختمها بحروف العلّة «واى» وسُمِّى الكتاب بأوّل لفظ من ألفاظه «۱».

وكان الكتاب مخطوطاً عزيز النسخة، لكنّه رأى النور أخيراً وطبع محقّقاً.

والخليل بن أحمد الذى لا يشكّ أحد فى تشيّعه من أعلام القرن الثانى الهجرى، قال المرزبانى: إنّه ولد عام مائة من الهجرة وتوفّى سنة (۱۷۰) أو (۱۷۵ ه)، وقال ابن قانع: إنّه توفّى سنة (۱۶۰ ه) «۲».

قد ألّف كتاباً فى الإمامة، أورده بتمامه محمّد بن جعفر المراغى فى كتابه، واستدرك عليه ما لم يذكره وأسماه «الخليلى».

قال النجاشى: محمّد بن جعفر بن محمّد، أبو الفتح الهمدانى الوادعى المعروف ب «المراغى» كان يتعاطى الكلام، له: كتاب مختار الأخبار، كتاب الخليلى فى الإمامة، وكتاب ذكر المجاز من القرآن «۳».

قال العلّامة فى الخلاصة: كان خليل بن أحمد أفضل الناس فى الأدب وقوله حجّة فيه واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان إماميّ المذهب «۴».

وقال ابن داود: الخليل بن أحمد شيخ الناس فى علوم الأدب، فضله وزهده أشهر من أن يخفى، كان إماميّ المذهب «۵».

۲- أبان بن تغلب بن رباح الجريرى: من أصحاب الباقر والصادق، قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۴

النجاشى: كان قارئاً من وجوه القرّاء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب، وحكى عنهم «۱».

وقال ياقوت: ذكره أبو جعفر الطوسى فى مصنّفى الإمامية. وقال: هو ثقة جليل القدر عظيم المنزلة، وقال: كان قارئاً، فقيهاً، لُغويّاً، نبيهاً، ثبتاً «۲».

۳- ابن حمدون النديم: شيخ أهل اللغة ووجههم وأُستاذ أبى العباس ثعلب «۳».

۴- أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدى: الأديب اللغوى، صاحب الجمهرة فى اللغة، مات هو وأبو هاشم الجبّائى فى يوم واحد، فقال الناس: مات علم اللغة والكلام. وألّف كتاب «جمهرة اللغة» على منوال كتاب «العين» للخليل، واختصره الصاحب بن عباد وسمّاه «جوهرة الجمهرة» «۴».

۵- الصاحب بن عباد: عظيم الشأن، جليل القدر فى العلم والأدب، وألّف الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام لأجله، ومن كتبه فى اللغة:

«المحيط» عشرة مجلدات، قد عرفت تلخيص «الجوهرة»، وأمّا تشيّعه فحدّث عنه ولا حرج.

وكم له من قصائد فى مدح أهل البيت نذكر منها:

ألم تعلموا أنّ الوصیّ هو الذی آتی الزکاهٔ وکان فی المحراب

ألم تعلموا أنّ الوصیّ هو الذی حکم الغدیر له علی الأصحاب «۵» وهکذا فإنّنا نتوقّف عند هذا الحد من إیراد نماذج من کبار القدماء الذین

شارکوا المسلمین فی تأسیس العلوم العربیهٔ وتطویرها، ومن أراد التفصیل فلیطلبه من محالّه «۱».

۵- قدماء الشیعهٔ وعلم العروض

۵- قدماء الشیعهٔ وعلم العروض

کما أسلفنا سابقاً من أنّ الشیعهٔ بمفکّریها کانت هی المبتکرهٔ لعلم النحو بتوجیه من الإمام علی علیه السلام باب علم النبی الأکرم صلی الله علیه و آله؛ فإنّها أیضاً المبتکرهٔ لعلم العروض والمؤسسهٔ لبنیانه الشامخ، وإلیک أسماء بعض روّاده ورجاله:

۱- الخلیل بن أحمد الفراهیدی البصری: قال ابن خلّکان: هو الذی استنبط علم العروض وأخرجه إلی الوجود، وحصر أقسامه فی خمس دوائر یستخرج منها خمسهٔ عشر بحراً «۲».

۲- کافی الکفاهٔ الصاحب بن عباد: الطائر الصیت، له کتاب الإقناع فی العروض «۳».

وقد توالی التألیف بعده إلی عصرنا هذا، ومن أراد التفصیل فلیرجع إلی المعاجم حول مصنّفات الشیعهٔ الإمامیهٔ.

ومن أبرز ما ألّف فی العروض أخیراً أثران:

أحدهما: للسید الشریف هبهٔ الدین الشهرستانی (۱۳۰۱- ۱۳۸۶ ه) أسماه «رواشح الفیوض فی علم العروض» وقد طبع فی طهران (۱۳۲۴ ه).

ثانیهما: منظومهٔ رصینهٔ قیّمهٔ قلّما رأی الدهر مثلها للشیخ مصطفی

التبریزی (۱۲۹۸- ۱۳۳۸ ه) شرحها العلّامهٔ أبو المجد الشیخ محمّد رضا الأصفهانی (۱۲۸۶- ۱۳۶۲ ه) وأسماها «أداء المفروض فی شرح أُرجوزهٔ العروض» وإلیک مستهلّها:

الحمد للَّه علی إسباغ ما أولی لنا من فضله وأنعما

وخصّنا منه بواف وافر من بحر جوده المدید الزاخر

صلّی علی نبیّنا المختار ما عاقب اللیل علی النهار

وآله معادن الرساله بهم یداوی علل الجهاله

خذها ودع عنک رموز الزامرهٔ کعادهٔ تجلی علیک بارزهٔ

تجمع کلّ ظاهر وخافِ فی علمی العروض والقوافی «۱»

۶- قدماء الشیعهٔ وطرائف الشعر

۶- قدماء الشیعهٔ وطرائف الشعر

لا نرید من الشعر فی المقام الألفاظ المسبوکهٔ، والکلمات المنضَّدهٔ علی أحد الأوزان الشعریهٔ، وانّما نرید منه ما یحتوی علی المضامین العالیهٔ فی الحیاهٔ، وما یبثّ روح الجهاد فی الإنسان، أو الذی یشتمل علی حجاج فی الدین أو تبلیغ للحقّ.

وعلى مثل هذا الشعر بنيت الحضارة الإنسانية، وهو مقياس ثقافة الأمّة ورقيّها، وله خلود عبر القرون لا تطمسه الدهور والأيّام.

فما نقرأه فى الذكر الحكيم من التنديد بالشعراء من قوله تعالى: والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوون «۲»

، إنّما يراد بذلك الشعراء المأجورون الذين يتاجرون بالشعر فيقلبون الحقائق، ويصنعون من الظالم مظلوماً، ومن المظلوم ظالماً، ولأجل ذلك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۷

قال سبحانه: أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وادٍ يَهيمُونَ* وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ» «۱».

ومن هنا فإنّا نعنى بحديثنا هنا أُولئك الشعراء الذين أوقفوا أشعارهم فى خدمة كلمة الحق وإعلاء شأن الدين الحنيف. ولقد ظهرت فى سماء الشعر وفى القرون الأُولى للعهد الإسلامى من بين رجالات الشيعة طائفة من الشعراء حظوا برعاية أهل البيت عليهم السلام وتقديرهم.

وإليك أسماء بعض من شعراء الشيعة مع ذكر أبيات من شعرهم الخالد:

۱- قيس بن سعد بن عبادة:

سيّد الخزرج، و الصحابى الجليل، كان زعيماً مطاعاً، كريماً ممدوحاً، وكان من شيعة علىّ عليه السلام ومن أشدّ المتحمّسين له، بعثه أميراً على مصر سنة (۳۶ ه)، وهو وأبوه وأهل بيته من الذين لم يبايعوا أبا بكر وقالوا: لا نبايع إلّاعليّاً «۲».

ومن أشعاره التى أنشدها بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام فى صفّين:

قلتُ لما بغى العدوّ علينا حسبنا ربّنا ونعم الوكيلُ

حسبنا الذى فتح البص - رة بالأمس والحديث الطويلُ

وعليٌّ إمامنا وإمامٌ لسوانا أتى به التنزيلُ

يوم قال النبىّ من كنت مو لاه فهذا مولاه خطبٌ جليلُ

إنّما قاله النبىّ على الأُمّ - ة حتمٌ ما فيه قالٌ وقيلُ «۳» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۵۸

۲- الكميت بن زيد (۶۰- ۱۲۶ ه):

شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيّامها، و من شعراء مضر. كان معروفاً بالتشيّع لبنى هاشم، مشهوراً بذلك، وقد حظى بتقدير أئمّة أهل البيت لإجهاره بالحق، ولجهاده فى سبيله، وهاشمياته المقدّرة ب ۵۷۸ بيتاً خلّدت ذكراه فى التاريخ وهى مشتملة على ميمية وبائية ورائية وغيرها.

وإليك أبياتاً من عينيّته:

ويوم الدوح دوح غدير خمٍّ أبان له الولاية لو أُطيعا

ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا إلى أن قال:

أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا

تناسوا حقّه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا

فقل لبنى أُميّة حيث حلّوا وإن خفت المهنّد والقطيعا ولقد طبع ديوان الكميت غير مرّة، وشرحه الأُستاذ محمد شاكر الخيّاط والأُستاذ الرافعى «۱».

۳- السيد الحميرى (ت ۱۷۳ ه):

أبو هاشم إسماعيل بن محمّد الملقّب بالسيّد، الشاعر المعروف، ومن المكثرين المجيدين، ومن الثلاثة الذين عدّوا أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام وهم:

«السيّد» و «بشار» و «أبو العتاهية»، وكان السيّد الحميرى متفانياً فى حبّ العترة الطاهرة فلم يكن يرى لمناوئيهم حرمة وقدراً، وكان يشدّد النكير عليهم فى كلّ

موقف ويهجوهم بألسنة حداد فى كلّ حول وطول.

ومن قصائده المعروفة عينيّته، وقد شرحها عدة من الأُدباء ومستهلّها:

لأُمّ عمرو باللوى مربَع طامسة أعلامها بلقعُ

تروع عنها الطير وحشيّة والوحشُ من خيفته تفزعُ «۱» ۴- دعبل الخزاعى (المتوفّى ۲۴۶ ه):

أبو علىّ دعبل بن علىّ الخزاعى، من بيت علم وفضل وأدب، يرجع نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعى الذى دعا له النبىّ صلى الله عليه و آله.

قال النجاشى: أبو على الشاعر المشهور فى أصحابنا، صنّف كتاب طبقات الشعراء، ومن أراد التوغّل فى حياته وسيرته فليقرأ النواحى الأربعة من حياته:

۱- تهالكه فى ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

۲- نبوغه فى الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه.

۳- روايته للحديث والرواة عنه ومن يروى عنهم.

۴- سيرته مع الخلفاء ثمّ ملحه ونوادره ثمّ ولادته ووفاته «۲».

وإليك مطلع تائيّته المعروفة:

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ نوائح عجم اللفظ والنطقات ۵- الأمير أبو فراس الحمدانى (۳۲۰- ۳۵۷ ه):

أبو فراس الحارث بن أبى العلاء، قال عنه الثعالبى: كان فرد دهره، وشمس

عصره، أدباً وفضلًا وكرماً ونبلًا ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة «۱».

وتبعه فى إطرائه والثناء عليه ابن عساكر.

من قصائده المعروفة ميميّته التى مستهلّها:

الحقّ مهتضم والدين مخترم وفىء آل رسول اللَّه مقتسمُ

والناس عندك لا ناس فيحفظهم سوم الرعاة ولا شاءٌ ولا نعمُ إلى أن قال:

يا للرجال أما للَّه منتصر من الطغاة أما للَّه منتقم

بنو علىّ رعايا فى ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدمُ إلى أن قال:

أبلغ لديك بنى العباس مالكةً لا يدّعوا ملكها ملّاكها العجمُ

أىّ المفاخر أمست فى منازلكم وغيركم آمر فيها ومحتكمُ

أنّى يزيدكم فى مفخر علَمٌ وفى الخلاف عليكم يخفق العلمُ

يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم لمعشرٍ بَيْعهم يوم الهياج دمُ «۲» ويطيب لى فى هذا المقام أن أُشير إلى أسماء بعض من أنجبتهم مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى حلبة الشعر والأدب فى القرن الرابع والخامس، من أُناس معدودين فى القمّة، يمكن للقارئ الكريم أن يجد الشيء الكثير عن حياتهم فى دواوينهم، أو فى كتب الأدب المختلفة:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۶۱

۱- ابن الحجّاج البغدادی (المتوفّی ۳۲۱ ه) صاحب القصیدة المعروفة:

یا صاحب القبّة البیضاء فی النجف من زار قبرک واستشفی لدیک شُفی ۲- الشریف الرضی (۳۵۹- ۴۰۶ ه) الغنی عن کل تعریف وبیان.

۳- الشریف المرتضی (۳۵۵- ۴۳۶ ه) وهو کأخیه أشهر من أن یعرّف.

۴- مهیار الدیلمی (المتوفّی ۴۴۸ ه) الذی یُعد فی الرعیل الأوّل من شعراء القرن الرابع وله غدیریات کثیرة منها:

هل بعد مفترق الأظغان مجتمع أم هل زمان بهم قد فات یرتجع هذا عرض موجز لبعض الشعراء البارزین من الشیعة، وفیه کفایة لمن أراد الإجمال، و أمّا من أراد التوسّع فلیرجع إلی الکتب التالیة:

۱- الأدب فی ظلّ التشیّع: للشیخ عبد اللَّه نعمة.

۲- تأسیس الشیعة: للسیّد حسن الصدر، الفصل السادس.

۳- الغدیر: للعلّامة الأمینی بأجزائه الأحد عشر.

۷- قدماء الشیعة وعلم التفسیر

۷- قدماء الشیعة وعلم التفسیر

إنّ القرآن هو المصدر الرئیسی للمسلمین فی مجالی العقیدة والشریعة، وهو المعجزة الخالدة للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الکتاب الإلهی علی وجه لا تجد له مثیلًا بین أصحاب الشرائع السابقة، حتّی أسّسوا لفهم کتابهم علوماً قد بقی فی ظلّها القرآن مفهوماً للأجیال، کما قاموا بتفسیره وتبیین مقاصده بصور شتی، لا یسع المقام ذکرها. فأدّوا واجبهم تجاه کتاب اللَّه العزیز- شکر اللَّه مساعیهم- من غیر فرق بین الشیعة والسنّة.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۶۲

إنّ مدرسة الشیعة منذ أن ارتحل النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا، أنتجت تفاسیر علی أصعدة مختلفة، وخدمت الذکر الحکیم بصور شتّی، نأتی بوجه موجز، لما ألّف فی القرون الإسلامیة الاولی.

إنّ أئمّة أهل البیت- بعد الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله- هم المفسّرون الحقیقیون للقرآن الکریم، حیث فسّروا القرآن بالعلوم التی نحلهم الرسول صلی الله علیه و آله بأقوالهم وأفعالهم وتقریراتهم التی لا تشذّ عن قول الرسول صلی الله علیه و آله وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذکر الصحابة والتابعین فی عداد المفسّرین ولا نعترف بحقوق أئمّة أهل البیت وهم عدیله باتفاق الجمیع.

وهذا ما فعله فی کتابه محمّد حسین الذهبی، جعل علیّاً- وهو الوصی وباب علم النبیّ صلی الله علیه و آله- فی الطبقة الثالثة من حیث نقل الروایة عنه، وجعل تلمیذه ابن عباس فی الدرجة الأُولی!! «۱»، ولم یذکر عن بقیة الأئمّة شیئاً مع کثرة ما نقل عنهم فی مجال التفسیر من الروایات الوافرة.

أقول: ما إن ارتحل النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله حتّی عکف المسلمون علی دراسة القرآن وتدبره، بید أنّهم وجدوا أنّ لفیفاً من المسلمین کانوا عاجزین عن فهم بعض ألفاظ القرآن. والقرآن وإن نزل بلغة الحجاز إلّاأ نّه یحوی ألفاظاً غیر رائجة فیها، وربّما کانت رائجة بین القبائل الأُخری، وهذا النوع من الألفاظ ما سمّوه ب «غریب القرآن» وقد سأل ابن الأزرق- رأس الخوارج- ابن عبّاس عن شیء کثیر من غریب القرآن وأجاب عنه مستشهداً بشعر العرب الأقحاح، وقد جمعها السیوطی فی إتقانه «۲».

وبما أنّ تفسیر غریب القرآن کان الخطوة الأُولی لتفسیره، فقد ألّف أصحابنا

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۶۳

فی إبّان التدوین کتباً فی ذلک المضمار، نذکر قلیلًا من کثیر:

۱- غریب القرآن، لأبان بن تغلب بن رباح البکری (ت ۱۴۱ ه) «۱».

۲- غریب القرآن، لمحمّد بن السائب الکلبی، من أصحاب الإمام الصادق علیه السلام «۲».

۳- غریب القرآن، لأبی روق، عطیۀ بن الحارث الهمدانی الکوفی التابعی، قال ابن عقدۀ: کان ممّن یقول بولایۀ أهل البیت «۳».

۴- غریب القرآن، لعبد الرحمن بن محمّد الأزدی الکوفی، جمع فیه ما ورد فی الکتب الثلاثۀ المتقدّمۀ «۴».

۵- غریب القرآن، للشیخ أبی جعفر أحمد بن محمّد الطبری الآملی الوزیر الشیعی (ت ۳۱۳ ه) «۵».

وقد توالی التألیف حول غریب القرآن فی القرون الماضیۀ، فبلغ العشرات، وکان أخیرها- لا آخرها- ما ألّفه السیّد محمّد مهدی الخرسان فی جزأین «۶».

مجازات القرآن:

إذا کان الهدف من هذه الکتب بیان معانی مفردات القرآن وألفاظه، فإنّ فی الجانب الآخر منه لون آخر من التفسیر یهدف لبیان مقاصده ومعانیه إذا کانت الآیۀ مشتملۀ علی المجاز والکنایۀ والاستعارۀ. إلیک أخی القارئ الکریم نماذج

الاضواء علی عقائد الشیعۀ الامامیۀ، ص: ۲۶۴

قلیلۀ ممّا أُلّف فی ذلک المجال بید أعلام الشیعۀ:

۱- مجاز القرآن، لشیخ النحاۀ الفرّاء یحیی بن زیاد الکوفی (المتوفّی عام ۲۰۷ ه)، وقد طبع أخیراً فی جزأین «۱».

۲- مجاز القرآن، لمحمّد بن جعفر بن محمّد، أبو الفتح الهمدانی. قال النجاشی:

له کتاب «ذکر المجاز من القرآن» «۲».

۳- مجازات القرآن، للشریف الرضی المسمّی بتلخیص البیان فی مجازات القرآن، وهو أحسن ما أُلّف فی هذا الباب وهو مطبوع.

التفسیر بصور متنوّعۀ:

وهناک لون آخر من التفسیر، یعمد فیه المفسِّر إلی توضیح قسم من الآیات تجمعها صلۀ خاصّۀ کالمحکم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وآیات الأحکام، وقصص الأنبیاء، وأمثال القرآن، وأقسامه، والآیات الواردۀ فی مغازی النبیّ صلی الله علیه و آله، والنازلۀ فی حقّ العترۀ الطاهرۀ علیهم السلام إلی غیر ذلک من الموضوعات التی لا تعمّ جمیع آیات القرآن، بل تختصّ بموضوع واحد.

وکان علماء الشیعۀ قد شارکوا غیرهم من علماء المسلمین فی هذا الجانب الحیوی والمهم، ورفدوا المکتبۀ الإسلامیۀ بهذه الأنواع من التفاسیر، ومن أراد أن یقف علیها فعلیه أن یرجع إلی المعاجم، وأخص بالذکر: الذریعۀ إلی تصانیف الشیعۀ.

الشیعۀ والتفسیر الموضوعی:

إنّ نزول القرآن نجوماً، وتوزّع الآیات الراجعۀ إلی موضوع واحد فی سور

الاضواء علی عقائد الشیعۀ الامامیۀ، ص: ۲۶۵

متعدّدۀ، یطلب لنفسه نمطاً آخر، غیر النمط المعروف بالتفسیر الترتیبی؛ فإنّ النمط الثانی یتّجه إلی تفسیر القرآن سورۀ بعد سورۀ، وآیۀ بعد آیۀ، وأمّا النمط الأوّل فیحاول فیه المفسّر إیراد الآیات الواردۀ فی موضوع خاصّ، فی مجال البحث، وتفسیر الجمیع جملۀ واحدۀ وفی محلّ واحد.

فیستمدّ المفسِّر من المعاجم المؤلّفۀ حول القرآن، ومن غیرها، فی الوقوف علی الآیات الواردۀ فی جانب معیّن، مثلًا فی خلق السماء والأرض، أو الإنسان، أو أفعاله وحیاته الأخرویۀ، فیفسّر المجموع مرّۀ واحدۀ، ویرفع إبهام آیۀ بآیۀ أُخری، ویخرج بنتیجۀ واحدۀ، وهذا النوع من التفسیر وإن لم یهتم به القدماء واکتفوا منه بتفسیر بعض الموضوعات کآیات الأحکام، والناسخ والمنسوخ، إلّا أنّ المتأخّرین منهم بذلوا جهدهم فی طریقه، ولعلّ العلّامۀ المجلسی (۱۰۳۷- ۱۱۱۰ ه) کان أوّل من فتح هذا الباب علی مصراعیه فی موسوعته

الموسومة ب «بحار الأنوار»، حیث أورد فی أوّل کل باب من أبواب کتابه المتخصّصة جملة الآیات الواردة حول موضوع الباب، ثمّ لجأ إلی تفسیرها إجمالًا، ثمّ أورد ما جمعه من الأحادیث التی لها صلة بالباب.

وقد قام کاتب هذه السطور بتفسیر الآیات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتّی الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم «مفاهیم القرآن» نسأل اللَّه تعالی التوفیق لإتمامه.

الشیعة والتفسیر الترتیبی:

قد تعرّفت علی أنّ المنهج الراسخ بین القدماء وأکثر المتأخّرین هو التفسیر الترتیبی، وقد قام فضلاء الشیعة من صحابة الإمام علی والتابعین له إلی العصر الحاضر بهذا النمط من التفسیر، إمّا بتفسیر جمیع سوره، أو بعضها، والغالب علی التفاسیر المعروفة فی القرون الثلاثة الأُولی، هو التفسیر بالأثر، ولکن انقلب النمط

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۶۶

إلی التفسیر العلمی والتحلیلی من أواخر القرن الرابع. فأوّل من ألّف من الشیعة علی هذا المنهاج هو الشریف الرضی (۳۵۹- ۴۰۶ ه) مؤلّف کتاب «حقائق التأویل» فی عشرین جزءاً «۱»، ثمّ جاء بعده أخوه الشریف المرتضی فسلک مسلکه فی أمالیه المعروفة ب «الدرر والغرر»، ثمّ توالی التألیف علی هذا المنهاج من عصر الشیخ الأکبر الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰ ه) مؤلّف «التبیان فی تفسیر القرآن» فی عشرة أجزاء کبار، إلی عصرنا هذا.

فقد قامت الشیعة فی کلّ قرن بتألیف عشرات التفاسیر وفق أسالیب متنوّعة، ولغات متعدّدة. لا یحصیها إلّاالمتوغّل فی المعاجم وبطون المکتبات.

ولقد فهرسنا علی وجه موجز أسماء مشاهیر المفسّرین من الشیعة وأعلامهم فی ۱۴ قرناً، وفصّلنا کلّ قرن عن القرن الآخر، واکتفینا بالمعروفین منهم؛ لأنّ ذکر غیرهم عسیر ومحوج إلی تألیف حافل. فبلغ عددهم (۱۲۲) مفسّراً. ومن أراد الإلمام بذلک فعلیه الرجوع إلی المقدّمة التی قدّمناها لتفسیر التبیان للشیخ الطوسی، ولأجل ذلک نطوی الکلام فی المقام.

۸- قدماء الشیعة وعلم الحدیث

اشارة

۸- قدماء الشیعة وعلم الحدیث

إنّ السنّة هی المصدر الثانی للثقافة الإسلامیة بجمیع مجالاتها، ولم یکن شیء أوجب بعد کتابة القرآن وتدوینه وصیانته من نقص أو زیادة، من کتابة حدیث الرسول صلی الله علیه و آله وتدوینه وصیانته من الدسّ والدجل، وقد أمر به الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله غیر مرّة، فقد روی الإمام أحمد عن عمر بن شعیب عن أبیه عن جدّه أنّه قال للنبیّ صلی الله علیه و آله: یا رسول اللَّه أکتب کلّ ما أسمع منک؟ قال: «نعم». قلت: فی الرضا

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۶۷

والسخط؟ قال صلی الله علیه و آله: «نعم، فإنّه لا ینبغی لی أن أقول فی ذلک إلّاحقّاً» «۱».

إنّ اللَّه سبحانه أمر بکتابة الدَّین حفظاً له، واحتیاطاً علیه، وإشفاقاً من دخول الریب فیه، فالعلم الذی حفظه أصعب من حفظ الدَّین أحری بأن یکتب ویحفظ من دخول الریب والشکّ فیه «۲».

فإذا کان النبیّ صلی الله علیه و آله لا- ینطق عن الهوی وإنّما ینطق عن الوحی الذی یوحی إلیه «۳» فیجب حفظ أقواله وأفعاله أُسوة

بكتاب اللَّه المجيد، حتّى لا يبقى المسلم فى حيرة من أمره، ويستغنى عن المقاييس الظنّية والاستنباطات الذوقية.

وبالرغم من وضوح الأمر و أهميته القصوى إلّاأنّ الخلافة الإسلامية باجتهاداتها حالت دون ذلك، بل وحاسبت عليه حتّى أنّ الخليفة الثانى عمر بن الخطّاب قال لأبى ذر وعبد اللَّه بن مسعود وأبى الدرداء: «ما هذا الحديث الذى تفشون عن محمّد؟» «۴».

ولقد أضحى عمل الخليفة سنّة فاتّبعه عثمان ومشى على خطاه معاوية، فأصبح ترك كتابة الحديث سنّة إسلامية، وعدّت الكتابة شيئاً منكراً مخالفاً لها.

إنّ الرزيّة الكبرى هى المنع عن التحدّث بحديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكتابته وتدوينه، وفسح المجال فى نفس الوقت للرهبان والأحبار للتحدّث بما عندهم من صحيح وباطل، ولقد أذن عمر لتميم الدارى النصرانى الذى استسلم فى عام تسعة من الهجرة أن يقصّ «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۸

ولما تسنّم عمر بن عبد العزيز منصب الخلافة، أدرك ضرورة تدوين الحديث، فكتب إلى أبى بكر بن حزم فى المدينة، أن يقوم بتدوين الحديث قائلًا: إنّ العلم لا يهلك حتّى يكون سرّاً «۱».

ومع ذلك فلم يقدر ابن حزم على القيام بما أمر به الخليفة؛ لأنّ رواسب الحظر السابق المؤكّد من قبل الخلفاء حالت دون أُمنيته، إلى أن زالت دولة الأُمويين وجاءت دولة العبّاسيين، فقام المسلمون بتدوين الحديث فى عصر أبى جعفر المنصور سنة (۱۴۳ ه)، وأنت تعلم أخى القارئ الكريم أنّ الخسارة التى لحقت بالتراث الإسلامى من منع تدوين السنّة لا تجبر بتدوينه بعد مضى قرن ونيّف، وبعد موت الصحابة وكثير من التابعين الذين رأوا النور المحمدى وسمعوا منه الحديث، ولم يحدّثوا بما سمّعوه إلّاسرّاً ومن ظهر القلب إلى مثله.

أضف إلى ذلك أنّ الأحبار والرهبان والمأجورين للبلاط الأُموى نشروا كلّ كذب وافتراء بين المسلمين.

اهتمام الشيعة بتدوين الحديث:

قام الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام بتأليف عدّة كتب فى زمان النبىّ صلى الله عليه و آله، فقد أملى رسول اللَّه كثيراً من الأحكام عليه وكتبها الإمام واشتهر بكتاب على، وقد روى عنه البخارى فى صحيحه فى باب «كتابة الحديث» «۲» وباب «أثم من تبرّأ من مواليه» «۳» وتبعه عليه السلام ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة له، وإليك أسماء من اهتمّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۶۹

بتدوين الآثار وما له صلة بالدين، وإن لم يكن حديث الرسول.

۱- قام أبو رافع صحابى الرسول صلى الله عليه و آله بتدوين كتاب السنن والأحكام والقضايا «۱».

۲- وقام الصحابى الكبير سلمان الفارسى: (ت ۳۴ ه) بتأليف كتاب حديث الجاثليق الرومى الذى بعثه ملك الروم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله.

قال الشيخ الطوسى: روى سلمان حديث الجاثليق الذى بعثه ملك الروم بعد النبىّ صلى الله عليه و آله «۲».

۳- وألّف الصحابى الورع أبو ذر الغفارى المتوفّى سنة ۳۲ ه كتاب الخطبة التى يشرح فيها الأُمور بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله «۳».

هذا ما يرجع إلى الصحابة من الشيعة، وأمّا الشيعة من غير الصحابة- أعنى:

التابعين وتابعى التابعين منهم- فقد قام عدد منهم بتدوين السنّة إلى عصر الغيبة الكبرى، وقد تكفّلت بذكرهم و ذكر تآليفهم معاجم الرجال قديماً وحديثاً، وإليك عرضاً موجزاً من محدّثى الشيعة ومؤلّفيهم فى القرن الأوّل وبداية القرن الثانى.

طبقات محدّثى الشيعة الطبقة الأولى:

اشارة

طبقات محدّثى الشيعة الطبقة الأُولى:

۱– الأصبغ بن نباتة المجاشعى، كان من خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام روى عنه عليه السلام عهد الأشتر، ووصيته إلى ابنه محمّد «۴».

۲– عبيد اللَّه بن أبى رافع المدنى، مولى النبىّ صلى الله عليه و آله، كان كاتب أمير المؤمنين عليه السلام له

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۰

كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وتسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفّين والنهروان «۱».

۳– ربيعة بن سميع، له كتاب فى زكاة النعم عن أمير المؤمنين عليه السلام «۲».

۴– سليم بن قيس الهلالى، أبو صادق، له كتاب مطبوع باسم: سليم بن قيس.

۵– علىّ بن أبى رافع، قال النجاشى عنه: تابعىّ من خيار الشيعة، كانت له صحبة مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً فى فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب «۳».

۶– عبيد اللَّه بن الحرّ الجعفى، الفارس، الفاتك، الشاعر، له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام «۴».

۷– زيد بن وهب الجهنى، له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر فى الجمع والأعياد وغيرها «۵».

الطبقة الثانية

الطبقة الثانية:

۱– الإمام السجّاد زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام، له الصحيفة الكاملة، المشتهرة بزبور آل محمّد عليهم السلام.

۲– جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى، أبو عبد اللَّه، (ت ۱۲۸ ه)، له كتب «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۱

۳– لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة، أوردها الشيخ فى رجاله وعدّه فى أصحاب الحسن والصادق عليهما السلام «۱».

۴– جارود بن منذر، الثقة، أورده الشيخ فى أصحاب الحسن والباقر والصادق عليهم السلام، له كتب «۲».

الطبقة الثالثة

الطبقة الثالثة:

وهم من أصحاب السجّاد والباقر عليهما السلام:

۱– برد الإسكاف، من أصحاب السجاد والصادقين عليهم السلام، له كتاب «۳».

۲– ثابت بن دينار، أبو حمزة الثمالى الأزدى، الثقة، (ت ۱۵۰ ه)، روى عنهم عليهم السلام، له كتاب، وله النوادر والزهد، وله تفسير القرآن «۴».

۳– ثابت بن هرمز الفارسى، أبو المقدّم العجلى، مولاهم الكوفى، روى نسخة عن علىّ بن الحسين عليهم السلام «۵».

۴– بسّام بن عبد اللَّه الصيرفى، مولى بنى أسد، أبو عبد اللَّه، روى عن أبى جعفر وأبى عبد اللَّه عليهما السلام، له كتاب «۶».

۵- محمّد بن قيس البجلى، له كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام «۷».

۶- حجر بن زائدة الحضرمى، روى عن الباقر والصادق عليهما السلام، له كتاب «۸».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۲

۷- زكريا بن عبد اللّه الفياض، له كتاب «۱».

۸- ثوير بن أبى فاختة «أبو جهم الكوفى»، واسم أبى فاختة: سعيد بن علاقة «۲».

۹- الحسين بن ثور بن أبى فاختة، سعيد بن حمران، له كتاب نوادر «۳».

۱۰- عبد المؤمن بن القاسم بن قيس الأنصارى، (ت ۱۴۷ ه)، عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب السجّاد والصادقين عليهما السلام، له كتاب «۴».

ولقد خصّص أبو عمرو الكشى باباً للمحدّثين المتقدّمين من الشيعة وجعله فى صدر رجاله، وتبعه النجاشى فى رجاله فخصّ الطبقة الأُولى بباب، ثمّ أورد أسماء الرواة على حسب الحروف الهجائية.

ولقد أجاد الشيخ الطوسى فى التعرّف على طبقات الشيعة بعد رسول اللّه إلى عصره، فذكر الأئمّة الاثنى عشر، وذكر أصحاب كلّ إمام وفق الترتيب الزمنى، ثمّ ذكر باباً آخر باسم من لم يرهم ولكن روى عنهم بالواسطة.

وأحسن كتاب أُلّف فى هذا المجال هو ما ألّفه أُستاذنا الجليل السيد النحرير المحقّق البروجردى- رحمه اللّه- الذى أخرج رجال الشيعة فى (۳۴) طبقة، من عصر الصحابة إلى زمانه (۱۲۹۲- ۱۳۸۰ ه) فهذا الكتاب يكشف عن سبق الشيعة فى نظم الحديث وتدوينه، وأنّهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولا قيمة.

وبذلك حفظوا نصوص النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وأهل بيته وقدموها إلى المجتمع الإسلامى، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الحبل الذى هو أحد الثقلين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۳

هذا عرض موجز لمحدّثى الشيعة من عصر الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام إلى عصر السجّاد والباقر عليهما السلام وأمّا الطبقات الأُخرى فيأتى الكلام فى فصل قدماء الشيعة والفقه؛ لأنّهم تجاوزوا التحديث إلى درجة الاجتهاد.

۹- قدماء الشيعة والفقه الإسلامى

اشارة

۹- قدماء الشيعة والفقه الإسلامى

إنّ الفقه الشيعى هو الشجرة الطيّبة الراسخة الجذور، المتّصلة الأُسس بالنبوة، والتى امتازت بالسعة، والشمولية، والعمق، والدقّة، والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، والمستجدّات المتلاحقة من دون أن تتخطّى الحدود المرسومة فى الكتاب والسنّة.

إنّ الفقه الإمامى يعتمد فى الدرجة الأُولى على القرآن الكريم، ثمّ على السنّة المحمّدية المنقولة عن النبىّ صلى الله عليه و آله عن طريق العترة الطاهرة عليهم السلام أو الثقات من أصحابهم والتابعين لهم بإحسان.

وكما يعتمد الفقه الشيعى على الكتاب والسنّة، فإنّه كذلك يتّخذ من العقل مصدراً فى المجال الذى له الحقّ فى إبداء الرأى، كأبواب الملازمات العقلية، أو قبح التكليف بلا بيان، أو لزوم البراءة اليقينية عند الاشتغال اليقينى.

ولا يكتفى بذلك، بل يستفيد من الإجماع الكاشف عن وجود النص فى المسألة أو موافقة الإمام المعصوم مع المجمعين فى عصر

الحضور.

إنّ الشيعة الإمامية قدّمت فى ظلّ هذه الأُسس الأربعة فقهاً يتناسب مع المستجدّات، جامعاً لما تحتاج إليه الأُمّة، ولم يقفل باب الاجتهاد، منذ رحلة النبيّ صلى الله عليه و آله إلى يومنا هذا، بل فتح بابه طيلة القرون، فأنتج عبر العصور فقهاء عظاماً، وموسوعات كبيرة، لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلًا، وإليك عرضاً موجزاً لمشاهير فقهائهم مع الإيعاز إلى بعض كتبهم فى القرن الثانى والثالث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۴

فقهاء الشيعة فى القرن الثانى:

تخرّجت من مدرسة أهل البيت وعلى أيدى أئمة الهدى عليهم السلام عدّة من الفقهاء العظام لا يستهان بعددهم، فبلغوا الذروة فى الاجتهاد، كزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية، والفضيل بن يسار، وكلّهم من أفاضل خرّيجى مدرسة أبى جعفر الباقر وولده الصادق عليهما السلام فأجمعت الطائفة على تصديق هؤلاء، وانقادت لهم فى الفقه والفقاهة.

ويليهم فى الفضل لفيف آخر، هم أحداث خرّيجى مدرسة أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام، أمثال: جميل بن دراج، و عبد اللَّه بن مسكان، وعبد اللَّه بن بكير، وحمّاد بن عثمان، وحمّاد بن عيسى، وأبان بن عثمان.

وهناك ثلّة أُخرى يعدّون من تلاميذ مدرسة الإمام موسى الكاظم وابنه أبى الحسن الرضا عليهما السلام منهم: يونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن أبى عمير، وعبد اللَّه بن المغيرة، والحسن بن محبوب، والحسين بن علىّ بن فضال، وفضالة بن أيّوب «۱».

وأكثر هؤلاء من فقهاء القرن الثانى وأوائل القرن الثالث.

هؤلاء أعلام الشيعة فى الفقه والحديث فى القرن الثانى، وكلّهم خرّيجو مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولقد خلّفوا آثاراً علمية باسم الأصل، والكتاب، والنوادر، والجامع، والمسائل، وعناوين أُخرى.

أصحاب الجوامع الفقهية فى القرن الثالث:

لقد تخرّج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام جملة كبيرة من أعاظم الفقهاء؛ أوقفوا علمهم فى خدمة هذا الدين الحنيف؛ فشمّروا عن سواعدهم، وسخّروا أنفسهم قدر ما مكّنهم اللَّه تعالى عليه، فخلَّفوا جوامع فقهيّة مهمّة كانت ولا زالت خير زاد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۵

للمسلمين، ومن هؤلاء الأعلام:

۱- يونس بن عبد الرحمن، الّذى وصفه ابن النديم فى فهرسته بعلّامة زمانه، له جوامع الآثار، والجامع الكبير، وكتاب الشرائع.

۲- صفوان بن يحيى البجلى، الذى كان أوثق أهل زمانه، صنّف ثلاثين كتاباً.

۳ و ۴- الحسن والحسين ابنا سعيد بن حمّاد الأهوازى، صنّفا ثلاثين كتاباً.

۵- أحمد بن محمّد بن خالد البرقى، (ت ۲۷۴ ه)، صاحب كتاب المحاسن وغيره.

۶- محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعرى القمّى، (ت ۲۹۳ ه)، صاحب نوادر الحكمة وكتاب الجامع المعروف.

۷- أحمد بن محمّد بن أبى نصر البزنطى، (ت ۲۲۱ ه)، صاحب الجامع المعروف.

فقهاء الشيعة فى القرن الرابع:

هؤلاء هم فقهاء الشيعة فى القرن الثالث وتليهم عدّة أُخرى فى القرن الرابع نذكر أسماءهم على وجه الإجمال:

۱- الحسن بن على بن أبى عقيل، شيخ الشيعة وفقيهها، صاحب كتاب المتمسّك بحبل آل الرسول، المعاصر للكلينى.

۲- علىّ بن الحسين بن بابويه، (ت ۳۲۹ ه)، صاحب كتاب الشرائع.

۳- محمّد بن الحسن بن الوليد القمى، شيخ القميين وفقيههم ومتقدّمهم، مات سنة ۳۴۳ ه، ولقد بلغ فى الوثاقة والدقة على حد يسكن إليه الشيخ الصدوق فى تصحيحاته وتضعيفاته.

۴- جعفر بن محمّد بن قولويه، أَستاذ الشيخ الصدوق، و مؤلّف كامل الزيارات، يقول النجاشى عنه: إنّه من ثقات أصحابنا وأجلّائهم فى الفقه والحديث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۶

۵- محمّد بن علىّ بن الحسين الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) مؤلّف من لا يحضره الفقيه والمقنع والهداية.

۶- محمّد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالإسكافى، (ت ۳۸۵ ه).

قال عنه النجاشى: وجه فى أصحابنا، ثقة جليل القدر، صنّف فأكثر، ثمّ ذكر فهرس كتبه، ومنها كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، وكتاب الأحمدى للفقه المحمّدى.

مشاهير الفقهاء فى القرن الخامس:

مشاهير الفقهاء فى القرن الخامس:

وفى القرن الخامس نبغ فقهاء كبار، ازدان الفقه الشيعى بل الإسلامى بأسمائهم وآرائهم، ومنهم: الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) والسيّد المرتضى (۳۵۵- ۴۳۶ ه) والشيخ الكراجكى (ت ۴۴۹ ه) والشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) وسلار الديلمى مؤلّف المراسم (ت ۴۶۳ ه)، وابن البرّاج (۴۰۱- ۴۸۹ ه) مؤلّف المهذّب، وغيرهم من الذين ملأت أسماؤهم كتب التراجم والرجال.

ومن أراد الوقوف على حياتهم وكتبهم فعليه الرجوع إلى الموسوعات الرجالية، وأخص بالذكر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

هذا عرض موجز لمشاركة الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية على المستوى الفقهى. ويشهد اللّه أنّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود فى ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات الظالمة ومرتزقتها لا ينفكّون عن مطاردتهم وإيداعهم فى السجون وعرضهم على السيف، ومع ذلك نرى هذا الإنتاج العلمى الهائل فى مجال الفقه. والذى لو تأمل فيه علماء المسلمين بفرقهم المختلفة، وتجنّبوا أهواء التعصب، لأقرُّوا بلا ريب بما فيه من سعة الفكر، وعمق النظر، وغزارة الانتاج.

هذا هو الشيخ الطوسى الذى ألّف المبسوط فى الفقه المقارن (فى ۸ أجزاء) فى زمن كانت الفتن الطائفية على أوجها، والشيعة هم الضحية فى هذه المخاضات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۷

العسرة، والتى امتدت ألسنتها نحو الشيخ الطوسى نفسه، فأُحرقت داره، ومكتبته فى كرخ بغداد، فالتجأ سرّاً إلى النجف الأشرف، تاركاً بلده الذى عاش فيه قرابة نصف قرن، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار، واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب، وأُجيزوا مقابل أبيات معدودة من الشعر الرخيص، أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا.

۱۰- قدماء الشيعة وعلم أُصول الفقه

۱۰- قدماء الشيعة وعلم أُصول الفقه

إنّ السنّة النبوية بعد القرآن الكريم هى المصدر للتشريع، وقد سبق أنّ الخلافة- بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله- حالت دون تحديث ما تركه بين الأُمّة، وكتابته وتدوينه. فلم تدوّن السنّة إلى عصر أبى جعفر المنصور، إلّاصحائف غير منظّمة ولا مرتّبة، إلى أن شرع علماء الإسلام فى التدوين سنة (۱۴۳ ه) «۱».

إنّ الحيلولة بين السنّة وتدوينها ونشرها أدّت إلى نتائج سلبية عظيمة، منها قصور ما وصل إلى الفقهاء فى ذلك العصر صحيحاً من الرسول صلى الله عليه و آله عن تلبية متطلّباتهم فى مجال الأحكام، حتّى اشتهر عن إمام الحنفية أنّه لم يثبت عنده من أحاديث الرسول

صلى الله عليه و آله فى مجال التشريع إلّاسبعة عشر حديثاً.

ونحن وإن كنّا لا نتوافق مع ما حُكى عن النعمان، ولكن نؤكّد على شىء آخر، وهو أنّ ما ورد فى مجموع الصحاح والمسانيد والسنن الأعم من الصحيح والضعيف فى مجال الأحكام الشرعية لا يتجاوز ۵۰۰ حديث.

قال السيّد محمّد رشيد رضا: إنّ أحاديث الأحكام الأُصول لا تتجاوز ۵۰۰ حديث تمدّها «۲» أربعة آلاف موقوفات و مراسيل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۸

ويقول أيضاً فى تفسيره: يقولون إنّ مصدر القوانين الأُمّة، ونحن نقول بذلك فى غير المنصوص فى الكتاب والسنّة. كما قرّره الإمام الرازى والمنصوص قليل جدّاً «۱».

وما ذكره من قضية الإمداد، يوحى إلى الموقوفات عن الصحابة، من دون أن يثبت صدورها عن النبىّ صلى الله عليه و آله فهذه الموقوفات تعرب عن اجتهادات الصحابة فى المسألة. ومن المعلوم أنّ قول الصحابى لا يكون حجّة إلّاإذا نسبه إلى الرسول صلى الله عليه و آله.

هذا وإنّ الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ۸۵۲ ه) جمع كلّ ما ورد فى مجال التشريع فى كتاب أسماه بلوغ المرام من أدلّة الأحكام «۲» وهو كتاب صغير جدّاً.

إنّ افتقاد النصّ فى مجال التشريع الذى واجه فقهاء أهل السنّة بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله، هو الذى دعاهم إلى التفحّص عن الحلّ لهذه الأزمة حتّى تسدّ حاجاتهم الفقهية، فعكفوا على المقاييس الظنّية التى ما أنزل اللّه بها من سلطان، كالقياس، و الاستقراء، والاستحسان، وسدّ الذرائع، وسنّة الخلفاء، أو سنّة الصحابة، أو رأى أهل المدينة، إلى غير ذلك من القواعد، أسّسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية، وقد جاء ذلك نواة لتأسيس علم أُصول الفقه بصورة مختصرة نمت ونضجت فى الأجيال.

وأمّا الشيعة فحيث إنّهم لم يفتقدوا سنّة الرسول بعد وفاته لوجود باب علم النبىّ صلى الله عليه و آله؛ على عليه السلام والأئمّة المعصومين بين ظهرانيهم، فلم تكن هناك أيّة حاجة للعمل بتلك المقاييس، وبالتالى لم يكن هناك أىّ دافع للاتّجاه نحو أُصول الفقه.

نعم لمّا كان الإسلام ديناً عالمياً، والنبىّ صلى الله عليه و آله خاتم الأنبياء، والأُصول والسنن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۷۹

مهما كثرت لا يمكن أن تلبّى بحرفيّتها حاجات المسلمين إلى يوم القيامة، انبرى أئمّة أهل البيت إلى إملاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص أو إجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات التى يواجه بها الفقيه. وتلك الأُصول هى التى تكون أساساً لعلم أُصول الفقه، ولقد جمعها عدّة من الأعلام فى كتاب خاصّ أفضلها «الفصول المهمّة فى أُصول الأئمّة» للشيخ المحدّث الحرّ العاملى المتوفّى سنة (۱۱۰۴ ه).

ومن هنا فإنّا يمكننا القول إنّ وجود أئمّة أهل البيت عليهم السلام بين ظهرانى الشيعة أغنى هذه الطائفة عن الحاجة الملحّة لتدوين مسائل أُصول الفقه إبّان تلك الفترة الماضية، إلّاأنّ هذا لا يعنى أنّه لم ينبرِ لفيف من صحابة الأئمّة لدراسة بعض مسائل الفقه نظير:

۱- هشام بن الحكم (ت ۱۹۹ ه)، صنّف كتاب الألفاظ «۱».

۲- يونس بن عبد الرحمن، صنّف كتاب اختلاف الحديث ومسائله. وهو مبحث تعارض الحديثين «۲».

۳- إسماعيل بن علىّ بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت (۲۳۷- ۳۱۱ ه).

قال عنه النجاشى: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا. وذكر مصنّفاته وعدّ منها كتاب الخصوص والعموم «۳».

وذكره ابن النديم فى فهرسته، وعدّ من مصنّفاته كتاب إبطال القياس، وكتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۰

نقض اجتهاد الرأى على ابن الراوندى «۱».

۴- أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختى، من علماء القرن الثالث، له كتاب الخصوص والعموم والخبر الواحد والعمل به «۲».

۵- أبو منصور صرّام النيشابورى، من علماء القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، له إبطال القياس «۳».

۶- محمّد بن أحمد بن داود بن علىّ (ت ۳۶۸ ه)، قال النجاشى: شيخ هذه الطائفة وعالمها، له كتاب الحديثين المختلفين «۴».

۷- محمّد بن أحمد بن الجنيد المتوفّى سنة (۳۸۱ ه)، له كتاب كشف التمويه والالتباس فى إبطال القياس «۵».

والطابع السائد على هذه الكتب هو دراسة بعض المسائل الأُصولية، كحجّية خبر الواحد، أو حلّ مشكلة اختلاف الحديثين، أو نقد بعض الأساليب الرائجة فى تلك الأجيال فى استنباط الأحكام، كالقياس وغيره، ولا يصح عدّها كتباً أُصولية بالمعنى المصطلح.

نعم؛ يمكن عدّها مرحلة أُولى ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية.

وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت بالسعة والشمول، بإدخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية فى علم أُصول الفقه، وأوّل من فتح هذا الباب للشيعة على مصراعيه:

۱- معلم الأُمّة الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) ألّف رسالة فى هذا المضمار

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۱

وأدرجها تلميذه العلّامة الكراجكى فى كتابه كنز الفوائد «۱».

وألّف بعده تلميذه الجليل علم الهدى المعروف بالسيّد المرتضى كتابه القيّم «الذريعة إلى أُصول الشريعة»، والذى طبع فى جزأين، وقد رأيت منه نسخة مخطوطة فى مدينة قزوين كتب فيها: إنّ تاريخ فراغ المؤلّف منه عام (۴۰۰ ه).

۲- الشيخ الطوسى: (۳۸۵- ۴۶۰ ه) ألّف كتاب عدّة الأُصول والذى يحتلّ مكانة رفيعة فى هذا الميدان، حتّى أنّه أُعيد طبعه لمرات متكرّرة.

وهكذا يمكن القول بأنّ هذه الكتب كوّنت اللبنة الأساسية التى توسعت بواسطتها وانتشرت آراء الشيعة فى علم الأُصول.

وأمّا فى المرحلة الثالثة من مراحل تطوّر علم الأُصول لدى الشيعة فقد شهدت بزوغ جملة واسعة من كبار العلماء توسّعوا بشكل كبير فى تثبيت وشرح الأبعاد الأساسية لعلم الأُصول، فكان من نتاج تلك المرحلة:

۱- التقريب فى أُصول الفقه للشيخ أبى ليلى المعروف بسلّار بن عبد العزيز الديلمى صاحب المراسم، توفّى عام (۴۶۳ ه).

۲- غنية النزوع إلى علمى الأُصول والفروع، تأليف أبى المكارم حمزة بن على المعروف بابن زهرة، المتوفّى عام (۵۸۵ ه).

۳- المصادر، تأليف الشيخ سديد الدين الحمصى، المتوفّى حدود سنة (۶۰۰ ه).

هذه هى المراحل الثلاث التى مرّ بها علم الأُصول، وقد تلتها مراحل أُخرى إلى أن بلغت فى القرن الرابع عشر ذروتها وقمّتها، و أعلى مراحل كمالها، ويتّضح ذلك من ملاحظة ما أُلّف من عصر الأُستاذ الأكبر المحقّق البهبهانى (۱۱۱۸- ۱۲۰۶ ه) إلى يومنا؛ فقد راج التحقيق فى المسائل الأُصولية من عصره إلى عصر الشيخ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۲

مرتضى الأنصارى (۱۲۱۲- ۱۲۸۱ ه) وعصر تلميذه الشيخ محمّد كاظم الخراسانى (۱۲۵۵- ۱۳۲۹ ه) ففى هذه الفترة؛ أى القرون الثلاثة، أُلّفت مئات الكتب والرسائل فى ذلك المجال، ولا أُغالى إذا قلت: إنّه لم تبلغ طائفة من الطوائف الإسلامية تلك الدرجة التى وصلت إليها الشيعة فى علمى الفقه والأُصول من جانب كثرة الانتاج والاستيعاب ودقّة النظر، شكر اللَّه مساعيهم.

۱۱- قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير

۱۱- قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير

مغازى النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله جزء من تاريخ حياته وسيرته، والرسول صلى الله عليه و آله قدوة وأسوة، وفعله كقوله حجّة بلا إشكال، وقد وضع بعضهم كتباً فى فقه السيرة «۱» فكان على المسلمين ضبط دقيقها وجليلها، وقد قاموا بذلك لولا أنّ الخلافة حالت دون الأُمنية، ولكن قيّض اللَّه سبحانه، رجالًا فى الشيعة فى ذلك المجال ضبطوا سيرة الرسول صلى الله عليه و آله ومغازيه، منهم:

۱- ابن إسحاق، محمّد بن إسحاق (ت ۱۵۱ ه) عدّه الشيخ الطوسى فى رجاله «۲» من أصحاب الإمام الصادق. ولأجل انتمائه إلى بيت النبوّة وصفه ابن حجر فى التقريب: «بأنّه إمام المغازى، صدوق، يدلّس، ورمى بالتشيّع والقدر» «۳».

وفى مختصر الذهبى: أنّه كان صدوقاً من بحور العلم.

فى تاريخ اليافعى عن شعبة بن الحجّاج أنّه قال: محمّد بن إسحاق أمير المؤمنين فى الحديث «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۳

وعن الشافعى: من أراد أن يتبحّر فى المغازى فهو عيال محمّد بن إسحاق «۱».

و لمّا كان المترجم شيعياً مجاهراً فى ولائه لأهل البيت عمد ابن هشام (ت ۲۱۲ ه) بتلخيص كتابه على أساس حذف ما لا يلائم نزعته، فحذف أكثر ما له صلة بفضائل الإمام على وأهل بيته.

فعلى المسلمين الغيارى الباحثين عن الحقيقة التفحّص فى مكتبات العالم وفهارسها، حتّى يعثروا على النسخة الأُمّ، وينشروا هذا الكنز الدفين خدمة للدين وإحياءً لسيرة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وكان قد أعلن أحد المستشرقين أنّه قد عثر على الأصل ونشره باسم سيرة ابن إسحاق إلّاأنّه جزء من السيرة لا كلّها.

ومن حسن الحظّ أنّ سيرة ابن إسحاق وإن لم تكن موجودة بصورتها لكنّها موجودة بمادتها، فقد بثّها الطبرسى (۴۷۰- ۵۴۸ ه) فى أجزاء مجمع البيان، وابن الجوزى (ت ۵۹۷ ه) فى المنتظم، وابن كثير فى تاريخه وغيرهم. فيمكن للباحثين، استخراج مادة السيرة متفرّقة عن هذه الكتب، وملخّصها المعروف بالسيرة النبوية لابن هشام.

۲- عبيد اللَّه بن أبى رافع، وكان قد سبق ابن إسحاق، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فقد ألّف كتاباً أسماه «تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفّين والنهروان من الصحابة» ذكره الشيخ فى الفهرست «۲»، إلّاأنّه أُلّف فى مغازى الإمام على عليه السلام لا فى مغازى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

۳- جابر الجعفى (ت ۱۲۸ ه) ألّف كتباً فى ذلك المجال: قال النجاشى: جابر:

عربىّ قديم، ثمّ ذكر نسبه وعدّ من كتبه: كتاب الجَمل، وكتاب صفّين، وكتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۴

النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام «۱».

۴- أبان بن عثمان الأحمر البجلى الكوفى، هو ممّن ألّف فى ذلك المجال أيضاً والذى أخذ عنه أبوعبيدة معمّر بن المثنّى (۱۱۰- ۲۰۹ ه) وأبو عبداللَّه بن القاسم ابن سلّام (۱۵۷- ۲۲۴ ه) وأكثروا الحكاية عنه فى أخبار الشعراء والنسب والأيّام.

له كتاب حسن يجمع المبتدأ والمغازى والوفاة والردّة «۲». وقد جمع فيه أخبار ابتداء أمر النبى صلى الله عليه و آله من مبعثه ومغازيه ووفاته، وأخبار يوم السقيفة وارتداد بعض القبائل.

۵- ومن مشاهير هذا الفن من الشيعة أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى الغامدى، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، روى عن جعفر بن محمّد عليهما السلام. وصنّف كتباً: منها كتاب المغازى، كتاب السقيفة، كتاب الردّة، كتاب فتوح الإسلام... «۳».

۶- ومن أعلامه نصر بن مزاحم (۲۱۲ ه) ألّف كتباً كثيرة فى ذلك المجال، لعلّ أهمها كتاب «وقعة صفّين» الشهير «۴».

۷- هشام بن محمّد بن السائب الكلبى (المتوفّى ۲۰۶ ه) أعلم علماء النسب والسير والآثار، ذكره النجاشى وقال: الناسب، العالم بالأيّام،

المشهور بالفضل والعلم، وكان يختصّ بمذهبنا، ثمّ ذكر كتبه «۵».

هذا عرض موجز لمن شارك المسلمين من قدماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تدوين السيرة والمغازى والمقاتل والتاريخ، وأمّا المتأخّرون

فسل عنهم ولا حرج، وراجع المعاجم كأعيان الشيعة للسيد الأمين العاملى، والذريعة لشيخنا الطهرانى.

۱۲- قدماء الشيعة وعلم الرجال

۱۲- قدماء الشيعة وعلم الرجال

اهتمّ علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال، وأولوه اهتماماً كبيراً، فبرزت منهم ثلّة كبيرة من سادة هذا العلم، وسنحاول هنا أن نذكر أوائل المؤلّفين منهم:

۱- عبد اللَّه بن جبلة الكنانى (ت ۲۱۹ ه).

قال النجاشى: وبيت جبلة مشهور بالكوفة، كان فقيهاً ثقة مشهوراً، له كتب، منها كتاب الرجال... «۱».

۲- علىّ بن الحسن بن فضّال، كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم، وعارفهم بالحديث، من أصحاب الإمام الهادى والعسكرى، له كتب منها كتاب الرجال «۲».

۳- الحسن بن محبوب السّراد (۱۵۰- ۲۲۴ ه) الراوى عن ستّين رجلًا من أصحاب الصادق عليه السلام، له كتاب «المشيخة» وكتاب «معرفة رواة الأخبار» «۳».

۴- أبو عمرو الكشّى، البصير بالأخبار والرجال، تلميذ الشيخ العيّاشى، وكتابه المعروف ب «معرفة الرجال» هو الذى لخّصه الشيخ الطوسى وأسماه ب «اختيار معرفة الرجال» وهو الموجود فى الأعصار الأخيرة.

۵- الشيخ أبو العبّاس أحمد بن علىّ النجاشى (۳۷۲- ۴۵۰ ه) من نقّاد هذا

الفن ومن أجلّائه وأعيانه حاز قصب السبق فى ميدان علم الرجال، له كتاب فهرس مصنّفى الشيعة المعروف برجال النجاشى.

۶- والشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) الغنى عن التعريف، عمل كتابين أحدهما الفهرست والآخر الرجال، ويعدّان من أُمّهات الكتب الرجالية.

وتوالى التأليف فى علم الرجال كما فى قرينه علم الدراية إلى عصرنا هذا، وقد أنهى الشيخ الطهرانى، المؤلّفين من الشيعة فى علم الرجال فبلغوا قرابة خمسمائة مؤلّف، شكر اللَّه مساعى الجميع.

هذا عرض موجز لمشاركة علماء الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تأسيس العلوم وإكمالها وتطويرها، وأنت إذا وقفت على جهودهم الجبّارة فى القرون الأُولى وما بعدها إلى عصرنا الحاضر، تقف على طائفة كبيرة من عمالقة العلم وجهابذة الفضل، كرّسوا حياتهم الثمينة فى إرساء صرح الحضارة الإسلامية ورفع قواعدها، فخلّدوا لأنفسهم صحائف بيضاء، ولصالح أُمّتهم حضارة إنسانية، كل ذلك فى ظروف قاسية، وسلطات ظالمة شديدة الكلب، وأضغان محتدمة، إلّافى فترات يسيرة.

۱۳- قدماء الشيعة والعلوم العقلية

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتراكمة الموروثة التى توارثها قهراً من الأجيال الماضية، فهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمّل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلّة الناطقة، ويكفى فى توضيح ذلك أنّ الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها (۴۷) مرّة، و «التفكّر» (۱۸) مرّة، و «اللب» (۱۶) مرّة و «التدبّر» (۴) مرات و «النُهى» مرتين.

فبذلک نهی عن التقلید وحثّ علی التعقّل ببیانات مختلفة.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۸۷

فتارة یدعو الإنسان إلی التأمّل فیما حوله من الکائنات لما فیها من دلائل ناطقة علی وجوده سبحانه وصفاته. قال سبحانه: «ءَأَنْتُمْ أَشَدُ خَلْقَاً أمِ السَّماءُ بَناها* رَفَعَ سَمْکَها فَسَوَّاها* وأغْطَشَ لَیْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها* والأرْضَ بَعْدَ ذَلِکَ دَحاها* أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها* وَالجِبالَ أرْساها* مَتاعاً لَکُمْ ولأنْعامِکُمْ» «۱».

وأُخری یدعوه إلی التفکیر والاستدلال المنطقی، فقال سبحانه: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَیْرِ شَیءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمواتِ والأَرْضَ بَلْ لا یوقِنُونَ «۲»

فعالج المشاکل العلمیة والفلسفیة تارة بالدعوة إلی النظر فی الکون نظرة ثاقبة فاحصة، وأُخری بالحثّ علی التفکیر فی المعارف بأُسلوب منطقی وبرهانی، وبذلک أیقظ عقول المسلمین وحثّهم علی التأمّل والتدبّر فی العلوم المختلفة، دون التقلید الأعمی والتتبع غیر المتبصّر، وجعل لأُولئک المکانة المتمیّزة.

غیر أنّ المسلمین سوی قلیل منهم تنکّبوا عن هذا الطریق، خصوصاً فیما یرجع إلی المعارف العلیا، فصاروا بین مشبّه ومعطّل، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم بالجمود علی المفردات الواردة فی الکتاب والسنّة، وبذلک استغنوا عن أیّ تعقّل وتفکّر، إلی أن بلغت جرأتهم إلی حدّ قال بعضهم فی الخالق: اعفونی عن الفرج واللحیة واسألونی عمّا وراء ذلک «۳»!!! فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة، وأمّا غیرهم فاختاروا تعطیل العقول عن التفکّر فی اللّه سبحانه، فقالوا: أُعطینا العقل لإقامة العبودیة لا لإدراک الربوبیّة، فمن شَغَل ما أُعطی لإقامة العبودیة بإدراک الربوبیة فاتته العبودیة، ولم یدرک الربوبیة «۴».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۸۸

فالأکثریة الساحقة فی القرون الأُولی کانوا بین مشبّه ومعطّل، غیر أنّه سبحانه شملت عنایته أُمّة من المسلمین رفضوا التشبیه والتعطیل، وسلکوا طریقاً ثالثاً وقالوا بأنّه یمکن للإنسان التعرّف علی ما وراء الطبیعة بما فیها من الجمال والکمال عن طریقین:

۱- النظرة الفاحصة إلی عالم الوجود وجمال الطبیعة کما وردت فی القرآن الکریم.

۲- ترتیب المقاییس المنطقیة للوصول إلی الحقائق العلیا، وهذا أیضاً هو الخطّ الذی رسمه القرآن الکریم، وسار علی هذا الخطّ الأئمّة علیهم السلام من أوّلهم إلی آخرهم.

تری ذلک فی کلام الإمام علی علیه السلام بوضوح، فی أحادیثه وخطبه ورسائله، ولا یسعنا هنا أن نستعرض ولو بعضاً ممّا له علیه السلام فی هذا المجال، إلّاأنّا نکتفی بحدیث واحد.

سأله سائل: هل یقدر ربّک أن یُدخل الدنیا فی بیضة من غیر أن یُصغّر الدنیا أو یُکبر البیضة؟ فقال: «إنّ اللّه تبارک وتعالی لا یُنسب إلی العجز، والذی سألتنی لا یکون» «۱».

إنّ خطب الإمام علی علیه السلام ورسائله وقصار حکمه کانت هی الحجر الأساس لکلام الشیعة وآرائهم فی العقائد والمعارف، ولم یتوقّف نشاط الشیعة فی ذلک المجال، بل ونتیجة لتوالی الأئمة علیهم السلام إمام بعد إمام، کان یعنی ذلک استمرار عین المنهج السابق الذی ربّی علیه الإمام علیّ علیه السلام شیعته، فواصل الأئمّة من بعده- علیهم وعلیه السلام- فی حیاتهم تربیة شیعتهم، فشحذوا عقولهم بالدعوة إلی التدبّر والتفکّر فی المعارف، حتّی تربّی فی مدرستهم عمالقة الفکر من عصر سیّد

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۲۸۹

الساجدین إلی عصر الإمام العسکری، تجد أسماءهم وتآلیفهم وأفکارهم فی المعاجم وکتب الرجال، وقد نبغ فی عصر أئمّة أهل البیت مفکّرون بارزون أدّوا لعموم المسلمین خدمات لا تنکر، وأشرعوا أبواب المعرفة للباحثین والمفکّرین الذین تلوهم، ومن هؤلاء:

متکلّمو الشیعة فی القرن الثانی:

۱- زرارة بن أعين: مولى بنى عبد اللّه بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، أبو الحسن: شيخ أصحابنا فى زمانه، ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه.

قال أبو جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً فى الاستطاعة والجبر «۱».

وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيّع «۲». وهو من الشخصيات البارزة للشيعة التى أجمعت الطائفة على تصديقهم، وهو غنىّ عن التعريف والتوصيف.

۲- محمّد بن علىّ بن النعمان بن أبى طريفة البجلى: مولى الأحول «أبو جعفر» كوفى، صيرفى يلقب ب «مؤمن الطاق» و «صاحب الطاق»، ويلقّبه المخالفون ب «شيطان الطاق»... وكان دكّانه فى طاق المحامل فى الكوفة، فيرجع إليه فى النقد فيردّ ردّاً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق».

أمّامنزلته فى العلم وحسن الخاطر فأشهر، وقد نسبت إليه أشياء لم تثبت عندنا.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۰

وله كتاب «افعل لا تفعل» وهو كتاب حسن كبير، وقد أدخل فيه بعض المتأخّرين أحاديث تدلّ على فسادها، ويذكر تباين أقاويل الصحابة.

وله كتاب «الاحتجاج فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبى حنيفة والمرجئة... «۱».

وقال ابن النديم: وكان متكلّماً حاذقاً، وله من الكتب كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الردّ على المعتزلة فى إمامة المفضول، كتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة «۲».

۳- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا له الصادق عليه السلام، فقال: «أقول لك ما قال رسول اللّه لحسّان: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

وهو الذى فتق الكلام فى الإمامة، وهذّب المذهب، وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب «۳».

ويقول الشهرستانى: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور فى الأُصول، لا ينبغى أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة؛ فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم الغلاة... «۴».

وقال النجاشى: هشام بن الحكم، أبو محمّد مولى كندة، وكان ينزل بنى شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة (۱۹۹ ه)، ويقال: إنّه مات فى هذه السنة، له كتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۱

يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه فبلغت ثلاثين كتاباً «۱».

وأمّا أحمد أمين فيقول عنه: أكبر شخصية شيعية فى الكلام، وكان جداً قوىّ الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له فى كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقّة تدل على حضور بديهيته وقوّة حججه.

إنّ الرجل كان فى بداية أمره من تلاميذ أبى الشاكر الديصانى، صاحب النزعة الإلحادية فى الإسلام، ثمّ تبع الجهم بن صفوان الجبرى المتطرّف المقتول بترمذ عام (۱۲۸ ه)، ثمّ لحق بالإمام الصادق عليه السلام ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء التى لا توافق أُصول الإمامية، فإنّما هى راجعة إلى العصرين اللّذين كان فيهما على النزعة الإلحادية أو الجهمية، وأمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق عليه السلام فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلى حدّ كبير، حتّى صار أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الإمامية «۲».

۴- قيس الماصر: أحد أعلام المتكلّمين، تعلّم الكلام من علىّ بن الحسين عليهما السلام.

روى الكلينى: أنّه أتى شامىّ إلى أبى عبد اللّه الصادق عليه السلام ليناظر أصحابه، فقال عليه السلام ليونس بن يعقوب: أُنظر من ترى بالباب من المتكلّمين... إلى أن قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۲

يونس: فأدخلت زرارة بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن الحكم وهو يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندى أحسنهم كلاماً وقد تعلّم الكلام من علىّ بن الحسين عليهما السلام «۱».

۵- عيسى بن روضة حاجب المنصور: قال عنه النجاشى: كان متكلّماً، جيد الكلام، وله كتاب فى الإمامة. وقرأت فى بعض الكتب: أنّ المنصور لمّا كان بالحيرة، تسمّع على عيسى بن روضة، وكان مولاه، وهو يتكلّم فى الإمامة فأُعجب به واستجاد كلامه «۲».

۶- الضحّاك، أبو مالك الحضرمى: كوفى، عربى، أدرك أبا عبد اللَّه عليه السلام وقال قوم من أصحابنا: روى عنه، وقال آخرون: لم يرو عنه، روى عن أبى الحسن، وكان متكلّماً ثقة ثقة فى الحديث، وله كتاب فى التوحيد رواه عنه علىّ بن الحسن الطاطرى «۳» فالرجل من متكلّمى القرن الثانى.

وقال ابن النديم: من متكلّمى الشيعة، وله مع أبى علىّ الجبّائى مجلس فى الإمامة وتثبيتها بحضرة أبى محمّد القاسم بن محمّد الكوفى، وله من الكتب: كتاب الإمامة، نقض الإمامة على أبى علىّ ولم يتمّه «۴».

۷- علىّ بن الحسن بن محمّد الطائى: المعروف ب «الطاطرى» كان فقيهاً ثقة فى حديثه، له كتب منها: التوحيد، الإمامة، الفطرة، المعرفة، الولاية «۵» وغيرها.

وعدّه ابن النديم من متكلّمى الإمامية وقال: ومن القدماء الطاطرى، وكان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۳

شيعياً، وله من الكتب كتاب الإمامة حسن «۱».

۸- الحسن بن علىّ بن يقطين بن موسى، مولى بنى هاشم، وقيل مولى بنى أسد، كان فقيهاً متكلّماً، روى عن أبى الحسن والرضا عليهما السلام، وله كتاب مسائل أبى الحسن موسى عليه السلام «۲» وبما أنّ أبا الحسن الأوّل توفّى عام (۱۸۳ ه)، والثانى توفّى عام (۲۰۳ ه)، فالرجل من متكلّمى القرن الثانى وأوائل الثالث.

وذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الإمام الرضا عليه السلام «۳».

۹- حديد بن حكيم: أبو على الأزدى المدائنى، ثقة، وجه، متكلّم، روى عن أبى عبداللَّه، وأبى الحسن عليهما السلام و له كتاب يرويه محمّد بن خالد «۴».

۱۰- فضّال بن الحسن بن فضّال: وهو من متكلّمى عصر الصادق عليه السلام وذكره الطبرسى فى احتجاجه ومناظرته مع أبى حنيفة، فلاحظ «۵».

إنّ ما ذكرناه من أساتذة الكلام كانوا نماذج مصغّرة من تلامذة أهل البيت عليهم السلام وخرّيجى مدرستهم، وقد اكتفينا بذكر هذه الطائفة تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ومن ابتغى الاستزادة فعليه بالمراجع التاريخية وكتب الكلام المختلفة التى حفلت بأسماء الأعلام الباقين، أمثال حمران بن أعين الشيبانى، وهشام بن سالم الجواليقى، والسيد الحميرى، والكميت الأسدى «۶».

متكلّمو الشيعة فى القرن الثالث:

۱- الفضل بن شاذان بن خليل أبو محمّد الأزدى النيشابورى: كان أبوه من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۴

أصحاب يونس، وروى عن أبى جعفر الثانى وقيل الرضا عليهما السلام وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلّمين، وله جلالة فى هذه الطائفة، وهو فى قدره أشهر من أن نصفه، وذكر الكنجى أنّه صنّف مائة وثمانين كتاباً.

وذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الإمام الهادى والعسكرى. وقد توفّى عام (۲۶۰ ه) فهو من متكلّمى القرن الثالث. وقد ذكر النجاشى فهرس كتبه فراجع للاستزادة «۱».

۲- حكم بن هشام بن حكم: أبو محمّد، مولى كندة، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكى عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا أنّه رأى له كتاباً فى الإمامة «۲» وقد توفّى والده عام (۲۰۰ ه أو ۱۹۹ ه) فهو من متكلّمى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث.

۳- داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصرى- رحمه اللَّه- شيخ جليل، فقيه متكلّم من أصحاب الحديث، ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقات، له كتب منها: كتاب فى الإمامة على سائر من خالفه من الأُمم، والآخر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۵

مجرّد الدلائل والبراهين «۱».

وذكره الشيخ الطوسى فى الفهرست فى باب الكنى وقال: إنّه من جملة متكلّمى الإمامية، لقيه الحسن بن موسى النوبختى وأخذ عنه، واجتمع معه فى الحائر على ساكنه السلام، وكان ورد للزيارة «۲»، فبما أنّه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختى المعاصر للجبّائى (ت ۳۰۳ ه) فهو من متكلّمى القرن الثالث.

۴- محمّد بن عبد اللَّه بن مملك الاصبهانى: أصله من جرجان، وسكن إصبهان، جليل فى أصحابنا، عظيم القدر والمنزلة له كتب منها كتاب الجامع فى سائر أبواب الكلام كبير، كتاب المسائل والجوابات فى الإمامة، كتاب مواليد الأئمة عليهم السلام، كتاب مجالسه مع أبى على الجبّائى (۲۳۵- ۳۰۳ ه) «۳».

۵- ثبيت بن محمّد، أبو محمّد العسكرى: صاحب أبى عيسى الوراق (محمّد بن هارون) متكلّم حاذق، من أصحابنا العسكريين، وكان أيضاً له اطّلاع بالحديث والرواية، والفقه، له كتب فى الحديث والإمامة وغيرها «۴».

۶- إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن هلال المخزومى: أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة «۵».

۷- محمّد بن هارون، أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة.

قال ابن حجر: له تصانيف على مذهب المعتزلة، وقال المسعودى له مصنّفات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۶

حسان فى الإمامة وغيرها، وكانت وفاته سنة (۲۴۷ ه) «۱».

۸- إبراهيم بن سليمان بن أبى داحة المزنى: مولى آل طلحة بن عبيد اللَّه، أبوإسحاق، وكان وجه أصحابنا البصريين فى الفقه والكلام والأدب والشعر «۲».

۹- الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه فى أشياء إلّافى أصل الإمامة، وله من الكتب: كتاب المعرفة، كتاب فى الاستطاعة، كتاب الإمامة، كتاب على من أبى وجوب الإمامة بالنصّ «۳».

۱۰- الحسين بن اشكيب: ثقة مقدّم، ذكره أبو عمرو فى كتاب الرجال فى أصحاب أبى الحسن العسكرى عليه السلام ووصفه بأنّه عالم متكلّم مؤلّف للكتب له من الكتب: كتاب الردّ على من زعم أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان على دين قومه، والردّ على الزيدية «۴».

۱۱- عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكرى: متكلّم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام. من كتبه: كتاب الكامل فى الإمامة، كتاب حسن «۵».

۱۲- علىّ بن منصور، أبو الحسن، كوفى سكن بغداد، متكلّم من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير فى التوحيد والإمامة «۶».

۱۳- علىّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار: أبو الحسن مولى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۷

بنى أسد، كوفى، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، كلّم أبا الهذيل (۱۳۵- ۲۳۵ ه) والنظّام (۱۶۰- ۲۳۱ ه) له

مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة «۱».

وقال ابن النديم: أوّل من تكلّم فى مذهب الإمامة علىّ بن إسماعيل بن ميثم التمّار، وميثم (جدّه) من أجلّة أصحاب علىّ- رضى اللّه عنه- ولعلىّ من الكتب كتاب الإمامة و كتاب الاستحقاق «۲».

۱۳- قدماء الشيعة والعلوم العقلية

اشارة

۱۳- قدماء الشيعة والعلوم العقلية

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتراكمة الموروثة التى توارثها قهراً من الأجيال الماضية، فهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمّل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلّة الناطقة، ويكفى فى توضيح ذلك أنّ الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها (۴۷) مرّة، و «التفكّر» (۱۸) مرّة، و «اللب» (۱۶) مرّة و «التدبّر» (۴) مرات و «النُهى» مرتين.

فبذلك نهى عن التقليد وحثّ على التعقّل ببيانات مختلفة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۷

فتارة يدعو الإنسان إلى التأمّل فيما حوله من الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته. قال سبحانه: «ءَأنْتُمْ أشَدُ خَلْقَاً أمِ السَّماءُ بَناها* رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها* وأغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها* والأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحاها* أخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها* وَالجِبالَ أرْساها* متاعاً لَكُمْ ولأنْعامِكُمْ» «۱».

وأُخرى يدعوه إلى التفكير والاستدلال المنطقى، فقال سبحانه: أمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىءٍ أمْ هُمُ الخالِقُونَ* أمْ خَلَقُوا السَّمواتِ والأرْضَ بَلْ لا يوقِنُونَ «۲»

فعالج المشاكل العلمية والفلسفية تارة بالدعوة إلى النظر فى الكون نظرة ثاقبة فاحصة، وأُخرى بالحثّ على التفكير فى المعارف بأُسلوب منطقى وبرهانى، وبذلك أيقظ عقول المسلمين وحثّهم على التأمّل والتدبّر فى العلوم المختلفة، دون التقليد الأعمى والتتبع غير المتبصّر، وجعل لأُولئك المكانة المتميّزة.

غير أنّ المسلمين سوى قليل منهم تنكّبوا عن هذا الطريق، خصوصاً فيما يرجع إلى المعارف العليا، فصاروا بين مشبّه ومعطّل، فالبسطاء منهم بنوا عقائدهم بالجمود على المفردات الواردة فى الكتاب والسنّة، وبذلك استغنوا عن أىّ تعقّل وتفكّر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حدّ قال بعضهم فى الخالق: اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عمّا وراء ذلك «۳»!!! فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة، وأمّا غيرهم فاختاروا تعطيل العقول عن التفكّر فى اللّه سبحانه، فقالوا: أُعطينا العقل لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبيّة، فمن شَغَل ما أُعطى لإقامة العبودية بإدراك الربوبية فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۸

فالأكثرية الساحقة فى القرون الأُولى كانوا بين مشبّه ومعطّل، غير أنّه سبحانه شملت عنايته أُمّة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً وقالوا بأنّه يمكن للإنسان التعرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين:

۱- النظرة الفاحصة إلى عالم الوجود وجمال الطبيعة كما وردت فى القرآن الكريم.

۲- ترتيب المقاييس المنطقية للوصول إلى الحقائق العليا، وهذا أيضاً هو الخطّ الذى رسمه القرآن الكريم، وسار على هذا الخطّ الأئمّة عليهم السلام من أوّلهم إلى آخرهم.

ترى ذلک فى كلام الإمام على عليه السلام بوضوح، فى أحاديثه وخطبه ورسائله، ولا يسعنا هنا أن نستعرض ولو بعضاً ممّا له عليه السلام فى هذا المجال، إلّاأنّا نكتفى بحديث واحد.

سأله سائل: هل يقدر ربّک أن يُدخل الدنيا فى بيضة من غير أن يُصغّر الدنيا أو يُكبّر البيضة؟ فقال: «إنّ اللَّه تبارک وتعالى لا يُنسب إلى العجز، والذى سألتنى لا يكون» «۱».

إنّ خطب الإمام على عليه السلام ورسائله وقصار حكمه كانت هى الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم فى العقائد والمعارف، ولم يتوقّف نشاط الشيعة فى ذلک المجال، بل ونتيجة لتوالى الأئمة عليهم السلام إمام بعد إمام، كان يعنى ذلک استمرار عين المنهج السابق الذى ربّى عليه الإمام علىّ عليه السلام شيعته، فواصل الأئمّة من بعده- عليهم وعليه السلام- فى حياتهم تربية شيعتهم، فشحذوا عقولهم بالدعوة إلى التدبّر والتفكّر فى المعارف، حتّى تربّى فى مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيّد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۸۹

الساجدين إلى عصر الإمام العسكرى، تجد أسماءهم وتآليفهم وأفكارهم فى المعاجم وكتب الرجال، وقد نبغ فى عصر أئمّة أهل البيت مفكّرون بارزون أدّوا لعموم المسلمين خدمات لا تنكر، وأشرعوا أبواب المعرفة للباحثين والمفكّرين الذين تلوهم، ومن هؤلاء: متكلّمو الشيعة فى القرن الثانى:

۱- زرارة بن أعين: مولى بنى عبد اللَّه بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، أبو الحسن: شيخ أصحابنا فى زمانه، ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه.

قال أبو جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً فى الاستطاعة والجبر «۱».

وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيّع «۲». وهو من الشخصيات البارزة للشيعة التى أجمعت الطائفة على تصديقهم، وهو غنىّ عن التعريف والتوصيف.

۲- محمّد بن علىّ بن النعمان بن أبى طريفة البجلى: مولى الأحول «أبو جعفر» كوفى، صيرفى يلقب ب «مؤمن الطاق» و «صاحب الطاق»، ويلقّبه المخالفون ب «شيطان الطاق»... وكان دكّانه فى طاق المحامل فى الكوفة، فيرجع إليه فى النقد فيردّ ردّاً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق».

أمّامنزلته فى العلم وحسن الخاطر فأشهر، وقد نسبت إليه أشياء لم تثبت عندنا.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۰

وله كتاب «افعل لا- تفعل» وهو كتاب حسن كبير، وقد أدخل فيه بعض المتأخّرين أحاديث تدلّ على فسادها، ويذكر تباين أقاويل الصحابة.

وله كتاب «الاحتجاج فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبى حنيفة والمرجئة... «۱».

وقال ابن النديم: وكان متكلّماً حاذقاً، وله من الكتب كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الردّ على المعتزلة فى إمامة المفضول، كتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة «۲».

۳- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا له الصادق عليه السلام، فقال: «أقول لک ما قال رسول اللَّه لحسّان: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانک».

وهو الذى فتق الكلام فى الإمامة، وهذّب المذهب، وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب «۳».

ويقول الشهرستانى: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور فى الأُصول، لا ينبغى أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة؛ فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلک أنّه ألزم الغلاة... «۴».

وقال النجاشى: هشام بن الحكم، أبو محمّد مولى كندة، وكان ينزل بنى شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة (۱۹۹ ه)، ويقال: إنّه مات

فی هذه السنة، له كتاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۱

يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه فبلغت ثلاثين كتاباً «۱».

وأمّا أحمد أمين فيقول عنه: أكبر شخصية شيعية فی الكلام، وكان جداً قویّ الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له فی كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقّة تدل على حضور بديهيته وقوّة حججه.

إنّ الرجل كان فی بداية أمره من تلاميذ أبی الشاكر الديصانی، صاحب النزعة الإلحادية فی الإسلام، ثمّ تبع الجهم بن صفوان الجبری المتطرّف المقتول بترمذ عام (۱۲۸ ه)، ثمّ لحق بالإمام الصادق عليه السلام ودان بمذهب الإماميّة، وما تنقل منه من الآراء التی لا توافق أُصول الإمامية، فإنّما هی راجعة إلی العصرين اللّذين كان فيهما على النزعة الإلحادية أو الجهمية، وأمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق عليه السلام فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلی حدّ كبير، حتّی صار أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الإمامية «۲».

۴- قيس الماصر: أحد أعلام المتكلّمين، تعلّم الكلام من علیّ بن الحسين عليهما السلام.

روی الكلينی: أنّه أتی شامیّ إلی أبی عبد اللّه الصادق عليه السلام ليناظر أصحابه، فقال عليه السلام ليونس بن يعقوب: أُنظر من تری بالباب من المتكلّمين... إلی أن قال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۲

يونس: فأدخلت زرارة بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن الحكم وهو يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندی أحسنهم كلاماً وقد تعلّم الكلام من علیّ بن الحسين عليهما السلام «۱».

۵- عيسی بن روضة حاجب المنصور: قال عنه النجاشی: كان متكلّماً، جيد الكلام، وله كتاب فی الإمامة. وقرأت فی بعض الكتب: أنّ المنصور لمّا كان بالحيرة، تسمّع على عيسی بن روضة، وكان مولاه، وهو يتكلّم فی الإمامة فأُعجب به واستجاد كلامه «۲».

۶- الضحّاك، أبو مالك الحضرمی: كوفی، عربی، أدرك أبا عبد اللّه عليه السلام وقال قوم من أصحابنا: روی عنه، وقال آخرون: لم يرو عنه، روی عن أبی الحسن، وكان متكلّماً ثقة ثقة فی الحديث، وله كتاب فی التوحيد رواه عنه علیّ بن الحسن الطاطری «۳» فالرجل من متكلّمی القرن الثانی.

وقال ابن النديم: من متكلّمی الشيعة، وله مع أبی علیّ الجبّائی مجلس فی الإمامة وتثبيتها بحضرة أبی محمّد القاسم بن محمّد الكوفی، وله من الكتب: كتاب الإمامة، نقض الإمامة على أبی علیّ ولم يتمّه «۴».

۷- علیّ بن الحسن بن محمّد الطائی: المعروف ب «الطاطری» كان فقيهاً ثقة فی حديثه، له كتب منها: التوحيد، الإمامة، الفطرة، المعرفة، الولاية «۵» وغيرها.

وعدّه ابن النديم من متكلّمی الإمامية وقال: ومن القدماء الطاطری، وكان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۳

شيعياً، وله من الكتب كتاب الإمامة حسن «۱».

۸- الحسن بن علیّ بن يقطين بن موسی، مولی بنی هاشم، وقيل مولی بنی أسد، كان فقيهاً متكلّماً، روی عن أبی الحسن والرضا عليهما السلام، وله كتاب مسائل أبی الحسن موسی عليه السلام «۲» وبما أنّ أبا الحسن الأوّل توفّی عام (۱۸۳ ه)، والثانی توفّی عام (۲۰۳ ه)، فالرجل من متكلّمی القرن الثانی وأوائل الثالث.

وذكره الشيخ فی رجاله فی أصحاب الإمام الرضا عليه السلام «۳».

۹- حديد بن حكيم: أبو على الأزدی المدائنی، ثقة، وجه، متكلّم، روی عن أبی عبداللّه، وأبی الحسن عليهما السلام و له كتاب يرويه محمّد بن خالد «۴».

۱۰- فضّال بن الحسن بن فضّال: وهو من متكلّمی عصر الصادق علیه السلام وذكره الطبرسی فی احتجاجه ومناظرته مع أبی حنیفة، فلاحظ «۵».

إنّ ما ذكرناه من أساتذة الكلام كانوا نماذج مصغّرة من تلامذة أهل البیت علیهم السلام وخرّیجی مدرستهم، وقد اكتفینا بذكر هذه الطائفة تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ومن ابتغی الاستزادة فعلیه بالمراجع التاریخیة وكتب الكلام المختلفة التی حفلت بأسماء الأعلام الباقین، أمثال حمران بن أعین الشیبانی، وهشام بن سالم الجوالیقی، والسید الحمیری، والكمیت الأسدی «۶».

متكلّمو الشیعة فی القرن الثالث:

۱- الفضل بن شاذان بن خلیل أبو محمّد الأزدی النیشابوری: كان أبوه من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۴

أصحاب یونس، وروی عن أبی جعفر الثانی وقیل الرضا علیهما السلام وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلّمین، وله جلالة فی هذه الطائفة، وهو فی قدره أشهر من أن نصفه، وذكر الكنجی أنّه صنّف مائة وثمانین كتاباً.

وذكره الشیخ فی رجاله فی أصحاب الإمام الهادی والعسكری. وقد توفّی عام (۲۶۰ ه) فهو من متكلّمی القرن الثالث. وقد ذكر النجاشی فهرس كتبه فراجع للاستزادة «۱».

۲- حكم بن هشام بن حكم: أبو محمّد، مولی كندة، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكی عنه مجالس كثیرة، ذكر بعض أصحابنا أنّه رأی له كتاباً فی الإمامة «۲» وقد توفّی والده عام (۲۰۰ ه أو ۱۹۹ ه) فهو من متكلّمی أواخر القرن الثانی وأوائل القرن الثالث.

۳- داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصری- رحمه اللَّه- شیخ جلیل، فقیه متكلّم من أصحاب الحدیث، ثقة ثقة، وأبوه من شیوخ أصحاب الحدیث الثقات، له كتب منها: كتاب فی الإمامة علی سائر من خالفه من الأُمم، والآخر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۵

مجرّد الدلائل والبراهین «۱».

وذكره الشیخ الطوسی فی الفهرست فی باب الكنی وقال: إنّه من جملة متكلّمی الإمامیة، لقیه الحسن بن موسی النوبختی وأخذ عنه، واجتمع معه فی الحائر علی ساكنه السلام، وكان ورد للزیارة «۲»، فبما أنّه من مشایخ الحسن بن موسی النوبختی المعاصر للجبّائی (ت ۳۰۳ ه) فهو من متكلّمی القرن الثالث.

۴- محمّد بن عبد اللَّه بن مملك الاصبهانی: أصله من جرجان، وسكن إصبهان، جلیل فی أصحابنا، عظیم القدر والمنزلة له كتب منها كتاب الجامع فی سائر أبواب الكلام كبیر، كتاب المسائل والجوابات فی الإمامة، كتاب موالید الأئمة علیهم السلام، كتاب مجالسه مع أبی علی الجبّائی (۲۳۵- ۳۰۳ ه) «۳».

۵- ثبیت بن محمّد، أبو محمّد العسكری: صاحب أبی عیسی الوراق (محمّد بن هارون) متكلّم حاذق، من أصحابنا العسكریین، وكان أیضاً له اطّلاع بالحدیث والروایة، والفقه، له كتب فی الحدیث والإمامة وغیرها «۴».

۶- إسماعیل بن محمّد بن إسماعیل بن هلال المخزومی: أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فیما یرویه له كتاب التوحید، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة «۵».

۷- محمّد بن هارون، أبو عیسی الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقیفة.

قال ابن حجر: له تصانیف علی مذهب المعتزلة، وقال المسعودی له مصنّفات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۶

حسان فی الإمامة وغیرها، وكانت وفاته سنة (۲۴۷ ه) «۱».

۸- إبراهيم بن سليمان بن أبى داحة المزنى: مولى آل طلحة بن عبيد اللَّه، أبوإسحاق، وكان وجه أصحابنا البصريين فى الفقه والكلام والأدب والشعر «۲».

۹- الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه فى أشياء إلّافى أصل الإمامة، وله من الكتب: كتاب المعرفة، كتاب فى الاستطاعة، كتاب الإمامة، كتاب على من أبى وجوب الإمامة بالنصّ «۳».

۱۰- الحسين بن اشكيب: ثقة مقدّم، ذكره أبو عمرو فى كتاب الرجال فى أصحاب أبى الحسن العسكرى عليه السلام ووصفه بأنّه عالم متكلّم مؤلّف للكتب له من الكتب: كتاب الردّ على من زعم أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله كان على دين قومه، والردّ على الزيدية «۴».

۱۱- عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكرى: متكلّم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام. من كتبه: كتاب الكامل فى الإمامة، كتاب حسن «۵».

۱۲- علىّ بن منصور، أبو الحسن، كوفى سكن بغداد، متكلّم من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير فى التوحيد والإمامة «۶».

۱۳- علىّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار: أبو الحسن مولى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۷

بنى أسد، كوفى، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، كلّم أبا الهذيل (۱۳۵- ۲۳۵ ه) والنظّام (۱۶۰- ۲۳۱ ه) له مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة «۱».

وقال ابن النديم: أوّل من تكلّم فى مذهب الإمامة علىّ بن إسماعيل بن ميثم التمّار، وميثم (جدّه) من أجلّة أصحاب علىّ- رضى اللَّه عنه- ولعلىّ من الكتب كتاب الإمامة و كتاب الاستحقاق «۲».

متكلّمو الشيعة فى القرن الرابع

متكلّمو الشيعة فى القرن الرابع:

۱- الحسن بن على بن أبى عقيل: أبو محمّد العمانى، الحذّاء، فقيه متكلّم ثقة، له كتب فى الفقه والكلام، منها كتاب «المتمسّك بحبل الرسول» «۳».

۲- إسماعيل بن علىّ بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة فى الدنيا والدين، يجرى مجرى الوزراء فى جلالة الكتاب، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الاستيفاء فى الإمامة، التنبيه فى الإمامة.

وقال ابن النديم: أبو سهل، إسماعيل بن علىّ بن نوبخت، من كبار الشيعة، وكان أبو الحسن الناشئ يقول: إنّه أُستاذه، وكان فاضلًا، عالماً، متكلّماً، وله مجالس بحضرة جماعة من المتكلّمين... وذكر فهرس كتبه «۴».

۳- الحسين بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه: (أخو الصدوق) القمى أبو عبد اللَّه، ثقة، روى عن أبيه إجازة، وله كتب منها: كتاب التوحيد ونفى التشبيه، وقد توفّى أخوه عام (۳۸۱ ه) فهم من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۸

ولدا بدعوة صاحب الأمر عليه السلام، ترجمه ابن حجر فى لسان الميزان «۱».

۴- محمّد بن بشر الحمدونى «أبو الحسين السوسنجردى»: متكلّم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب، منها: كتاب المقنع فى الإمامة، كتاب المنقذ فى الإمامة «۲».

وقال ابن النديم: السوسنجردى من غلمان أبى سهل النوبختى ويكنّى أباالحسن، ويعرف بالحمدونى منسوباً إلى آل حمدون، وله من الكتب كتاب الإنقاذ فى الإمامة «۳».

وقال ابن حجر: كان زاهداً ورعاً متكلّماً، على مذهب الإمامية، وله مصنّفات فى نصرة مذهبه «۴».

۵- يحيى أبو محمّد العلوى من بنى زبارة: علوى، سيّد، متكلّم، فقيه، من أهل نيشابور. قال الشيخ الطوسى: جليل القدر، عظيم الرئاسة، متكلّم، حاذق، زاهد، ورع، لقيت جماعة ممّن لقوه وقرأوا عليه، له كتاب إبطال القياس، وكتاب فى التوحيد «۵».

۶- محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازى، أبو جعفر: متكلّم، عظيم القدر حسن العقيدة، قوىّ فى الكلام، له كتب فى الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بطّة وذكره فى فهرسته الذى يذكر فيه من سمع منه فقال: وسمعت من محمّد بن عبد الرحمن بن قبة.

وقال ابن النديم: أبو جعفر بن محمّد بن قبة من متكلّمى الشيعة وحذّاقهم، وله

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۲۹۹

من الكتب: كتاب الإنصاف فى الإمامة، كتاب الإمامة «۱».

وقال العلّامة الحلّى عنه: «وكان حاذقاً شيخ الإمامية فى عصره» «۲».

۷- علىّ بن وصيف، أبو الحسن الناشئ: (۲۷۱- ۳۶۵ ه) ذكره النجاشي وقال: الشاعر المتكلّم، ذكر شيخنا- رضى اللَّه عنه- أنّ له كتاباً فى الإمامة «۳».

وقال الطوسى: كان شاعراً مجوّداً فى أهل البيت عليهم السلام و متكلّماً بارعا و ل كتب «۴».

وقال ابن خلّكان: من الشعراء المحبّين، وله فى أهل البيت قصائد كثيرة، وكان متكلّماً بارعاً، أخذ علم الكلام عن أبى سهل إسماعيل بن علىّ بن نوبخت المتكلّم، وكان من كبار الشيعة، وله تصانيف كثيرة، وقال ابن كثير: إنّه كان متكلّماً، بارعاً من كبار الشيعة، فهو من متكلّمى القرن الرابع «۵».

۱۰- الحسن بن موسى، أبو محمد النوبختي: شيخنا المبرز على نظرائه فى زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له على الأوائل كتب كثيرة، منها:

۱- كتاب الآراء والديانات، يقول النجاشى: كتاب كبير حسن يحتوى على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبى عبد اللَّه (المفيد)- رحمه اللَّه-.

۲- كتاب فرق الشيعة.

۳- كتاب الردّ على فرق الشيعة ما خلا الإمامية.

۴- كتاب الجامع فى الإمامة «۶».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۰

والرجل من أكابر متكلّمى الشيعة، عاصر الجبّائى (ت ۳۰۳ ه)، والبلخى (ت ۳۱۹ ه)، وأبا جعفر بن قبة المتوفّى قبل البلخى، فهو من أعيان متكلّمى الشيعة فى أواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع.

وقال عنه ابن النديم: أبو محمّد الحسن بن موسى بن أُخت أبى سهل بن نوبخت، متكلّم فيلسوف كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة، مثل أبى عثمان الدمشقى، وإسحاق وثابت وغيرهم، وكانت المعتزلة تدّعيه، والشيعة تدّعيه ولكنّه إلى حيّز الشيعة ما هو (كذا) لأنّ آل نوبخت معروفون بولاية علىّ وولده عليهم السلام فى الظاهر، فلذلك ذكرناه فى هذا الموضع... وله مصنّفات ومؤلّفات فى الكلام والفلسفة وغيرها. ثمّ ذكر فهرس كتبه ولم يذكر إلّاالقليل من الكثير «۱».

أقول: إنّ بيت نوبخت من أرفع البيوتات الشيعية نبغ منه فلاسفة كبار، متكلّمون عظام، لا يسعنا هنا الحديث عنهم، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المؤلّفة حول هذا البيت.

هؤلاء هم بعض أعلام الشيعة و متكلّموهم فى القرون الأربعة من الذين ذادوا عن حياض الإسلام والتشيّع ببيانهم وبنانهم، أتينا بأسمائهم فى هذا المقام كنموذج عن رجالات الشيعة الأفذاذ الذين ساهموا مع إخوانهم من المفكّرين المسلمين فى بناء صرح

الحضارة الإسـلامیة الخالد، ونختم بحثنا هذا بذکر أکبر فطاحلة الکلام ورجاله الأفذاذ، رجل قلّ أن یسمع الدهر بمثله، ونقصد به شیخ الأُمّة وأُستاذ المتکلّمین شیخنا المفید (۳۳۶- ۴۱۳ ه) الذی نطق بفضـله وعلمه وورعه وتقاه لسان کل موافق ومخالف، وإلیک نموذجاً ممّـا ذکره أصحاب التـذکرة وعلماء الرجال فی کتبهم علی وجه الإیجاز، ونرکّز علی کلمات أهل السنّة و مع ذکر القلیل من کلمات الشیعة فی حقّه.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۰۱

۱- قال عنه معاصره ابن الندیم (ت ۳۸۸ ه) فی الفهرست:

ابن المعلم أبو عبد اللَّه، فی عصرنا انتهت رئاسة متکلّمی الشیعة إلیه، مقدّم فی صناعة الکلام علی مذهب أصحابه، دقیق الفطنة، ماضی الخاطرة، شاهدته فرأیته بارعاً... «۱».

۲- وقال عبد الرحمن بن الجوزی (ت ۵۹۷ ه):

شیخ الإمامیة وعالمها، صـنّف علی مذهبه، ومن أصـحابه المرتضـی، کان لابن المعلم مجلس نظر بداره- بدرب ریاح- یحضـره کافّة العلماء، له منزلة عند أُمراء الأطراف، لمیلهم إلی مذهبه «۲».

۳- وقال أبو السعادات عبد اللَّه بن أسعد الیافعی (ت ۷۶۸ ه):

وفی سـنة ثلاث عشـرة وأربعمائة توفّی عالم الشـیعة وإمام الرافضة، صاحب التصانیف الکثیرة، شـیخهم المعروف بالمفید، وابن المعلّم أیضاً، البارع فی الکلام والجدل والفقه، وکان یناظر أهل کلّ عقیدة مع الجلالة والعظمة فی الدولة البویهیة.

قـال ابن أبی طی: وکـان کثیر الصـدقات، عظیم الخشوع، کثیر الصـلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غیره: کان عضـد الدولـة ربّما زار الشیخ المفید، وکان شیخاً ربعة نحیفاً أسمر، عاش ستّاً وسبعین سنة، وله أکثر من مائتی مصنّف، وکانت جنازته مشهورة وشیّعه ثمانون ألفاً من الرافضة والشیعة «۳».

۴- ووصفه أبو الفداء الحافظ ابن کثیر الدمشقی (ت ۷۷۴ ه) بقوله:

شیخ الإمامیة الروافض، والمصنّف لهم، والمحامی عن حوزتهم، وکان یحضر مجلسه خلق کثیر من العلماء وسائر الطوائف «۴».

الأضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۰۲

۵- وقال الذهبی (ت ۷۴۸ ه):

عالم الشـیعة وإمام الرافضـة وصاحب التصانیف الکثیرة، قال ابن أبی طی فی تاریخه- تاریـخ الإمامیة:- هو شـیخ مشایخ الطائفة ولسان الإمامیة ورئیس الکلام والفقه والجدل، وکان یناظر أهل کلّ عقیدة مع الجلالة العظیمة فی الدولة البویهیة «۱».

۶- قال ابن حجر (ت ۸۵۲ ه) بعد نقل ما ذکره الذهبی:

وکان کثیر التعقیب والتخشّع والإکباب علی العلم، تخرّج به جماعـة، وبرع فی المقالة الإمامیة حتّی یقال: له علی کلّ إمامی منّة، وکان أبوه معلماً بواسط، وما کان المفید ینام من اللیل إلّاهجعة ثمّ یقوم یصلی أو یطالع أو یدرس أو یتلو القرآن «۲».

۷- وقال عنه ابن العماد الحنبلی (ت ۱۰۸۹ ه):

ابن المعلم، عالم الشـیعة، إمام الرافضة، وصاحب التصانیف الکثیرة، قال ابن أبی طی فی تاریخ الإمامیة: هو شیخ مشایخ الطائفة ولسان الإمامیة ورئیس الکلام، والفقه، والجدل، وکان یناظر أهل کلّ عقیدة مع الجلالة والعظمة فی الدولة البویهیة «۳».

هذا جانب ممّا ترجم له أهل السنّة، وأمّا الشیعة فنقتصر علی کلام تلمیذیه الطوسی والنجاشی توخّیاً للاختصار:

۱- یقول الشیخ الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰ ه) فی الفهرست:

المفید یکنّی أباعبداللَّه، المعروف بابن المعلم، من جملة متکلّمی الإمامیة،

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۰۳

انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته، وكان مقدّماً فى العلم، وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتى مصنّف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، ولد سنة (۳۳۸ ه)، وتوفّى لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (۴۱۳ ه)، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق «۱».

۲- ويقول تلميذه الآخر، النجاشى (۳۷۲- ۴۵۰ ه):

شيخنا وأُستاذنا- رضى اللَّه عنه- فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية والوثاقة والعلم. ثمّ ذكر تصانيفه «۲».

وهكذا وبعد أن أوردنا بعضاً من رجالات الطائفة الذين برعوا فى علم الكلام حتّى نهاية القرن الرابع، أودّ أن أُشير إلى بعض أساتذة الفلسفة الذين لمعت أسماؤهم فى سماء العالم الإسلامى بعد القرن الرابع الهجرى.

مشاهير أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع

مشاهير أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع:

۱- الشيخ أبو على بن سينا: إذا كان الشيخ المفيد أكبر متكلّم للشيعة ظهر فى العراق، فإنّ الشيخ الرئيس ابن سينا (۳۷۰- ۴۲۸ ه) أكبر فيلسوف إسلامى شيعى ظهر فى المشرق، وهو من الذين دفعوا عجلة الفكر والعلم إلى الأمام خطوات كثيرة، وقد ذاع صيته شرقاً وغرباً، وكتبت عنه دراسات ضافية من المسلمين والمستشرقين، ونحن فى غنى عن إفاضة القول فى ترجمة حياته، وآثاره التى خلّفها، والتلاميذ الذين تربّوا فى مدرسته، ولكن نشير إلى كتابين من كتبه لما لهما من الشهرة والمكانة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۴

ألف- الشفاء: وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والإلهيات والرياضيات وقد طبع أخيراً فى مصر فى أجزاء، وبالإمعان فيما ذكره فى مبحث النبوّة يعلم منه مذهبه، قال: والاستخلاف بالنص أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدّى إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف «۱».

باء- الإشارات: وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والإلهيات، وهو من أحسن مؤلّفاته، وفيه آراؤه النهائية، وقد وقع موقع العناية لمن بعده، فشرحه الإمام الرازى (۵۴۳- ۶۰۶ ه) والمحقّق الطوسى (۵۹۷- ۶۷۲ ه) والشرح الثانى كان محور الدراسة فى الحوزات العلمية.

۲- نصير الدين الطوسى: سلطان المحقّقين وأُستاذ الحكماء والمتكلّمين (۵۹۷- ۶۷۲ ه) وهو أشهر من أن يذكر، شارك فى جميع العلوم النظرية فأصبح أُستاذاً محقّقاً مؤسّساً، أثنى عليه الموافق والمخالف.

۳- الشيخ كمال الدين، ميثم بن علىّ بن ميثم البحرانى (۶۳۶- ۶۹۹ ه) الفيلسوف المحقّق، والحكيم المدقّق، قدوة المتكلّمين، تظهر جلالة شأنه و سطوع برهانه من الإمعان فى شرحه لنهج البلاغة فى أربعة أجزاء، وله «قواعد المرام فى الكلام» وكلاهما مطبوعان.

۴- العلّامة الحلّى: شيخ الشيعة جمال الدين المعروف بالعلّامة الحلّى (۶۴۸- ۷۲۶ ه) له الجوهر النضيد فى شرح منطق التجريد، وكشف المراد فى الكلام، وكتبه فى المنطق والكلام والفلسفة تنوف على العشرين.

۵- قطب الدين الرازى (ت ۷۶۶ ه) تلميذ العلّامة الحلّى وأُستاذ الشهيد الأوّل، له شرح المطالع فى المنطق، والمحاكمات بين العلمين: الرازى ونصير الدين الطوسى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۰۵

إلى غير ذلك من العقول الكبيرة التى ظهرت فى الحوزات الشيعية، كالفاضل المقداد (ت ۸۰۸ ه) مؤلّف نهج المسترشدين فى الكلام، والشيخ بهاء الدين العاملى (۹۵۳- ۱۰۳۰ ه)، والسيد محمّد باقر المعروف بالداماد (ت ۱۰۴۰ ه)، وتلميذه المعروف بصدر المتألّهين مؤلّف الأسفار الأربعة (۹۷۱- ۱۰۵۰ ه)، وغيرهم ممّن يتعسّر علينا إحصاء أسمائهم فضلًا عن تحرير تراجمهم.

هذه لمحة عابرة عن مشاركة الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم العقلية، والتى اقتصرنا فيها على ذكر ما يتّسع به المجال

من بعض المشاهير منهم إلى أواسط القرن الحادى عشر، حيث إنّ هناك العديد من الأسماء الكبيرة واللامعة.

هذا وقد قام المتتبّع المتضلّع الشيخ عبد اللّه نعمة بتأليف كتاب حول فلاسفة الشيعة ومتكلّميهم أسماه «فلاسفة الشيعة» فسدّ بذلك بعض الفراغ جزاه اللّه خيراً.

ومن الجانب الآخر يجد المرء أنّ هذا العطاء المقدّس فى علوم التفكير والبرهنة لم يزل متواصلًا لدى الشيعة وحتّى عصرنا الحاضر هذا، حيث ظهرت العديد من الشخصيات الفذّة والبارزة، رفدت المكتبة الإسلامية بمؤلّفات غنيّة فى الكلام والفلسفة والمنطق، فى الوقت الذى عاش فيه كثير من هؤلاء العلماء والمفكّرين فى ظروف قاهرة ومصاعب جمّة، لعبت فيها السلطات الجائرة دوراً كبيراً فى مطاردة وتصفية الكثير منهم، حتّى صار ذلك سبباً فى اختفاء آثارهم وضياعها، بل وتراكم الأساطير حولها.

وبذلك تقف على ضعف وركاكة ما ذكره المستشرق آدم متز فى حقّ كلام الشيعة:

«أمّا من حيث العقيدة والمذهب، فإنّ الشيعة هم ورثة المعتزلة، ولابدّ أن يكون قلّة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة ممّا لاءم أغراض الشيعة، ولم يكن

للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاصّ بهم» «۱».

إنّ الشيعة عن بكرة أبيهم كانوا مقتفين أثر أئمّتهم، ولم يكونوا ورثة للمعتزلة ولا لغيرهم، وإنّما أخذت المعتزلة أُصول مذهبهم عن أئمّة أهل البيت، كما هو واضح للجميع، بل والمعروف كثرة المناظرات بين الشيعة والمعتزلة منذ عصر الإمام الصادق عليه السلام وإلى عصر المفيد وما بعده.

نعم، ما أضعف ما ذهب إليه هذا المستشرق، وفى ذلك دلالة واضحة على سطحيّة الآراء التى يذهب إليها الغرباء فى الحكم على عقائد المسلمين، ولسنا نلومه بقدر ما نلوم به إخواننا المسلمين ومفكّريهم الذين يستندون فى كثير من مذاهبهم على أقوال هؤلاء وتخرّصاتهم، حتّى أنّ الشيخ المفيد وضع كتباً فى نقد المعتزلة، كما وضع قبله بعض أئمّة المتكلّمين من الشيعة ردوداً على المعتزلة، فكيف يكون الشيعة ورثة للمعتزلة؟ نعم إنّ القائل خلط مسألة الاتّفاق فى بعض المسائل بالتبعية والاقتفاء، فالشيعة والمعتزلة تتّفقان فى بعض الأُصول، لا أنّ أحدهما عيال على الآخر.

۱۴- قدماء الشيعة والعلوم الكونية

اشارة

۱۴- قدماء الشيعة والعلوم الكونية

لم يكن اتّجاه الشيعة مختصّاً بالعلوم العقلية كالكلام والفلسفة والمنطق فحسب، بل امتدّ نشاطهم وحركتهم الفكرية إلى العلوم الرياضية، والكونية، فتجد هذا النشاط بارزاً فى مؤلّفاتهم طيلة القرون الماضية، ونحن نأتى هنا بذكر موجز عن مشاهير علمائهم ومؤلّفاتهم فى القرون الأُولى تاركين غيرهم للمعاجم:

۱- هشام بن الحكم (ت ۱۹۹ ه)، له آراء فى الأعراض كاللون والطعم

والرائحة، وقد أخذ منه إبراهيم بن سيّار النظّام، وحاصل هذا الرأى أنّ الرائحة جزئيات متبخّرة من الأجسام تتأثّر بها الغدد الأنفية، وأنّ الأطعمة جزئيات صغيرة تتأثّر بها الحليمات اللسانية «۱».

۲- إنّ بیت آل نوبخت بیت شیعی عریق، فقد قاموا بترجمة الكثیر من كتب العلوم والمعرفة من اللغة الفارسیة إلی العربیة، كما برع منهم من له باع طویل فی كثیر من العلوم، ومنها العلوم الكونیة.

قال ابن الندیم: آل نوبخت معروفون بولایة علی وولده.

وقال الأفندی فی ریاض العلماء: بنو نوبخت طائفة معروفة من متكلّمی الإمامیة منهم:

أ- أبو الفضل بن نوبخت، قال ابن الندیم: كان فی خزانة الحكمة لهارون الرشید، وقال ابن القفطی فی تاریخ الحكماء: إنّه مذكور مشهور من أئمّة المتكلّمین وذُكر فی كتب المتكلّمین. وكان فی زمن هارون الرشید وولّاه القیام بخزانة كتب الحكمة، وهو من متكلّمی أواخر القرن الثانی.

ب- ولده إسحاق بن أبی سهل بن نوبخت، من متكلّمی القرن الثالث.

ج- یعقوب بن إسحاق بن أبی سهل بن نوبخت، متقدّم فی الحكمة والكلام والنجوم «۲».

۳- أبو علیّ أحمد بن محمّد بن یعقوب بن مسكویه، من أعیان الشیعة وأعلام فلاسفتهم، صنّف فی علوم الأوائل، وله تعلیقات فی المنطق، ومقالات جلیلة فی أقسام الحكمة والریاضة «۳».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۰۸

۴- جابر بن حیّان، ویعدّ من أشهر علماء الشیعة وأقدمهم الذین برزوا فی علم الكیمیاء، وهو أوّل من أشار إلی طبقات العین قبل «یوحنا بن ما سویه» (ت ۲۴۳ ه) وقبل حنین بن إسحاق (ت ۲۶۴ ه) وأوّل من أثبت إمكان تحویل المعدن الخسّیس إلی الذهب والفضة، فلم تقف عبقریته فی الكیمیاء عند هذا الحدّ، بل دفعته إلی ابتكار شیء جدید فی الكیمیاء فأدخل فیها ما سمّاه بعلم المیزان، والمقصود منه معادلة ما فی الأجسام والطبائع، وجعل لكلّ جسم من الأجسام، موازین خاصّة «۱» وقد أُلّفت حول جابر وعبقریته كتب كثیرة، فمن أراد فلیرجع إلیها، وقد اتّفق الكلّ علی أنّه تلمیذ الإمام الصادق علیه السلام.

۵- الشریف أبو القاسم علیّ بن القاسم القصری، وهو من علماء القرن الرابع، ذكره ابن طاووس فی فرج المهموم فی عداد منجّمی الشیعة «۲».

وهذه نماذج من علماء الشیعة فی الطبیعیات والفلكیات، وأمّا المتأخّرون، فحدّث عنهم ولا حرج، وقد أتی بقسم كبیر منهم الشیخ عبد اللَّه نعمة فی كتابه «فلاسفة الشیعة» فمن أراد فلیرجع إلیه، غیر أنّا نذكر هنا المحقّق الطوسی الذی له حقّ علی الأُمّة جمعاء، والذی تقول فی حقّه المستشرقة الألمانیة:

«وحصل نصیر الدین الطوسی علی مرصده، فكان معهداً للأبحاث لا مثیل له، وزوّده بالآلات الفلكیة التی زادت فی شهرة المعهد، ورفعت مكانته... ویحكی أنّ زائراً قصد ابن الفلكی نصیر الدین فی مرصده فی مراغة، فلمّا رأی الآلات الفلكیة المتنوّعة ذُهل، وقد ازداد دهشة حین رأی «المحلقة» ذات الخمس حلقات والدوائر من النحاس: أولاها: تمثل خطّ الطول الذی كان مركّزاً فی الأسفل، وثانیتها: خطّ الاستواء، وثالثتها: الخطّ الاهلیلجی، ورابعتها: دائرة خطّ الأرض،

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۰۹

وخامستها: دائرة الانقلاب الصیفی والشتوی، وشاهد أیضاً دائرة السمت التی یمكن للمرء بواسطتها أن یحدّد سمت النجوم، أی الزاویة الناتجة علی خطّ أُفقی ثابت وخطّ أُفقی آخر صادر عن كوكب فی السماء.

وتقول أیضاً: إنّ نصیر الدین أحضر إلی مكتبة المعهد أربعمائة ألف مجلّد كانت قد سرقت من مكتبات بغداد وسوریة وبلاد بابل، وقد استدعی علماء ذوی شهرة طائرة من إسبانیا ودمشق وتفلیس والموصل إلی مدینة مراغة لكی یعملوا علی وضع الازیاج بأسرع وقت ممكن» «۱».

ویناسب فی المقام ذكر إجمالی عمّا قدّموا من الخدمة فی مجال الجغرافیة وعلم البلدان فنقول:

الجغرافیة وتقویم البلدان

الجغرافیة وتقویم البلدان

الجغرافیة وتقویم البلدان

نذکر فی المقام رحّالتین طافا البلاد الإسلامیة وکتبا ما یرجع إلی جغرافیة البلدان، وقد صار کتاباهما أساساً للآخرین:

۱- أحمد بن أبی یعقوب بن واضح، المعروف بالیعقوبی، المتوفّی فی أواخر القرن الثالث، فهو أوّل جغرافی بین العرب، وصف الممالک معتمداً علی ملاحظاته الخاصّة، ومتوخّیاً قصد ما أراد من وصف البلد وخصائصها، وهو یقول عن نفسه: إنّه عنی فی عنفوان شبابه وحدّة ذهنه بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بین کل بلد وبلد، لأنّه سافر حدیث السنّ، واتّصلت أسفاره، ودام تغرّبه، وقد طاف فی بلاد المملکة الإسلامیة کلّها، فنزل أرمینیّة، وورد خراسان، وأقام بمصر والمغرب، بل سافر إلی الهند وکان متی لقی رجلًا سأله عن وطنه ومصره، وعن

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۱۰

زرعه ما هو؟ وساکنیه من هم؟ عرب أو عجم؟ وعن شرب أهله ولباسهم ودیاناتهم ومقالاتهم، من غیر أن یلحقه من ذلک ملال ولا فتور، وقد وصف المملکة الإسلامیة مبتدئاً ببغداد وصفاً منظّماً مع إصابة جدیرة بالثقة والإعجاب «۱».

۲- أبو الحسن علیّ بن الحسین المسعودی (ت ۳۴۶ ه) فقد ألّف فی ذلک المضمار کتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وکتابه الآخر «التاریخ فی أخبار الأُمم من العرب والعجم» وکتابه الثالث «التنبیه والأشراف» فقد اشتمل وراء التاریخ علی الجغرافیة وتقویم البلدان، وقد جرّه حُبّه للاستطلاع إلی السفر إلی بلاد بعیدة، فکتب ما رآه وشاهده.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۱۱

بلدان الشیعة وأماکن تواجدهم

اشارة

بلدان الشیعة وأماکن تواجدهم

یمثّل الشیعة شریحة کبیرة من المجتمع الإسلامی الکبیر المتوزّع فی بقاع العالم المختلفة، حیث ساهموا کما أسلفنا مع إخوانهم المسلمین فی بناء الحضارة الإسلامیة، وإقامة صرح الدین الحنیف، ونشره فی أصقاع المعمورة، وسنحاول فی بحثنا هذا استعراض وجود الشیعة فی بلدان العالم مع ذکر مختصر عن جوامعهم ومعاهدهم ودورهم وأعدادهم، لکی یکون القارئ الکریم علی تصوّر واضح عنهم.

بلدان الشیعة:

بلدان الشیعة:

ینتشر الشیعة فی جمیع أنحاء العالم بنسب مختلفة، وربّما تعد بعض البلدان معقل الشیعة ومزدحمها حیث یکون المذهب السائد فیها هو مذهب التشیع، فی حین تتفاوت هذه النسبة فی بلدان أُخری. وإلیک أسماء بعضها، وهی إیران، والعراق، وسوریة، والسعودیة، وترکیا، وأفغانستان، والباکستان، والهند، والیمن، ومصر، والإمارات العربیة المتّحدة، والبحرین، والکویت، ومسقط، وعمان، والتبت،

والصين، وآذربيجان، وطاجيكستان، وباقى الجمهوريات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفيتى، وماليزيا، وأندونيسيا، وسيلان، وتايلند، وسنغافورة، وشمال أفريقيا، والصومال، والأرجنتين، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وألبانيا، والولايات المتّحدة، وكندا وغيرها من الدول المختلفة التى يضيق المجال بحصرها.

ولا بأس بالإيعاز إلى خصوصيّات بعض البلدان؛ إذ فيه تسليط لبعض الضوء للتعرّف على ماضى التشيّع وما لاقاه أتباعه من العدوان والويلات والمصائب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۲

التشيّع حجازى المحتد والمولد:

التشيّع حجازى المحتد والمولد:

التشيّع حجازى المحتد والمولد؛ إذ فيه نشأ، وفى تربته غرست شجرته، ثمّ نمت وكبرت، فصارت شجرة طيّبة ذات أغصان متّسقة وثمار يانعة. وفيه حثّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله على ولاء الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام وسمّى أولياءه شيعة، وحدّث بحديث الثقلين، وجعل أئمة أهل البيت قرناء الكتاب فى العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وفيه رَقى النبىّ صلى الله عليه و آله المنبر الذى صنعوه من رحال الإبل وأخذ بيد وصيّه وولىّ عهده علىّ المرتضى وحمد اللّه وأثنى عليه وقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقالوا: اللّهمّ بلى، ولما أخذ من الجمع المحتشد الإقرار بأولويّته على النفس والنفيس عرَّف علياً خليفة بعده وقال: «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه» ونزل من المنبر ثمّ نزلت آيات من الذكر الحكيم تشير إلى هذه البيعة وتؤكّدها، ومن ثمّ تبودلت التهانى والتحيّات بين الإمام والصحابة «۱».

وقد أشار إلى بعض ما ذُكر مؤلّف خطط الشام وقال: «إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله هو الذى حثّ على ولاء علىّ وأهل بيته عليهم السلام وهو أوّل من سمّى أولياءه بالشيعة، وفى عهده ظهر التشيّع وسمّى جماعة بالشيعة «۲».

ولما ارتحل النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى دار البقاء تناسى أُولو القوّة والمنعة من الصحابة عهد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فحالوا بين النبىّ صلى الله عليه و آله وأُمنيته كما حالوا بين أُمّته وإمامها، فتداولوا كُرة الخلافة بينهم، وأخذوا بمقاليد الحكم واحداً بعد آخر، والإمام منعزل عن الحكم، لا عمل له إلّاهداية الأُمّة وإرشادها بلسانه وبيانه وقلمه وبنانه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۳

ولقد كان الذى دعا علياً إلى السكوت والانحياز، هو مشاهدة ظاهرة الردّة الطارئة على المجتمع الإسلامى عن طريق مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الأفّاك، وسجاح بنت الحرث الدجّالة، وأتباعهم الرعاع الذين كانوا على الدين الفتىّ خطراً جدّياً كان من الممكن أن يؤدّى إلى محق الإسلام وسحق المسلمين.

ويحدّث عن هذه الحقيقة الإمام فى رسالته التى أرسلها مع مالك الأشتر إلى أهل مصر، حيث يقول فيها: «فأمسكت يدى حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه و آله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علىّ أعظم» «۱».

رأى الإمام أنّ صيانة الإسلام وردّ عادية الأعداء تتوقّفان على المسالمة والموادعة، فألقى حبل الخلافة على غاربها، تقديماً للأهمّ على المهمّ، وتبعته شيعته صابرين على مضض الحياة ومرّها.

بقى الإمام منعزلًا عن الحكم قرابة ربع قرن إلى أن قتل عثمان فى عقر داره، وانثال الناس إلى دار علىّ من كلّ جانب مجتمعين حوله كربيضة الغنم، يطلبون منه القيام بالأمر وأخذ مقاليد الحكم، وفيهم شيعته المخلصون الأوفياء، فلم ير بدّاً من قبول دعوتهم لقيام الحجّة بوجود الناصر «۲».

ولمّا نكث الناكثون البيعة، وقادوا حبيسة رسول اللّه صلى الله عليه و آله «عائشة» معهم إلى البصرة، ارتحل الإمام بأنصاره وشيعته إلى العراق إلّاقليلًا بقوا فى الحجاز لقلع مادّة الفساد قبل أن تستفحل، ولمّا قلع عين الفتنة، استوطن الإمام الكوفة، واستوطنها معه شيعته، وصارت الكوفة عاصمة التشيّع، ومعقله، وفيها نما وأينع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۴

وأثمر ومنها انحدر إلى سائر البلدان، بعد ما كان الحجاز مهبط التشيّع ومغرسه ومحتده. فكان حجازى المحتد والمغرس، عراقى النشوء والنمو، ولم يكن يوم ذاك يتظلّل فى ظلال التشيّع إلّاعربى صميم، من عدنانىّ وقحطانىّ، ولم يكن بينهم فارسىّ ولا بربرىّ الأصل ولا شعوبىّ العقيدة يمقت العرب.

وهكذا فإنّا يمكننا القول بأنّ مهد التشيّع الأوّل كان فى أرض الحجاز الطيّبة ومنها درج واشتد حتّى تسامق وتطاول وأصبح له وجود فى كلّ بقاع المعمورة.

ولا زال الشيعة يعيشون مع إخوانهم المسلمين فى مكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، وحضرموت، ونجران، وغيرها، كما توجد فى أنحاء من أرض الحجاز الكثير من القبائل العربية الشيعية أمثال بنى جهم، وبنو علىّ، وغيرهم.

وأمّا المنطقة الشرقية كالإحساء والقطيف والدمّام، فأكثر سكّانها من الشيعة.

التشيّع عراقى النشوء والنمو:

التشيّع عراقى النشوء والنمو:

قد عرفت أنّه لمّا غادر الإمام المدينة المنوّرة متوجّهاً إلى العراق واستوطن الكوفة هاجر كثير من شيعته معه واستوطنوا العراق، فصار ذلك أقوى سبب لنشوء التشيّع ونموّه فى العراق، ولا سيما فى الكوفة، فصارت معقل الشيعة، ولمّا قضى الإمام نحبه حاولت السلطة الأُموية وعمّالها استئصال التشيّع منها بأبشع صورة مستخدمة فى ذلك شتّى الأساليب الإجرامية الرهيبة من دون أىّ وازع من ضمير.

وبالرغم من أنّ العراق وأخصّ منه الكوفة كان علوى النزعة هاشمى الولاء، إلّا أنّ الحسين ابن الإمام علىّ عليهما السلام قتل بسيف الكوفيين، وسقط عطشان وحوله أجساد أبنائه وأبناء أخيه وأصحابه، إلّا أنّ ذلك لا يدلّ على انسلاخهم عن التشيّع؛ لأنّ الشيعة يوم ذاك كانوا بين مسجون فى زنزانات الأُمويين، أو مرعوب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۵

متخاذل فاقد للتصميم والحمية، أو منتظر لما تؤول إليه الأُمور، أو ناصر التحق بالحسين فى أحلك الظروف. هؤلاء هم الشيعة.

وأمّا الذين شاركوا فى قتل الحسين فلم يكونوا من الشيعة أبداً، بل كانوا أتباع الأُمويين والمنضوين تحت راياتهم. فلما قتل الحسين أثار قتله شجون الشيعة، وبقوا يتحيّنون الفرص للانقضاض على الحكم الأُموى الفاسد وأتباعه، حتّى تهيّأت الفرصة عند خروج المختار من سجنه، فالتفوا حوله فى ثورة كبيرة اقتلعت جذور الامويين واقتصّت من أعوانهم قتلة الحسين وأهل بيته وأصحابه.

وقد حاول الأُمويون جعل العراق أُموياً، وبذلوا جهوداً حثيثة فى سبيل هذا الأمر، إلّاأنّ جهودهم ذهبت أدراج الرياح، وبقى العراق هاشمياً وعلوياً، حتّى أنّ دعوة العباسيين نجحت فى بداية الأمر فى العراق فى ظلّ طلب ثأر الحسين وأهل بيته، وكانت الدعوة للرضا من آل محمّد صلى الله عليه و آله.

لقد تبلور التشيّع بعد حادثة الطفّ بقليل واتّسع نطاقه وصار العراق مركزه، وكانت القوافل من أنحاء العراق وغيره من بلاد المسلمين تؤمّ قبر الحسين وأصحابه، فصارت مشاهد أهل البيت فيها معمورة بالزائرين والمجاورين، وكانت المآتم تقام فى حواضرها تخليداً لذكرى استشهاد الإمام الحسين المفجع، واتّخذت الشيعة قرب مشاهد أئمّتهم، حوزات علمية ومعاهد فكرية، فازدهر العراق بعمالقة الفكر، وأساتذة الفقه، وأساطين الكلام، وأعان على نشر التشيّع ونموّه فى العراق نشوء دول وإمارات للشيعة فى القرن الرابع وما بعده.

يقول الشيخ المظفّر «۱»: وساعد على نمو التشيّع وانتشاره فى العراق، أن تكوّنت من الشيعة فيه سلطنات دول وإمارات كسلطنة آل بويه، وإمارة بنى مزيد فى الحلّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۶

والنيل، وبنى شاهين فى البطائح، وبنى حمدان وآل المسيّب فى الموصل، ونصيبين، وكدولة بعض المغول أمثال محمّد خدابنده وابنه أبى سعيد، وأمّا محمود غازان فقد قيل بتشيّعه وهناك أمارات عليه إلّاأنّه لم يصارح به، وكدولة الجلائرية التى أسّسها الشيخ حسن الجلائرى أحد قوّاد المغول وابن أُخت محمود غازان ومحمّد خدابنده، وكانت بغداد عاصمة ملكه، وكالدولة الصفوية التى ناصرت التشيّع ونشرته فى البلاد بشتّى الطرق، فكأنّما هى دولة دينية تأسّست لنشر مذهب أهل البيت.

وأيّد مذهب التشيّع أيضاً أن انعقدت عدّة وزارات من رجاله، فقد استوزر السفاح أوّل ملوك بنى العباس أبا سلمة الخلّال الكوفى الهمدانى داعية أهل البيت، وقتله على التشيّع.

واستوزر المنصور: محمّد بن الأشعث الخزاعى.

واستوزر المهدى: أبا عبد اللَّه يعقوب بن داود، وحبسه لتشيّعه، واستوزر الرشيد: علىّ بن يقطين، وجعفر بن الأشعث الخزاعى.

واستوزر المأمون: الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمعه بين القلم والسيف، وقتله عندما أحسّ بميله إلى الرضا عليه السلام، واستوزر من بعده أخاه الحسن بن سهل.

واستوزر المعتزّ والمهتدى: أبا الفضل جعفر بن محمود الإسكافى.

واستوزر المقتدى: أبا شجاع ظهير الدين محمّد بن الحسين الهمدانى، وعزله لتشيّعه.

واستوزر المستظهر: أبا المعالى هبة الدين بن محمّد بن المطلّب، وعزله لتشيّعه، ثمّ أعاده على أن لا يخرج من مذهب أهل السنّة، ثمّ تغيّر عليه وعزله.

واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر: مؤيّد الدين محمّد بن عبد الكريم القمّى من ذريّة المقداد- رضوان اللَّه عليه-.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۷

واستوزر المستعصم آخر ملوك بنى العباس: أبا طالب محمّد بن أحمد العلقمى الأسدى، وأقرّه هولاكو على الوزارة، ولمّا مات- رحمه اللَّه- استوزر: ولده أبا الفضل عزّالدين. إلى ما سوى هؤلاء.

وأمّا الإمارات، والقيادات، والكتابة، والخزانة، فما أكثرها، أمثال: إمارة آل قشتمر، وآل أبى فراس الشيبانى، وآل دبيس كما أشرنا إليهم.

وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعى، وقيادة أولاده كابنه عبد اللَّه، ومحمّد بن عبد اللَّه وغيرهما، وتولّيهم إمارة هراة.

وكان عبد اللَّه بن سنان خازناً للمنصور والمهدى والهادى والرشيد، وكان من ثقات الرواة لأبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام. إلى ما يعسر استقصاؤه.

وكفاك برهاناً على أنّ التشيّع كان ضارباً أطنابه على بسيطة العراق، ما كان من نقابة الطالبيين فى بغداد، فما أكثر ما كان يتولّاها الشيعة، أمثال الشريف الرضى وأبيه وابنه وأخيه المرتضى، وقد تولّوا المظالم أيضاً، وتولّى الشريف الرضى وأبوه أيضاً إمارة الحاج، كما تولّاها ثلاث عشرة حجّة حسام الدين أبو فراس جعفر بن أبى فراس الشيبانى.

وتولّى آل طاووس نقابة الطالبيين فى العراق عامة، تولّاها منهم السيّدان العلمان رضى الدين وغياث الدين عبد الكريم «۱».

كما تولّى الأوقاف فى العراق وغيرها ممّا كان تحت حكم المغول الخواجا نصير الدين الطوسى- طاب ثراه- وعندما قبض عليها، أقام ببغداد، وتصفّح الأوقاف، وأدار أخبار الفقهاء والمدرّسين، وقرّر القواعد فى الوقف، وأصلحها بعد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۸

اختلالها «۱»، ومن بعده تولّاها ابنه أحمد فخر الدين، ولمّا وليها حذف الحصّة الديوانية فى الوقوف، ووفّرت على أربابها «۲».

وهكذا فإنّ الاستقراء الموضوعى لسكان العراق يكشف بوضوح التفوّق الكبير فى عدد الشيعة على ماعداهم، فجنوب العراق يغلب على سكّانه الشيعة بشكل واضح جدّاً، وأما وسطه فتتركّز شيعته فى أغلب محافظاته أمثال محافظة النجف وكربلاء وبابل وواسط والسماوة والديوانية وغيرها، وأما شمال العراق فتقلّ نسبة الشيعة فيه بشكل ملحوظ، إلّاأنّ هناك أعداداً لا بأس بها فى محافظتى الموصل وكركوك.

الشيعة فى اليمن:

الشيعة فى اليمن:

دخل التشيّع فى اليمن بعد أن أسلموا على يد علىّ عليه السلام، حيث يحدّثنا التاريخ: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، فأقام هناك ستّة أشهر فلم يجيبوه إلى شىء. فبعث النبىّ صلى الله عليه و آله علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأمره أن يُرجع خالد بن الوليد ومن معه.

قال البراء: فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلّى بنا علىّ الفجر، فلمّا فرغ صفّنا صفّاً واحداً ثمّ تقدّم بين أيدينا فحمد اللَّه وأثنى عليه ثمّ قرأ عليهم كتاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فأسلمت همدان كلّها فى يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلمّا قرأ كتابه خرّ ساجداً ثمّ جلس فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» ثمّ تتابع أهل اليمن على الإسلام «۳».

فكان تمسّكهم بعرى الإسلام على يد علىّ عليه السلام، وصار هذا أكبر العوامل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۱۹

لصيرورتهم علويين مذهباً ونزعة. وفى ظلّ هذه النزعة ضحّوا بأنفسهم ونفيسهم بين يدى علىّ عليه السلام فى حروبه.

أضف إليه أنّهم سمعوا من المصطفى صلى الله عليه و آله فضائل إمامهم ومناقبه غير مرّة، وهذا ممّا زادهم شوقاً وملأ قلوبهم حبّاً وولاءً له، فقد روى المحدثون: أنّ اليمانّيين طلبوا من النبىّ صلى الله عليه و آله أن يبعث إليهم رجلًا يفقّههم فى الدين ويعلّمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب اللَّه، فبعث النبىّ صلى الله عليه و آله علياً وضرب على صدره وقال: «اللّهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه». قال الإمام علىّ عليه السلام: «فما شككت فى قضاء بين اثنين حتّى الساعة» «۱».

بقى الإمام علىّ عليه السلام بينهم مدّة يفقّههم فى الدين، ويقضى بكتاب اللَّه، ويحلّ المشاكل القضائية، بما تنبهر به العقول.

ومن هنا تتوضّح الصورة عن حقد الأُمويين على أهل اليمن وقسوتهم فى تعاملهم معهم، كما فعل ذلك بسر بن أُرطاة عند حملته على اليمن، حيث لم يترك محرّماً إلّااستحلّه، ولا جريمة إلّافعلها فلحقته اللعنة فى الدارين.

نعم إنّ شيعة أهل اليمن كانوا من خلّص شيعة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فلا غرو ولا غرابة أن يذكرهم فى شعره بقوله:

فلو كنت بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلى بسلام وممّا يدل على فرط حبّهم وولائهم لعلىّ عليه السلام ما قاله سيّدهم سعيد بن قيس الهمدانى- رضوان اللَّه عليه- فى وقعة الجمل:

قل للوصىّ أقبلت قَحطانُها فادع بها تكفيكها هَمدَانُها همُ بنوها وهُم أُخوانها «۲»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۰

نعم رحل يحيى بن الحسين الرسّى العلوى من العراق إلى اليمن فى القرن الثالث ودعا إلى المذهب الزيدى فى ظلّ ولاء أهل البيت وأخذ بمجامع القلوب وانتشرت دعوته فانتموا إلى زيد، فالشيعة إلى اليوم فى اليمن زيديّو المذهب يهتفون فى الأذان ب «حىّ على

خير العمل».

ويوجد هناك شيعة إماميّة قليلون.

كانت الحكومة منذ دعوة الرسّى العلوى بيد الزيدية، وكان آخر حاكم مقتدر زيدى يحكم البلاد هو حميد الدين يحيى المتوكّل على اللّه، ولما اغتيل هو وولداه الحسن والمحسن، وحفيده الحسين بن الحسن بيد بعض وزرائه عام (۱۳۶۷ ه) فى ظلّ مؤامرة أجنبية، قام مكانه ولده الإمام بدر الدين، ولم يكن له نصيب من الحكم إلّامدّة قليلة حتّى أُزيل عن الحكم عن طريق انقلاب عسكرى، وبذلك انتهى الحكم الزيدى فى اليمن، ولكنّ اليمنيّين بقوا على انتمائهم إلى التشيّع.

الشيعة فى سورية ولبنان:

الشيعة فى سورية ولبنان:

ظلّ التشيّع سائداً فى الشام وحلب وبعلبك وجبل عامل منذ القرن الأوّل إلى يومنا هذا، ومن المعروف أنّ أبا ذر الصحابى الجليل هو الذى بذر بذرته، أو غرس شجرته، وذلك عندما نفاه عثمان من المدينة إلى الشام، وكان يجول فى الشام وضواحيه وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، من دون أن يخاف قوّة أو سطوة، أو إهانة أو قسوة، وطبع الحال يقتضى أن يبوح بما انطوت عليه جوانحه من الولاء لعلىّ وأهل بيته، يدعو له على القدر المستطاع، فنمت بذرة التشيع فى ظلّ التستّر والتقيّة، وأمّا اليوم فالشيعة مجاهرون ولهم شأن عند الدولة، ولهم مظاهر فى الشام وضواحيه، ترى اسم علىّ والحسين مكتوبين تحت قبّة المسجد الأُموى، وفى الجانب الشرقى مسجد خاصّ باسم رأس الحسين، وفى نفس البلد قباب مشيّدة

لأهل البيت، أمثال زينب بنت علىّ عليهما السلام و رقيّة بنت الحسين عليهما السلام فى الوقت نفسه لا تجد أثراً لمعاوية «۱» ويزيد والحكّام الأُمويين. إنّ فى ذلك لعبرة لأُولى الألباب.

قويت شوكة التشيّع فى سورية بعد قيام دولة الحمدانيين فى الشام والجزيرة، وكان لسيف الدولة أيادٍ بيضاء فى رفع منارة التشيّع، كيف وأبو فراس صاحب القصيدة الميمية هو ابن عمّه الذى يقول:

الحقّ مهتضم والدين مخترمُ وفَىءُ آل رسول اللّه مقتسمُ وأمّا جبل عامل فقد انتشر فيه التشيّع منذ دخل إلى الشام ووجد فى تلك البقاع مرتعاً خصباً ونفوساً متلهّفة، فتعلّق به أهله تعلّقاً شديداً حتّى لقد برز منهم العديد من العلماء الكبار طبقوا البلاد شهرة وصيتاً أخصّ منهم بالذكر:

۱- محمّد بن مكّى المعروف بالشهيد الأوّل (۷۳۴- ۷۸۶ ه) وكان إماماً فى الفقه، ولكنّه صلب بيد الجور، ثمّ رجم، ثمّ أُحرق، بذنب أنّه شيعى موالٍ لأهل البيت ولا يفتى بفتوى أئمّة المذاهب الأربعة.

وله كتب فقهية أشهرها كتاب اللمعة الدمشقية، ألّفه فى السجن خلال أُسبوع ولم يكن عنده من الكتب الفقهية سوى المختصر النافع للمحقّق الحلّى (۶۰۰- ۶۷۶ ه).

۲- زين الدين بن علىّ الجبعى (۹۱۱- ۹۶۶ ه) المعروف بالشهيد الثانى صاحب الروضة البهيّة فى شرح اللمعة الدمشقية، والمسالك فى شرح الشرائع الذى يتضمّن مجموع الكتب الفقهية مع ذكر المستند والدليل. وقد امتدت إليه أيدى الظلم كسلفه الشهيد الأوّل، حيث اعتقل بأمر الخليفة العثمانى ثمّ قتله معتقلوه قرب

شاطئ البحر وحُزّ رأسه من جسده وأُرسل إلى السلطان.

وتااللّه إنّها لجرائم بشعة تقشعرّ منها الأبدان، ويندى لها جبين البشرية خجلًا، فما معنى هذه القسوة المتناهية فى قتل الشيعة وعلمائها،

وإذا کان هـذا مصیر الشیعة من قبل الحکومات المتعاقبة والظالمة، فهل یلومهم أحد علی اتّخاذهم التقیة حجاباً لحقن دمائهم وحفظ أعراضهم؟! لا أعتقد أن یلومهم علیها عاقل؛ لأنّ الملام من دفعهم إلیها لا هم.

أقول: ورغم هذا الإسراف فی مطاردة الشیعة وقتلهم، فقد ظهر فی جبل عامل بعد هذین العالمین الجلیلین، علماء فضلاء وفقهاء عظام، ولم یزل منار التشیّع مرتفعاًولواؤه خفّاقاًبهم، ولقد تحمّلوا عبرالقرون و خصوصاً فی عهد السلطة العثمانیة المصاعب الجسام والتی ذکرها التاریخ فی صفحات سوداء لا تنسی، ولا سیما فی عهد أحمد باشا الجزّار، ممثّل الدولة العثمانیة فی بلاد الشام من (۱۱۹۵- ۱۱۹۸ ه).

ولقد ألّف الشیخ الحرّ العاملی کتاباً أسماه أمل الآمل فی علماء جبل عامل طبع فی جزأین، واستدرک علیه السید الجلیل حسن الصدر.

وأمّا بالنسبة إلی بعلبک فهی من المدن الشیعیة العریقة، والتی ظهر بها التشیّع منذ دخل بلاد الشام وراج فی ظلّ الدولة الحمدانیة، ووجد فی نفوس أهلها خیر موطن، فاحتضنوه وتمسّکوا به.

الشیعة فی مصر:

الشیعة فی مصر:

دخل التشیّع مصر فی الیوم الذی دخل فیه الإسلام، ولقد شهد جماعة من شیعة علیّ علیه السلام فتح مصر، منهم: المقداد بن الأسود الکندی، وأبو ذر الغفاری، وأبورافع، وأبو أیوب الأنصاری، وزارها عمّار بن یاسر فی خلافة عثمان «۱».

وهؤلاء ما کانوا یبطنون فکرة التشیّع التی کانوا یؤمنون بها منذ عهد رسول اللّه صلی الله علیه و آله.

ولأجل ذلک حین قتل عثمان، بإجهاز المصریین علیه، بایعوا علیّاً کما بایع أهلها طوعاً ورغبة.

لمّا بعث علیّ علیه السلام قیس بن سعد أمیراً علی مصر بایع أهلها طوعاً، إلّاقریة یقال لها خربتاء «۱».

کان هذا نواة لمذهب التشیّع فی تلک البلاد، وإن تغلّب علیها الأمویون بعد ذلک حین قَتَلَ عمرو بن العاص ومعاویة بن حدیج- اللذین أرسلهما معاویة بن أبی سفیان إلی مصر- والی علیّ علیه السلام علی مصر محمّد بن أبی بکر بشکل بشع، ثمّ جعلوا جثّته فی جیفة حمار وأحرقوها بالنار، وهو أُسلوب یدلّ علی انحراف کبیر عن الدین، وانسلاخ عن أبسط معانی الإنسانیة، ولکن للحقّ دولة وللباطل جولة، فهذه الأعمال الإجرامیة وما ارتکبه العباسیون من الجرائم صارت سبباً لابتعاد الناس عن السلطات المتعاقبة الظالمة وتعاطفهم مع العلویین واحتضانهم لهم، ویظهر ذلک بوضوح عند قیام الدولة الفاطمیة الشیعیة هناک والتفاف المسلمین حولها، والتی کان لها الدور الأکبر فی انتشار التشیّع واعتناق المسلمین له فی شمال أفریقیا، حیث امتدّ نفوذها وسلطانها إلی الجزائر والمغرب وتونس ولیبیا، وکذا إلی السودان جنوب مصر.

لقد اعتنق المصریّون التشیّع برغبة وجهروا بحیّ علی خیر العمل، وتفضیل علیّ علی غیره، کما جهروا بالصلاة علی النبیّ وآله صلی الله علیه و آله.

لقد قامت فی عهد الفاطمیین مراسم عاشوراء، وعید الغدیر، ولم تزل هذه المراسم إلی یومنا هذا. وکان التشیّع مخیّماً علی مصر فی عهد الفاطمیین وضارباً أطنابه فی القری والبلدان، لولا أنّ صلاح الدین الأیوبی أزال سلطتهم

ومذهبهم من مصر بقوّة السیف والنار، والتاریخ یشهد علی عظم الجرائم وقسوتها التی قام بها صلاح الدین وأتباعه فی سبیل هذا الأمر. وهذه الصفحة من تاریخ مصر ملیئة بالأسی والحزن، راح ضحیتها العدید من أتباع المذهب المحمّدی، إلّاأنّها لم تستطع أن تقضی

عليه، فلا زال هناك الكثير من الشيعة ومن المتعاطفين روحياً معهم، والذين يعبّرون عن ذلك بوضوح فی حرصهم علی زيارة المشاهد المعروفة برأس الإمام الحسين عليه السلام ومرقد أُخته السيدة زينب- رضوان اللّه عليها-.

الشيعة فی إيران:

الشيعة فی إيران:

إنّ التشيّع هو المذهب الساحق فی إيران من أوائل القرن العاشر (۹۰۵ ه) إلی يومنا هذا وذلك أنّ الدولة الصفويّة الشيعية هی التی أشاعت التشيّع فی إيران، وفی عصرها ثبّتت أركانه، وتعلّق به المسلمون تعلّقاً عظيماً، وتزايد عدد الشيعة بتقادم السنين، فإن بلغ عدد النفوس فی إيران الإسلامية قرابة ستّين مليوناً، فالأكثرية هم الشيعة، ولا يتجاوز عدد سائر الطوائف عن أربعة ملايين نسمة، يرفل الجميع بثوب الأُخوّة الإسلامية والمحبّة والتفاهم فی ظلّ العقائد العظيمة التی يتمسّك بها الشيعة والتی تحدّد علاقتهم بإخوانهم من سائر المذاهب الإسلامية، والتی كرّسها قيام الجمهورية الإسلامية المباركة، بزعيمها الراحل الإمام الخمينی قدس سره والذی دعا إلی تقوية الترابط بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وأمر بإثبات أيّام معيّنة خلال العام سمّيت بأُسبوع الوحدة، وعلی نفس خطاه واصل خلفه سماحة آية اللّه السيد علیّ الخامنئی تعهّد شجرة الوحدة بتكافل جميع المسؤولين فی الدولة الإسلامية المباركة، والتی يلمسها بوضوح كلّ من زار هذه الدولة أو مرّ بها.

الاضواء علی عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۵

أسباب اعتناق الفرس للإسلام و لمذهب التشيّع:

أسباب اعتناق الفرس للإسلام و لمذهب التشيّع:

ثمّ إنّ هنا أُموراً لا محيص عن طرحها وتحليلها؛ لأنّها من المواضيع التی كثر فيها اللغط، وقد أكثر المستشرقون وغيرهم فيها الصخب والهياج وهی:

۱- ما هو السبب الحقيقی لدخول الفرس فی الإسلام؟

۲- ما هو السبب الحقيقی لجنوحهم إلی آل البيت؟

۳- سببان مزعومان: الأصهار، وإرادة هدم الإسلام.

وإليك تحليل تلك النقاط:

۱- ما هو السبب الحقيقی لدخول الفرس فی الإسلام؟

إنّ الفرس دخلوا فی الإسلام كدخول سائر الشعوب، والعلّة فی الجميع واحدة أو متقاربة، وحاصلها: أنّهم وقفوا علی أنّ فی هذه الشريعة الغرّاء من سمات العدل والمساواة، ورفض التمييز العنصری، والنظام الطبقی، وأنّ الناس فيه كأسنان المشط لا فضل لأعجمی علی عربی ولا لعربی علی أعجمی إلّابالتقوی، وكانت الثورة الإسلامية تحمل يوم تفجّرها رايات العدل العظيمة، فكان ذلك هو الدافع المهمّ للشعوب للدخول فی الإسلام، والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب.

۲- ما هو السبب الحقيقی لولائهم آل البيت عليهم السلام؟

إنّ السبب الحقيقی لولائهم وجنوحهم إلی أهل البيت هو أنّهم شاهدوا أنّ علياً وأهل بيته- خلافاً للخلفاء عامّتهم- يكافحون فكرة القومية ويطبّقون المساواة، فأخذوا يتحنّنون إليهم حيناً بعد حين، وشبراً بعد شبر، فكان ذلك نواة لبذر الولاء فی قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء، وإن لم يكن الحبّ- يوم ذاك- ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول صلی الله عليه و آله وإمامتهم بعده، بل كان حبّاً

ووداً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية، وتدلّ على ذلک عشرات من القضايا نذكر بعضها:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۶

۱- روى الفضل بن أبى قرة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أتت الموالى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب، إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يعطينا معهم العطايا بالسويّة، وزوّج سلمان، وبلالًا، وصهيباً، وأبوا علينا هؤلاء، فقالوا: لا نفعل، فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلّمهم فيهم، فصاح الأعاريب: أبينا ذلک يا أبا الحسن، أبينا ذلک، فخرج وهو مغضب يجرّ رداءه وهو يقول: يا معشر الموالى إنّ هؤلاء قد صيّروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوّجون إليكم ولا يزوّجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتّجروا بارک اللَّه لكم؛ فانّى قد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء فى التجارة وواحد فى غيرها» «۱».

۲- وروى أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد الثقفى فى غاراته: عن عبّاد ابن عبد اللَّه الأسدى، قال: كنت جالساً يوم الجمعة، وعلىّ عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس، فجاء الأشعث، فجعل يتخطى الناس فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على وجهک، فغضب، فقال ابن صوحان: ليبين اليوم من أمر العرب ما كان يخفى، فقال علىّ عليه السلام: «من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة، يقبل أحدهم يتقلّب على حشاياه، ويهجّد قوم لذكر اللَّه، فيأمرنى أن أطردهم فأكون من الظالمين، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت محمّداً صلى الله عليه و آله يقول:

ليضربنّكم واللَّه على الدين عَوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

قال المغيرة: كان علىّ عليه السلام أميل إلى الموالى وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۷

۳- روى ابن شهر آشوب: لما ورد بِسبى الفرس إلى المدينة أراد عمر بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيد العرب، وعزم على أن يحملوا العليل والضعيف، والشيخ الكبير فى الطواف وحول البيت على ظهورهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال: أكرموا كريم قوم وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا بالسلام، ورغبوا فى الإسلام، وقد أعتقت منهم لوجه اللَّه حقّى وحقّ بنى هاشم» فقالت المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقّنا لک يا أخا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «اللّهمّ فاشهد أنّهم قد وهبوا، وقبلت وأعتقت»، فقال عمر: سبق إليها علىّ ابن أبى طالب عليه السلام ونقض عزمى فى الأعاجم «۱».

۴- روى الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: قال رجل له: إنّ الناس يقولون: من لم يكن عربياً صلباً، أو مولى صريحاً، فهو سفلى، فقال: «وأىّ شىء المولى الصريح»؟! فقال له الرجل: من ملک أبواه، فقال: «ولِمَ قالوا هذا»؟! قال:

يقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: مولى القوم من أنفسهم، فقال: «سبحان اللَّه، أما بلغک أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال: أنا مولى من لا مولى له، أنا مولى كلّ مسلم، عربيّها وعجميّها، فمن والى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أليس يكون من نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟» ثمّ قال: «أيّهما أشرف، من كان من نفس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أو من كان من نفس أعرابى جلف بائل على عقبيه؟ ثمّ قال: من دخل فى الإسلام رغبة، خير ممّن دخل رهبة، ودخل المنافقون رهبة، والموالى دخلوا رغبة» «۲».

۵- روى الفضل بن شاذان (ت ۲۶۰ ه): أنّ عمر بن الخطاب نهى عن أن يتزوّج العجم فى العرب وقال: لأمنعنّ فروجهنّ إلّامن الأكفاء «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۲۸

۶- روى المفيد: أنّ سلمان الفارسى- رضى اللَّه عنه- دخل مجلس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات يوم فعظّموه وقدّموه وصدّروه إجلالًا لحقّه، وإعظاماً لشيبته، واختصاصه بالمصطفى صلى الله عليه و آله وآله فدخل عمر فنظر إليه، فقال: من هذا العجمى المتصدّر

فيما بين العرب؟ فصعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله المنبر فخطب، فقال: «إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربى على العجمى، ولا للأحمر على الأسود إلّابالتقوى، سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منّا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان» «۱».

۷- روى الثقفى فى الغارات: أنّ امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب، والأُخرى من الموالى، فأعطى كلّ واحدة خمسة وعشرين درهماً، وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين، إنّى امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال علىّ عليه السلام: «إنّى لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفيء فضلًا على بنى إسحاق» «۲».

۸- روى المفيد عن ربيعة وعمارة وغيرهما: أنّ طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب مشوا إليه عند تفرّق الناس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية، طلباً لما فى يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريشاً على الموالى والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس وفراره إلى معاوية.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور؟! لا واللَّه لا أفعل ما طلعت شمس ولاح فى السماء نجم، ولو كانت أموالهم لى لواسيت

بينهم، فكيف وإنّما هى أموالهم» «۱».

۹- روى المبرّد: قال الأشعث بن قيس لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام وأتاه يتخطّى رقاب الناس وعلىّ على المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، قال: فركض على المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدى: ما لنا ولهذا؟- يعنى الأشعث- ليقولنّ أمير المؤمنين اليوم فى العرب قولًا لا يزال يذكر، فقال علىّ: «من يعذرنى من هذه الضياطرة، يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرنى أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة ليضربنّكم على الدين عَوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً» «۲».

هذه الشواهد الكثيرة توقفنا على السبب الحقيقى لتوجّه الفرس والموالى إلى آل البيت، وأنّه لم يكن إلّالصمودهم فى طريق تحقيق العدل والمساواة، والمكافحة ضد العنصرية والتعصّب.

۳- سببان مزعومان: الإصهار، وإرادة هدم الإسلام:

أولًا: هل الإصهار كان سبباً للولاء:

روى الزمخشرى فى ربيع الأبرار وغيره: أنّ الصحابة جاءوا بسبى فارس فى خلافة الخليفة الثانى كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا، وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام علىّ: «إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن» فقال الخليفة: كيف الطريق إلى العمل معهنّ؟ فقال: «يقوَّمن ومهما بلغ ثمنهنَّ قام به من يختارهنَّ» فقوِّمن فأخذهنَّ علىّ فدفع واحدة لعبد اللَّه بن عمر،

وأُخرى لولده الحسين، وأُخرى لمحمّد بن أبى بكر، فأولد عبد اللَّه بن عمر: ولده سالماً، وأولد الحسين: زين العابدين، وأولد محمّد: ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة، وأُمّهاتهم بنات يزدجرد «۱».

وقد استند إلى هذه القصّة أحمد أمين فى فجر الإسلام، والدكتور حسن إبراهيم فى التاريخ السياسى للإسلام «۲»، وذهبا إلى أنّ الاصهار صار سبباً لتشيّع الفرس.

لن ندخل فى نقاش مع هذه القصّة وأنّها هل هى صادقة أو ممّا وضعه أصحاب الأساطير، وكفانا فى هذا الأمر ما ألّفه زميلنا العزيز الدكتور السيد جعفر شهيدى «۳»، ولو وقفنا إلى جانب هذه القصّة وسلّمنا بها، فإنّا نسأل أىّ صلة بين دخول الفرس فى التشيّع ومصاهرة الإمام الحسين يزدجرد، فلو كانت تلك علّة فليكن تسنّن الفرس لأصهار عبد اللَّه بن عمر ومحمّد بن أبى بكر لهم، فإنّ

الرجلين من أبناء الخليفتين، على أنّ هذا التفسير يدلّ على سطحية فى التفكير وسقم فى المنطق لا يقرّ به العقلاء.

ثانياً: إرادة هدم الإسلام:

أثار بعض أعداء الإسلام، ومن أعماه الحقد وخبث السريرة، الكثير من الشبهات حول تمسّك الفرس بالمذهب الشيعى، وولائهم العميق لأهل البيت عليهم السلام، ومن هذه الشبهات السقيمة التى وجدت من يطبّل لها ويزمّر، هى أنّ الفرس ما دخلوا فى المذهب الشيعى إلّاللتستّر من أجل هدم الإسلام تحت هذا الغطاء.

وإلى هذا الرأى السقيم يذهب ضمناً أحمد أمين فى تخرّصاته دون أن يحاسب نفسه على تقوّلاته التى هى أشدّ المعاول هدماً فى صرح الإسلام لا الفرس الذين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۱

يتّهمهم ظلماً وجوراً، حيث قال: والحقّ أنّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كلّ من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كلّ هؤلاء كانوا يتّخذون حبّ أهل البيت ستاراً!! «۱»

وقد استغل هذه الأُطروحة الخبيثة الكاتب الأمريكى «لو تروب ستودارد» فى كتابه «حاضر العالم الإسلامى» الذى نقله إلى العربية الأمير شكيب أرسلان، وتجد الفكرة أيضاً عند صاحب المنار، ومحبّ الدين الخطيب، وغيرهم من كتّاب العصر.

وهذا الكلام أشبه بكلام من أعمى اللَّه بصره وبصيرته؛ فإنّ من نظر إلى تاريخ الفرس يجد أنّهم خدموا الإسلام بنفسهم ونفيسهم وأقلامهم وآرائهم من غير فرق بين الشيعى والسنّى، وخدمات المذهب الشيعى للإسلام أعظم من أن تحصى، وأوضح من أن تخفيها إرهاصات الحاقدين، وقد تقدّم منّا فى الصفحات الأُولى وما بعدها دور الشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية، وما شيعة الفرس إلّاجزءاً من عموم الشيعة المسلمين، ولهم أيادٍ بيضاء مشكورة فى خدمة الإسلام، ولن يضرّهم نفث السموم وتخرّص المتخرّصين.

دول الشيعة

دول الشيعة

رغم أنّ الأُمويين حاولوا جاهدين القضاء على التشيّع، وأراد العباسيّون الوقوف فى وجه انتشاره بعد اليأس عن استئصاله، إلّا أنّه بلطف اللَّه تعالى نما وازدهر عبر القرون بالرغم من تلك العوائق، بل قامت لهم هنا وهناك دول

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۲

ودويلات نظير:

۱- دولة الأدارسة فى المغرب (۱۹۴- ۳۰۵ ه).

۲- دولة العلويين فى الديلم (۲۰۵- ۳۰۴ ه).

۳- دولة البويهيين فى العراق وما يتّصل به من بلاد فارس (۳۲۱- ۴۴۷ ه).

۴- دولة الحمدانيين فى سورية والموصل وكركوك (۲۹۳- ۳۹۲ ه).

۵- دولة الفاطميين فى مصر (۲۹۶- ۵۶۷ ه).

۶- دولة الصفويين فى إيران (۹۰۵- ۱۱۳۳ ه).

۷- دولة الزنديين (۱۱۴۸- ۱۱۹۳ ه).

۸- دولة القاجاريين (۱۲۰۰- ۱۳۴۴ ه).

أضف إلى ذلك وجود إمارات للشيعة فى نقاط مختلفة من العالم.

أقول: إنّ إفاضة القول فى مؤسّسى هذه الدول وترجمة أحوالهم وما آل إليه مصيرهم يحوجنا إلى تأليف كتاب مستقلّ فى ذلك، فمن أراد الاطّلاع على ذلك فليراجع الكتب المؤلّفة فى هذه المواضيع «۱».

الجامعات العلمية للشيعة

اشارة

الجامعات العلمية للشيعة

الإسلام دين العلم والمعرفة، دفع الإنسان من حضيض الجهل والأُميّة إلى أعلى مستويات العلم والكمال من خلال تشجيعه على القراءة والكتابة «۲»، والتدبّر فى آثار الكون ومظاهر الطبيعة، ونبذ التقليد فى تبنّى العقيدة، فأراد للإنسان حياة نابضة بالفكر والثقافة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۳

وقد كانت للشيعة خلال القرون الماضية جامعات وحوزات علمية نشير إلى بعضها إجمالًا:

۱- المدينة المنورة:

۱- المدينة المنورة:

إنّ المدينة المنوّرة هى المنطلق العلمى الأوّل لنشر العلم والثقافة فهى المدرسة الأُولى للمسلمين، نشأ فيها عدّة من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وعلى رأسهم: ابن عباس حبر الأُمّة، وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وأبو رافع الذى هو من خيار شيعة الإمام على مؤلّف كتاب السنن والأحكام والقضاء «۱»، وغيرهم.

ثمّ جاءت بعدهم طبقة من التابعين تخرّجوا من تلك المدرسة على يد الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ولقد روى الكلينى عن الإمام الصادق أنّه قال:

«كان سعيد بن المسيّب، والقاسم بن محمّد بن أبى بكر، وأبو خالد الكابلى من ثقات على بن الحسين عليهما السلام» «۲».

وازدهرت تلك المدرسة فى عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وزخرت بطلّاب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية، فكان بيتهما جامعة إسلامية يزدحم فيها رجال العلم وحملة الحديث، يأتون إليها من كلّ فجّ عميق.

۲- الكوفة وجامعها الكبير:

۲- الكوفة وجامعها الكبير:

قد سبق أنّ الإمام أمير المؤمنين هاجر من المدينة إلى الكوفة واستوطن معه خيار شيعته ومن تربّى على يديه من الصحابة والتابعين.

ولقد أتى ابن سعد فى طبقاته الكبرى على ذكر جماعة من التابعين الذين سكنوا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۴

الكوفة «۱» وكان قد أعان على ازدهار مدرسة الكوفة مغادرة الإمام الصادق عليه السلام المدينة المنوّرة إلى الكوفة أيّام أبى العباس السفاح حيث بقى فيها مدّة سنتين.

وقد اغتنم الإمام فرصة ذهبية أوجدتها الظروف السياسية آنذاك، وهى أنّ الحكومة العباسية كانت جديدة العهد بعد سقوط الدولة الأُموية ولم يكن للعباسيين يومذاك قدرة على الوقوف فى وجه الإمام لانشغالهم بأُمور الدولة، بالإضافة إلى أنّهم كانوا قد رفعوا شعار العلويين للوصول إلى السلطة، فلم يكن من مصلحتهم فى تلك الفترة الوقوف فى وجه الإمام عليه السلام، فعمد فى زمن وجوده عليه السلام إلى نشر علوم جمّة، وتخرّج على يديه الكثير من الطلبة النابغين.

هذا الحسن بن على بن زياد الوشّاء يحكى لنا ازدهار مدرسة الكوفة فى تلك الظروف كما ينقله عنه النجاشى:

أدركت فى هذا المسجد- يعنى مسجد الكوفة- تسعمائة شيخ كلّ يقول:

حدّثنى جعفر بن محمّد. ويضيف النجاشى: كان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة وله كتب، ثمّ ذكر أسماءها «۲».

وكان من خرّيجى هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين، نظير أبان بن تغلب بن رباح الكوفى، ومحمّد بن مسلم الطائفى، وزرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممّن تكفّلت كتب الرجال بذكرهم والتعريف بهم.

ولقد ألّف فقهاء الشيعة ومحدّثوهم فى هذه الظروف فى الكوفة (۶۶۰۰) كتاب، ولقد امتاز من بينها (۴۰۰) كتاب اشتهرت بالأُصول الأربعمائة «۳» فهذه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۵

الكتب هى التى أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية فى كتبهم المختلفة.

ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه، بل شملت علوماً أُخرى ساعدت على تخريج جملة واسعة من المؤلّفين الكبار الذين صنّفوا كتباً كثيرة فى علوم مختلفة ومتنوّعة كهشام بن محمّد بن السائب الكلبى الذى ألّف أكثر من مائتى كتاب «۱»، وابن شاذان ألّف ۲۸۰ كتاباً «۲»، وابن عمير صنّف ۱۹۴ كتاباً، وابن دوّل الذى صنّف ۱۰۰ كتاب «۳»، وجابر بن حيان أُستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلّفين العظام فى كافّة العلوم الإسلامية.

۳- مدرسة قم والرى:

۳- مدرسة قم والرى:

دخل الفرس الإسلام وكان أكثرهم على غير مذهب الشيعة، نعم كانت قم والرى وكاشان وقسم من خراسان مركزاً للشيعة، وقد عرفت أنّ الأشعريين هاجروا- خوفاً من الحجّاج- إلى قم وجعلوها موطنهم ومهجرهم، وكانت تلك الهجرة نواة للشيعة فى إيران.

كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم والثقافة، رغم ما كانت تتعرّض له من مضايقات من قبل العباسيين، إلّاأنّها لم تقف عائقاً أمام تطوّر العلوم المختلفة وازدياد طلب العلم فيها، ولما هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفى تلميذ يونس بن عبد الرحمن وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام إلى قم، نشر فيها حديث الكوفيين فصارت مدرسة قم والرى مزدهرة بعد ذاك بالمحدّثين والرواة الكبار. وساعد على ذلك بسط الدولة البويهية نفوذها على تلك البلدان، ولقد تخرّج من تلك المدرسة علماء ومحدّثون منهم:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۶

۱- علىّ بن إبراهيم شيخ الكلينى. الذى كان حيّاً سنة (۳۰۷ ه) «۱».

۲- محمّد بن يعقوب الكلينى، (ت ۳۲۹ ه)، مؤلّف الكافى فى الفروع والأُصول.

۳- علىّ بن الحسين بن بابويه، والد الشيخ الصدوق صاحب الشرائع، (ت ۳۲۹ ه).

۴- ابن قولويه أبو القاسم جعفر بن محمّد (۲۸۵- ۳۶۸ ه) من تلامذة الكلينى وأُستاذ الشيخ المفيد.

والذى يدلّ على وجود النشاط الفكرى فى أوائل القرن الثالث ما رواه الشيخ فى كتاب الغيبة: أنّه أنفذ الشيخ حسين بن روح- رضى

اللَّه تعـالى عنه- النـائب الخاصّ للإمام المنتظر- عجّل اللَّه تعالى فرجه الشـريف- كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعـة الفقهاء بها وقال لهم: انظروا ما فى هذا الكتاب، وانظروا فيه شيء يخالفكم. فكتبوا إليه: إنّه كلّه صحيح... «۲».

فهـذه الروايـة وغيرهـا تعرب عن وجود نشـاط فكرى وفقهى فى ذينـك البلـدين فى القرن الثـالث والرابع، وكفى فى فضـلها أنّ كتاب «الكافى» وكتاب «من لا يحضره الفقيه» وكتب محمّد بن أحمد بن خالد البرقى (ت ۲۷۴ ه) من ثمار هذه المدرسة العظيمة.

۴- مدرسة بغداد:

۴- مدرسة بغداد:

كانت مدرسـة الكوفـة تزدهر بمختلف النشاطات العلميـة عنـدما كانت بغداد عاصـمة الخلافة، ولمّا دبّ الضـعف فى السـلطة العباسـية وصارت السلطة بيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۷

البويهيين تنفّس علماء الشـيعة فى أكثر مناطق العراق، فأُسّـِست مدرسة رابعة للشـيعة فى العاصـمة أنجبت شخصـيات مرموقة تفتخر بها الإنسانية نظير:

۱- الشـيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) تلك الشخصـية الفـذّة الذى اعترف المؤالف والمخالف بعلمه، وذكائه، وزهده، وتقواه، وكان شـيخ أساتـذة الكلام فى عصـره الذى شـهد قمة الجدل الفكرى والعقائدى بين المدارس الفكرية المختلفة، وكان- رحمه اللَّه- عظيم الشأن رفيع المنزلة، له كرسى للتدريس فى مسجد براثا فى بغداد، يقصده العلماء والعوام للاستزادة من علمه، وله أكثر من (۲۰۰) مصنّف فى مختلف العلوم.

۲- السـيد المرتضى علم الهدى (۳۵۵- ۴۳۶ ه)، قـال عنه الثعالبى فى يتيمته (۱: ۵۳) قـد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضـى فى المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم.

وفى تاريخ ابن خلّكان: كان إماماً فى علم الكلام والأدب والشعر.

السـيد المرتضـى الـذى حاز من العلوم ما لم يدانه فيها أحد فى زمانه، أخذ العلم على يد أُسـتاذ المتكلّمين الشـيخ المفيد- رحمه اللَّه- وله مصنّفات كثيرة لا يسعنا عدّها هنا، منها: الانتصار، تنزيه الأنبياء، جمل العلم والعمل وغيرها.

۳- السـيد الرضى (۳۵۹- ۴۰۶ ه)، علم من أعلام عصـره فى العلم والحـديث والأدب، درس العلم هو وأخوه السـيد المرتضـى على يد الشيخ المفيد- رحمه اللَّه- له مؤلّفات جمّة منها: خصائص الأئمّة، معانى القرآن، حقائق التأويل.

۴- الشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) وهو شـيخ الطائفة ومن أعلام الأُمّة، تربّى على يد شـيخه المفيد والسيد المرتضى. وله مؤلّفات جمّة غنية عن التعريف، منها كتابا: «التهذيب» و «الاستبصار» وهما من المصادر المهمّة عند الشيعة.

وكانت مدرسة بغداد زاهرة فى عهد هذه الأعلام واحد بعد الآخر، وقام كلّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۸

منهم بدور كبير فى تطوير العلوم وتقدّمها، وكان يحضر فى حلقات دروسهم مئات من المجتهدين والمحدّثين من الشيعة والسنّة.

واسـتمرّ هـذا الحـال إلى أن ضـعفت سـلطة البويهيين، ودخل طغرل بك الحاكم التركى بغـداد، فأشـعل نار الفتنـة بين الطائفتين السـنّة والشيعة، وأحرق دوراً فى الكرخ، ولم يكتف بذلك حتّى كبس دار الشيخ الطوسى وأخذ ما وجد من دفاتره وكتبه، وأحرق الكرسى الذى كان الشيخ يجلس عليه «۱».۲.

۵- مدرسة النجف الأشرف:

۵- مدرسة النجف الأشرف:

إنّ هـذه الحادثة المؤلمة التى أدّت إلى ضـياع الثروة العلمية للشـيعة وقتل العديد من الأبرياء، دفعت الشـيخ الطوسـى- رحمه اللَّه- إلى مغادرة بغـداد واللجوء إلى النجف الأشـرف وتأسـيس مدرسـة علمية شـيعية فى جوار قبر أمير المؤمنين عليه السـلام، وشاء اللَّه تبارك وتعـالى أن تكون هـذه المدرسة مدرسـة كبرى أنجبت خلالـ ألف سـنة من عمرها عشـرات الآ لاف من العلماء والفقهاء والمتكلّمين والحكماء.

والمعروف أنّ الشـيخ الطوسى هو المؤسّس لتلك الجامعة العلمية المباركة، وهو حقّ لا غبار عليه، ومع ذلك يظهر من النجاشى وغيره أنّ الشـيخ ورد عليهـا وكـانت غير خاليـة من النشـاط العلمى. يقول فى ترجمـة الحسـين بن أحمـد بن المغيرة: له كتاب عمل السـلطان أجازنا بروايته أبو عبد اللَّه بن الخمرى الشيخ صالح فى مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة (۴۰۰ ه) «۲».

ولقد اسـتغلّ الشـيخ تلك الأرضية العلمية، وأعانته على ذلك الهجرة العلمية الواسعة التى شملت أكثر الأقطار الشيعية، فتقاطرت الوفود إليها، من كلّ فجّ،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۳۹

فصارت حوزة علمية، وكلّيّة جامعة فى جوار النبأ العظيم علىّ أمير المؤمنين- من عصـر تأسيسـها (۴۴۸ ه)- إلى يومنا هذا، ولقد مضـى على عمرها قرابة (۱۰۰۰) سنة، وهى بحقّ شجرة طيبة أصلها فى الأرض وفرعها فى السماء آتت أُكلها كلّ حين بإذن ربّها.

إنّ لجامعة النجف الأشـرف حقوقاً كبرى على الإسـلام والمسـلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها والبيوتات العلمية التى أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضى النجف وحاضرها» يقع فى ثلاثة أجزاء «۱». وقد قام الشيخ هادى الأمينى بتخريج أسماء طائفة من العلماء الذين تخرّجوا من هذه المدرسة الكبرى، فراجع.

۶- مدرسة الحلّة:

۶- مدرسة الحلّة:

فى الوقت الـذى كانت جامعـة النجف تزدهر وتنجب جملـة من العلماء الأفـذاذ، تأسّـست للشـيعة فى الحلّة الفيحاء جامعة كبيرة أُخرى كانت تحفل بكبار العلماء، وتزدهر بالنشاط الفكرى، عقدت فيها ندوات البحث والجدل، وأُنشئت فيها المدارس والمكاتب، وظهر فى هذا الدور فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير فى تطوير الفقه الشيعى وأُصوله، نأتى بأسماء بعضهم:

۱- المحقّق الحلّى، نجم الـدين أبو القاسم جعفر بن سـعيد، من كبار فقهاء الشـيعة، يصـفه تلميـذه ابن داود بقوله: الإمام العلّامة، واحد عصـره، كـان ألسن أهل زمانه، وأقواهم بالحجّـة، وأسـرعهم اسـتحضاراً «۲» توفّى عـام (۶۷۶ ه). لـه مـن الكتب: «شـرائع الإسـلام» فى جزأين، وهو أثر خالد شرحه العلماء وعلّقوا عليه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۰

واختصره فى كتاب أسماه «المختصر النافع» وشرحه أيضاً وأسماه «المعتبر فى شرح المختصر».

۲- العلّامـة الحلّى، جمـال الـدين حسن بن يوسـف (۶۴۸- ۷۲۶ ه) تخرّج على يـد خـاله المحقّق الحلّى فى الفقـه، وعلى يـد المحقق الطوسـى فى الفلسـفة والرياضـيات، وعرف بـالنبوغ وهـو بعـد لم يتجـاوز سنّ المراهقـة، وقـد بلغ الفقه الشـيعى فى عصـره القمـة، وله موسوعات فيه أجلّها «تذكرة الفقهاء» ولعلّه لم يؤلّف مثله.

۳- فخر المحقّقين، محمّد بن الحسن بن يوسف (۶۸۲- ۷۷۱ ه) ولَد العلّامة الحلّى، تتلمذ على يد أبيه، ونشأ تحت رعايته وعنايته، وألّف والده قسماً من كتبه بالتماس منه، وقد تتلمذ عليه إمام الفقه الشهيد الأوّل (۷۳۴- ۷۸۶ ه).
إلى غير ذلك من رجال الفكر كابن طاووس، وابن ورّام، وابن نما، وابن أبى الفوارس الحلّيّين، الذين حفلت بهم مدرسة الحلّة، ولهم على العلم وأهله أيادٍ بيضاء، لا يسعنا ذكر حياتهم.

۷- الجامع الأزهر:

۷- الجامع الأزهر:
امتدّ سلطان الدولة الفاطمية من المحيط الأطلسى غرباً، إلى البحرالأحمر شرقاً، ونافست الدولة الفاطمية الشيعية خلافة الحكّام العباسيين فى بغداد، وكان المعزّ لدين اللَّه- أحد الخلفاء الفاطميين بمصر- رجلًا مثقّفاً ومولعاً بالعلوم والآداب، وقد اتّخذ بفضل تدبير قائده العسكرى القاهرة عاصمة للدولة الجديدة، وبنى الجامع الأزهر، وعقدت فيه حلقات الدرس، وكان يركّز على نشر المذهب الشيعى بين الناس، وقد أمر أن يؤذّن فى جميع المساجد ب «حىّ على خير العمل» ومنع من لبس السواد شعار العباسيين.
إنّ المسلمين عامّة- وفى طليعتهم المصريون- مدينون فى ثقافتهم وازدهار

علومهم وتقدّمهم فى مجال العلم والصنعة للفاطميين وهممهم العالية؛ فإنّ الجامع الأزهر لا يزال مزدهراً من يوم بنى إلى يومنا هذا باعتباره أعظم الجامعات العلمية «۱»، وهى كانت جامعة شيعية من بدء تأسيسها إلى قرنين.
وإن شئت أن تقف على صورة صغيرة من خدماتهم الجليلة فاقرأ ما كتبه السيّد مير على حيث ذكر: «كان الفاطميون يشجّعون على العلم، ويكرمون العلماء، فشيّدوا الكلّيات، والمكاتب العامة، ودار الحكمة، وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب فى سائر العلوم والفنون، والآلات الرياضية، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعيّنوا لها أشهر الأساتذة، وكان التعليم فيها حرّاً على نفقة الدولة، كما كان الطلّاب يمنحون جميع الأدوات الكتابية مجّاناً، وكان الخلفاء يعقدون المناظرات فى شتّى فروع العلم، كالمنطق والرياضيات والفقه والطب، وكان الأساتذة يرتدون لباساً خاصاً عرف بالخلعة، أو العباءة الجامعية- كما هى الحال اليوم- وأُرصدت للإنفاق على تلك المؤسّسات، وعلى أساتذتها، وطلّابها، وموظّفيها، أملاك بلغ إيرادها السنوى (۴۳) مليون درهم، ودعى الأساتذة من آسيا والأندلس لإلقاء المحاضرات فى دار الحكمة، فازدادت بهم روعة وبهاء «۲».
وقد ألّف غير واحد من المؤرّخين كتباً ورسائل حول الأزهر الشريف ومن أراد التفصيل فليرجع إليها.

۸- مدارس الشيعة فى الشامات:

۸- مدارس الشيعة فى الشامات:
كانت الشيعة تعيش تحت الضغط والإرهاب السياسى من قبل الأُمويين والعباسيين، فلمّا دبّ الضعف فى جهاز الخلافة العباسية، وظهرت دول شيعية فى العراق- خصوصاً دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب- استطاعت الشيعة أن

تجاهر بنشاطها الثقافى، وفى ظلّ هذه الحرّية أُسّست مدارس شيعية فى جبل عامل، وحلب، تخرّج منها العديد من العلماء الأفذاذ والفضلاء.

فأمّا حلب فقد ازدانت بالعديد من الأسماء اللامعة كأبناء زهرة وغيرهم، من رجال العلم والأدب.

وأمّا مدرسة جبل عامل فقد كانت تتراوح بين القوّة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأوّل من العراق إلى مسقط رأسه «جزّين»، فأخذت تلك المدرسة فى نفسها نشاطاً واسعاً، وقد تخرّج من تلك المدرسة منذ تلك العهود إلى يومنا هذا مئات من الفقهاء والعلماء لا يحصيها إلّااللّه سبحانه، ومن الشخصيات البارزة فى هذه المدرسة: المحقّق الشيخ على الكركى مؤلّف «جامع المقاصد» (المتوفّى عام ۹۴۰ ه) وبعده الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثانى (۹۱۱- ۹۶۶ ه).

هذا غيض من فيض وقليل من كثير، ممّن أنجبتهم هذه التربة الخصبة بالعلم والأدب.

ولنكتف بهذا المقدار من الإشارة إلى الجامعات الشيعية؛ فإنّ الإحصاء يحوجنا إلى بسط فى المقال، ويطيب لنا الإشارة إلى أسماء المعاهد الأُخرى مجرّدة.

جامعات أُخر للشيعة فى أقطار العالم:

جامعات أُخر للشيعة فى أقطار العالم:

كانت للشيعة جامعات متعدّدة فى أقطار العالم المختلفة لم تزل بعضها زاهرة إلى اليوم. فالشرق الإسلامى كأفغانستان والباكستان والهند تزخر بالشيعة، ولهم هناك جامعات وكلّيّات فى هراة ولكنهو وبومبى، كما أنّ للشيعة نشاطات ثقافية فى آسيا الجنوبية الشرقية كماليزيا وتايلند، ومن أراد الوقوف على الخرّيجين من هذه المدارس فعليه أن يقرأ تاريخ هذه البلاد، خصوصاً بلاد الهند.

ومنذ تسنّم الصفويّة منصّة الحكم أُسّست فى إيران حوزات فقهية وكلامية

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۳

وفلسفية زاهرة، وقد تخرج منها آلاف من العلماء، ومن هذه الجامعات: جامعة أصفهان، وطهران، وخراسان، وتبريز، وقزوين، وزنجان، وشيراز، وأخيراً الجامعة الكبرى للشيعة فى قم المحمية بجوار فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. وقد أُسِّست هذه الجامعة سنة (۱۳۴۰ ه) على يد رجل العلم والزهد الشيخ عبد الكريم اليزدى (۱۲۷۴- ۱۳۵۵ ه)، ولم تزل هذه الجامعة مشعَّة زاهرة، وقد تقاطر إليها الأساتذة ووفود الطلاب من نقاط شتّى، ومن جنسيّات مختلفة منذ أوّل يومها، ويتجاوز عدد الطلاب فيها فى هذه السنين (۲۵۰۰۰ طالب)، وفيها مكتبات زاخرة، ومؤسّسات علمية، ومراكز تحقيقية، ومطابع حديثة، وعمالقة الفكر وأساتذة القلم، ومنها تفجّرت الثورة الإسلامية على يد أحد خرّيجيها ألا وهو الإمام الخمينى- قدس اللّه سره- فانبثقت أنوارها على ربوع العالم، وأيقظت الأُمّة من سباتها العميق.

عدد الشيعة

عدد الشيعة

إنّ مراكز الإحصاء فى العالم تخضع لنفوذ أعداء الإسلام خصوصاً الصهاينة، وقد صار ذلك سبباً لعدم وجود إحصاء دقيق بأيدينا عن عدد المسلمين وعامّة طوائفهم ومنهم الشيعة. ولكن القرائن تشهد على أنّ الشيعة بطوائفها الثلاث:

الإمامية والزيدية والإسماعيلية يؤلّفون خمس أو ربع المسلمين، فلو كان عدد المسلمين- على ما يقولون- مليار نسمة فالشيعة تبلغ (۲۰۰) مليون، وأكثرهم عدداً هم الإمامية المعروفون بالاثنى عشرية أو الجعفرية.

نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد فى ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف، إنّه على ذلك لقدير.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۴

صفحه سفيد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٣٤٥

الفصل الرابع

اشارة

الفصل الرابع:

مع الشيعة الإماميّة

فى عقائدهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٣٤٦

صفحة بيضاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٣٤٧

رسائل موجزة حول عقائد الشيعة

رسائل موجزة حول عقائد الشيعة

اشارة

رسائل موجزة حول عقائد الشيعة

إنّ المناهج الكلامية التى فرّقت المسلمين إلى مذاهب حدثت فى أواخر القرن الأوّل الهجرى، واستمرّت فى القرون التالية، فنجمت عنها فرق إسلامية مختلفة كالمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، والحشوية، والأشعرية، والكرّامية بفرقهم المتشعّبة. وهذه الفرق بمجموعها تكون نتاجاً حقيقياً لمخاض البحث والمذاكرة، وكنتيجة منطقية للتوسع الأُفقى فى الرقعة الإسلامية التى شملت العديد من الأُمم والقوميات المختلفة، وما يؤلّفه ذلك من احتكاك وجدل فكرى وتأثّر وتأثير فى تلك التيّارات الفكرية وتداخل غير محسوس فى أحيان كثيرة أُوجد ودون وعى من الكثيرين، ركائز وجود هذه التصوّرات التى تبلورت فيما بعد فيما يسمّى بالفرق الإسلامية.

ومن هنا فإنّ المرء لا يجد لها تاريخاً متّصلًا بزمن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ويقف على صدق ما ذكرنا من سبر أجزاء كتابنا هذا.

فالخوارج مثلًا كانوا فرقة سياسية نشأت فى عام (٣٧ ه) أثناء حرب صفّين، ثمّ تبدّلت إلى فرقة دينيّة فى أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثانى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٣٤٨

والمرجئة ظهرت فى الأوساط الإسلاميّة عند اختلاف الناس فى الخليفة عثمان والإمام علىّ، ثمّ تطورت إلى معنى آخر، وكان من حصيلة التطوّر هو تقديم الإيمان وتأخير العمل.

والجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفّى سنة (١٢٨ ه).

والمعتزلة تستمدّ أُصولها من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى المتوفّى عام (١٣٠ ه)، وهكذا القدريّة والكرّاميّة والظاهريّة والأشعريّة فجميعها فرق نتجت عن البحث الكلامى وصقلها الجدل عبر القرون، فلا تجد لهذه الفرق سنداً متّصلًا بالنبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وأمّا عقائد الشيعة الإماميّة فعلى النقيض من ذلك، ولا صلة فى نشأتها بينها وبين تلك الفرق، لأنّها أَخذت أساساً من مصادر التشريع الحقيقية للإسلام، وهى: الذكر الحكيم أوّلًا، والسنّة النبويّة ثانياً، وخطب الإمام علىّ وكلمات العترة الطاهرة الصادرة من النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياة أئمّتهم الطاهرين.

وهذا لا- يعنى أنّ الشيعة تتعبّد بالنصوص فى أُصولها المذكورة من دون تحليل وتفكير، بل إنّ أُصول العقائد الواردة فى المصادر المذكورة أخذها علماؤهم منها وحرّروها بأوضح الوجوه، ودعموها بالبراهين الواضحة، كما أنّهم لا يعتدّون فى بناء معتقداتهم ومتبنّياتهم برواية الآحاد بل يشترطون فيها أن تكون متواترة، أو محفوفة بالقرائن المفيدة للعلم واليقين؛ إذ ليس المطلوب فى باب الاعتقاد مجرّد العمل، بل المطلوب هو الإذعان والإيمان، وهذا لا يحصل برواية الآحاد.

إلّا أنّ الأمر الجدير بالذكر هو أنّ المرتكز الأساسى لبناء العقيدة الخاصّة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأنّ الإمام عليّاً منصوص عليه بالوصاية على لسان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، وأنّه وعترته الطاهرة هم المرجع الأعلى بعد الذكر الحكيم. وهذا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۴۹

هو العنصر المقوّم للتشيّع، وأمّا سائر الأُصول فإنّها عقائد إسلامية لا تختصّ بالشيعة الإمامية وحدها.

وسنحاول أن نستعرض فى الصفحات اللاحقة بعضاً من جوانب عقائد الشيعة الإمامية، الواردة فى أحاديث أئمّتهم تارة، وكلمات علمائهم الأقدمين ثانياً، حتّى يقف القارئ على جذور تلك العقائد وتتوضّح له الصورة الحقيقية عن ركائز هذه المعتقدات، والتى تستمدّ كيانها من الأخبار والروايات الواردة من أئمّتهم الطاهرين والتى تكوّن كلمات الإمام علىّ عليه السلام وخطبه البعد الأكبر فيها، أو من الآراء الكلامية لعلمائهم، والتى تتفق كثيراً مع جمهور المسلمين فى أبعادها المختلفة.

۱- ما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون عن محض الإسلام

۱- ما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون عن محض الإسلام

روى الصدوق بسنده عن الفضل بن شاذان قال: سأل المأمون علىّ بن موسى الرضا أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب عليه السلام له:

«إنّ محض الإسلام شهادة أن لا إله إلّااللّه وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، أحداً، فرداً، صمداً، قيّوماً، سميعاً، بصيراً، قديراً، قديماً، قائماً، باقياً، عالماً لايجهل، قادراً لا يعجز، غنيّاً لا يحتاج، عدلًا لا يجور، وأنّه خالق كلّ شىء، ليس كمثله شىء، لا شبه له، ولا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا كفو له، وأنّه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة.

وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأمينه وصفيّه وصفوته من خلقه، وسيّد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، لا نبىّ بعده ولا تبديل لملّته ولا تغيير لشريعته، وأنّ جميع ما جاء به محمّد بن عبد اللّه هو الحقّ المبين، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل اللّه، وأنبيائه، وحججه، والتصديق بكتابه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۰

الصادق العزيز الذى: لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَميد «۱»

وأنّه المهيمن على الكتب كلّها، وأنّه حقّ من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصّه وعامّه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتى بمثله.

وأنّ الدليل بعده والحجّة على المؤمنين والقائم بأمر المسلمين، والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه: أخوه وخليفته ووصيّه ووليّه، والذى كان منه بمنزلة هارون من موسى: علىّ بن أبى طالب عليه السلام أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأفضل الوصيّين، ووارث علم النبيّين، والمرسلين، وبعده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ علىّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ محمّد

بن علیّ باقر علم النبیّین، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق وارث علم الوصیّین، ثمّ موسی بن جعفر الکاظم، ثمّ علیّ بن موسی الرضا، ثمّ محمّد بن علیّ، ثمّ علیّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن علیّ، ثمّ الحجّة القائم المنتظر- صلوات اللَّه علیهم أجمعین-.

أشهد لهم بالوصیة والإمامة، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة للّه تعالی علی خلقه فی کلّ عصر وأوان، وأنّهم العروة الوثقی، وأئمّة الهدی، والحجّة علی أهل الدنیا، إلی أن یرث اللَّه الأرض ومن علیها، وأنّ کل من خالفهم ضالّ مضلّ باطل، تارک للحقّ والهدی، وأنّهم المعبّرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول صلی الله علیه و آله بالبیان، ومن مات ولم یعرفهم مات میتة جاهلیة، وأنّ من دینهم الورع والفقه والصدق والصلاة والاستقامة والاجتهاد، وأداء الأمانة إلی البرّ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۵۱

والفاجر، وطول السجود، وصیام النهار وقیام اللیل، واجتناب المحارم، وانتظار الفرج بالصبر، وحسن العزاء وکرم الصحبة «۱».

ثمّ ذکر الإمام فروعاً شتّی من مختلف أبواب الفقه وأشار إلی بعض الفوارق بین مذهب أهل البیت وغیرهم لا یهمّنا فی المقام ذکرها ومن أراد الوقوف علیها فلیرجع إلی المصدر.

۲- عرض السیّد عبد العظیم الحسنی عقائده علی الإمام الهادی علیه السلام

۲- عرض السیّد عبد العظیم الحسنی عقائده علی الإمام الهادی علیه السلام

روی الصدوق عن عبد العظیم الحسنی «۲» قال: دخلت علی سیّدی علیّ بن محمّد بن علیّ بن موسی بن جعفر بن محمّد بن علی بن الحسین بن علیّ بن أبی طالب علیهم السلام فلمّا بَصُرَ بی، قال لی: «مرحباً بک یا أبا القاسم أنت ولیّنا حقّاً» قال:

فقلت له: یابن رسول اللَّه إنّی أُرید أن أعرض علیک دینی، فإن کان مرضیّاً أثبت علیه حتّی ألقی اللَّه عزّوجلّ. فقال: «هاتها أبا القاسم».

فقلت: إنّی أقول: إنّ اللَّه تبارک وتعالی واحد لیس کمثله شیء، خارج من

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۵۲

الحدّین؛ حدّ الإبطال، وحدّ التشبیه، وأنّه لیس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسِّم الأجسام ومصوِّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربُّ کلّ شیء ومالکه وجاعله ومحدثه، وإنّ محمّداً عبده ورسوله، خاتم النبیّین فلا نبیّ بعده إلی یوم القیامة، وأقول: إنّ الإمام والخلیفة وولیّ الأمر بعده أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسین، ثمّ علیّ بن الحسین، ثمّ محمّد بن علیّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسی بن جعفر، ثمّ علیّ بن موسی، ثمّ محمّد بن علیّ، ثمّ أنت یا مولای.

فقال علیه السلام: «ومن بعدی الحسن ابنی، فکیف للناس بالخلف من بعده؟» قال:

فقلت: وکیف ذاک یا مولای؟ قال: «لأنّه لا یری شخصه ولا یحل ذکره باسمه حتّی یخرج فیملأ الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت ظلماً وجوراً».

قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ ولیّهم ولیّ اللَّه، وعدوّهم عدوّ اللَّه، وطاعتهم طاعة اللَّه ومعصیتهم معصیة اللَّه، وأقول: إنّ المعراج حقّ والمساءلة فی القبر حقّ، وإنّ الجنّة حقّ، والنار حقّ، والمیزان حقّ، وإنّ الساعة آتیة لا ریب فیها وإنّ اللَّه یبعث من فی القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولایة: الصلاة والزکاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.

فقال علیّ بن محمّد علیه السلام: «یا أبا القاسم، هذا واللَّهِ دین اللَّه الذی ارتضاه لعباده، فاثبت علیه ثبّتک اللَّه بالقول الثابت فی الحیاة الدنیا وفی الآخرة» «۱».

وقد اکتفینا بهذین النصّین من الإمامین الطاهرین، أحدهما قولی، والآخر إمضائی، وقد أخذوا عقائدهم عن آبائهم الطاهرین.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۵۳

۳- رسالة الصدوق فى عقائد الإمامية

۳- رسالة الصدوق فى عقائد الإمامية

إنّ لمشايخنا الإمامية مؤلّفات شهيرة فى بيان عقائد الشيعة ومعارفهم، نختار فى المقام رسائل موجزة من المتقدّمين منهم:

صنّف الشيخ الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) رسالة موجزة فى عقائد الإمامية، قال: اعلم أنّ اعتقادنا فى التوحيد: أنّ اللّه تعالى واحد أحد، ليس كمثله شىء، قديم، لم يزل، ولا يزال سميعاً بصيراً، عليماً، حكيماً، حيّاً، قيّوماً، عزيزاً، قدّوساً، عالماً، قادراً، غنيّاً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض- إلى أن قال:- وأنّه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج عن الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وأنّه تعالى شىء لا كالأشياء، أحد صمد لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد، ولا ندّ ولا ضدّ، ولا شبه ولا صاحبة، ولا مثل ولا نظير، ولا شريك له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا الأوهام، وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو اللطيف الخبير، خالق كلّ شىء لا إله إلّا هو، له الخلق والأمر تبارك اللّه ربّ العالمين.

ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف فى التوحيد فهو كاذب، وكلّ خبر يخالف ما ذكرت فى التوحيد فهو موضوع مخترع، وكلّ حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو باطل، وإن وجد فى كتب علمائنا فهو مدلّس... ثمّ إنّه قدّس اللّه سرّه ذكر الصفات الخبرية فى الكتاب العزيز وفسّرها، وبيّن حدّاً خاصّاً لصفات الذات وصفات الأفعال، وما هو معتقد الإماميّة فى أفعال العباد، وأنّه بين الجبر والتفويض، كما ذكر عقائدهم فى القضاء والقدر، والفطرة، والاستطاعة، إلى غير ذلك من المباحث المهمّة التى تشكّل العمود الفقرى للمعارف

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۴

الإلهية، إلى أن قال:

اعتقادنا أنّ القرآن الذى أنزله اللّه تعالى على نبيّه محمّد هو ما بين الدفّتين، وهو ما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس (۱۱۴) سورة، وعندنا أنّ الضحى والانشراح سورة واحدة، كما أنّ الإيلاف والفيل سورة واحدة. ومن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب... إلى آخر الرسالة «۱».

ثمّ إنّ الشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) قد شرح تلك الرسالة بكتاب أسماه شرح عقائد الصدوق، أو تصحيح الاعتقاد، ناقش فيها أُستاذه الصدوق فى بعض المواضع التى استند فيها الصدوق على روايات غير جامعة للشرائط فى باب العقائد «۲».

۴- أمالى الصدوق رحمه الله

۴- أمالى الصدوق رحمه الله

وهو ما أملاه الصدوق أيضاً على جماعة فى المجلس الثالث والتسعين، وجاء فيه: واجتمع فى هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملى عليهم وصف دين الإماميّة على الإيجاز والاختصار، فقال: دين الإماميّة هو الإقرار بتوحيد اللّه تعالى ذكره، ونفى التشبيه عنه، وتنزيهه عمّا لا يليق، والإقرار بأنبياء اللّه ورسله وحججه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۵۵

وملائكته وكتبه، والإقرار بأنّ محمّداً هو سيّد الأنبياء والمرسلين، وأنّه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقرّبين، وأنّه خاتم النبيّين؛ فلا نبىّ بعده... إلى آخر ما ذكر «۱».

۵- جمل العلم والعمل للسيّد الشريف المرتضى

اشارهٔ

۵- جمل العلم والعمل للسيّد الشريف المرتضى

ألّف السيّد الشريف المرتضى رسالة موجزهٔ فى العقائد أسماها جمل العلم والعمل. أورد فيها- رحمه اللَّه- عقائد الشيعهٔ على وجه الإيجاز، نذكر منها ما يرتبط بالتوحيد، وندعو القارئ الكريم إلى مطالعهٔ الرسالهٔ لما فيها من العرض الدقيق لهذه الجوانب:

بيان ما يجب اعتقاده فى أبواب التوحيد:

بيان ما يجب اعتقاده فى أبواب التوحيد:

الأجسام محدثَهٔ لأنّها لم تسبق الحوادث، فلها حكمها فى الحدوث، ولابدّ لها من محدِث؛ لحاجهٔ كلّ محدَث فى حدوثه إلى محدِث كالصناعهٔ والكتابهٔ.

ولابدّ من كونه (تعالى) قادراً لتعذّر الفعل على من لم يكن قادراً، وتيسّره على من كان كذلك.

ولابدّ من كون محدِثها عالماً؛ لأنّ الإحكام ظاهر فى كثير من العالم، والمحكَم لا يقع إلّامن عالم.

ولابدّ من كونه موجوداً؛ لأنّ له تعلّقاً من حيث كان قادراً عالماً، وهذا الضرب من التعلّق لا يصحّ إلّامع الوجود.

ويجب كونه قديماً؛ لانتهاء الحوادث إليه.

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الامامية، ص: ۳۵۶

ويجب كونه حيّاً، وإلّا لم يصحّ كونه قادراً، عالماً، فضلًا عن وجوبه.

ويجب أن يكون مدركاً إذا وجدت المدركات، لاقتضاء كونه حيّاً.

ووجب كونه سميعاً بصيراً؛ لأنّه ممّن يجب أن يدرك المدركات إذا وجدت، وهذه فائدهٔ قولنا: سميع بصير.

ومن صفاته- وإن كانتا عن علّهٔ- كونه تعالى مريداً وكارهاً؛ لأنّه تعالى قد أمر وأخبر ونهى، ولا يكون الأمر والخبر أمراً ولا خبراً إلّابالإرادهٔ. والنهى لا يكون نهياً إلّابالكراههٔ.

ولا يجوز أن يستحقّ هاتين الصفتين لنفسه؛ لوجوب كونه مريداً كارهاً للشيء الواحد، على الوجه الواحد.

ولا لعلّة قديمهٔ، لما سنبطل به الصفات القديمهٔ.

لا لعلّهٔ محدثهٔ فى غير حيّ لافتقار الإرادهٔ إلى تنبيه. ولا لعلّهٔ موجودهٔ فى حيّ؛ لوجوب رجوع حكمها إلى ذلك الحيّ. فلم يبق إلّاأن توجد لا فى محلّ.

ولا يجوز أن يكون له فى نفسه صفهٔ زائدهٔ على ما ذكرناه؛ لأنّه لا حكم لها معقول.

وإثبات ما لا حكم له معقول من الصفات، يفضى إلى الجهالات.

ويجب أن يكون قادراً فيما لم يزل؛ لأنّه لو تجدّد له ذلك لم يكن إلّاللقدرهٔ محدثهٔ، ولا يمكن إسناد إحداثها إلّاإليه، فيؤدّى إلى تعلّق كونه قادراً بكونه محدثاً، وكونه محدثاً بكونه قادراً. وثبوت كونه قادراً فيما لم يزل يقتضى أن يكون فيما لم يزل حيّاً موجوداً.

ويجب أن يكون عالماً فيما لم يزل؛ لأنّ تجدّد كونه عالماً يقتضى أن يكون بحدوث علم، والعلم لا يقع إلّاممّن هو عالم.

ووجوب هذه الصفات لم تدلّ على أنّها نفسيّهٔ، وادّعاء وجوبها لمعان قديمهٔ

الاضواء على عقائد الشيعهٔ الامامية، ص: ۳۵۷

تبطل صفات النفس، ولأنّ الاشتراك فى القدم يوجب التماثل والمشاركهٔ فى سائر الصفات ولا يجوز خروجه تعالى عن هذه الصفات لاسنادها إلى النفس.

ویجب کونه تعالی غنیّاً غیر محتاج؛ لأنّ الحاجة تقتضی أن یکون ممّن ینتفع ویستضرّ، وتؤدّی إلی کونه جسماً.

لایجوز کونه تعالی متّصفاً بصفة الجواهر والأجسام والأعراض لقدمه وحدوث هذه أجمع، ولأنّه فاعل الأجسام، والجسم یتعذّر علیه فعل الجسم.

ولا یجوز علیه تعالی الرؤیة؛ لأنّه کان یجب مع ارتفاع الموانع وصحّة أبصارنا أن نراه.

ولمثل ذلک یعلم أنّه لا یُدرک بسائر الحواس.

ویجب أن یکون تعالی واحداً لا ـ ثانی له فی القدم؛ لأنّ إثبات ثان یؤدّی إلی إثبات ذاتین لا حکم لهما یزید علی حکم الذات الواحدة، ویؤدّی أیضاً إلی تعذّر الفعل علی القادر من غیر جهة منع معقول، وإذا بطل قدیم ثان بطل قول الثنویة والنصاری والمجوس... إلی آخرها «۱».

۶– البیان عن جمل اعتقاد أهل الإیمان للکراجکی

اشارة

۶– البیان عن جمل اعتقاد أهل الإیمان للکراجکی

کتب الإمام الشیخ أبو الفتح محمّد بن علیّ الکراجکی الطرابلسی رسالة موجزة فی عقائد الإمامیة وسمّاها: «البیان عن جمل اعتقاد أهل الإیمان» وممّا جاء فیها:

قال: سألت یا أخی– أسعدک اللّه بألطافه، وأیّدک بإحسانه وإسعافه– أن

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۳۵۸

أُثبت لک جملًا من اعتقادات الشیعة المؤمنین، وفصولًا فی المذهب یکون علیها بناء المسترشدین، لتذاکر نفسک بها، وتجعلها عدّة لطالبها، وأنا أختصر لک القول وأُجمله، وأُقرّب الذکر وأُسهّله وأورده علی سنن الفتیا فی المقالة، من غیر حجّة ولا دلالة، وما توفیقی إلّاباللّه:

فی توحیده سبحانه:

فی توحیده سبحانه:

اعلم أنّ الواجب علی المکلّف: أن یعتقد حدوث العالم بأسره، وأنّه لم یکن شیئاً قبل وجوده، ویعتقد أنّ اللّه تعالی هو محدِث جمیعه، من أجسامه، وأعراضه، إلّا أفعال العباد الواقعة منهم؛ فإنّهم محدثوها دونه سبحانه.

ویعتقد أنّ اللّه قدیم وحده، لا قدیم سواه، وأنّه موجود لم یزل، وباق لا یزال، وأنّه شیء لا کالأشیاء. لا شبیه الموجودات، ولا یجوز علیه ما یجوز علی المحدثات، وأنّ له صفات یستحقّها لنفسه لا لمعان غیره، وهی کونه حیّاً، عالماً، قدیماً، باقیاً، لا یجوز خروجه عن هذه الصفات إلی ضدّها، یعلم الکائنات قبل کونها، ولا یخفی علیه شیء منها.

فی عدله سبحانه:

فی عدله سبحانه:

وأنّ له صفات أفعال، لا ـ یصحّ إضافتها إلیه فی الحقیقة إلّابعد فعله، وهی ما وصف به نفسه من أنّه خالق، ورازق، ومعط، وراحم،

ومالک، ومتکلّم، ونحو ذلک.

وأنّ له صفات مجازات وهی ما وصف به نفسه، من أنّه یرید ویکره، ویرضی ویغضب.

فإرادته لفعل هی الفعل المراد بعینه، وإرادته لفعل غیره هی الأمر بذلک الفعل، ولیس تسمیتها بالإرادهٔ حقیقهٔ، وإنّما هو علی مجاز اللغهٔ، وغضبه هو وجود عقابه، ورضاه هو وجود ثوابه، وأنّه لا یفتقر إلی مکان، ولا یدرک بشیء

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۳۵۹

من الحواسّ.

وأنّه منزّه من القبائح، لا یظلم الناس وإن کان قادراً علی الظلم؛ لأنّه عالم بقبحه، غنیّ عن فعله، قوله صدق، ووعده حقّ، لا یکلّف خلقه علی ما لا یستطاع، ولا یحرمهم صلاحاً لهم فیه الانتفاع، ولا یأمر بما لا یرید، ولا ینهی عمّا یرید. وأنّه خلق الخلق لمصلحتهم، وکلّفهم لأجل منازل منفعتهم، وأزاح فی التکلیف عللهم، وفعل أصلح الأشیاء بهم. وأنّه أقدرهم قبل التکلیف، وأوجد لهم العقل والتمییز.

وأنّ القدرهٔ تصلح أن یفعل بها وضدّه بدلًا منه. وأنّ الحق الذی تجب معرفته، یدرک بشیئین، وهما العقل والسمع، وأنّ التکلیف العقلی لا ینفکّ عن التکلیف السمعی. وأنّ اللَّه تعالی قد أوجد (للناس) فی کلّ زمان مسمعاً (لهم) من أنبیائه وحججه بینه وبین الخلق، ینبّههم علی طریق الاستدلال فی العقلیات، ویفقّههم علی ما لا یعلمونه إلّابه من السمعیات. وأنّ جمیع حجج اللَّه تعالی محیطون علماً بجمیع ما یفتقر إلیهم فیه العباد. وإنّهم معصومون من الخطأ والزلل عصمهٔ اختیار.

وأنّ اللَّه فضّلهم علی خلقه، وجعلهم خلفاءه القائمین بحقّه. وأنّه أظهر علی أیدیهم المعجزات، تصدیقاً لهم فیما ادّعوه من الأنباء والأخبار. وأنّهم- مع ذلک- بأجمعهم عباد مخلوقون، بشر مکلّفون یأکلون ویشربون، ویتناسلون، ویحیون بإحیائه، ویموتون بإماتته، تجوز علیهم الآلام المعترضات، فمنهم من قتل، ومنهم من مات، لا یقدرون علی خلق، ولا رزق، ولا یعلمون الغیب إلّاما أعلمهم إله الخلق. وأنّ أقوالهم صدق، وجمیع ما أتوا به حق.

فی النبوّهٔ العامّهٔ والخاصّهٔ:

فی النبوّهٔ العامّهٔ والخاصّهٔ:

وأنّ أفضل الأنبیاء أُولو العزم، وهم خمسهٔ: نوح، وإبراهیم، وموسی،

الاضواء علی عقائد الشیعهٔ الامامیهٔ، ص: ۳۶۰

وعیسی، ومحمّد صلی الله علیه و آله وعلیهم، وأنّ محمّد بن عبد اللَّه صلی الله علیه و آله أفضل الأنبیاء أجمعین، وخیر الأوّلین والآخرین. وأنّه خاتم النبیین، وأنّ آباءه من آدم علیه السلام إلی عبد اللَّه بن عبد المطّلب- رضوان اللَّه علیهم- کانوا جمیعاً مؤمنین، وموحّدین للَّه تعالی عارفین، وکذلک أبوطالب- رضوان اللَّه علیه-.

ویعتقد أنّ اللَّه سبحانه شرّف نبیّنا صلی الله علیه و آله بباهر الآیات، وقاهر المعجزات، فسبّح فی کفّه الحصی، ونبع من بین أصابعه الماء، وغیر ذلک ممّا قد تضمّنته الأنباء، وأجمع علی صحّته العلماء، وأتی بالقرآن المبین، الذی بهر به السامعین! وعجز من الإتیان بمثله سائر الملحدین.

وأنّ القرآن کلام ربّ العالمین، وأنّه محدَث لیس بقدیم. ویجب أن یعتقد أنّ جمیع ما فیه من الآیات الذی یتضمّن ظاهرها تشبیه اللَّه تعالی بخلقه، وأنّه یجبرهم علی طاعته أو معصیته، أو یضلّ بعضهم عن طریق هدایته، فإنّ ذلک کلّه لا یجوز حمله علی ظاهرها، وأنّ له تأویلًا یلائم ما تشهد به العقول ممّا قدّمنا ذکره فی صفات اللَّه تعالی، وصفات أنبیائه.

فإن عرف المکلّف تأویل هذه الآیات فحسن، وإلّا أجزأ أن یعتقد فی الجملهٔ أنّها متشابهات، وأنّ لها تأویلًا ملائماً، یشهد بما تشهد به

العقول والآيات المحكمات، وفی القرآن المحکم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعامّ.

ويجب عليه أن يقرّ بملائكة اللَّه أجمعين، وأنّ منهم جبرئيل وميكائيل، وأنّهما من الملائكة الكرام، كالأنبياء بين الأنام، وأنّ جبرئيل هو الروح الأمين الذی نزل بالقرآن على قلب محمّد خاتم النبيّين، وهو الذی كان يأتيه بالوحی من ربّ العالمين.

ويجب الإقرار بأنّ شريعة الإسلام التی أتی بها محمّد صلی الله عليه و آله ناسخة لما خالفها من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۱

شرائع الأنبياء المتقدّمين.

وإنّه يجب التمسّك بها والعمل بما تضمّنته من فرائضها، وأنّ ذلك دين اللَّه الثابت الباقی إلی أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، لا حلال إلّاما أحلّت ولا حرام إلّاما حرّمت، ولا فرض إلّاما فرضت، ولا عبادة إلّاما أوجبت.

وإنّ من انصرف عن الإسلام، وتمسّك بغيره، كافر ضالّ، مخلّد فی النار، ولو بذل من الاجتهاد فی العبادة غاية المستطاع.

وإنّ من أظهر الإقرار بالشهادتين كان مسلماً، ومن صدّق بقلبه ولم يشكّ فی فرض أتی به محمّد صلی الله عليه و آله كان مؤمناً.

ومن الشرائط الواجبة للإيمان، العمل بالفرائض اللازمة، فكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمناً.

وقوله تعالی: إنّ الدّينَ عِنْدَ اللَّه الإسْلام «۱»

إنّما أراد به الإسلام الصحيح التام، الذی يكون المسلم فيه عارفاً، مؤمناً، عالماً بالواجبات، طائعاً.

فی الإمامة والخلافة:

فی الإمامة والخلافة:

ويجب أن يعتقد أنّ حجج اللَّه تعالی بعد رسوله الذين هم خلفاؤه، وحفظة شرعه، وأئمّة أُمّته، اثناعشر أهل بيته، أوّلهم أخوه وابن عمّه، وصهره، بعل فاطمة الزهراء ابنته، ووصيّه على أُمّته، علیّ بن أبی طالب أمير المؤمنين، ثمّ الحسن بن علیّ الزكی، ثمّ الحسين بن علیّ الشهيد، ثمّ علیّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ محمّد بن علیّ باقر العلوم، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسی بن جعفر الكاظم، ثمّ علیّ بن موسی الرضا، ثمّ محمّد بن علیّ التقی، ثمّ علیّ بن محمّد المنتجب، ثمّ الحسن بن علیّ الهادی، ثمّ الخلف الصالح بن الحسن المهدی- صلوات اللَّه عليهم أجمعين-.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۲

لا إمامة بعد رسول اللَّه صلی الله عليه و آله إلّالهم عليهم السلام ولا يجوز الاقتداء فی الدين إلّابهم، ولا أخذ معالم الدين إلّاعنهم.

وأنّهم فی كمال العلم والعصمة من الآثام نظير الأنبياء عليهم السلام.

وأنّهم أفضل الخلق بعد رسول اللَّه صلی الله عليه و آله.

وأنّ إمامتهم منصوص عليها من قبل اللَّه على اليقين والبيان.

وأنّه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيراً من الغائبات، والأُمور المستقبلات، ولم يعطهم من ذلك إلّاما قارن وجهاً يعلمه من اللطف والصلاح.

وليسوا عارفين بجميع الضمائر والغائبات على الدوام، ولا يحيطون بالعلم بكلّ ما علمه اللَّه تعالی.

والآيات التی تظهر على أيديهم هی فعل اللَّه دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها.

وأنّهم بشر محدَثون، وعباد مصنوعون، لا يخلُقون، ولا يرزُقون، ويأكلون ويشربون، وتكون لهم الأزواج، وتنالهم الآلام والأعلال، ويستضامون، ويَخافون فيتّقون، وأنّ منهم من قتل، ومنهم من قبض.

وأنّ إمام هذا الزمان هو المهدی ابن الحسن الهادی، وأنّه الحجّة على العالمين، وخاتم الأئمّة الطاهرين، لا إمامة لأحد بعد إمامته، ولا

دولة بعد دولته، وأنّه غائب عن رعيته، غيبة اضطرار وخوف من أهل الضلال، وللمعلوم عند اللّه تعالى فى ذلک الصلاح.

ويجوز أن يعرّف نفسه فى زمن الغيبة لبعض الناس، وأنّ اللّه عزّ وجلّ سيظهره وقت مشيئته، ويجعل له الأعوان والأصحاب، فيمهّد الدين به، ويطهّر الأرض

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۳

على يديه، ويهلک أهل الضلال، ويقيم عمود الإسلام، ويصير الدين كلّه للّه.

وأنّ اللّه عزّ وجلّ يظهر على يديه عند ظهوره الأعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيى له بعض الأموات، فإذا قام فى الناس المدّة المعلومة عند اللّه سبحانه قبضه إليه، ثمّ لا يمتدّ بعده الزمان، ولا تتّصل الأيام حتّى تكون شرائط الساعة، وإماتة من بقى من الناس، ثمّ يكون المعاد بعد ذلک.

ويعتقد أنّ أفضل الأئمّة عليهم السلام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، وأنّه لا يجوز أن يسمّى بأمير المؤمنين أحد سواه.

وأنّ بقيّة الأئمّة- صلوات اللّه عليهم- يقال لهم: الأئمّة، والخلفاء، والأوصياء، والحجج، وإن كانوا فى الحقيقة أُمراء المؤمنين؛ فإنّهم لم يمنعوا من هذا الاسم لأجل معناه، لأنّه حاصل لهم على الاستحقاق، وإنّما منعوا من لفظه حشمة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأنّ أفضل الأئمّة بعد أمير المؤمنين، ولده الحسن، ثمّ الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين، إمام الزمان المهدى- صلوات اللّه عليه- ثمّ بقية الأئمّة بعده على ما جاء به الأثر وثبت فى النظر.

وأنّ المهدى عليه السلام هو الذى قال فيه رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«لو لم يبق من الدنيا إلّايوم واحد، لطوّل اللّه تعالى ذلک اليوم حتّى يظهر فيه رجل من ولدى يواطئ اسمه اسمى، يملأها عدلًا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۴

فاسمه يواطئ اسم رسول اللّه صلى الله عليه و آله وكنيته تواطئ كنيته، غير أنّ النهى قد ورد عن اللفظ، فلا يجوز أن يتجاوز فى القول أنّه المهدى، والمنتظر، والقائم بالحق، والخلف الصالح، وإمام الزمان، وحجّة اللّه على الخلق.

ويجب أن يعتقد أنّ اللّه فرض معرفة الأئمّة عليهم السلام بأجمعهم، وطاعتهم، وموالاتهم، والاقتداء بهم، والبراءة من أعدائهم وظالميهم... وأنّه لا يتم الإيمان إلّا بموالاة أولياء اللّه، ومعاداة أعدائه.

فى التوبة والحشر والنشر:

فى التوبة والحشر والنشر:

ويعتقد أنّ اللّه يزيد وينقص إذا شاء فى الأرزاق والآجال.

وأنّه لم يرزق العبد إلّاما كان حلالًا طيّباً.

ويعتقد أنّ باب التوبة مفتوح لمن طلبها، وهى الندم على ما مضى من المعصية، والعزم على ترک المعاودة إلى مثلها.

وأنّ التوبة ماحية لما قبلها من المعصية التى تاب العبد منها.

وتجوز التوبة من زلّة إذا كان التائب منها مقيماً على زلّة غيرها لا تشبهها، ويكون له الأجر على التوبة، وعليه وزر ما هو مقيم عليه من الزلّة.

وأنّ اللّه يقبل التوبة بفضله وكرمه، وليس ذلک لوجوب قبولها فى العقل قبل الوعد، وإنّما علم بالسمع دون غيره.

ويجب أن يعتقد أنّ اللّه سبحانه، يميت العباد ويحييهم بعد الممات ليوم المعاد.

وأنّ المحاسبة حقّ والقصاص، وكذلک الجنّة والنار والعقاب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۵

وأنّ مرتكبى المعاصى من العارفين باللَّه ورسوله، والأئمّة الطاهرين، المعتقدين لتحريمها مع ارتكابها، المسوّفين التوبة منها، عصاة فسّاق، وأنّ ذلك لا يسلبهم اسم الإيمان كما لم يسلبهم اسم الإسلام «۱».

وأنّهم يستحقّون العقاب على معاصيهم، والثواب على معرفتهم باللَّه تعالى، ورسوله، والأئمّة من بعده صلى الله عليه و آله، وما بعد ذلك من طاعتهم، وأمرهم مردود إلى خالقهم، وإن عفا عنهم فبفضله ورحمته، وإن عاقبهم فبعدله وحكمته، قال اللَّه سبحانه: وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّه إمّا يُعَذِّبَهُمْ وَإمّا يَتُوب عَلَيْهِمْ «۲»

وأنّ عقوبة هؤلاء العصاة إذا شاءها اللَّه تعالى لا تكون مؤبّدة، ولها آخر، يكون بعده دخولهم الجنّة، وليس من جملة من توجّه إليهم الوعيد بالتخليد، والعفو من اللَّه تعالى يرجى للعصاة المؤمنين.

وقد غلطت المعتزلة فسمّت من يرجو العفو مرجئاً، وانّما يجب أن يسمّى راجياً، ولا طريق إلى القطع على العفو، وإنّما هو الرجاء فقط.

ويعتقد أنّ لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله والأئمّة من بعده عليهم السلام شفاعة مقبولة يوم القيامة، ترجى للمؤمنين من مرتكبى الآثام.

ولا يجوز أن يقطع الإنسان على أنّه مشفوع فيه على كلّ حال، ولا سبيل له إلى العلم بحقيقة هذه الحال، وإنّما يجب أن يكون المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۶

ويعتقد أنّ المؤمنين الذين مضوا من الدنيا وهم غير عاصين، يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجنّة بغير حساب.

وأنّ جميع الكفّار والمشركين، ومن لم تصحّ له الأُصول من المؤمنين يؤمر بهم يوم القيامة إلى الجحيم بغير حساب، وإنّما يحاسب من خلط عملًا صالحاً وآخر سيّئاً، وهم العارفون العصاة.

وأنّ أنبياء اللَّه تعالى وحججه عليهم السلام هم فى القيامة المسؤولون للحساب بإذن اللَّه تعالى، وأنّ حجّة أهل كلّ زمان يتولّى أمر رعيّته الذين كانوا فى وقته.

وأنّ سيّدنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والأئمّة الاثنى عشر من بعده عليهم السلام هم أصحاب الأعراف الذين هم لا يدخل الجنّة إلّامن عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّامن أنكرهم وأنكروه.

وأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمام بعده.

وأنّ المهدى عليه السلام هو المواقِف لأهل زمانه، والمسائل للذين فى وقته.

وأنّ الموازين (التى) توضع فى القيامة، هى إقامة العدل فى الحساب، والإنصاف فى الحكم والمجازاة، وليست فى الحقيقة موازين بكفّات وخيوط كما يظنّ العوامّ.

وأنّ الصراط المستقيم فى الدنيا دين محمّد وآل محمّد- عليه وعليهم السّلام- وهو فى الآخرة طريق الجنان.

وأنّ الأطفال والمجانين والبله من الناس، يتفضّل عليهم فى القيامة بأن تكمل عقولهم، ويدخلون الجنان.

وأنّ نعيم أهل الجنّة متّصل أبداً بغير نفاد، وأنّ عذاب المشركين والكفّار متّصل فى النار بغير نفاد.

ويجب أن تؤخذ معالم الدين فى الغَيبة من أدلّة العقل، وكتاب اللَّه عزّ وجلّ،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۷

والأخبار المتواترة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعن الأئمّة عليهم السلام «۱» وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية، وإجماعها حجّة.

فأمّا عند ظهور الإمام عليه السلام فإنّه المفزع عند المشكلات، وهو المنبّه على العقليات، والمعرّف بالسمعيات، كما كان النبىّ صلى الله عليه و آله.

ولا يجوز استخراج الأحكام فى السمعيات بقياس ولا اجتهاد «۲».

أمّا العقليات فيدخلها القياس والاجتهاد، ويجب على العاقل مع هذا كلّه ألّا يقنع بالتقليد فى الاعتقاد، وأن يسلك طريق التأمّل والاعتبار، ولا يكون نظره لنفسه فى دينه أقلّ من نظره لنفسه فى دنياه؛ فإنّه فى أُمور الدنيا يحتاط ويحترز، ويفكّر ويتأمّل، ويعتبر بذهنه، ويستدلّ بعقله، فيجب أن يكون فى أمر دينه على أضعاف هذه الحال، فالغرر فى أمر الدين أعظم من الغرر فى أمر الدنيا.

فيجب أن لا يعتقد فى العقليات إلّاما صحّ عنده حقّه، ولا يسلّم فى السمعيات إلّا لمن ثبت له صدقه.

نسأل اللَّه حسن التوفيق برحمته، وألّا يحرمنا ثواب المجتهدين فى طاعته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۸

قد أثبتُّ لك يا أخى - أيّدك اللَّه- ما سألت، اقتصرت وما أطلت.

والذى ذكرت أصل لما تركت، والحمد للَّه وصلواته على سيّدنا محمّد وآله وسلّم «۱».

۷- العقائد الجعفريّة للشيخ الطوسى رحمه الله

۷- العقائد الجعفريّة للشيخ الطوسى رحمه الله

الشيخ الطوسى رحمه الله غنىّ عن التعريف، فهو شيخ الطائفة على الإطلاق وكان قد أخذ على يد المفيد والمرتضى، وقد ورد بغداد عام (۴۰۸ ه) وحضر فى أندية دروس أُستاذه المفيد، فلمّا لبّى الأُستاذ دعوة ربّه حضر لدى المرتضى إلى أن اشتغل بالتدريس والإفتاء فى عصره وبعده، وله رسائل وكتب كلامية قيّمة مفعمة بالتحقيق، ونحن نورد هنا جانباً مختصراً عمّا دوّنه فى عقائد الشيعة فى المسائل الآتية:

«المسألة ۱» معرفة اللَّه واجبة على كلّ مكلّف، بدليل أنّه منعم فيجب معرفته.

«المسألة ۲» اللَّه تعالى موجود، بدليل أنّه صنع العالم، وأعطاه الوجود، وكلّ من كان كذلك فهو موجود.

«المسألة ۳» اللَّه تعالى واجب الوجود لذاته، بمعنى أنّه لا يفتقر فى وجوده إلى غيره، ولا يجوز عليه العدم، بدليل أنّه لو كان ممكناً لافتقر إلى صانع، كافتقار هذا العالم، وذلك محال على المنعم المعبود.

«المسألة ۴» اللَّه تعالى قديم أزلى، بمعنى أنّ وجوده لم يسبقه العدم. باقٍ أبدىّ، بمعنى أنّ وجوده لن يلحقه العدم.

«المسألة ۵» اللَّه تعالى قادر مختار، بمعنى أنّه إن شاء أن يفعل فعل، وإن شاء أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۶۹

يترك ترك، بدليل أنّه صنع العالم فى وقت دون آخر.

«المسألة ۶» اللَّه تعالى قادر على كلّ مقدور، وعالم بكلّ معلوم، بدليل أنّ نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدسة المنزّهة على السويّة، فاختصاص قدرته تعالى وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجّح، وهو محال.

«المسألة ۷» اللَّه تعالى عالم، بمعنى أنّ الأشياء منكشفة واضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه، بدليل أنّه تعالى فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكلّ من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة.

«المسألة ۸» اللَّه تعالى يدرك لا بجارحة، بل بمعنى أنّه يعلم ما يُدرَك بالحواسّ، لأنّه منزّه عن الجسم ولوازمه، بدليل قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ «۱»

فمعنى قوله تعالى: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ «۲»

أنّه عالم بالمسموعات لا بإذن، وبالمبصرات لا بعين.

«المسألة ۹» اللَّه تعالى حىّ، بمعنى أنّه يصحّ منه أن يقدر ويعلم، بدليل أنّه ثبتت له القدرة والعلم وكلّ من ثبتت له ذلك فهو حىّ بالضرورة.

«المسألة ۱۰» اللَّه تعالى متكلّم لا بجارحة، بل بمعنى أنّه أوجد الكلام فى جرم من الأجرام، أو جسم من الأجسام، لإيصال عظمته إلى الخلق، بدليل قوله تعالى: وَكَلَّمَ اللَّه مُوسى تَكْلِيماً «۳»

ولأنّه قادر، فالكلام ممكن.

«المسألة ۱۱» اللَّه تعالى صادق، بمعنى أنّه لا يقول إلّاالحقّ الواقع، بدليل أنّ كلّ كذب قبيح، واللَّه تعالى منزّه عن القبيح.

«المسألة ۱۲» اللَّه تعالى مريد، بمعنى أنّه رجح الفعل إذا علم المصلحة (يعنى أنّه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۰

غير مضطر وأنّ إرادته غير واقعة تحت إرادة أُخرى، بل هى الإرادة العليا التى إن رأى صلاحاً فعل، وإن رأى فساداً لم يفعل، باختيار منه تعالى) بدليل أنّه ترك إيجاد بعض الموجودات فى وقت دون وقت، مع علمه وقدرته- على كلّ حال- بالسويّة. ولأنّه نهى، وهو يدلّ على الكراهة.

«المسألة ۱۳» أنّه تعالى واحد، بمعنى أنّه لا شريك له فى الأُلوهية، بدليل قوله:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ «۱»

ولأنّه لو كان له شريك لوقع التمانع، ففسد النظام، كما قال: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلّااللَّه لَفَسَدَتَا «۲»

.

«المسألة ۱۴» اللَّه تعالى غير مركَّب من شىء، بدليل أنّه لو كان مركّباً لكان مفتقراً إلى الأجزاء، والمفتقر ممكن.

«المسألة ۱۵» اللَّه تعالى ليس بجسم، ولا عرض، ولا جوهر، بدليل أنّه لو كان أحد هذه الأشياء لكان ممكناً مفتقراً إلى صانع، وهو محال.

«المسألة ۱۶» اللَّه تعالى ليس بمرئى بحاسّة البصر فى الدنيا والآخرة، بدليل أنّه تعالى مجرّد، ولأنّ كلّ مرئى لابدّ أن يكون له الجسم والجهة، واللَّه تعالى منزّه عنهما ولأنّه تعالى قال: لَنْ تَرَانِى «۳»

وقال: لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ «۴»

.

«المسألة ۱۷» اللَّه تعالى ليس محلّاً للحوادث، وإلّا لكان حادثاً، وحدوثه محال.

«المسألة ۱۸» اللَّه تعالى لا يتّصف بالحلول، بدليل أنّه يلزم قيام الواجب بالممكن، وذلك محال.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۱

«المسألة ۱۹» اللَّه تعالى لا يتّحد بغيره؛ لأنّ الاتّحاد صيرورة الشىء واحداً من غير زيادة ونقصان، وذلك محال، واللَّه لا يتّصف بالمحال.

«المسألة ۲۰» اللَّه تعالى منفىّ عنه المعانى والصفات الزائدة، بمعنى أنّه ليس عالماً بالعلم، ولا قادراً بالقدرة (بل علم كلّه، وقدرة كلّها)، بدليل أنّه لو كان كذلك لزم كونه محلّاً للحوادث لو كانت حادثة، وتعدّد القدماء لو كانت قديمة، وهما محالان، وأيضاً لزم افتقار الواجب إلى صفاته المغايرة له، فيصير ممكناً، وهو ممتنع.

«المسألة ۲۱» اللَّه تعالى غنىّ، بمعنى أنّه غير محتاج إلى ما عداه، والدليل عليه أنّه واجب الوجود لذاته، فلا يكون مفتقراً.

«المسألة ۲۲» اللَّه تعالى ليس فى جهة، ولا مكان، بدليل أنّ كلّ ما فى الجهة والمكان مفتقر إليهما، وأيضاً قد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، فلا يكون فى المكان والجهة.

«المسألة ۲۳» اللَّه تعالى ليس له ولد ولا صاحبة، بدليل أنّه قد ثبت عدم افتقاره إلى غيره، ولأنّ كلّ ما سواه تعالى ممكن، فكيف يصير الممكن واجباً بالذات، ولقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ «۱»

و: مَثَلَ عِيسى عِندَ اللَّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ «۲»

.

«المسألة ۲۴» اللَّه تعالى عـدل حكيم، بمعنى أنّه لا يفعل قبيحاً، ولا يخلّ بالواجب بدليل أنّ فعل القبيح، والإخلال بالواجب نقص عليه، فاللَّه تعالى منزّه عن كلّ قبيح وإخلال بالواجب.

«المسألة ۲۵» الرضا بالقضاء والقـدر واجب، وكلّ ما كان أو يكون فهو بالقضاء والقـدر ولا يلزم بهما الجبر والظلم؛ لأنّ القدر والقضاء هاهنا بمعنى العلم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۲

والبيان، والمعنى أنّه تعالى يعلم كلّ ما هو (كائن أو يكون) «۱».

«المسألة ۲۶» كلّ ما فعله اللَّه تعالى فهو أصلح، وإلّا لزم العبث، وليس تعالى بعابث؛ لقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً «۲»

.

«المسألة ۲۷» اللّطف على اللَّه واجب؛ لأنّه خَلَق الخلق، وجَعَل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، (واللَّه لا يفعل القبيح) فاللطف هو نصب الأدلّة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل فى زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام؛ لئلّا ينقطع خيط غرضه.

«المسألة ۲۸» نبيّنا محمّـد بن عبـد اللَّه بن عبـد المطّلب بن هاشم بن عبـد مناف، رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله حقّاً صـدقاً، بدليل أنّه ادّعى النبـوّة وأظهر المعجزات على يـده، فثبت أنّه رسول حقّاً، وأكبر المعجزات القرآن الحميـد والفرقـان المجيـد، الفـارق بين الحقّ والباطل، باق إلى يوم القيامة، حجّة على كافّة النسمة.

ووجه كونه معجزاً: فرط فصاحته وبلاغته، بحيث ما تمكّن أحد من أهل الفصاحة والبلاغة حيث تُحُدّوا به، أن يأتوا ولو بسورة مصغّرة، أو آية تامّة مثله.

«المسألة ۲۹» كان نبياً على نفسه قبل البعثة، وبعده رسولًا إلى كافة النسمة لأنّه قال: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين» وإلّا لزم تفضيل المفضول، وهو قبيح.

«المسألة ۳۰» جميع الأنبياء كـانوا معصومين، مطهّرين عن العيوب والـذنوب كلّها، وعن السهو والنسيان فى الأفعال والأقوال، من أوّل الأعمار إلى اللحد، بدليل أنّهم لو فعلوا المعصية أو يطرأ عليهم السهو لسقط محلُّهم من القلوب، فارتفع الوثوق والاعتماد على أقوالهم وأفعالهم، فتبطل فائدة النبوّة، فما ورد فى الكتاب (القرآن) فيهم فهو واجب التأويل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۳

«المسألة ۳۱» يجب أن يكون الأنبياء أعلم وأفضل أهل زمانهم؛ لأنّ تفضيل المفضول قبيح.

«المسألة ۳۲» نبيّنـا خـاتم النبيين والمرسلين، بمعنى أنّه لا نبيّ بعـده إلى يوم القيامـة، يقول تعالى: ما كَانَ مُحَمَّداً أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللَّه وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ «۱»

.

«المسألة ۳۳» نبيّنـا أشـرف الأنبيـاء والمرسلين؛ لأنّه ثبتت نبوّته، وأخبر بأفضـليته فهو أفضل، لمّا قال لفاطمـة عليها السـلام: «أبوك خير الأنبياء، وبعلك خير الأوصـياء، وأنت سـيدة نساء العالمين، وولدك الحسن والحسين عليهما السـلام سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما» «۲».

«المسألة ۳۴» معراج الرسول بالجسم العنصـرى علانية، غير منام، حقّ، والأخبار عليه بالتواتر ناطقة، صريحة، فمنكره خارج عن الإسلام، وأنّه مرّ بالأفلاك من أبوابها من دون حاجة إلى الخرق والالتيام، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالّها.

«المسألة ۳۵» دين نبيّنا ناسـخ للأديان السابقـة؛ لأنّ المصالـح تتبـدّل حسب الزمان والأشـخاص كما تتبدّل المعالجات لمريض بحسب

تبدّل المزاج والمرض.

«المسألة ۳۶» الإمام بعد نبيّنا عليٌّ بن أبى طالب عليه السلام بدليل قوله صلى الله عليه و آله: «يا على أنت أخى ووارث علمى وأنت الخليفة من بعدى، وأنت قاضى دينى، وأنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنّه لا نبىّ بعدى» «۳»، وقوله: «سلّموا على علىّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۴

بإمرة المؤمنين، واسمعوا له وأطيعوا له، وتَعَلّموا منه ولا تُعَلّموه» «۱»، وقوله:

«من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» «۲».

«المسألة ۳۷» الأئمّة بعد علىّ عليه السلام أحد عشر من ذرّيته: الأوّل منهم ولده الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علىّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علىّ بن موسى، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ علىّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن علىّ، ثمّ الخلف الحجّة القائم المهدى الهادى ابن الحسن صاحب الزمان، فكلّهم أئمّة الناس واحد بعد واحد، حقّاً، بدليل أنّ كل إمام منهم نصّ على من بعده نصّاً متواتراً بالخلافة، وقوله: «الحسين إمام، ابن إمام، أخو إمام، أبو الأئمّة التسعة، تاسعهم قائمهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً».

«المسألة ۳۸» يجب أن يكون الأئمّة معصومين مطهّرين من الذنوب كلّها، صغيرة وكبيرة عمداً وسهواً، ومن السهو فى الأفعال والأقوال، بدليل أنّه لو فعلوا المعصية لسقط محلّهم من القلوب، وارتفع الوثوق، وكيف يهدون بالضالّين المضلّين، ولا معصوم غير الأئمّة الاثنى عشر إجماعاً، فثبت إمامتهم.

«المسألة ۳۹» يجب أن يكون الأئمّة أفضل وأعلم، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضول، أو الترجيح بلا مرجّح، ولا يحصل الانقياد به، وذلك قبيح عقلًا ونقلًا، وفضل أئمّتنا وعلمهم مشهور، بل أفضليتهم أظهر من الشمس وأبين من الأمس.

«المسألة ۴۰» يجب أن نعتقد أنّ آباء نبيّنا وأئمّتنا مسلمون أبداً، بل أكثرهم كانوا أوصياء، فالأخبار عند أهل البيت على إسلام أبى طالب مقطوعة، وسيرته

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۵

تدل عليه، ومثله مثل مؤمن آل فرعون.

«المسألة ۴۱» الإمام المهدى المنتظر محمّد بن الحسن قد تولّد فى زمان أبيه، وهو غائب حىّ باق إلى بقاء الدنيا؛ لأنّ كلّ زمان لابدّ فيه من إمام معصوم لما انعقد عليه إجماع الأُمّة على أنّه لا يخلو زمان من حجّة ظاهرة مشهورة أو خافية مستورة، ولأنّ اللطف فى كلّ زمان واجب، والإمام لطف، فوجوده واجب.

«المسألة ۴۲» لا استبعاد فى طول عمره؛ لأنّ غيره من الأُمم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعداً، كشعيب ونوح ولقمان وخضر وعيسى عليهم السلام وإبليس والدجّال، ولأنّ الأمر ممكن، واللَّه قادر على جميع الممكنات.

«المسألة ۴۳» غيبة المهدى لا- تكون من قبل نفسه؛ لأنّه معصوم، فلا يخلّ بواجب، ولا من قبل اللَّه تعالى، لأنّه عدل حكيم، فلا يفعل القبيح؛ لأنّ الإخفاء عن الأنظار وحرمان العباد عن الإفادات قبيحان. فغيبته لكثرة العدوّ والكافر، ولقلّة الناصر.

«المسألة ۴۴» لابدّ من ظهور المهدى، بدليل قول النبى صلى الله عليه و آله: «لو لم يبق من الدنيا إلّاساعة واحدة لطوّل اللَّه تلك الساعة حتّى يخرج رجل من ذرّيتى، اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً» «۱».

ويجب على كلّ مخلوق متابعته.

«المسألة ۴۵» فى غيبة الإمام فائدة، كما تنير الشمس تحت السحاب، والمشكاة من وراء الحجاب.

«المسألة ۴۶» إنّ اللَّه يعيد الأجسام الفانية كما هى فى الدنيا، ليوصل كلّ حق إلى المستحقين، وذلك أمر ممكن، والأنبياء أخبروا به، لا سيّما القرآن المجيد مشحون به ولا مجال للتأويل، فالاعتقاد بالمعاد الجسمانى واجب.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۶

«المسألة ۴۷» كلّ ما أخبر به النبىّ أو الإمام فاعتقاده واجب، كإخبارهم عن نبوّة الأنبياء السابقين، والكتب المنزلة، ووجود الملائكة، وأحوال القبر وعذابه وثوابه، وسؤال منكر ونكير، والإحياء فيه، وأحوال القيامة وأهوالها، والنشور، والحساب والميزان، والصراط، وإنطاق الجوارح، ووجود الجنّة والنار، والحوض الذى يسقى منه أمير المؤمنين العطاشى يوم القيامة، وشفاعة النبى والأئمّة لأهل الكبائر من محبّيه، إلى غير ذلك، بدليل أنّه أخبر بذلك المعصومون.

«المسألة ۴۸» التوبة- وهى الندم على القبيح فى الماضى، والترك فى الحال، والعزم على عدم المعاودة إليه فى الاستقبال- واجبة، لدلالة السمع على وجوبها، ولأنّ دفع الضرر واجب عقلًا.

«المسألة ۴۹» الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر واجبان، بشرط تجويز التأثير والأمن من الضرر «۱».

ما هو الهدف من نقل هذه الرسائل؟

ما هو الهدف من نقل هذه الرسائل؟

۱- إنّ هذه الرسائل تدلّ بوضوح لا يقبل الشكّ أنّ جلّ عقائد الشيعة تمتد جذورها الحقيقية فى كتاب اللَّه المنزل وسنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وما جاء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأنّ صورة هذه العقائد كانت تبدو واضحة المعالم ومستوعبة لجميع الجوانب المرتبطة بالمعارف الإلهية.

۲- تنبثّ فى ثنايا هذه الرسائل آراء خاصّة لمؤلّفيها، ربّما يقع فيها النقاش والجدال والخلاف مع غيرهم من علماء الشيعة، فليس كلّ ما جاء فيها عقيدة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۷

لجميع علماء الشيعة ومؤلّفيهم، إلّاأنّ ما يهمّنا من الإشارة إليه هو أنّ هذه الرسائل تمثّل عقائد الشيعة فى مجال صفات اللَّه سبحانه وأفعاله، وما يرجع إلى النبوّة والإمامة، والحياة الأُخروية، خصوصاً فيما يرجع إلى الاعتقاد بمقامات الأئمّة وصفاتهم. فمن يريد أن يتعرّف بوضوح على عقائد الشيعة فليرجع إليها.

۳- إنّ الإمعان فى الأُصول التى جاءت فى هذه الكتب والرسائل يعرب عن اتّفاق الشيعة فى أكثر مسائلهم العقائدية مع عموم عقائد المسلمين. وإن كانوا يختلفون عنهم فى أُصول تختصّ بمجال الإمامة والقيادة بعد الرسول.

وسنحاول فى الصفحات اللاحقة أن نستعرض أهمّ الفوارق الجوهرية بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، والتى لا- يمكن أن تكون حدّاً فاصلًا دون التقارب بين هذه المذاهب ونبذ الاختلاف بينها، والذى لن يفيد إلّاأعداء هذا الدين والمتربّصين به، وسنشرع فى أوّل بحثنا المقتضب هذا فى تحديد الاختلافات التى أشرنا إليها بين الشيعة والمعتزلة، وبين الشيعة والأشاعرة، وذلك لما كانت تؤلّفه هاتان الفرقتان من جبهة واسعة من جمهور المسلمين إبّان تلك العصور السالفة.

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

إنّ المتأمّل فى مجمل عقائد هاتين الفرقتين يمكنه أن يتبيّن بوضوح جوانب الاتفاق والاختلاف فيما بينهما، وهو ما سنحاول أن نشير إليه اختصاراً فى نقاط محدّدة واضحة، وإذا كان البعض قد اعتقد جهلًا بأنّ الشيعة قد أخذت عقائدها عن المعتزلة فإنّه يردّ بأكثر من دليل، نحن فى غنى عن إيرادها الآن، إلّاأنّه لا ينفى أنّ بين هاتين الطائفتين أُصول مشتركة نذكرها فى حينها، وهو ما قد يتّفق مع غير

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۸

ذلك من فرق المسلمين المختلفة:

۱- الشفاعة: أجمع المسلمون كافّة على ثبوت أصل الشفاعة وأنّها تقبل من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، إلّاأنّهم اختلفوا في تعيين المشفَّع، فقالت الإمامية والأشاعرة:

إنّ النبيّ يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم أو بإخراجهم من النار، وقالت المعتزلة: لا يشفع إلّاللمطيعين، المستحقّين للثواب، وتكون نتيجة الشفاعة ترفيع الدرجة.

۲- مرتكب الكبيرة: هو عند الإمامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل منزلته بين المنزلتين؛ أي بين الكفر والإيمان.

۳- الجنّة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة: إنّهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة يذهب إلى أنّهما غير موجودتين.

۴- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اتّفق المسلمون على وجوبهما، فقالت الإمامية والأشاعرة: يجبان سمعاً، ولولا النص لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا: بوجوبهما عقلًا.

۵- الإحباط: اتّفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الإحباط، وقالوا: لكلّ عمل حسابه الخاصّ، ولا ترتبط الطاعات بالمعاصي ولا المعاصي بالطاعات، والإحباط يختصّ بذنوب خاصة كالشرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلة حيث قالوا:

إنّ المعصية المتأخّرة تسقط الثواب المتقدم، فمن عَبَدَ اللَّه طول عمره ثمّ كذب فهو كمن لم يعبد اللَّه أبداً.

۶- الشرع والعقل: تشدّدت المعتزلة في تمسّكهم بالعقل، وتشدّد أهل الظاهر في تمسكهم بظاهر النصّ، وخالفهما الإمامية والأشاعرة، فأعطوا للعقل سهماً فيما له مجال القضاء، نعم أعطت الإمامية للعقل مجالًا أوسع ممّا أعطته الأشاعرة.

وسيوافيك تفصيله عند ذكر اختلاف الإمامية مع الأشاعرة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۷۹

۷- اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّ قبول التوبة بفضل من اللَّه ولا يجب عقلًا إسقاطها للعقاب، وقالت المعتزلة: إنّ التوبة مسقطة للعقاب على وجه الوجوب.

۸- اتفقت الإمامية على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك.

۹- اتفقت الإمامية على أنّ الانسان غير مسيّر ولا مفوّض إليه، بل هو في ذلك المجال بين أمرين، بين الجبر والتفويض، وأجمعت المعتزلة على التفويض.

۱۰- اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّه لابدّ في أوّل التكليف وابتدائه من رسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أنّ العقول تعمل بمجردها عن السمع.

هذه هي الأُصول التي خالفت الإمامية فيها المعتزلة ووافقت فيها الأشاعرة، وهناك أُصول أُخرى تجد فيها موافقة الإمامية للمعتزلة ومخالفتها للأشاعرة، وإليك بعضها:

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

هناك أُصول خالفت الإمامية فيها الأشاعرة، مخالفة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمّتهم، ونذكر المهم منها:

۱- اتّحاد الصفات الذاتية مع الذات: إنّ للَّه سبحانه صفاتٍ ذاتية كالعلم والقدرة، فهي عند الأشاعرة صفات قديمة مغايرة للذات زائدة عليها، وهي عند الإمامية والمعتزلة متّحدة مع الذات.

۲- الصفات الخبرية الواردة في الكتاب والسنّة، كالوجه والأيدي والاستواء وأمثالها، فالشيعة الإمامية يؤوّلونها تأويلًا مقبولًا لا تأويلًا

مرفوضاً؛ أى أنّها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۰

تأخذ بالمفهوم التصديقى للجملة لا بالمفهوم التصوّرى للمفردات، فيقولون: إنّ معنى: بَل يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاء «۱»

معناه: أنّه برىء من البخل، بل هو باذل وسخىّ، وقادر على البذل. وأمّا الأشاعرة فهم يفسّرونها بالمفهوم التصوّرى ويقولون: إنّ للّه سبحانه يدين، إلّاأنّهم يتهرّبون عن التجسيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف.

۳- أفعال العباد عند الإمامية صادرة من نفس العباد، صدوراً حقيقياً بلا مجاز أو توسّع، فالإنسان هو الضارب، هو الآكل، هو القاتل، هو المصلّى، هو القارئ وهكذا، وقد قلنا: إنّ استعمال كلمة «الخلق» فى أفعال الإنسان استعمال غير صحيح، فلا يقال: خلقت الأكل والضرب والصوم والصلاة، وإنّما يقال: فعلتها، فالصحيح أن يقال: إنّ الإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدرة مكتسبة من اللّه، وإنّ قدرته المكتسبة هى المؤثّرة بإذن من اللّه سبحانه.

وأمّا الأشاعرة فذهبوا إلى أنّ أفعال العباد مخلوقة للّه سبحانه، فليس للإنسان فيها صنع ولا دور، وليس لقدرته أىّ تأثير فى تحقّق الفعل، وأقصى ما عندهم أنّ إرادة الإنسان للعقل تقارن إيجاد اللّه سبحانه فعله فى عالم التكوين والوجود.

إلّا أنّهم وتحاشياً من الذهاب إلى الجبر فى تلك الأفعال وبالتالى إقصاء الإنسان عن أفعاله، ومن ثمّ براءته من مسؤوليتها عمدوا إلى ابتداع نظرية الكسب المعقدة فقالوا: إنّ اللّه هو الخالق والإنسان هو الكاسب، إلّاأنّها نظرية غريبة غير مفهومة، ومليئة بالألغاز التى عجز عن فهمها وإيضاحها حتّى مبتدعوها أنفسهم.

۴- إنّ الاستطاعة فى الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة، وتتقدّم عليه أُخرى؛ فلو أُريد من القدرة العلّة التامّة فهى مقارنة، ولو أُريد العلّة الناقصة فهى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۱

متقدّمة، خلافاً للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقاً.

۵- رؤية اللّه بالأبصار فى الآخرة: فهى مستحيلة عند الإمامية والمعتزلة، ممكنة عند الأشاعرة.

۶- كلامه سبحانه عند الإمامية هو فعله، فهو حادث لا قديم، وهذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات.

۷- التحسين والتقبيح العقليان: ذهبت الإمامية إلى أنّ العقل يدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أنّ نفس الفعل من أى فاعل صدر، سواء أكان الفاعل قديماً أو حادثاً، واجباً أو ممكناً، يتّصف بأحدهما، فيرى مقابلة الإحسان بالإحسان أمراً حسناً، ومقابلته بالإساءة أمراً قبيحاً، ويتلقّاه حكماً مطلقاً سائداً على مرّ الحقب، والأزمان، لا يغيّره شىء، وهذا خلافاً للأشاعرة؛ فقد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيح، وبذلك خالفوا الإمامية والمعتزلة فى الفروع المترتّبة عليه.

هذه هى الأُصول التى تخالف فيها الإمامية الأشاعرة، وربّما توافقهم المعتزلة فى جميعها أو أكثرها، كلّ ذلك يثبت أنّ للشيعة الإمامية منهجاً كلامياً خاصّاً نابعاً من الكتاب والسنّة، وكلمات العترة الطاهرة والعقل فيما له مجال القضاء، وليست الشيعة متطفّلة فى منهجها الكلامى على أيّة من الطائفتين. وأنت إذا وقفت على الكتب الكلامية المؤلّفة فى العصور المتقدّمة من عصر فضل بن شاذان (ت ۲۶۰ ه) إلى عصر شيخنا الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰ ه) ومن بعده بقليل، تجد منهجاً كلامياً مبرهناً متّزناً واضحاً لا تعقيد فيه ولا غموض، وعلى تلك الأُصول وذلك المنهج درج علماؤهم المتأخّرون فى الأجيال التالية، فألّف الشيخ الحلبى (۳۷۴- ۴۴۷ ه) «تقريب المعارف» والشيخ سديد الدين الحمصى (ت ۶۰۰ ه) كتابه «المنقذ من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۲

التقليد»، وتوالى بعدهم التأليف على يد الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسى (۵۹۷- ۶۷۲ ه) وابن ميثم البحرانى (ت ۵۸۹ ه) فى

«تقريب المعارف»، وتلميذه العلّامة الحلّى (۶۴۸- ۷۲۶ ه) فى جملة من المؤلّفات القيّمة. وهكذا... فإنّ كلّ ذلك يكشف عن أنّ الأئمّة طرحوا أُصول العقائد، وغذّوا أصحابهم وتلاميذهم بمعارف سامية، اعتبر الحجر الأساس للمنهج الكلامى الشيعى، وتكامل المنهج من خلال الجدل الكلامى والنقاش العلمى فى الظروف المتأخّرة فوصل إلى الذروة والقمّة.

فالناظر فى الكتب الكلامية للسيّد الشريف المرتضى ک «الشافى» «۱» و «الذخيرة» «۲» يجد منبعاً غنيّاً بالبحوث الكلامية، كما أنّ الناظر فى كتب العلّامة الحلّى المختلفة ک «كشف المراد» «۳» و «نهاية المرام» «۴» وغيرهما يقف على أفكار سامية أنضجها البحث والنقاش عبر القرون، فبلغت غايتها القصوى.

وقد توالى التأليف فى عقائد الشيعة وأُصولهم من العصور الأُولى إلى يومنا هذا، بشكل واسع لا يحصيه إلّامحصى قطرات المطر وحبّات الرمال.

هذا وإنّ الشيعة وإن خالفوا فى هذه الأُصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف أُخرى، ولكن هناك أُصول اتّفق الجميع فيها دون استثناء، وهو ظاهر لمن قرأ ما أثبتناه من الرسائل والكتيبات.

أفما آن للمسلمين أن يتّحدوا فى ظلّ هذه الأُصول المؤلّفة لقلوبهم، ويستظلّوا بظلالها، ويتمسّكوا بالعروة الوثقى، ويكون شعارهم: إنّما المؤمنون إخوة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۳

فأصلِحوا بينَ أخويكم ولا يصغوا إلى النعرات المفرّقة، المفترية على الشيعة وأئمّتهم، وليكن شعارنا فى التأليف: التحقيق والتأكّد من عقائد الآخرين، ثمّ التدوين.

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائر الفرق

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائر الفرق

إذا تعرّفت على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين، فهلمّ معى إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف التى صيّرتهم إلى فرقتين متمايزتين، وأكثرها يرجع إلى مسألة القيادة والخلافة بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۴

المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللَّه سبحانه

المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللَّه سبحانه

المسألة الأُولى: وجوب تنصيب الإمام على اللَّه سبحانه

تتّفق جميع الفرق الإسلامية على وجوب نصب الإمام، سوى العجاردة من الخوارج، ومنهم حاتم الأصمّ أحد شيوخ المعتزلة (ت ۲۳۷) «۱» قد شذّوا عن ذلك، واعتقاد المسلمين بذلك يفترق إلى مذهبين اثنين فى ماهيّة هذا الوجوب، فالشيعة يذهبون إلى وجوبه على اللَّه تعالى، وباقى الفرق على الأُمّة؛ فوجوب نصب الإمام لا خلاف فيه بين المسلمين، وإنّما الكلام فى تعيين من يجب عليه ذلك.

وليس المراد من وجوبه على اللَّه سبحانه، هو إصدار الحكم من العباد على اللَّه سبحانه، حتّى يقال: إنِ الحُكْمُ إلّاللَّه «۲»

بل المراد كما ذكرنا غير مرّة: أنّ العقل- حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيماً غير عابث- يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب أو عدمه، وإلّا فالعباد أقصر من أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۵

يكونوا حاكمين على اللّه سبحانه.

ثمّ إنّ اختلاف المسلمين فى كون النصب فرضاً على اللّه أو على الأُمّة ينجم عن اختلافهم فى حقيقة الخلافة والإمامة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله. فمن ينظر إلى الإمام بوصفه رئيس دولة ليس له وظيفة إلّاتأمين الطرق والسبل، وتوفير الأرزاق، وإجراء الحدود، والجهاد فى سبيل اللّه، إلى غير ذلك ممّا يقوم به رؤساء الدول بأشكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الأُمّة؛ إذ لا يشترط فيه من المواصفات إلّاالكفاءة والمقدرة على تدبير الأُمور، وهذا ما يمكن أن تقوم به الأُمّة الإسلامية.

وأمّا على القول بأنّ الإمامة استمرار لوظائف الرسالة (لا لنفس الرسالة فإنّ الرسالة والنبوّة مختومتان بالتحاق النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بالرفيق الأعلى) فمن المتّفق عليه أنّ تعهّد هذا الأمر يتوقّف على توفّر صلاحيات عالية لا ينالها الفرد إلّاإذا حظى بعناية إلهية خاصّة، فيخلف النبىّ فى علمه بالأُصول والفروع، وفى سدّ جميع الفراغات الحاصلة بموته، ومن المعلوم أنّ هذا الأمر لا تتعرّف عليه الأُمّة إلّاعن طريق الرسول، ولا يتوفّر وجوده إلّابتربية غيبيَّة وعناية سماوية خاصّة.

وهكذا فلا يخفى أنّ كون القيادة الإسلامية بعد النبىّ صلى الله عليه و آله بيد اللّه أو بيد الأُمّة، أو أنّ التعيين هل هو واجب عليه سبحانه أو عليهم، ينجم عن الاختلاف فى تفسير ماهية الخلافة.

فمن جعلها سياسة زمنية وقتية يشغلها فرد من الأُمّة بأحد الطرق، قال فى حقّه: «لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه، وترك طاعته فى شىء ممّا يدعو إليه من معاصى اللّه» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۶

ومن قال: بأنّ الإمام بعد الرسول أشبه برئيس الدولة أو أحد الحكام، وتنتخبه الأُمّة الإسلامية، قال فى حقّه: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أُمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة اللّه فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة. والحجّ والجهاد ماضيان مع أُولى الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، ولا يبطلهما شىء، ولا ينقضهما» «۱».

وقد درج على هذه الفكرة متكلّمو السنّة ومحدّثوهم، حتّى قال التفتازانى:

«ولا ينعزل الإمام بالفسق، أو بالخروج عن طاعة اللّه تعالى، والجور (الظلم على عباد اللّه) لأنّه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمّة والأُمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم، ونقل عن كتب الشافعية: أنّ القاضى ينعزل بالفسق بخلاف الإمام، والفرق أنّ فى انعزاله ووجوب نصب غيره إثارة الفتنة؛ لما له من الشوكة؛ بخلاف القاضى» «۲».

أمّا من فسّر الإمامة بأنّها عبارة عن إمرة إلهية واستمرار لوظائف النبوّة كلّها سوى تحمّل الوحى الإلهى، فلا مناص له عن القول بوجوب نصبه على اللّه سبحانه.

وقد استدلّت الإمامية على وجوب نصب الإمام على اللّه سبحانه: بأنّ وجود الإمام الذى اختاره اللّه سبحانه، مقرّب من الطاعات، ومبعد عن المعاصى، وقد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۷

أوضحوه فى كتبهم الكلامية. والمراد من اللطف المقرّب هنا ما عرفت من أنّ رحلة النبى الأكرم تترك فراغات هائلة بين الأُمّة فى مجالى العقيدة والشريعة، كما تترك جدالًا ونزاعاً عنيفاً بين الأُمّة فى تعيين الإمام. فالواجب على اللّه سبحانه من باب اللطف هو سدّ هذه الفراغات بنصب من هو صنو النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى علمه بالعقيدة والشريعة، وفى العدالة والعصمة، والتدبير والحنكة، وحسم مادة النزاع المشتعل برحلة الرسول صلى الله عليه و آله، ولمّ شعث الأُمّة، وجمعهم على خطّ واحد.

والغريب أنّ المعتزلة الذين يذهبون إلى وجوب اللطف والأصلح على اللَّه سبحانه، يشذّون فى هذا المقام عن معتقدهم هذا، مع العلم بأنّ هذا المورد من جزئياته، والذى منعهم عن الالتزام بالقاعدة فى المقام بأنّهم لو قالوا بها فى هذه المسألة لزمهم أن يقولوا بعدم صحّة خلافة الخلفاء المتقدّمين على عليّ؛ لأنّ قاعدة اللطف تقتضى أن يكون الخليفة منصوصاً عليه من اللَّه سبحانه.

ثمّ إنّك قد تعرّفت على أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله- و بوحى من اللَّه سبحانه- قام بتطبيق القاعدة، ونصب إماماً للأُمّة؛ ليقود أمرهم ويسدّ جميع الفراغات الحاصلة بلحوقه بالرفيق الأعلى، وبذلك حسم مادة النزاع، وقطع الطريق على المشاغبين، ولكنّه- وللأسف- تناست الأُمّة وصيّة الرسول صلى الله عليه و آله وأمره، فانقسموا إلى طوائف وأحزاب، وقامت بينهم المعارك والحروب التى أُريقت فيها الدماء، واستبيحت بسببها الأعراض، وتبدّلت نتيجة لذلك المفاهيم، واختلفت القيم، واستثمر أعداء الدين هذه الاختلافات بين المسلمين فعمدوا إلى زيادة الهوّة بينهم وكرّسوا لذلك أقصى جهودهم حتّى أصبح التقريب فضلًا عن الوحدة أمراً متعسّراً على المفكّرين، نسأل اللَّه سبحانه أن يسدّ تلك الفجوة العميقة بإيقاظ شعور علماء الأُمّة ومصلحيهم فى المستقبل القريب إن شاء اللَّه تعالى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۸

المسألة الثانية: عصمة الإمام

المسألة الثانية: عصمة الإمام

اشارة

المسألة الثانية: عصمة الإمام

تفرّدت الإمامية من بين الفرق الإسلامية بإيجابها عصمة الإمام من الذنب والخطأ، مع اتّفاق غيرهم على عدمها.

قال الشيخ المفيد: إنّ الأئمّة معصومون كعصمة الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة إلّاما قدّم ذكر جوازه على الأنبياء، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، ولا يدخل فى مفهوم العصمة سلب القدرة عن المعاصى، ولا كون المعصوم مضطرّاً إلى فعل الطاعات؛ فإنّ ذلك يستدعى بطلان الثواب والعقاب.

هذه هى عقيدة الإمامية فى الإمامة، و قد استدلّوا عليها بوجوه من العقل والسمع.

أمّا العقل فقالوا: إنّ الإمام منفّذ لما جاء به الرسول، وحافظ للشرع، وقائم بمهام الرّسول كلّها، فلو جاز عليه الخطأ والكذب، لا يحصل الغرض من إمامته.

حقيقة العصمة

حقيقة العصمة

العصمة قوّة تمنع صاحبها من الوقوع فى المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً، ولا يفعل محرّماً، مع قدرته على الترك والفعل، وإلّا لم يستحقّ مدحاً ولا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۸۹

ثواباً، وإن شئت قلت: إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم فى الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً.

وليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وإنّما دلّهم عليها فى حقّ العترة الطاهرة كتاب اللَّه وسنّة رسوله، قال سبحانه: إِنَّما يُرِيدُ اللَّه

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۱»
وليس المراد من الرجس إلّاالرجس المعنوى، وأظهره هو الفسق.
وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «على مع الحقّ والحقّ مع علىّ يدور معه كيفما دار» «۲»
ومن دار معه الحقّ كيفما دار محال أن يعصى أو أن يخطأ، وقوله صلى الله عليه و آله فى حقّ العترة:
«إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وعترتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً» «۳»
فإذا كانت العترة عدل القرآن والقرآن هو كلام اللَّه تعالى، فمن المنطقى أن تكون معصومة كالكتاب، لا يخالف أحدهما الآخر.
وإذا توضّحت الصورة الحقيقية لتبلور عقيدة العصمة عند الشيعة، وإنّ منشأها هو الكتاب والسنّة، فإنّ هذا الوضوح لم يتحسّسه البعض، بل ولم يكلّف نفسه عناء التثبّت من حقيقة مدّعياته وتصوّراته، حيث يقول:
«إنّ عقيدة العصمة تسرّبت إلى الشيعة من الفرس الذين نشأوا على تقديس الحاكم، لهذا أطلق عليها العرب النزعة الكسروية، ولا أعرف أحداً من العرب قال ذلك فى حدود اطّلاعى، ولعلّ غالبية الشيعة كانت ترمى من وراء هذه الفكرة إلى تنزيه علىّ من الخطأ حتّى يتضح للملأ عدوان بنى أُمية فى اغتصاب الخلافة.
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۰
هذا وفى اليهودية كثير من المذاهب التى تسرَّبت إلى الشيعة» «۱».
هكذا ودون أىّ دليل وبيّنة متناسياً أنّ جميع المسلمين يذهبون إلى عصمة النبىّ صلى الله عليه و آله ولا يختلف فى ذلك أحد، فهل إنّ هذه الفكرة تسرّبت إلى أهل السنّة من اليهود؟! أو أنّ المسلمين أرادوا بذلك إيضاح عداوة قريش للنبىّ صلى الله عليه و آله؟ أو غير ذلك من التخرصات الباطلة؟!!
لا واللَّه إنّها عقيدة إسلامية واقتبسها القوم من الكتاب والسنّة من دون أخذ من اليهود والفرس، فما ذكره الكاتب تخرُّص بالغيب، بل فرية واضحة.
إنّ الاختلاف فى لزوم توصيف الإمام وعدمه، ينشأ من الاختلاف فى تفسير الإمامة بعد الرسول وماهيتها وحقيقتها كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، فمن تلقّى الإمامة- بعد الرسول- بأنّها مقام عرفى لتأمين السبل، وتعمير البلاد، وإجراء الحدود، فشأنه شأن سائر الحكّام العرفيين. وأمّا من رأى الإمامة بأنّها استمرار لتحقيق وظيفة الرسالة، وأنّ الإمام ليس نبيّاً ولا يوحى إليه، لكنّه مكلّف بملء الفراغات الحاصلة برحلة النبىّ صلى الله عليه و آله، فلا محيص له عن الالتزام بها؛ لأنّ الغاية المنشودة لا تحصل بلا تسديد إلهى كما سيوافيك، نعم إنّ أهل السنّة يتحرَّجون من توصيف الإمام بالعصمة، ويتصوّرون أنّ ذلك يلازم النبوّة، وما هذا إلّاأنّهم لا يفرّقون بين الإمامتين، وأنّ لكلٍّ معطياته. والتفصيل موكول إلى محلّه.

الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله

الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبىّ صلى الله عليه و آله
يمكن الاستدلال على لزوم العصمة فى الإمام بوجوه متعدّدة نورد أهمها:
الأوّل: إنّ الإمامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوّة والرسالة، وكان الإمام
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۱
يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فلا مناص من لزوم عصمته، وذلك لأنّ تجويز المعصية يتنافى مع الغاية التى لأجلها نصبه اللَّه سبحانه إماماً للأُمّة؛ فإنّ الغاية هى هداية الأُمّة إلى الطريق المهيع، ولا يحصل ذلك إلّا بالوثوق بقوله، والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان، والمعصية والخلاف، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله، وضعفت

ثقة الناس به، فتنتفى الغاية من نصبه، وهذا نفس الدليل الذى استدلّ به المتكلّمون على عصمة الأنبياء، والإمام وإن لم يكن رسولًا ولا نبيّاً ولكنّه قائم بوظائفهما.

نعم لو كانت وظيفة الإمام مقتصرة على تأمين السبل وغزو العدو والانتصاف للمظلوم وما أشبه ذلك، لكفى فيه كونه رجلًا عادلًا قائماً بالوظائف الدينية، وأمّا إذا كانت وظيفته أوسع من ذلك- كما هو الحال فى مورد النبيّ صلى الله عليه و آله- فكون الإمام عادلًا قائماً بالوظائف الدينية، غير كاف فى تحقيق الهدف المنشود من نصب الإمام.

فقد كان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله يفسّر القرآن الكريم ويشرح مقاصده وأهدافه ويبيّن أسراره، كما كان يجيب على الأسئلة فى مجال الموضوعات المستحدثة، وكان يردّ على الشبهات والتشكيكات التى كان يلقيها أعداء الإسلام، وكان يصون الدين من محاولات التحريف والتغيير، وكان يربّى المسلمين ويهذّبهم ويدفعهم نحو التكامل.

فالفراغات الحاصلة من رحلة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لا تسدّ إلّابوجود إنسان مثالى يقوم بتلك الواجبات، وهو فرع كونه معصوماً عن الخطأ والعصيان «۱».

الثانى: قوله سبحانه: أَطِيعُوا اللَّه وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الأمْرِ مِنكُمْ» «۲».

والاستدلال مبنى على دعامتين:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۲

۱- إنّ اللَّه سبحانه أمر بطاعة أُولى الأمر على وجه الإطلاق؛ أى فى جميع الأزمنة والأمكنة، وفى جميع الحالات والخصوصيات، ولم يقيّد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشيء كما هو مقتضى الآية.

۲- إنّ من الأمر البديهى كونه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان: ولا يَرْضى لِعِبادِهِ الكُفْر «۱»

من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخّل أمر آمر أو نهى ناهٍ، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهى من أُولى الأمر.

فمقتضى الجمع بين هذين الأمرين (وجوب إطاعة أُولى الأمر على وجه الإطلاق، وحرمة طاعتهم إذا أمروا بالعصيان) أن يتّصف أُولو الأمر الذين وجبت إطاعتهم على وجه الإطلاق، بخصوصية ذاتية وعناية إلهية ربّانية، تصدّهم عن الأمر بالمعصية والنهى عن الطاعة. وليس هذا إلّاعبارة أُخرى عن كونهم معصومين، وإلّا فلو كانوا غير واقعين تحت تلك العناية، لما صحّ الأمر بإطاعتهم على وجه الإطلاق بدون قيد أو شرط. فنستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتمال المتعلّق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة.

وممّن صرّح بدلالة الآية على العصمة الإمام الرازى فى تفسيره، ويطيب لى أن أذكر نصّه حتّى يمعن فيه أبناء جلدته وأتباع طريقته، قال:

إنّ اللَّه تعالى أمر بطاعة أُولى الأمر على سبيل الجزم فى هذه الآية، ومن أمر اللَّه بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر اللَّه بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهيّ عنه، فهذا يفضى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنّه محال، فثبت أنّ اللَّه تعالى أمر بطاعة أُولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر اللَّه بطاعته على سبيل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۳

الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أنّ أُولى الأمر المذكور فى هذه الآية لابدّ وأن يكون معصوماً «۱».

بيد أنّ الرازى، وبعد أن قادته استدلالاته المنطقية إلى هذه الفكرة الثابتة المؤكّدة لوجوب العصمة بدأ يتهرّب من تبعة هذا الأمر، ولم يستثمر نتائج أفكاره، لا لسبب إلّالأنّها لا توافق مذهبه فى تحديد الإمامة، فأخذ يؤوّل الآية ويحملها على غير ما ابتدأه وعمد إلى إثباته، حيث استدرك قائلًا بأنّا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليه، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منه، فإذا كان الأمر كذلك، فالمراد ليس بعضاً من أبعاض الأُمّة، بل المراد هو أهل الحلّ والعقد من الأُمّة.

إلّا أنّ ادّعاءه هـذا لا يصـمد أمام الحقيقـة القويّة التى لا خفاء عليها، وفى دفعه ذلك الأمر مغالطة لا يمكن أن يرتضـيها هو نفسه، فإنّه إذا دلّت الآيـة على عصـمة أُولى الأـمر فيجب علينا التعرّف عليهم، وادّعاء العجز هروب من الحقيقـة، فهل العجز يختص بزمانه أو كان يشـمل زمـان نزول الآيـة؟ لاـ أظنّ أن يقول الرازى بالثـانى. فعليه أن يتعرّف على المعصوم فى زمان النبىّ صـلى الله عليه و آله وعصـر نزول الآيـة، وبالتعرّف عليه يعرف معصوم زمانه، حلقة بعد أُخرى، ولا يعقل أن يأمر الوحى الإلهى بإطاعة المعصوم ثمّ لا يقوم بتعريفه حين النزول، فلو آمن الرازى بدلالـة الآية على عصـمة أُولى الأمر فإنّه من المنطقى والمعقول له أن يؤمن بقيام الوحى الإلهى بتعريفهم بواسطة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله؛ إذ لا معنى أن يأمر اللّه سبحانه بإطاعة المعصوم، ولا يقوم بتعريفه.

ثمّ إنّ تفسير أُولى الأمر بأهل الحلّ والعقد، تفسير للغامض- حسب نظر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۴

الرازى- بما هو أشد غموضاً؛ إذ هو ليس بأوضح من الأوّل، فهل المراد منهم:

العساكر والضبّاط، أو العلماء والمحدّثون، أو الحكام والسياسيون، أو الكلّ؟ وهل اتّفق إجماعهم على شـىء، ولم يخالفهم لفيف من المسلمين؟

إذا كانت العصـمة ثابتة للأُمة عند الرازى كما علمت، فهناك من يرى العصـمة لجماعة من الأُمّة كالقرّاء والفقهاء والمحدّثين، هذا هو ابن تيميـة يقـول فى ردّه على الشـيعة عنـد قولهم: إنّ وجود الإمـام المعصوم لاـ بـدّ منه بعـد موت النـبىّ يكون حافظـاً للشـريعة ومـبيّناً أحكامها خصوصاً أحكام الموضوعات المتجدّدة، حيث يقول:

إنّ أهل السنّة لا يسلّمون أن يكون الإمام حافظاً للشـرع بعد انقطاع الوحى، وذلك لأنّه حاصل للمجموع، والشرع إذا نقله أهل التواتر كـان ذلـك خيراً من نقـل الواحـد، فـالقرّاء معصومون فى حفـظ القرآن وتبليغه، والمحـدّثون معصومون فى حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون فى الكلام والاستدلال «۱».

وهذا الرأى أغرب من سابقه وأضـعف حجّة! فكيف يدّعى العصمة لهذه الطوائف مع أنّهم غارقون فى الاختلاف فى القراءة والتفسير، والحـديث والأـثر، والحكم والفتوى، والعقيـدة والنظر؟ ولو أغمضـنا عن ذلك، فما الـدليل على عصـمة تلكم الطوائف، خصوصاً على قول البعض بأنّ القول بالعصمة تسرّب من اليهود إلى الأوساط الإسلامية؟

الثالث: قوله سـبحانه: وَإِذِ ابْتَلى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنّى جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهدِى الظّالِمِينَ« «۲».

والاستدلال بالآية على عصمة الإمام يتوقّف على تحديد مفهوم الإمامة الواردة فى الآية وأنّ المقصود منها غير النبوّة وغير الرسالة، فأمّا الأوّل فهو عبارة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۵

عن منصب تحمّل الوحى، وأمّا الثانى فهو عبارة عن منصب إبلاغه إلى الناس.

والإمامـة المعطاة للخليل فى أُخريات عمره غير هذه وتلك؛ لأنّه كان نبيّاً ورسولًا وقائماً بوظائفهما طيلة سـنين حتّى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة فى المقام هو منصب القيادة، وتنفيذ الشريعة فى المجتمع بقوّة وقدرة، ويعرب عن كون المراد من الإمامة فى المقام هو المعنى الثالث قوله سـبحانه: أَمْ يَحسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُمُ اللّه مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبْراهيمَ الكِتابَ و الحِكْمَةَ و آتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظيماً «۱».

فالإمامة التى أنعم بها اللّه سـبحانه على الخليل وبعض ذرّيته هى الملك العظيم الوارد فى هذه الآية. وعلينا الفحص عن المراد بالملك العظيم؛ إذ عند ذلك يتّضح أنّ مقام الإمامة يلى النبوّة والرسالة، وإنّما هو قيادة حكيمة، وحكومة إلهيّة، يبلغ المجتمع بها إلى السعادة، واللّه سبحانه يوضّح حقيقة هذا الملك فى الآيات التالية:

۱- يقول سبحانه- حاكياً قول يوسف عليه السلام-: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأويلِ الأحاديثِ «۲»

ومن المعلوم أنّ الملك الذى منّ به سبحانه على عبده يوسف ليس هو النبوّة، بل الحاكمية؛ حيث صار أميناً مكيناً فى الأرض؛ لقوله: «وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأويلِ الأحاديثِ» إشارة إلى نبوّته، والملك إشارة إلى سلطته وقدرته.

۲- ويقول سبحانه فى داود عليه السلام: وَ آتاهُ اللّه المُلْكَ وَ الحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ «۳»

ويقول سبحانه: وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الخِطَابِ «۴»

.

۳- ويحكى اللّه تعالى عن سليمان عليه السلام أنّه قال: وَهَبْ لِى مُلْكَاً لا يَنْبَغِى لِأحَدٍ مِنْ بَعْدِى إِنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۶

والتأمّل فى هذه الآيات الكريمة يفسّر لنا حقيقة الإمامة باعتبار الملاحظات التالية:

أ- إنّ إبراهيم طلب الإمامة لذرّيته وقد أجاب سبحانه دعوته فى بعضهم.

ب- إنّ مجموعة من ذرّيته، كيوسف وداود وسليمان، نالوا- وراء النبوّة والرسالة- منصب الحكومة والقيادة.

ج- إنّه سبحانه أعطى آل إبراهيم الكتاب، والحكمة، والملك العظيم.

فمن ضمّ هذه الأُمور بعضها إلى بعض، يخرج بهذه النتيجة: أنّ ملاك الإمامة فى ذرّية إبراهيم هو قيادتهم وحكمهم فى المجتمع، وهذه هى حقيقة الإمامة، غير أنّها ربّما تجتمع مع المقامين الآخرين، كما فى الخليل، ويوسف، وداود، وسليمان، وغيرهم، وربّما تنفصل عنهما كما فى قوله سبحانه: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ اللّه قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أنّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أحَقُ بِالمُلكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ قَالَ إنَّ اللّه اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسطَةً فِى العِلْمِ والجسم وَاللّه يُؤْتى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللّه واسِعٌ عَليمٌ «۱».

والإمامة التى يتبنّاها المسلمون بعد رحلة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله تتّحد واقعيتها مع هذه الإمامة.

ما هو المراد من الظالم؟

ما هو المراد من الظالم؟

قد تعرّفت على المقصود من جعل إبراهيم عليه السلام إماماً للناس، وأنّ المراد هو القيادة الإلهية وسوق الناس إلى السعادة بقوّة وقدرة ومنعة. بقى الكلام فى تفسير الظالم الذى ليس له من الإمامة سهم، فنقول:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۷

لمّا خلع سبحانه ثوب الإمامة على خليله، ونصبه إماماً للناس، ودعا إبراهيمُ أن يجعل من ذرّيته إماماً، أُجيب بأنّ الإمامة منصب إلهىّ لا يناله الظالمون؛ لأنّ الإمام هو المطاع بين الناس، المتصرّف فى الأموال والنفوس، فيجب أن يكون على الصراط السوىّ والظالم المتجاوز عن الحدّ لا يصلح لهذا المنصب.

كما أنّ الظالم الناكث لعهد اللّه، والناقض لقوانينه وحدوده، على شفا جرف هارٍ، لا يؤتمن عليه ولا تلقى إليه مقاليد الخلافة؛ لأنّه على مقربة من الخيانة والتعدّى، وعلى استعداد لأن يقع أداة للجائرين، فكيف يصحّ فى منطق العقل أن يكون إماماً مطاعاً، نافذ القول، مشروع التصرّف، وعلى ذلك؛ فكلّ من ارتكب ظلماً، وتجاوز حدّاً فى يوم من أيّام عمره، أو عبد صنماً، أو لاذ إلى وثن- وبالجملة ارتكب ما هو حرام فضلًا عمّا هو شرك وكفر- ينادى من فوق العرش فى حقّه: لا يَنالُ عَهدِى الظّالِمِينَ من غير فرق بين صلاح حالهم بعد تلك الفترة، أو البقاء على ما كانوا عليه.

نعم اعترض «الجصّاص» على هذا الاستدلال وقال: «إنّ الآية إنّما تشمل من كان مقيماً على الظلم وأمّا التائب منه فلا يتعلّق به الحكم؛

لأنّ الحكم إذا كان معلّقاً على صفة، وزالت تلك الصفة، زال الحكم. ألا ترى أنّ قوله: وَلا تَرْكَنُوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا «۱»
إنّما ينهى عن الركون إليهم ما أقاموا على الظلم، فقوله تعالى: لا يَنالُ عَهدِى الظّالِمِينَ لم ينف به العهد عمّن تاب عن ظلمه؛ لأنّه فى هذه الحالة لا يسمّى ظالماً، كما لا يسمّى من تاب من الكفر كافراً» «۲».
إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ قوله: «الحكم يدور مدار وجود الموضوع» ليس
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۸
ضابطاً كلّياً، بل الأحكام على قسمين: قسم كذلك، وآخر يكفى فيه اتّصاف الموضوع بالوصف والعنوان آناً ما، ولحظة خاصّة، وإن انتفى بعد الاتّصاف، فقوله: «الخمر حرام»، أو «فى سائمة الغنم زكاة» من قبيل القسم الأوّل، وأمّا قوله: «الزانى يحدّ»، و «السارق يقطع» فالمراد منه أنّ الانسان المتلبّس بالزنا أو السرقة يكون محكوماً بهما وإن زال العنوان وتاب السارق والزانى، ومثله:
«المستطيع يجب عليه الحجّ» فالحكم ثابت، وإن زالت عنه الاستطاعة عن تقصير لا عن قصور.
وعلى ذلك فالمدّعى أنّ: «الظّالمين» فى الآية المباركة كالسارق والسارقة والزانى والزانية وغيرها من الموارد المشابهة لها.
نعم المهمّ فى المقام إثبات أنّ الموضوع فى الآية من قبيل الثانى، وأنّ التلبّس بالظلم- ولو آناً مّا- يسلب عن الإنسان صلاحية الإمامة، وإن تاب من ذنبه، فإنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على أقسام أربعة:
۱- من كان طيلة عمره ظالماً.
۲- من كان طاهراً ونقياً فى جميع فترات عمره.
۳- من كان ظالماً فى بداية عمره، وتائباً فى آخره.
۴- من كان طاهراً فى بداية عمره، وظالماً فى آخره.
عند ذلك يجب أن نقف على أنّ إبراهيم عليه السلام، الذى سأل الإمامة لبعض ذرّيته، أىَّ قسم منها أراد؟
إنّ من غير المعقول والبديهى أن يسأل خليل اللّه تعالى الإمامة لأصحاب القسمين الأوّل والرابع من ذرّيته، لوضوح أنّ الغارق فى الظلم من بداية عمره إلى آخره، أو المتّصف به أيام تصدّيه للإمامة، لا يصلح لأن يؤتمن عليها.
ولمّا كان اللّه تعالى قد نفى امتلاك الإمامة من قبل الظالم وهو ما سبق أن وقع
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۳۹۹
فى تسميته أصحاب القسم الثالث، فى حين يقابله فى القسم الثانى من هو برىء عن الظلم مطلقاً طيلة عمره، وتتمثّل فيه جميع الصفات المطلوبة والمحدّدة فى الآية الكريمة، فلا مناص من الجزم بتعلّقها بالقسم الثانى وحده دون باقى الأقسام.

العصمة فى القول والرأى

العصمة فى القول والرأى
إنّ الأئمّة معصومون عن العصيان والمخالفة أوّلًا، وعن الخطأ والزلّة فى القول ثانياً، وما ذلك إلّالأنّ كل إمام من الأوّل إلى الثانى عشر، قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكلّ ما فى هذين الأصلين، بحيث لا يشذّ عن علمهم معنى آية من آى الذكر الحكيم تنزيلًا وتأويلًا، ولا شىء من سنّة رسول اللّه قولًا وفعلًا وتقريراً، وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنّة فضلًا وعلماً، ومن هنا كانوا قدوة الناس جميعاً بعد جدّهم الرسول صلى الله عليه و آله باتّفاق الجميع المطلق دليلًا واضحاً على أنّهم هم الأئمّة المعصومون وقادة المسلمين بعد غياب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وحتّى قيام يوم الدين.
وقد أخذ أهل البيت علوم الكتاب والسنّة وفهموها عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله تماماً «۱» كما أخذها ووعاها رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن جبرئيل، وكما وعاها جبرئيل عن اللّه، ولا فرق أبداً فى شىء إلّابالواسطة.

نعم أخذ عليّ عن النبيّ صلى الله عليه و آله، وأخذ الحسن عن أبيه، وهكذا كلّ إمام يأخذ عن أبيه، علم يتناقل ضمن هذه السلسلة الطاهرة المعروفة، لم يأخذ أحد منهم عليهم السلام

عن صحابى ولا تابعى أبداً، بل أخذ الجميع عنهم، ومنهم انتقلت العلوم إلى الآخرين كما تلقّاها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله من لدن حكيم خبير.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا، ولكن نحدّثهم بأحاديث نكنزها عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم» «۱».

المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

المسألة الثالثة: الإمام المنتظر

إنّ الاعتقاد بالإمام المهدى المنتظر عقيدة مشتركة بين جميع المسلمين، إلّامن أصمّه اللَّه، فكل من كان له إلمام بالحديث يقف على تواتر البشارة عن النبى وآله وأصحابه، بظهور المهدى فى آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، ونشر أعلام العلم والعدل، وإعلاء كلمة الحقّ، وإظهار الدين كلّه، ولو كره المشركون، وهو بإذن اللَّه ينجى العالم من ذُلِّ العبودية لغير اللَّه، ويبطل القوانين الكافرة التى سنّتها الأهواء، ويقطع أواصر التعصّبات القومية والعنصرية، ويميت أسباب العداء والبغضاء التى صارت سبباً لاختلاف الأُمّة واضطراب الكلمة، ومصدراً خطيراً لإيقاد نيران الفتن والمنازعات، ويحقق اللَّه بظهوره وعده الذى وعد به المؤمنين بقوله:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُوْلئِكَ هُمُ

الفَاسِقُونَ» «۱».

قال سبحانه: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبادِىَ الصَّالِحُونَ» «۲».

هذا ما اتّفق عليه المسلمون فى الصدر الأوّل والأزمنة اللاحقة، وقد تضافر مضمون قول الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل اللَّه ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى، فيملأها عدلًا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

بلى إنّ جميع المسلمين يتفقون أساساً على فكرة قيام المهدى وما سيعم الأرض فى عهده من العدل والأمن والخير العميم، وإن كان هناك من اختلاف يذكر فى مضمون هذا الأمر العظيم، والحلم المنشود، فإنّه قد لا يتجاوز فى أهم نقاطه الحدود الأساسية المرتكز عليها، والتى تتمحور أهمها فى تحديد ولادته عليه السلام، فانّ الأكثرية من أهل السنّة يقولون بأنّه سيولد فى آخر الزمان، وأمّا الشيعة ولاستنادهم على جملة واسعة من الروايات والأدلّة الصحيحة يذهبون إلى أنّه عليه السلام ولد فى «سرّ من رأى» عام ۲۵۵ ه، وغاب بأمر اللَّه سبحانه سنة وفاة والده الإمام الحسن بن على العسكرى عليه السلام، عام ۲۶۰ ه، وهو يحيا حياة طبيعية كسائر الناس، غير أنّ الناس يرونه ولا يعرفونه، وسوف يظهره اللَّه سبحانه ليحقّق عدله.

هذا المقدار من الاختلاف لا يجعل العقيدة بالمهدى عقيدة خلافية، ومن أراد أن يقف على عقيدة السنّة والشيعة فى مسألة المهدى فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية لمحقّقى السنّة ومحدّثيهم:

- «صفة المهدى» للحافظ أبى نعيم الإصفهانى.
- «البيان فى أخبار صاحب الزمان» للكنجى الشافعى.
- «البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان» لملّا على المتقى.
- «العرف الوردى فى أخبار المهدى» للحافظ السيوطى.
- «القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر» لابن حجر.
- «عقد الدرر فى أخبار الإمام المنتظر» للشيخ جمال الدين الدمشقى.

من أراد التفصيل فليرجع إلى «منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر» للعلّامة الصافى- دام ظلّه-، وإلى كتاب «المهدى عند أهل السنّة» صدر فى مجلّدين وطبع فى بيروت.

لعلّ الروايات والأخبار المستفيضة المؤكدة على قضية الإمام المهدى من الوفرة وقوّة الحجية بحيث لا يرقى إليها الشك والنقاش سواء فى متونها أو فى أسانيدها، وعلى ذلك دأب الماضون وتبعهم اللاحقون، إلّاما أورده ابن خلدون فى مقدمته من تضعيفه لهذه الأخبار والتشكيك فى صحّتها، وفى مدى حجيتها، وقد فنّد مقالته محمّد صديق برسالة أسماها «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون».

قد كتب أخيراً الدكتور عبد الباقى كتاباً قيّماً فى الموضوع أسماه «بين يدى الساعة» يشير فيه إلى تضافر الأخبار الواردة فى حق المهدى بقوله:

«إنّ المشكلة ليست فى حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والأخبار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة، وأكثر من صاحب كتاب صحيح.

لماذا نردّ كل هذه الكمّية؟ أكلّها فاسدة؟ لو صحّ هذا الحكم لانهار الدين- والعياذ باللَّه- نتيجة تطرّق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

ثمّ إنّى لا أجد خلافاً حول ظهور المهدى، أو حول حاجة العالم إليه، وإنّما

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۴

الخلاف حول من هو، حسنى أو حسينى؟ سيكون فى آخر الزمان، أو موجود الآن؟

خفى وسيظهر؟ ظهر أو سيظهر؟ ولا عبرة بالمدّعين الكاذبين، فليس لهم اعتبار.

ثمّ إنّى لا أجد مناقشة موضوعية فى متن الأحاديث، والذى أجده إنّما هو مناقشة وخلاف حول السند، واتّصاله وعدم اتّصاله، ودرجة رواته، ومن خرّجوه، ومن قالوا فيه.

إذا نظرنا إلى ظهور المهدى نظرة مجرّدة فإنّنا لا نجد حرجاً من قبولها وتصديقها، أو على الأقل عدم رفضها. فإذا ما تؤيّد ذلك بالأدلّة الكثيرة، والأحاديث المتعددة، ورواتها مسلمون مؤتمنون، والكتب التى نقلتها إلينا كتب قيمة، والترمذى من رجال التخريج والحكم، بالإضافة إلى أنّ أحاديث المهدى لها ما يصح أن يكون سنداً لها فى البخارى ومسلم، كحديث جابر فى مسلم الذى فيه:

«فيقول أميرهم (أى لعيسى): تعال صلّ بنا» «۱»، وحديث أبى هريرة فى البخارى، وفيه: «كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح بن مريم وإمامكم منكم» «۲»، فلا مانع من أن يكون هذا الأمير، وهذا الإمام هو المهدى.

يضاف إلى هذا انّ كثيراً من السلف- رضى اللَّه عنهم- لم يعارضوا هذا القول، بل جاءت شروحهم وتقريراتهم موافقة لإثبات هذه العقيدة عند المسلمين» «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۵

المسألة الرابعة: التقية

المسألة الرابعة: التقية

اشارة

المسألة الرابعة: التقیة

(مفهومها، غایتها، دلیلها، حدّها فی ضوء الکتاب والسنّة)

التقیـة من المفـاهیم القرآنیـة التی وردت فی أکثر من موضع فی القرآن الکریم، وفی تلـک الآیات إشارات واضـحة إلی الموارد التی یلجأ فیهـا المؤمن إلی اسـتخدام هـذا المسـلک الشـرعی خلاـل حیاته أثناء الظروف العصـیبة، لیصون بها نفسه أو من یمتّ إلیه بصـلة وعرضه وماله، کما اسـتعملها مؤمن آل فرعون لصیانة الکلیم عن القتل والتنکیل «۱» ولاذ بها عمّار عندما أُخذ وأُسِـرَ و هُدِّد بالقتل «۲» إلی غیر ذلـک من الموارد الواردة فی الکتـاب والسـنّة، فمن المحتّم علینـا أن نتعرّف علیهـا، مفهومـاً وغایـةً ودلیلًا وحـدّاً، حتّی نتجنَّب الإفراط والتفریط فی مقام القضاء والتطبیق.

إنّ التقیة، اسم ل «اتّقی یتّقی» «۳» والتاء بدل من الواو، وأصله من الوقایة،

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۰۶

ومن ذلک إطلاق التقوی علی إطاعـة اللَّه؛ لأنّ المطیع یتّخذها وقایة من النار والعذاب. والمراد هو التحفّظ عن ضـرر الغیر بموافقته فی قول أو فعل مخالف للحقّ.

مفهومها

مفهومها

إذا کانت التقیـة هی اتّخاذ الوقایـة من الشـرّ، فمفهومها فی الکتاب والسـنّة هو: إظهار الکفر وإبطان الإیمان، أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحقّ. وإذا کـان هـذا مفهومهـا، فهی تُقابـل النفـاق، تَقابُـل الإیمـان والکفر، فـإنّ النفاق ضـدّها وخلافها، فهو عبارة عن إظهار الإیمان وإبطان الکفر، والتظاهر بالحقّ وإخفاء الباطل، ومع وجود هذا التباین بینهما فلا یصحّ عدّها من فروع النفاق. نعم من فسر النفاق بمطلق مخالفـة الظاهر للباطن، وبه صوَّر التقیـة- الواردة فی الکتاب والسـنّة- من فروعه، فقد فسّـِره بمفهوم أوسع ممّا هو علیه فی القرآن؛ فإنّه یُعرِّف المنـافقین المتظاهرین بالإیمان والمبطنین للکفر بقوله تعالی: إِذَا جَاءَکَ المنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْـهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّه وَاللَّه یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَاللَّه یَشْهَدُ إِنَّ آلمنَافِقِینَ لَکَاذِبُونَ «۱»

فـإذا کـان هـذا حـدُّ المنـافق فکیف یعمُّ من یسـتعمل التقیـة تجـاه الکفّـار والعصاة؛ فیخفی إیمانه ویظهر الموافقـة لغایـة صـیانة النفس والنفیس، والعرض والمال من التعرّض؟!

ویظهر صـدق ذلـک إذا وقفنا علی ورودها فی التشـریع الإسـلامی، ولو کانت من قسم النفاق، لکان ذلک أمراً بالقبـح ویسـتحیل علی الحکیم أن یأمر به: قُلْ إِنَّ اللَّه لا یَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَی اللَّه مَا لَا تَعْلَمُونَ «۲» . الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۰۷

غایتها

غایتها

الغایـة من التقیّة: هی صـیانة النفس والعرض والمال، وذلک فی ظروف قاهرة لا یسـتطیع فیها المؤمن أن یعلن عن موقفه الحقّ صـریحاً خوفاً من أن یترتّب علی ذلک مضارّ وتهلکة من قوی ظالمة غاشمة کلجوء الحکومات الظالمة إلی الإرهاب، والتشرید والنفی، والقتل والتنکیل، ومصادرة الأموال، وسـلب الحقوق الحقّة، فلا یکون لصاحب العقیدة الذی یری نفسه محقّاً محیص عن إبطانها، والتظاهر بما یوافق هوی الحاکم وتوجّهاته حتّی یسلم من الاضطهاد والتنکیل والقتل، إلی أن یُحدِث اللَّه أمراً.

إنّ التقيّة سلاح الضعيف فى مقابل القوىّ الغاشم، سلاح من يبتلى بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشىء إلّالأنّه لا يتّفق معه فى بعض المبادئ والأفكار.

إنّما يمارس التقية من يعيش فى بيئة صودرت فيها الحرية فى القول والعمل، والرأى والعقيدة فلا ـ ينجو المخالف إلّابالصمت والسكوت مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطة وأفكارها، أو قد يلجأ إليها البعض كوسيلة لابدّ منها من أجل إغاثة الملهوف المضطهد والمستضعف الذى لا حول له ولا قوّة، فيتظاهر بالعمل إلى جانب الحكومة الظالمة وصولًا إلى ذلك كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذى حكاه سبحانه فى الذكر الحكيم.

إنّ أكثر من يَعيبُ التقيّة على مستعملها، يتصوّر أو يصوّر أنّ الغاية منها هو تأليف جماعات سرية هدفها الهدم والتخريب، كما هو المعروف من الباطنيين والأحزاب الإلحادية السرّية، وهو تصوّر خاطئ ذهب إليه أُولئك جهلًا أو عمداً دون أن يرتكزوا فى رأيهم هذا على دليل مّا أو حجة مقنعة، فأين ما ذكرناه من هذا الذى يذكره؟ ولو لم تُلجئ الظروف القاهرة والأحكام المتعسّفة هذه الجموع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۸

المستضعفة من المؤمنين لما كانوا عمدوا إلى التقية، ولما تحمّلوا عبء إخفاء معتقداتهم ولدعوا الناس إليها علناً ودون تردّد، إلّاأنّ السيف والنطع سلاح لا تتردّد كلّ الحكومات الفاسدة من التلويح به أمام من يخالفها فى معتقداتها وعقائدها.

أين العمل الدفاعى من الأعمال البدائية التى يرتكبها أصحاب الجماعات السرّية للإطاحة بالسلطة وامتطاء ناصية الحكم، فأعمالهم كلّها تخطيطات مدبّرة لغايات ساقطة.

وهؤلاء هم الذين يحملون شعار «الغايات تبرّر الوسائل» فكلّ قبيح عقلى أو ممنوع شرعى يستباح عندهم لغاية الوصول إلى المقاصد المشؤومة.

إنّ القول بالتشابه بين هؤلاء وبين من يتّخذ التقية غطاءً، وسلاحاً دفاعياً ليسلم من شرّ الغير، حتّى لا يُقْتَل ولا يُستأصل، ولا تُنهب داره وماله، إلى أن يُحدث اللَّه أمراً، من قبيل عطف المباين على مثله.

إنّ المسلمين القاطنين فى الاتّحاد السوفيتى السابق قد لاقوا من المصائب والمحن ما لا يمكن للعقول أن تحتملها ولا أن تتصوّرها؛ فإنّ الشيوعيّين وطيلة تسلّطهم على المناطق الإسلامية قلبوا لهم ظهر المِجَنّ، فصادروا أموالهم وأراضيهم، ومساكنهم، ومساجدهم، ومدارسهم، وأحرقوا مكتباتهم، وقتلوا كثيراً منهم قتلًا ذريعاً ووحشياً، فلم ينج منهم إلّامن اتّقاهم بشىء من التظاهر بالمرونة، وإخفاء المراسم الدينية، والعمل على إقامة الصلاة فى البيوت إلى أن نجّاهم اللَّه سبحانه بانحلال تلك القوّة الكافرة، فبرز المسلمون إلى الساحة من جديد، فملكوا أرضهم وديارهم، وأخذوا يستعيدون مجدهم وكرامتهم شيئاً فشيئاً، وما هذا إلّا ثمرة من ثمار التقية المشروعة التى أباحها اللَّه تعالى لعباده بفضله وكرمه سبحانه على المستضعفين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۰۹

فإذا كان هذا معنى التقية ومفهومها، وكانت هذه غايتها وهدفها، فهو أمر فطرى يسوق الإنسان إليه قبل كلّ شىء عقلُه ولبُّه، وتدعوه إليه فطرته، ولأجل ذلك يستعملها كلّ من ابتُلى بالملوك والساسة الذين لا يحترمون شيئاً سوى رأيهم وفكرتهم ومطامعهم وسلطتهم ولا ـ يتردّدون عن التنكيل بكلّ من يعارضهم فى ذلك، من غير فرق بين المسلم- شيعياً كان أم سنّياً- وغيره، ومن هنا تظهر جدوى التقية وعمق فائدتها.

ولأجل دعم هذا الأصل الحيوىّ ندرس دليله من القرآن والسنّة.

دليلها فى القرآن والسنّة

اشارة

دليلها فى القرآن والسنّة

شرّعت التقية بنصّ القرآن الكريم حيث وردت جملة من الآيات الكريمة «۱» سنحاول استعراضها فى الصفحات التالية:

الآية الأُولى:

الآية الأُولى:

قال سبحانه: مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرَاً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ «۲» ترى أنّه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، وصرّح بذلك لفيف من المفسّرين القدامى والجدد، سنحاول أن نستعرض كلمات البعض منهم تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ولمن يبتغى المزيد فعليه بمراجعة كتب التفسير المختلفة:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۰

۱- قال الطبرسى: قد نزلت الآية فى جماعة أُكرهوا على الكفر، وهم عمّار وأبوه ياسر وأُمّه سميّة، وقُتلَ الأبوان لأنّهما لم يظهرا الكفر ولم ينالا من النبىّ، وأعطاهم عمّار ما أرادوا منه، فأطلقوه، ثمّ أخبر عمّار بذلك رسول اللَّه، وانتشر خبره بين المسلمين، فقال قوم: كفر عمّار، فقال الرسول: «كلّا إنّ عمّاراً مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

وفى ذلك نزلت الآية السابقة، وكان عمّار يبكى، فجعل رسول اللَّه يمسح عينيه ويقول: «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» «۱».

۲- وقال الزمخشرى: روى أنّ أُناساً من أهل مكة فُتِنُوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أُكره وأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمّار بن ياسر وأبواه: ياسر وسميّة، وصهيب وبلال وخباب.

أمّا عمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً... «۲».

۳- وقال الحافظ ابن ماجة: «والإيتاء: معناه الإعطاء أن وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقيّة، والتقيّة فى مثل هذه الحال جائزة؛ لقوله تعالى: إِلّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ» «۳»

.

۴- وقال القرطبى: قال الحسن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة- ثمّ قال:- أجمع أهل العلم على أنّ من أُكره على الكفر حتّى خشى على نفسه القتل إنّه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بالكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعى «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۱

۵- قال الخازن: «التقية لا تكون إلّامع خوف القتل مع سلامة النيّة، قال اللَّه تعالى: إلّامن أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ثمّ هذه التقية رخصة» «۱».

۶- قال الخطيب الشربينى: إلّامن أُكره أى على التلفّظ به «وقلبه مطمئن بالإيمان» فلا شىء عليه لأنّ محل الإيمان هو القلب» «۲».

- وقال إسماعيل حقّى: إلّامن أُكره أُجبر على ذلك اللفظ بأمر يخاف على نفسه أو عضو من أعضائه... لأنّ الكفر اعتقاد، والإكراه على القول دون الاعتقاد، والمعنى: ولكن المكره على الكفر باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان لا تتغيّر عقيدته، وفيه دليل على أنّ الإيمان المنجى المعتبر عند اللَّه، هو التصديق بالقلب» «۳».

الآية الثانية:

الآية الثانية:

قال سبحانه: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّه فِى شَىْءٍ إِلَّاأَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّه نَفْسَهُ وَإِلى اللَّه الْمصيرُ «۴»

.

وكلمات المفسّرين حول الآية تغنينا عن أىّ توضيح:

۱- قال الطبرى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة: قال أبو العالية: التقيّة باللسان، وليس بالعمل، حُدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيد قال:

سمعت الضحّاك يقول فى قوله تعالى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة قال: التقيّة باللسان من حُمِلَ على أمر يتكلّم به وهو للَّه معصية فتكلّم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۲

بالإيمان فلا إثم عليه، إنّما التقية باللسان «۱».

۲- وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة: رخّص لهم فى موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة: مخالفة ومعاشرة ظاهرة، والقلب مطمئنّ بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع «۲».

۳- قال الرازى فى تفسير قوله تعالى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة: المسألة الرابعة: اعلم: أنّ للتقية أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:

أ: إنّ التقية إنّما تكون إذا كان الرجل فى قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه، وماله، فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبّة والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافه وأن يعرض فى كلّ ما يقول؛ فإنّ للتقيّة تأثيرها فى الظاهر لا فى أحوال القلوب.

ب: التقية جائزة لصون النفس، وهل هى جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه و آله: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه» ولقوله صلى الله عليه و آله: «من قتل دون ماله فهو شهيد» «۳».

۴- وقال النسفى: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة إلّاأن تخافوا جهتهم أمراً يجب اتقاؤه، أى ألّايكون للكافر عليك سلطان، فتخافه على نفسك ومالك، فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة «۴».

۵- وقال الآلوسى: وفى الآية دليل على مشروعية التقية؛ وعرَّفوها بمحافظة النفس أو العرض أو المال من شرّ الأعداء. والعدوّ قسمان:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۳

الأوّل: من كانت عداوته مبنيّة على اختلاف الدين، كالكافر والمسلم.

الثانى: من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية، كالمال والمتاع والملك والإمارة «۱».

۶- وقال جمال الدين القاسمى: ومن هذه الآية: إلّاأن تتقوا منهم تقاة استنبط الأئمّة مشروعية التقية عند الخوف، وقد نقل الإجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليمانى فى كتابه «إيثار الحقّ على الخلق» «۲».

۷- وفسر المراغى قوله تعالى: إلّاأن تتقوا منهم تقاة بقوله: أى ترك موالاة المؤمنين للكافرين حتم لازم فى كل حال إلّافى حال الخوف من شىء تتّقونه منهم، فلكم حينئذ أن تتّقوهم بقدر ما يبقى ذلك الشىء؛ إذ القاعدة الشرعية «إنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح».

وإذا جازت موالاتهم لاتقاء الضرر فأولى أن تجوز لمنفعة المسلمين، إذاً فلا مانع من أن تحالف دولة إسلامية دولة غير مسلمة لفائدة تعود إلى الأُولى إمّا بدفع ضرر أو جلب منفعة، وليس لها أن تواليها فى شىء يضرّ المسلمين، ولا تختصّ هذه الموالاة بحال الضعف، بل هى جائزة فى كلّ وقت.

وقد استنبط العلماء من هذه الآية جواز التقية بأن يقول الإنسان أو يفعل ما يخالف الحقّ، لأجل التوقّى من ضرر يعود من الأعداء إلى النفس، أو العرض، أو المال.

فمن نطق بكلمة الكفر مكرهاً وقاية لنفسه من الهلاك، وقلبه مطمئنّ بالإيمان، لا يكون كافراً بل يُعذر كما فعل عمّار بن ياسر حين أكرهته قريش على الكفر فوافقها مكرهاً وقلبه مطمئنّ بالإيمان وفيه نزلت الآية:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۴

مَنْ كَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّامَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان «۱»

.

هذه الجمل الوافية والعبارات المستفيضة لا تدع لقائل مقالًا إلّاأن يحكم بشرعية التقية بالمعنى الذى عرفته، بل قد لا يجد أحد مفسّراً أو فقيهاً وقف على مفهومها وغايتها يتردّد فى الحكم بجوازها، كما أنّك أخى القارئ لا تجد إنساناً واعياً لا يستعملها فى ظروف عصيبة، ما لم تترتّب عليها مفسدة عظيمة، كما سيوافيك بيانها عند البحث عن حدودها.

وإنّماالمعارض لجوازها أو المغالط فى مشروعيتها، فإنّما يفسّرها بالتقيّة الرائجة بين أصحاب التنظيمات السرّية والمذاهب الهدّامة كالنصيرية والدروز، والباطنية كلّهم، إلّاأنّ المسلمين جميعاً بريئون من هذه التقيّة الهدامة لكلّ فضيلة رابية.

الآية الثالثة:

الآية الثالثة:

قال تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّه وَقَدْ جَآءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ «۲».

وكانت عاقبة أمره أن: «وَقَاهُ اللَّه سِيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب» «۳».

وما كان ذلك إلّالأنّه بتقيّته استطاع أن يُنجى نبىّ اللَّه من الموت: «قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْملأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» «۴».

وهذه الآيات تدلّ على جواز التقيّة لإنقاذ المؤمن من شرّ عدوّه الكافر.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۵

اتّقاء المسلم من المسلم فى ظروف خاصّة

اتّقاء المسلم من المسلم فى ظروف خاصّة

إنّ مورد الآيات وإن كان هو اتّقاء المسلم من الكافر، ولكن المورد ليس بمخصّص لحكم الآية فقط، إذ ليس الغرض من تشريع التقيّة عند الابتلاء بالكفّار إلّا صيانة النفس والنفيس من الشرّ، فإذ ابتُلى المسلم بأخيه المسلم الذى يخالفه فى بعض الفروع ولا يتردّد الطرف القوى عن إيذاء الطرف الآخر، كأن ينكّل به أو ينهب أمواله أو يقتله، ففى تلك الظروف الحرجة يحكم العقل السليم بصيانة النفس والنفيس عن طريق كتمان العقيدة واستعمال التقية، ولو كان هناك وزر إنّما يتوجّه على من يُتّقى منه لا ـ على المتّقى، فلو سادت الحرّية جميع الفرق الإسلامية، وتحمّلت كلّ فرقة آراء الفرقة الأُخرى بصدر رحب، وفهمت بأنّ ذلك هو قدر اجتهادها، لم يضطرّ أحد من المسلمين إلى استخدام التقيّة، ولساد الوئام مكان النزاع.

وقد فهم ذلك لفيف من العلماء وصرّحوا به، وإليك نصوص بعضهم:

۱- يقول الإمام الرازى فى تفسير قوله سبحانه: إلّاأن تتّقوا منهم تقاة ظاهر الآية على أنّ التقية إنّما تحلّ مع الكفّار الغالبين، إلّاأنّ

مذهب الشافعی– رضی اللّه عنه–: أنّ الحالة بین المسلمین إذا شاکلت الحالة بین المسلمین والکافرین حلّت التقیّة محاماة عن النفس. وقال: التقیّة جائزة لصون النفس، وهل هی جائزة لصون المال؟ یحتمل أن یحکم فیها بالجواز لقوله صلی الله علیه و آله: «حرمة مال المسلم کحرمة دمه» وقوله صلی الله علیه و آله: «من قتل دون ماله فهو شهید» «۱».

۲– ینقل جمال الدین القاسمی عن الإمام مرتضی الیمانی فی کتابه «إیثار الحقّ

علی الخلق» ما هذا نصه: «وزاد الحق غموضاً وخفاءً أمران: أحدهما: خوف العارفین– مع قلّتهم– من علماء السوء وسلاطین الجور وشیاطین الخلق مع جواز التقیّة عند ذلک بنصّ القرآن، وإجماع أهل الإسلام، وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحقّ، ولا برح المحقّ عدوّاً لأکثر الخلق، وقد صحّ عن أبی هریرة– رضی اللّه عنه– أنّه قال فی ذلک العصر الأوّل: «حفظت من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وعاءین، أمّا أحدهما فبثثته فی الناس، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم» «۱».

۳– وقال المراغی فی تفسیر قوله سبحانه: مَنْ کَفَرَ بِاللَّه مِنْ بَعْدِ إِیمَانِهِ إلَّامَنْ أُکْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِیمَان: ویدخل فی التقیة مداراة الکفرة والظلمة والفسقة، وإلانة الکلام لهم، والتبسّم فی وجوههم، وبذل المال لهم؛ لکفّ أذاهم وصیانة العرض منهم، ولا یعدّ هذا من الموالاة المنهیّ عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانی قوله صلی الله علیه و آله: «ما وَقَی المؤمن به عرضَه فهو صدقة» «۲».

إنّ الشیعة تتّقی الکفار فی ظروف خاصة لنفس الغایة التی لأجلها یتّقیهم السنّیّ، غیر أنّ الشیعی ولأسباب لا تخفی، یلجأ إلی اتّقاء أخیه المسلم لا قصور فی الشیعی، بل فی أخیه الذی دفعه إلی ذلک؛ لأنّه یدرک أنّ الفتک والقتل مصیره إذا صرّح بمعتقده الذی هو موافق لأُصول الشرع الإسلامی وعقائده، نعم کان الشیعی وإلی وقت قریب یتحاشی أن یقول: إنّ اللّه لیس له جهة، أو إنّه تعالی لا یُری یوم القیامة، وإنّ المرجعیة العلمیة والسیاسیة لأهل البیت بعد رحیل النبیّ الأکرم، أو إنّ حکم المتعة غیر منسوخ؛ فإنّ الشیعی إذا صرّح بهذه الحقائق– التی استنبطت من الکتاب والسنّة– سوف یُعرّض نفسه ونفیسه للمهالک والمخاطر.

وقد مرّ علیک کلام الرازی وجمال الدین القاسمی والمراغی الصریح فی جواز هذا

النوع من التقیة، فتخصیص التقیة بالتقیة من الکافر فحسب جمود علی ظاهر الآیة وسدّ لباب الفهم، ورفض للملاک الذی شُرّعت لأجله التقیة، وإعدام لحکم العقل القاضی بحفظ الأهمّ إذا عارض المهمّ.

والتاریخ بین أیدینا یحدّثنا بوضوح عن لجوء جملة معروفة من کبار المسلمین إلی التقیة فی ظروف عصیبة أوشکت أن تودی بحیاتهم وبما یملکون، وخیر مثال علی ذلک ما أورده الطبری فی تاریخه (۷: ۱۹۵– ۲۰۶) عن محاولة المأمون دفع وجوه القضاة والمحدّثین فی زمانه إلی الإقرار بخلق القرآن قسراً حتّی وإن استلزم ذلک قتل الجمیع دون رحمة، ولمّا أبصر أُولئک المحدِّثون حد السیف مشهراً عمدوا إلی مصانعة المأمون فی دعواه وأسرّوا معتقدهم فی صدورهم، ولمّا عوتبوا علی ما ذهبوا إلیه من موافقة المأمون، برّروا عملهم بعمل عمّار بن یاسر حین أُکره علی الشرک وقلبه مطمئنّ بالإیمان، والقصّة شهیرة وصریحة فی جواز اللجوء إلی التقیة التی دأب البعض علی التشنیع فیها علی الشیعة؛ وکأنّهم هم الذین ابتدعوها من بنات أفکارهم دون أن تکون لها قواعد وأُصول إسلامیة ثابتة ومعلومة.

الظروف العصیبة التی مرّت بها الشیعة

الظروف العصیبة التی مرّت بها الشیعة

الذی دفع بالشیعة إلی التقیة بین إخوانهم وأبناء دینهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة، فلو لم یکن هناک فی غابر القرون– من عصر الأُمویین ثمّ العباسیین والعثمانیین– أیّ ضغط علی الشیعة، ولم تکن بلادهم وعقر دارهم مخضّبة بدمائهم– والتاریخ خیر شاهد

على ذلك– كان من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية، وأن تحذفها من ديوان حياتها، ولكن ياللأسف!! فإنّ كثيراً من إخوانهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۸

كانوا أداة طيّعة بيد الأُمويين والعباسيين الذين كانوا يرون في مذهب الشيعة خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلِّبون العامّة من أهل السنّة على الشيعة يقتلونهم ويضطهدونهم وينكّلون بهم، ولذا ونتيجة لتلك الظروف الصعبة لم يكن للشيعة، بل لكلّ من يملك شيئاً من العقل وسيلة إلّااللجوء إلى التقية أو رفع اليد عن المبادئ المقدّسة التي هي أغلى عنده من نفسه وماله.

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى أو أن تعدّ، إلّاأنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاوية بن أبي سفيان باستباحة دماء الشيعة أينما كانوا وكيفما كانوا.الظروف العصيبة التي مرّت بها الشيعة

الذي دفع بالشيعة إلى التقية بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة، فلو لم يكن هناك في غابر القرون– من عصر الأُمويين ثمّ العباسيين والعثمانيين– أيّ ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعقر دارهم مخضّبة بدمائهم– والتاريخ خير شاهد

على ذلك– كان من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية، وأن تحذفها من ديوان حياتها، ولكن ياللأسف!! فإنّ كثيراً من إخوانهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۸

كانوا أداة طيّعة بيد الأُمويين والعباسيين الذين كانوا يرون في مذهب الشيعة خطراً على مناصبهم، فكانوا يؤلِّبون العامّة من أهل السنّة على الشيعة يقتلونهم ويضطهدونهم وينكّلون بهم، ولذا ونتيجة لتلك الظروف الصعبة لم يكن للشيعة، بل لكلّ من يملك شيئاً من العقل وسيلة إلّااللجوء إلى التقية أو رفع اليد عن المبادئ المقدّسة التي هي أغلى عنده من نفسه وماله.

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى أو أن تعدّ، إلّاأنّا سنستعرض جانباً مختصراً منها: فمن ذلك ما كتبه معاوية بن أبي سفيان باستباحة دماء الشيعة أينما كانوا وكيفما كانوا.

كتاب معاوية إلى عماله

كتاب معاوية إلى عماله

قد مرّ ذكر كتاب معاوية إلى عمّاله في بحث الشيعة في موكب التاريخ فراجع.

ونتيجة لذلك شهدت أوساط الشيعة مجازر بشعة على يد السلطات الغاشمة، فقتل الآلاف منهم، وأمّا من بقي منهم على قيد الحياة فقد تعرّض إلى شتّى صنوف التنكيل والإرهاب والتخويف، والحق يقال إنّ من الأُمور العجيبة أن يبقى لهذه الطائفة باقية رغم كلّ ذلك الظلم الكبير والقتل الذريع، بل العجب العجاب أن تجد هذه الطائفة قد ازدادت قوّة وعدّة، وأقامت دولًا وشيدت حضارات وبرز منها الكثير من العلماء والمفكرين.

فلو كان الأخ السنّي يرى التقية أمراً محرّماً فليعمل على رفع الضغط عن أخيه الشيعي، وأن لا يضيق عليه في الحرّية التي سمح بها الإسلام لأبنائه، وليعذره في عقيدته وعمله كما عذر أُناساً كثيراً خالفوا الكتاب والسنّة وأراقوا الدماء ونهبوا الدور، فكيف بطائفة تدين بدينه وتتّفق معه في كثير من معتقداته؟ وإذا كان معاوية وأبناء بيته والعباسيون كلّهم عنده مجتهدين في بطشهم وإراقة دماء مخالفيهم، فماذا يمنعه عن إعذار الشيعة باعتبارهم مجتهدين؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۱۹

وإذا كانوا يقولون– وذاك هو العجيب– إنّ الخروج على الإمام عليّ عليه السلام غير مضرّ بعدالة الخارجين والثائرين عليه، وفي مقدّمتهم طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عائشة، وإنّ إثارة الفتن في صفّين– التي انتهت إلى قتل كثير من الصحابة والتابعين، وإراقة دماء الآلاف من العراقيين والشاميين– لا تنقص شيئاً من ورع المحاربين، وهم بعد ذلك مجتهدون معذورون لهم ثواب من اجتهد وأخطأ، فلم لا يتعامل مع الشيعة ضمن هذا الفهم، ويذهب إلى أنّهم معذورون ومثابون!!

نعم كانت التقية بين الشيعة تزداد تارة وتتضاءل أخرى، حسب قوّة الضغط وضآلته، فشتّان ما بين عصر المأمون الذى يجيز مادحى أهل البيت، ويكرم العلويين، وبين عصر المتوكّل الذى يقطع لسان ذاكرهم بفضيلة.

فهذا ابن السكّيت أحد أعلام الأدب فى زمن المتوكّل، وقد اختاره معلّماً لولديه فسأله يوماً: أيّهما أحبُّ إليك ابناى هذان أم الحسن والحسين؟ قال ابن السكّيت: واللّه إنّ قنبر خادم علىّ عليه السلام خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات. وذلك فى ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين، وقيل ثلاث وأربعين، وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة. ولمّا مات سيَّر المتوكل لولده يوسف عشرة آلاف درهم وقال: هذه دية والدك!! «١».

وهذا ابن الرومى الشاعر العبقرى يقول فى قصيدته التى يرثى بها يحيى بن عمر ابن الحسين بن زيد بن على:

أكلّ أوانٍ للنبىّ محمّد قتيل زكىّ بالدماء مضرّجُ بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبلواكم عمّا قليل مفرِّجُ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٤٢٠

أبعد المكنّى بالحسين شهيدكم تضىء مصابيح السماء فتسرجُ «١» فإذا كان هذا هو حال أبناء الرسول، فما هو حال شيعتهم ومقتفى آثارهم؟!

قال العلّامة الشهرستانى: إنّ التقية شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرية. إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقية أكثر من غيرها؛ لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أية أُمّة أُخرى، فكانت مسلوبة الحريّة فى عهد الدولة الأُموية كلّه، وفى عهد العباسيين على طوله، وفى أكثر أيام الدولة العثمانية، ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أىّ قوم، ولمّا كانت الشيعة تختلف عن الطوائف المخالفة لها فى قسم مهمّ من الاعتقادات فى أُصول الدين، وفى كثير من الأحكام الفقهيّة، والمخالفة تستجلب بالطبع رقابة، وتصدّقه التجارب، لذلك أضحت شيعة الأئمة من آل البيت مضطرة فى أكثر الأحيان إلى كتمان ما تختصّ به من عادة أو عقيدة أو فتوى أو كتاب أو غير ذلك، تبتغى بهذا الكتمان صيانة النفس والنفيس، والمحافظة على الوداد والأُخوّة مع سائر إخوانهم المسلمين، لئلا تنشق عصا الطاعة، ولكى لا يحسّ الكفار بوجود اختلاف ما فى المجتمع الإسلامى، فيوسع الخلاف بين الأُمّة المحمّدية.

لهذه الغايات النزيهة كانت الشيعة تستعمل التقيّة وتحافظ على وفاقها فى الظواهر مع الطوائف الأُخرى، متّبعة فى ذلك سيرة الأئمة من آل محمّد وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: «التقية دينى ودين آبائى»، إذ أنّ دين اللّه يمشى على سنّة التقية لمسلوبى الحرية، دلّت على ذلك آيات من القرآن العظيم «٢».

روى عن صادق آل البيت عليهم السلام فى الأثر الصحيح: «التقية دينى ودين آبائى»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٤٢١

و «من لا تقية له لا دين له» وكذلك هى.

لقد كانت التقية شعاراً لآل البيت عليهم السلام دفعاً للضرر عنهم، وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّاً لشعثهم، وما زالت سمة تُعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأُمم. وكلّ إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه، أو ماله بسبب نشر معتقده، أو التظاهر به لابدّ أن يتكتّم ويتّقى مواضع الخطر. وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول.

ومن المعلوم أنّ الإمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن، وصنوف الضيق على حرّياتهم فى جميع العهود ما لم تلاقه أيّة طائفة، أو أُمّة أُخرى، فاضطرّوا فى أكثر عهودهم إلى استعمال التقية فى تعاملهم مع المخالفين لهم، وترك مظاهرتهم، وستر عقائدهم، وأعمالهم المختصّة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر فى الدنيا.

ولهذا السبب امتازوا بالتقية وعرفوا بها دون سواهم.

وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها، بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، مذكورة فى أبوابها فى كتب العلماء الفقهيّة «١».

حدّ التقيّة

حدّ التقيّة

قد تعرّفت على مفهوم التقية وغايتها، ودليلها، وبقى الكلام فى تبيين حدودها، فنقول:

عرفت الشيعة بالتقية وأنّهم يتّقون فى أقوالهم وأفعالهم، فصار ذلك مبدأ لوهم عالق بأذهان بعض السطحيين والمغالطين، فقالوا: بما أنّ التقية من مبادئ التشيّع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۲

فلا يصحّ الاعتماد على كلّ ما يقولون ويكتبون وينشرون؛ إذ من المحتمل جداً أن تكون هذه الكتب دعاياتٍ والواقع عندهم غيرها. هذا ما نسمعه منهم مرّة بعد مرّة، ويكرّره الكاتب الباكستانى «إحسان إلهى ظهير» فى كتبه السقيمة التى يتحامل بها على الشيعة.

ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ مجال التقية إنّما هو فى حدود القضايا الشخصية الجزئية عند وجود الخوف على النفس والنفيس، فإذا دلّت القرائن على أنّ فى إظهار العقيدة أو تطبيق العمل على مذهب أهل البيت- يحتمل أن يدفع بالمؤمن إلى الضرر يصبح هذا المورد من مواردها، ويحكم العقل والشرع بلزوم الاتّقاء حتّى يصون بذلك نفسه ونفيسه عن الخطر. وأمّا الأُمور الكلّية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصوّر فيها التقيّة، والكتب المنتشرة من جانب الشيعة داخلة فى هذا النوع الأخير؛ إذ لا خوف هناك حتّى يكتب خلاف ما يعتقد، حيث لم يكن هناك لزوم للكتابة أصلًا فى هذه الحال، فله أن يسكت ولا يكتب شيئاً.

فما يدّعيه هؤلاء أنّ هذه الكتب دعايات لا واقعيات ناشئ عن عدم معرفتهم بحقيقة التقيّة عند الشيعة.

والحاصل: أنّ الشيعة إنّما كانت تتّقى فى عصر لم تكن لهم دولة تحميهم، ولا قدرة ولا منعة تدفع عنهم الأخطار. وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرر للتقيّة إلّا فى موارد خاصة.

إنّ الشيعة- وكما ذكرنا- لم تلجأ إلى التقية إلّابعد أن اضطرّت إلى ذلك، وهو حقّ لا أعتقد أن يخالفها فيه أحد ينظر إلى الأُمور بلبّه لا- بعواطفه، إلّاأنّ من الثوابت الصحيحة بقاء هذه التقيّة- إلّافى حدود ضيّقة- تنحصر فى مستوى الفتاوى، ولم تترجم إلّاقليلًا على المستوى العملى، بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحية، وبوسع كلّ باحث أن يرجع إلى مواقف رجال الشيعة مع معاوية وغيره

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۳

من الحكام الأُمويين، والحكّام العباسيين، أمثال حجر بن عدى، وميثم التمار، ورشيد الهجرى، وكميل بن زياد، ومئات غيرهم، وكمواقف العلويين على امتداد التاريخ وثوراتهم المتتالية.

التقية المحرّمة

التقية المحرّمة

إنّ التقية تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين وخفاء الحقيقة على الأجيال الآتية، وتسلّط الأعداء على شؤون المسلمين وحرماتهم ومقدّساتهم، ولأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من أكابر الشيعة رفضوا التقيّة فى بعض الأحيان وقدّموا أنفسهم وأرواحهم أضاحى من أجل الدين، فللتقيّة مواضع معيّنة، كما أنّ للقسم المحرّم منها مواضع خاصّة أيضاً.

إنّ التقية فى جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتّى يزول الخطر، فهى أفضل السبل للخلاص من البطش، ولكن ذلك لا يعنى أنّ الشيعى جبان خائر العزيمة، خائف متردّد الخطوات يملأ حناياه الذلّ، كلّا!! إنّ للتقية حدوداً لا تتعدّاها، فكما هى واجبة فى حين، هى حرام فى حين آخر، فالتقيّة أمام الحاكم الجائر كيزيد بن معاوية مثلًا محرّمة؛ إذ فيها الذلّ والهوان ونسيان المثل والرجوع إلى الوراء، فليست التقيّة فى جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف، وإنّما تحدّدها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين.

إنّ للإمام الخمينى- قـدّس اللّه سرّه- كلاماً فى المقام ننقله بنصّه حتّى يقف القارئ على أنّ للتقية أحكاماً خاصة وربّما تحرم لمصالح عالية. قال قدس سره:

تحرم التقية فى بعض المحرّمات والواجبات التى تمثّل فى نظر الشارع والمتشرّعة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۴

مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والمشاهد المشرّفة، والردّ على الإسلام والقرآن والتفسير بما يضرّ المذهب ويطابق الإلحاد وغيرها من عظائم المحرمات، ولا تعمّها أدلّة التقية ولا الاضطرار ولا الإكراه.

وتدلّ على ذلك معتبرة مسعدة بن صدقة وفيها: «فكلّ شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدى إلى الفساد فى الدين فإنّه جائز» «۱».

ومن هذا الباب ما إذا كان المتّقى ممّن له شأن وأهمية فى نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرّمات تقيّة أو تركه لبعض الواجبات كذلك مما يعدّ موهناً للمذهب وهاتكاً لحرمه، كما لو أُكره على شرب المسكر والزنا مثلًا؛ فإنّ جواز التقية فى مثله متمسكاً بحكومة دليل الرفع «۲» وأدلّة التقية مشكل، بل ممنوع، وأولى من ذلك كلّه فى عدم جواز التقية، وفيه ما لو كان أصل من أُصول الإسلام أو المذهب أو ضرورى من ضروريات الدين فى معرض الزوال والهدم والتغيير، كما لو أراد المنحرفون الطغاة تغيير أحكام الأرث والطلاق والصلاة والحجّ وغيرها من أُصول الأحكام فضلًا عن أُصول الدين أو المذهب، فإنّ التقية فى مثلها غير جائزة، ضرورة أنّ تشريعها لبقاء المذهب وحفظ الأُصول وجمع شتات المسلمين لإقامة الدين وأُصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقية، وهو مع وضوحه يظهر من الموثقة المتقدّمة «۳».

وهكذا فقد بيّنا للجميع الأبعاد الحقيقية والواقعية للتقية، وخرجنا بالنتائج التالية:

۱- إنّ التقية أصل قرآنى مدعم بالسنّة النبوية، وقد استعملها فى عصر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۵

الرسالة من ابتلى بها من الصحابة لصيانة نفسه، فلم يعارضه الرسول، بل أيّده بالنصّ القرآنى، كما فى قضية عمّار بن ياسر؛ حيث أمره صلى الله عليه و آله بالعودة إذا عادوا.

۲- إنّ التقية بمعنى تأليف جماعات سرّية لغاية التخريب والهدم، مرفوضة عند المسلمين عامّة والشيعة خاصّة، وهو لا يمتّ للتقية المتبنّاة من قبل الشيعة بصلة.

۳- إنّ المفسرين فى كتبهم التفسيرية عندما تعرّضوا لتفسير الآيات الواردة فى التقية اتفقوا على ما ذهبت إليه الشيعة من إباحتها للتقية.

۴- إنّ التقية لا تختصّ بالاتقاء من الكافر، بل تعمّ الاتّقاء من المسلم المخالف، الذى يريد السوء والبطش بأخيه.

۵- إنّ التقية تنقسم حسب انقسام الأحكام إلى أقسام خمسة، فبينما هى واجبة فى موضع، فهى محرمة فى موضع آخر.

۶- إنّ مجال التقية لا يتجاوز القضايا الشخصية، وهى فيما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضغط، فلا موضع للتقية لغاية الصيانة.

وفى الختام نقول:

نفترض أنّ التقية جريمة يرتكبها المتّقى لصيانة دمه وعرضه وماله، ولكنّها فى الحقيقة ترجع إلى السبب الذى يفرض التقيّة على الشيعى المسلم ويدفعه إلى أن يتظاهر بشيء من القول والفعل الذى لا يعتقد به، فعلى من يعيب التقية للمسلم المضطهد، أن يفسح له الحرية فى مجال الحياة ويتركه بحاله، وأقصى ما يصحّ فى منطق العقل، أن يسأله عن دليل عقيدته ومصدر عمله؛ فإن كان على حجّة بيّنة يتبعه، وإن كان على خلافها يعذره فى اجتهاده وجهاده العلمى والفكرى.

نحن ندعو المسلمين للتأمّل فى الدواعى التى دفعت بالشيعة إلى التقية، وأن يعملوا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم فى الدين؛

فإنّ لكلّ فقيه مسلم رأيه ونظره، وجهده وطاقته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۶

إنّ الشيعة يقتفون أثر أئمة أهل البيت فى العقيدة والشريعة، ويرون رأيهم؛ لأنّهم هم الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأحد الثقلين اللّذين أمر الرسول صلى الله عليه و آله بالتمسك بهما فى مجال العقيدة والشريعة، وهذه عقائدهم لا تخفى على أحد، وهى حجّة على الجميع.

نسأل اللّه سبحانه: أن يصون دماء المسلمين وأعراضهم عن تعرّض أىّ متعرّض، ويوحّد صفوفهم، ويؤلّف بين قلوبهم، ويجمع شملهم، ويجعلهم صفّاً واحداً فى وجه الأعداء، إنّه بذلك قدير وبالإجابة جدير.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۷

المسألة الخامسة: البداء عند الشيعة الإمامية

المسألة الخامسة: البداء عند الشيعة الإمامية

اشارة

المسألة الخامسة: البداء عند الشيعة الإمامية

إنّ من العقائد الثابتة عند الشيعة الإمامية، هو القول بالبداء، ومن الكلمات الدارجة بين علمائهم أنّ النسخ والبداء صنوان، غير أنّ الأوّل فى التشريع، والثانى فى التكوين، وقد اشتهرت بالقول به كاشتهارها بالقول بالتقية وجواز متعة النساء. وصار القول بهذه الأُمور الثلاثة من خصائصهم وقد أنكرت عليهم السنّة أشد الإنكار خصوصاً فى مسألة البداء، ولكنّهم لو كانوا واقفين على مراد الشيعة من تجويز البداء على اللّه لتوقّفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق، وأقول عن جدّ: لو أُتيحت الفرصة لعلماء الفريقين للبحث عن النقاط الخلافية بعيداً عن التعصّب والتشنّج لتجلّى الحقّ بأجلى مظاهره، ولأقرّوا بصحّة مقالة الشيعة، غير أنّ تلك أُمنية لا تتحقّق إلّا فى فترات خاصة، وقد سألنى أحد علماء أهل السنّة عن حقيقة البداء فأجبته بإجمال ما أُفصّله فى هذا المقام، فتعجّب عن إتقان معناه، غير أنّه زعم أنّ ما ذكرته نظرية شخصية لا صلة بها بنظرية الإمامية فى البداء، فطلب منّى كتاباً لقدماء علماء الشيعة، فدفعت إليه أوائل المقالات، وشرح عقائد الصدوق لشيخ الأُمّة محمّد بن النعمان المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) فقرأهما بدقة، وجاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۸

بالكتاب بعد أيام وقال: لو كان معنى البداء هو الذى يذكره صاحب الكتاب فهو من صميم عقيدة أهل السنّة ولا يخالفون الشيعة فى هذا المبدأ أبداً.

ولتوضيح حقيقة البداء نأتى بمقدمات:

الأُولى: اتّفقت الشيعة على أنّه سبحانه عالم بالحوادث كلّها غابرها وحاضرها، ومستقبلها، لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء، ولا العلم بعد الجهل، بل الأشياء دقيقها وجليلها، حاضرة لديه، ويدلّ عليه الكتاب والسنّة المروية عن طريق أئمّة أهل البيت- مضافاً إلى البراهين الفلسفية المقرّرة فى محلّها-.

أمّا من الكتاب:

فقوله سبحانه: إنَّ اللّه لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الأرْضِ وَلا فِى السَّماءِ «۱».

وقوله تعالى: وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّه مِنْ شَىْءٍ فِى الأرْضِ وَلا فِى السَّماءِ «۲».

وقوله سبحانه: إنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإنَّ اللّه كَانَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيماً «۳»

كيف وهو محيط بالعالم صغيره وكبيره، مادّيه ومجرّده، والأشياء كلّها قائمة به قياماً قيّوميّاً كقيام المعنى الحرفى بالاسمى والرابطى بالطرفين، ويكفى فى توضيح ذلك قوله سبحانه: مَا أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فى الأرْضِ وَلا فِى أَنْفُسِكُمْ إلّافِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأهَا إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّه يَسيرٌ «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۲۹

وقوله سبحانه: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأرْضِ إلّاعَلَى اللّه رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتابٍ مُبين «۱».

وأمّا الأخبار فنكتفى بالقليل منها:

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «لم يزل اللّه عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء» «۲».

وقال الإمام علىّ عليه السلام: «كلّ سرّ عندك علانية، وكلّ غيب عندك شهادة» «۳».

قال عليه السلام: «لا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سوافى الريح فى الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذرّ فى الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق، وخفىّ طرف الأحداق» «۴».

وقال الصادق عليه السلام فى تفسير قوله: يمحوا اللّه ما يشاءُ ويثبتُ وعندَهُ أُمُّ الكتاب «۵»

: «فكل أمر يريده اللّه، فهو فى علمه قبل أن يصنعه، ليس شىء يبدو له إلّاوقد كان فى علمه، إنّ اللّه لا يبدو له من جهل» «۶».

وقال عليه السلام: «من زعم أنّ اللّه عزّ وجلّ يبدو له من شىء لم يعلمه أمس؛ فابرأوا منه» «۷».

إلى غير ذلك من الروايات التى تدلّ على إحاطة علمه بكلّ شىء قبل خلقه وحينه وبعده، وأنّه لا يخفى عليه شىء أبداً «۸».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۰

وأمّا العقل فقد دلّ على تنزّهه من وصمة الحدوث والتغيير، وأنّه تقدّست أسماؤه أعلى من أن يقع معرضاً للحوادث والتغييرات، ولأجل ذلك ذهبوا إلى امتناع البداء عليه- بمعنى الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل- لاستلزامه كون ذاته محلّاً للتغيّر والتبدّل، المستلزم للتركيب والحدوث، إلى غير ذلك ممّا يستحيل عليه سبحانه.

فالآيات وكذلك الأحاديث المروية عن أئمّة الشيعة عليهم السلام تشهد على علمه الذى لا يشوبه جهل، وعلى سعته لكلّ شىء قبل الخلق وبعده، وأنّه يستحيل عليه الظهور بعد الخفاء، والعلم بعد الجهل.

وعليه فمن نسب إلى الشيعة الإمامية ما يستشمّ منه خلاف ما دلّت عليه الآيات والأحاديث فقد افترى كذباً ينشأ من الجهل بعقائد الشيعة، أو التزلّف إلى حكّام العصر الحاقدين عليهم أو التعصّب المقيت.

وبذلك يعلم بطلان ما قاله الرازى فى تفسيره عند البحث عن آية المحو والإثبات، حيث يقول: قالت الرافضة: البداء جائز على اللّه تعالى، وهو أن يعتقد شيئاً ثمّ يظهر له أنّ الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسّكوا فيه بقوله: يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت، ثمّ قال: إنّ هذا باطل؛ لأنّ علم اللّه من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغيّر والتبدّل فيه باطلًا «۱».

وما حكاه الرازى عن «الرافضة» كاشف عن جهله بعقيدة الشيعة، وإنّما سمعه عن بعض الكذّابين الأفّاكين الذين يفتعلون الكذب لغايات فاسدة، وقد قبله من دون إمعان ودقّة، مع أنّ موطنه ومسقط رأسه بلدة (رى) التى كانت آنذاك مزدحم الشيعة ومركزهم، وكان الشيخ محمود بن علىّ بن الحسن سديد الدين الحمصى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۱

الرازى- علّامة زمانه فى الأُصولين- معاصراً ومواطناً للرازى وهو مؤلّف كتاب «المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد» «۱»، ولو كان الفخر الرازى رجلًا منصفاً لرجع إليه فى تبيين عقائد الشيعة، ولما هجم عليهم بسباب مقذع، وربّما ينقل عنه بعض الكلمات فى تفسيره.

وليس الرازى فريداً فى التقوّل فى هذا المجال، بل سبقه البلخى (۳۱۹ ه) فى هذه النسبة «۲»، ونقله الشيخ الأشعرى (۲۶۰- ۳۲۴ ه) «۳» ونقله أبو الحسن النوبختى فى فرق الشيعة عن بعض فرق الزيدية «۴».

الثانية: كما دلّت الآيات والأحاديث «۵» على أنّه سبحانه لم يفرغ من أمر الخلق والإيجاد، والتدبير والتربية، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر، بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم، من الصدقة والإحسان وصلة الأرحام وبرّ الوالدين، والاستغفار والتوبة وشكر النعمة وأداء حقّها، إلى غير ذلك من الأُمور التى تغيّر المصير وتبدّل القضاء، وتفرّج الهموم والغموم، وتزيد فى الأرزاق، والأمطار، والأعمار، والآجال، كما أنّ لمحرَّم الأعمال وسيّئها من قبيل البخل والتقصير، وسوء الخلق، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والطيش، وعدم الإنابة، وكفران النعمة، وما شابهها تأثيراً فى تغيير مصيرهم بعكس ذلك من إكثار الهموم، والقلق، ونقصان الأرزاق، والأمطار، والأعمار، والآجال، وما شاكلها.

فليس للإنسان مصير واحد، ومقدّر فارد؛ يصيبه على وجه القطع والبتّ،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۲

وينال‌ه، شاء أو لم يشأ، بل المصير أو المقدر يتغيّر ويتبدّل بالأعمال الصالحة والطالحة وشكر النعمة وكفرانها، وبالإيمان والتقوى، والكفر والفسوق. وهذا ممّا لا يمكن- لمن له أدنى علاقة بالكتاب والسنّة- إنكاره أو ادّعاء جهله.

ونحن نأتى فى المقام بقليل من كثير ممّا يدل على ذلك من الآيات والروايات.

البداء فى القرآن الكريم

البداء فى القرآن الكريم

منها: قوله سبحانه حاكياً عن شيخ الأنبياء: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً «۱».

ترى أنّه عليه السلام يجعل الاستغفار علّة مؤثّرة فى نزول المطر، وكثرة الأموال والبنين، وجريان الأنهار إلى غير ذلك، وأمّا بيان كيفيّة تأثير عمل العبد فى الكائنات الطبيعيّة، فيطلب فى محلّه.

وقوله سبحانه: إِنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ «۲».

وقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّه لَم يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلَى قَوْمٍ حَتَى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» «۳».

وقوله سبحانه: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ «۴».

وقوله سبحانه: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّه يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۳

لايَحْتَسِبُ «۱».

وقوله تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ «۲»

.

وقوله سبحانه: وَنُوحَاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ «۳».

وقال تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ «۴».

وقال سبحانه: وَمَا كَانَ اللَّه لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّه مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ «۵».

وقال تعالى: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ* لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* فَنَبذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ* وَأَنبَتْنَا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ «۶».

وقال تعالى: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِى المُؤْمِنينَ «۷».

وقال سبحانه: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنْتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إلَّاقَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْىِ فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ «۸».

وهذه الآیات بالإضافهٔ إلی کثیر من الأحادیث- التی سیوافیک بیان نزر

منها- تعرب عن أنّ الأعمال الصالحهٔ مؤثّرهٔ فی مصیر الإنسان، وأنّ الإنسان بعمله یؤثّر فی تحدید قدره وتبدیل القضاء، ولیس هناک مقدّر محتوم فیما یرجع إلی أفعاله الاختیاریهٔ حتّی یکون العبد فی مقابله مکتوف الأیدی والأرجل.

البداء فی الروایات

اشارهٔ

البداء فی الروایات

وأمّا الأحادیث التی تدلّ علی هذا المطلب فکثیرهٔ جدّاً مبعثرهٔ فی کتب الحدیث تحت مواضیع مختلفهٔ مثل الصدقهٔ والاستغفار والدعاء وصلهٔ الرحم، وما أشبه ذلک، وسنذکر فیما یلی نماذج مختلفهٔ من الأحادیث الدالّهٔ علی هذه المطالب:

ألف- الصدقهٔ وأثرها فی دفع البلاء:

ألف- الصدقهٔ وأثرها فی دفع البلاء:

روی الصدوق فی الخصال عن أنس قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «أکثر من صدقهٔ السرِّ؛ فإنّها تُطفیٔ غضب الربِّ جلّ جلاله».

وروی فی عیون الأخبار عن الرضا عن آبائه علیهم السلام قال: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله:

«باکروا بالصدقهٔ، فمن باکر بها لم یتخطّاها البلاء».

وروی الشیخ الطوسی فی أمالیه عن الباقر علیه السلام قال: «قال أمیرالمؤمنین علیه السلام:

أفضل ما توسّل به المتوسّلون الإیمان باللّه، وصدقهٔ السرِّ؛ فإنّها تذهب الخطیئهٔ، وتطفیٔ غضب الرب، وصنائعُ المعروف؛ فإنّها تدفع میتهٔ السوء، وتقی مصارع الهوان».

وروی الصدوق فی ثواب الأعمال عن الصادق علیه السلام: قال: «الصدقهٔ بالید تدفع میتهٔ السوء، وتدفع سبعین نوعاً من أنواع البلاء».

إلی غیر ذلک من الروایات المتعدّدهٔ والتی یضیق المجال بذکرها، وللمستزید

الرجوع إلی کتاب بحار الأنوار للعلّامهٔ المجلسی ضمن أبواب الزکاهٔ والصدقهٔ وغیرها «۱».

ب- أثر الاستغفار فی الرزق:

ب- أثر الاستغفار فی الرزق:

روی الصدوق فی الخصال عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: «الاستغفار یزید فی الرزق».

وروی أیضاً عن أمیر المؤمنین علیه السلام: «أکثروا الاستغفار؛ تجلبوا الرزق» «۲».

ج- الدعاء وآثاره:

ج- الدعاء وآثاره:

روى الحميرى فى قرب الإسناد عن الصادق عليه السلام: «إنّ الدعاء يردّ القضاء، وإنّ المؤمن ليأتى الذنب فيحرم به الرزق» «۳».

وروى أيضاً عنه عليه السلام: قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا أبواب البلاء بالدعاء».

وروى الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء» «۴».

قد عقد الكلينى فى الكافى باباً أسماه «إنّ الدعاء يردّ البلاء والقضاء» ومن جملة أحاديث هذا الباب: روى عن حمّاد بن عثمان قال: سمعته يقول: «إنّ الدعاء يردّ القضاء؛ ينقضه كما ينقض السلك وقد أُبرم إبراماً» «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۶

وروى عن أبى الحسن موسى عليه السلام: «عليكم بالدعاء؛ فإنّ الدعاء للّه والطلب إلى اللّه يردّ البلاء وقد قدّر وقضى ولم يبق إلّاإمضاؤه، فإذا دعى اللّه عزّ وجلّ وسئل، صرف البلاء صرفة» «۱».

وأمّا من طرق العامّة فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس- رضى اللّه عنه- قال:

«لا ينفع الحذر عن القدر، ولكن اللّه يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر».

قال: وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنّف، وابن أبى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسعود- رضى اللّه عنه- قال: ما دعا عبد بهذه الدعوات إلّاوسّع اللّه له فى معيشته:

«ياذا المنّ ولا يمنّ عليه، ياذا الجلال والإكرام، ياذا الطول، لا إله إلّاأنت ظهر اللّاجين وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتنى عندك فى أُمّ الكتاب شقياً فامح عنّى اسم الشقاء وأثبتنى عندك سعيداً، وإن كنت كتبتنى عندك فى أُمّ الكتاب محروماً، مقتّراً على رزقى، فامح حرماني، ويسّر رزقى، وأثبتنى عندك سعيداً موفّقاً للخير، فإنّك تقول فى كتابك الذى أنزلت: يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب «۲».

وروى أيضاً فى الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى: يسألُهُ من فى السموات ما يقرب من هذا، فلاحظ «۳».

د- أثر صلة الرحم:

د- أثر صلة الرحم:

روى الكلينى عن أبى الحسن الرضا قال: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقى من عمره ثلاث سنين، فيصيّرها اللّه ثلاثين سنة، ويفعل اللّه ما يشاء» «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۳۷

وروى أيضاً عن أبى جعفر قال: «صلة الأرحام تزكّى الأعمال، وتنمى الأموال وتدفع البلوى، وتيسّر الحساب، وتنسئ فى الآجال» «۱».

ومن طرق العامّة وردت روايات متعدّدة فى هذا المنحى، نكتفى منها بما رواه السيوطى فى الدر المنثور عن علىّ رضى الله عنه: أنّه سأل رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن هذه الآية:

يَمْحُوا اللّه فقال له: «لأقرّن عينيك بتفسيرها، ولأقرّنَّ عين أُمّتى بعدى بتفسيرها: الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة، ويزيد فى العمر، ويقى مصارع السوء».

وكما أنّ للأعمال الصالحة أثراً فى المصير وحسن العاقبة، وشمول الرحمة وزيادة العمر وسعة الرزق، كذلك الأعمال الطالحة والسيّئات لها من التأثير المعاكس الذى لا يخفى على أحد فى مسيرة حياة الإنسان.

ويدلّ على ذلك من الآيات قوله سبحانه:

وضَرَبَ اللّه مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرتْ بِأَنْعُمِ اللّه فَأَذَاقَها اللّه لِباسَ الجُوعِ والخَوفِ بِمَا كانُوا

یَصْنَعُونَ «۲».

وقال سبحانه: ذَلِکَ بِأَنَّ اللَّه لَمْ یَکُ مُغَیِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَی قَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّه سَمِیعٌ عَلِیمٌ «۳».

وقال سبحانه: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِینَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمراتِ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ «۴».

أمّا الروایات فی ذلک فحدّث عنها ولاحرج منها ما روی عن أمیر المؤمنین

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۳۸

علیّ علیه السلام عندما قال فی خطبة له: «أعوذ باللَّه من الذنوب التی تعجّل الفناء» فقام إلیه عبد اللَّه بن الکوّاء الیشکری، فقال: یا أمیر المؤمنین أوَ تکون ذنوب تعجّل الفناء؟

فقال: «نعم ویلک! قطیعة الرحم». وقال أیضاً: «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فی أیدی الأشرار» «۱».

وقد وردت فی الآثار الوضعیة للأعمال روایات یطول الکلام بنقلها. فلاحظ ما ورد فی الزنا من أنّ فیه ستّ خصال ثلاث منها فی الدنیا وثلاث منها فی الآخرة، أمّا التی فی الدنیا فیذهب بالبهاء ویعجّل الفناء ویقطع الرزق «۲».

وأیضاً ما ورد فی ترک الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، مثل ما روی عن أبی الحسن الرضا علیه السلام من أنّه قال: «لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنکر، أو لتستعملنّ علیکم شرارکم، فیدعو خیارکم فلا یستجاب لهم» «۳».

وعن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: «إنّهم لمّا تمادوا فی المعاصی ولم ینههم الربّانیون والأحبار نزلت بهم العقوبات» «۴».

ورد عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لا تزال أُمّتی بخیر ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنکر وتعاونوا علی البرّ، فإذا لم یفعلوا ذلک نزعت منهم البرکات، وسلّط بعضهم علی بعض، ولم یکن لهم ناصر فی الأرض ولا فی السماء» «۵» إلی غیر ذلک من درر الکلمات التی نقلت عن معادنها.

فقد تحصّل ممّا ذکرنا:

أوّلًا: أنّ علمه سبحانه یعمّ کلّ الأشیاء؛ ماضیها وحاضرها ومستقبلها.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۳۹

وثانیاً: أنّه سبحانه کلّ یوم هو فی شأن.

وثالثاً: أنّ لأفعال العباد تأثیراً فی حسن العاقبة وسوئها، ونزول الرحمة والبرکة، أو العقاب والنقمة.

إذا وقفت علی هذه المقدّمات الثلاث فاعلم: أنّه یقع الکلام فی البداء فی مقامین:

۱- البداء فی مقام الثبوت: أی تغییر المصیر بالأعمال الصالحة أو الطالحة.

۲- البداء فی مقام الإثبات: أی الإخبار عن تحقّق الشیء علماً بالمقتضی مع خفاء المانع.

البداء فی مقام الثبوت

اشارة

البداء فی مقام الثبوت

إنّ حقیقة البداء أنّه سبحانه- علی خلاف ما اعتقده الیهود والنصاری فی حقّه من فراغه عن أمر الخلق والتدبیر، والإحیاء والإماتة، والتوسیع والتقدیر فی الرزق، والتعمیر والتنقیص، إلی غیر ذلک ممّا یرجع إلی الکون والإنسان- هو القائم دائماً بالأمر والتدبیر، وهو القیّوم علی کلِّ شیء، وکلّ یوم فی شأن، ولیست یداه مغلولتین، بل یداه مبسوطتان (فی کلّ شیء) یمحو ویثبت حسب مشیئته الحکیمة وإرادته النافذة، فهو المتجلّی فی کلّ زمان بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا، کالخالقیة والرازقیة، والإحیاء والإماتة، إلی غیر

ذلک من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

ومن شعب هذا الأمر، هو أنّه سبحانه: يزيد فى الرزق والعمر وينقص منهما، وينزل الرحمة والبركة، كما ينزل البلاء والنقمة، حسب مشيئته الحكيمة، النافذة، ولا تصدر عنه الأُمور جزافاً واعتباطاً، بل حسب ما تقتضيها حال العباد من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۰

حسن الأفعال وقبحها، وصالح الأعمال وطالحها. فربّما يكون الإنسان مكتوباً فى الأشقياء، ثمّ يمحى فيكتب من السعداء، أو على العكس بسبب ما يقوم به من أعمال.

وبالجملة: فالبداء فى عالم الثبوت مخالف لزعم اليهود والنصارى المشار إليه فى قوله سبحانه: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبّك طُغْياناً وَكُفْراً «۱»

، وقد ردَّ سبحانه تلك العقيدة اليهودية الباطلة فى هذه الآية كما هو واضح.

ولأجل أنّ يديه سبحانه مبسوطتان، يزيد فى الخلق ما يشاء- وفى العمر- وينقص منه، حسب مشيئته الحكيمة قال سبحانه: الحَمْدُ للَّه فَاطِرِ السَّمواتِ والأرْضِ... يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ «۲».

قال سبحانه: وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلاتَضَعُ إلَّابِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلّافِى كِتابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ «۳».

وبناء على ذلک فالبداء بهذا المعنى ممّا يشترک فيه كلّ المسلمين، على مذاهبهم المختلفة، من دون اختصاص بالشيعة، فليس أحد من المسلمين ينكر أنّه سبحانه كلّ يوم هو فى شأن، وأنّه جلّ وعلا يبدئ ويعيد، ويحيي ويميت، كما أنّه سبحانه يزيد فى الرزق والعمر وينقص، إلى غير ذلک حسب المشيئة الحكيمة والمصالح الكامنة فى أفعاله.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۱

بحث فى قوله تعالى: يمحوا اللَّه مايشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب:

بحث فى قوله تعالى: يمحوا اللَّه مايشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب:

هذا الأصل- الذى يعدّ من المعارف العليا تجاه ما عرف من اليهود، من سيادة القدر على كلّ شيء حتى إرادته سبحانه- يستفاد بوضوح من قوله سبحانه:

يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب «۱»

وهذه الآية هى الأصل فى البداء فى مقام الثبوت ويكفى فى إيضاح دلالتها، نقل كلمات المحقّقين من المفسّرين، حتّى يقف القارئ على أنّ القول بالبداء بالمعنى الصحيح، ممّا اصفقت عليه الأُمّة.

۱- روى الطبرى (ت ۳۱۰ ه) فى تفسير الآية عن جمع من الصحابة والتابعين أنّهم كانوا يدعون اللَّه سبحانه بتغيير المصير وإخراجهم من الشقاء- إن كتب عليهم- إلى السعادة، مثلًا كان عمر بن الخطاب- رضى اللَّه عنه- يقول وهو يطوف بالكعبة: اللّهم إن كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها، وإن كنت كتبتنى على الذنبِ [الشقاوة] فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة؛ فإنّک تمحو ما تشاء وتثبت وعندک أُمّ الكتاب.

وروى نظير هذا الكلام عن ابن مسعود، وابن عبّاس، وشقيق وأبى وائل «۲».

روى عن ابن زيد أنّه قال فى قوله سبحانه: يمحوا اللَّه ما يشاء بما يُنَزِّلُ على الأنبياء، ويُثبت ما يشاء ممّا ينزله إلى الأنبياء وقال: وعنده أُمّ الكتاب لايُغيّر ولايُبدَّل» «۳».

۲- قال الزمخشرى (ت ۵۲۸ ه): يمحوا اللَّه ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة فى إثباته أو ينزله غير منسوخ «۴».

۳- ذكر الطبرسى (۴۷۱- ۵۴۸ ه): لتفسير الآية وجوهاً متقاربة وقال:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۲

«الرابع أنّه عامٌّ فى كلّ شىء، فيمحو من الرزق ويزيد فيه، ومن الأجل، ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما. (روى ذلك) عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبى وائل، وقتادة. وأُمّ الكتاب أصل الكتاب الذى أُثبتت فيه الحادثات والكائنات.

وروى أبو قلابَة عن ابن مسعود أنّه كان يقول: اللّهمّ إن كنت كتبتنى فى الأشقياء فامحنى من الأشقياء...» «۱».

۴- قال الرازى (ت ۶۰۸ ه): إنّ فى هذه الآية قولين:

القول الأوّل: إنّها عامة فى كلّ شىء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا: إنّ اللَّه يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول فى الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمر و ابن مسعود، والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرّعون إلى اللَّه تعالى فى أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وهذا التأويل رواه جابر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

والقول الثانى: إنّ هذه الآية خاصّة فى بعض الأشقياء دون البعض.

ثمّ قال: فإن قال قائل: ألستم تزعمون أنّ المقادير سابقة قد جفَّ بها القلم وليس الأمر بأنف، فكيف يستقيم مع هذا المعنى، المحو والإثبات؟

قلنا: ذلك المحو والإثبات أيضاً مما جفّ به القلم، فلأنّه لايمحو إلّاما سبق فى علمه وقضائه محوه «۲».

۵- قال القرطبى (ت ۶۷۱ ه)- بعد نقل القولين وأنّ المحو والإثبات هل يعمّان جميع الأشياء أو يختصّان ببعضها-: مثل هذا لايدرك بالرأى والاجتهاد، وإنّما يؤخذ توقيفاً، فإن صحَّ فالقول به يجب أن يوقف عنده، وإلّا فتكون الآية عامّة فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۳

جميع الأشياء، وهو الأظهر- ثم نقل دعاء عمر بن الخطاب فى حال الطواف ودعاء عبداللَّه بن مسعود ثم قال: روى فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: «مَن سرَّه أن يبسط له فى رزقِهِ ويُنسَأ له فى أثره (أجله) فليصل رحمه» «۱».

۶- قال ابن كثير (ت ۷۷۴ ه) بعد نقل قسم من الروايات: ومعنى هذه الروايات أنّ الأقدار ينسخ اللَّه ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يُستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إن الرجل ليُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبه ولايردّ القَدَرُ إلّابالدعاء، ولايزيد فى العمر إلّاالبر» ثم نقل عن ابن عبّاس: «الكتاب كتابان؛ فكتاب يمحو اللَّه منه ما يشاء ويثبت عنده ما يشاء، وعنده أُمّ الكتاب» «۲».

۷- روى السيوطى (ت ۹۱۱ ه) عن ابن عبّاس فى تفسير الآية: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة اللَّه، ثم يعود لمعصية اللَّه فيموت على ضلالة، فهو الذى يمحو، والذى يثبت: الرجل يعمل بمعصية اللَّه تعالى وقد سبق له خير حتّى يموت وهو فى طاعة اللَّه سبحانه وتعالى. ثمّ نقل ما نقلناه من الدعاء عن جماعة من الصحابة والتابعين «۳».

۸- ذكر الآلوسى (ت ۱۲۷۰ ه) عند تفسير الآية قسماً من الآثار الواردة حولها وقال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ- كرم اللَّه وجهه- أنّه سأل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: يمحوا اللَّه ما يشاء... الآية فقال له عليه الصلاة والسلام: «لأقرّنّ عينك بتفسيرها، ولأقرّنّ عين أُمّتى بعدى بتفسيرها: الصدقة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۴

على وجهها، وبرّ الوالدين واصطناع المعروف، محوِّل الشقاء سعادة، ويزيد فى العمر، ويقى مصارع السوء» ثم قال: دفع الإشكال عن استلزام ذلك، بتغيّر علم اللَّه سبحانه، ومن شاء فليراجع «۱».

۹- قال صديق حسن خان (ت ۱۳۰۷ ه) فى تفسير الآية: وظاهر النظم القرآنى العموم فى كلّ شىء ممّا فى الكتاب، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوةٍ أو سعادةٍ أو رزقٍ أو عمرٍ أو خيرٍ أو شرّ ويبدّل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا. لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وإلى هذا ذهب عمر بن الخطّاب وابن مسعود وابن عبّاس وأبو وائل وقتادة والضحّاك وابن جريج وغيرهم... «۲».

۱۰- قال القاسمى (ت ۱۳۳۲ ه): تمسّك جماعة بظاهر قوله تعالى: يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت فقالوا: إنّها عامَّة فى كلّ شىء كما- يقتضيه ظاهر اللفظ- قالوا يمحو اللَّه من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول فى الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر «۳».

۱۱- قال المراغى (ت ۱۳۷۱ ه) فى تفسير الآية: وقد أُثر عن أئمة السلف أقوال لاتناقض بل هى داخلة فيما سلف ثم نقل الأقوال بإجمال «۴».

وهذه الجمل والكلم الدرّية المضيئة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان والمفسّرين؛ تعرب عن الرأى العام بين المسلمين فى مجال إمكان تغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة، ومنها الدعاء والسؤال، وأنّه ليس كلّ تقدير حتمياً لايغيّر ولايبدّل، وأنّ للَّه سبحانه لوحين: لوح المحو والإثبات ولوح «أُمّ الكتاب»

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۵

والذى لايتطرّق التغيير إليه هو الثانى دون الأوّل، وأنّ القول بسيادة القدر على اختيار الإنسان فى مجال الطاعة والمعصية؛ قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحكمات الكتاب. ومن جنح إليه لزمه القول بلغوية إرسال الرسل وإنزال الكتب ذلكَ ظَنُّ الَّذينَ كَفروا فَويلٌ لِلَّذينَ كَفروا مِنَ النّار «۱»

.

وكما أنّه سبحانه يداه مبسوطتان، كذلك العبد مختار فى أفعاله لا مسيّر، وحرٌّ فى تصرّفاته «۲» لا مجبور، له أن يغيّر مصيره ومقدَّره بحسن فعله وجودة عمله، ويخرج اسمه من الأشقياء، ويدخله فى السعداء، كما أنّ له أن يخرج اسمه من السعداء ويدخله فى الأشقياء بسوء عمله.

فاللَّه سبحانه كما يمحو ويثبت فى التكوين، فيحيى ويميت، كذلك يمحو مصير العبد ويغيّره حسب ما يغيّر العبد بنفسه (فعله وعمله) لقوله سبحانه: إنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» «۳»

، كل ذلك لأجل أنّ يديه مبسوطتان، وأنّ العبد حرٌّ مختار، قادر على تغيير القضاء، وتبديل القدر، بحسن فعله أو سوئه، كما دلّت عليه الآيات والروايات.

وليس فى ذلك أىّ محذور ولا مخالفة للعقل ولا الكتاب والسنّة، بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه، هو أيضاً من قدره وقضائه وسننه التى لا تبديل لها ولا تغيير، فاللَّه سبحانه إذا قدّر لعبده شيئاً وقضى له بأمر، فلم يقدّره ولم يقضِ به على وجه القطع والبتّ، بحيث لا يتغيّر ولا يتبدّل، بل قضى به على وجه خاصّ، وهو أنّ القضاء والقدر يجرى عليه، ما لم يغيّر العبد حاله، فإذا غيّر

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۶

حاله بحسن فعله أو سوئه، يتغيّر القضاء ويتبدّل القدر، ويخلف قضاء وقدر آخر مكانهما الأوّل، وكلّ هذه أيضاً قضاء وقدر منه، كما لا يخفى.

وهذا (البداء فى الثبوت) أولى من التسمية بالمحو والإثبات، والتغيير والتبديل فى الكون وفى مصير الإنسان، غير أنّ المحو والإثبات فى الكون بيد اللَّه سبحانه، يتصرّف فيه حسب مشيئته، ولا دخل لإرادة الإنسان وفى صلاح فعله وفساده، وأمّا التغيير فى مصير الإنسان فيتوقّف تعلّق المشيئة عليه؛ على كيفية حال العبد وكيفية عمله من حسن أو قبح.

الأثر التربوى للاعتقاد فى البداء:

الأثر التربوى للاعتقاد فى البداء:

الاعتقاد بالمحو والإثبات، وأنّ العبد قادر على تغيير مصيره بأفعاله وأعماله، لابدّ من أن يبعث الرجاء فى قلب من يريد أن يتطهّر،

وينمى نواة الخير الكامنة فى نفسه. فتشريع البداء، مثل تشريع قبول التوبة، والشفاعة، وتكفير الصغائر بالاجتناب عن الكبائر، كلّها لأجل بعث الرجاء وإيقاد نوره فى قلوب العصاة والعتاة، حتّى لا ييأسوا من روح اللّه، ولا يتولّوا بتصور أنّهم من الأشقياء وأهل النار قدراً، وأنّه لافائدة من السعى والعمل، فلعلم الإنسان أنّه سبحانه لم يجفّ قلمه فى لوح المحو والإثبات، وله أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، يسعد من يشاء، ويشقى من يشاء «وليست مشيئته جزافية غير تابعة لضابطة عقلية» لأنّ العبد لو تاب، وعمل بالفرائض، وتمسّك بالعروة الوثقى، فإنّه يخرج من سلك الأشقياء، ويدخل فى صنف السعداء، وبالعكس. وهكذا فإنّ كلّ ما قدّر فى حقّه من الموت والمرض والفقر والشقاء يمكن تغييره بالدعاء، والصدقة، وصلة الرحم، وإكرام الوالدين، وغير ذلك، فجميع هذا من باب الرحمة الإلهية لأجل بثّ الأمل فى قلب الإنسان، وعلى هذا فالاعتقاد بذلك من ضروريات الكتاب وصريح آياته

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۷

وأخبار الهداة.

وبهذا يظهر أنّ البداء من المعارف العليا التى اتّفقت عليه كلمة المسلمين، وإن غفل عن معناه الجمهور (ولو عرفوه لأذعنوا له).

وأمّا اليهود- خذلهم اللّه- فقالوا باستحالة تعلّق المشيئة بغير ما جرى عليه القلم، ولأجل ذلك قالوا: يد اللّه مغلولة عن القبض والبسط، والأخذ والإعطاء، وبعبارة أُخرى: فإنّهم يذهبون إلى أنّ للإنسان مصيراً واحداً لايمكن تغييره ولا تبديله، وأنّه ينال ما قدّر له من الخير والشر.

ولو صحّ ذلك لبطل الدعاء والتضرّع، ولبطل القول بأنّ للأعمال الصالحة وغير الصالحة ممّا عددناها تأثيراً فى تغيير مصير الإنسان.

على ضوء هذا البيان نتمكّن من فهم ما جاء فى فضيلة البداء وأهميته فى الروايات مثل ما روى عن زرارة عن أحدهما (الباقر أو الصادق عليهما السلام): «ما عُبد اللّه عزّ وجلّ بشىء مثل البداء» «۱».

وما روى عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السلام: «ما عُظِّم اللّه عزّ وجلّ بمثل البداء» «۲».

إذ لولا الإقرار بالبداء بهذا المعنى ما عُرف اللّه حقّ المعرفة، بل ويبدو سبحانه فى نظر العبد (بناء على عقيدة بطلان البداء) أنّه مكتوف الأيدى، لا يقدر على تغيير ما قدّره، ولا محو ما أثبته.

ومن الروايات فى هذه المعنى ما روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لو يعلم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه» «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۸

وذلك لأنّ الاعتقاد بالبداء نظير الاعتقاد بتأثير التوبة والشفاعة يوجب رجوع العبد عن التمادى فى الغيِّ والضلالة، والإنابة إلى الصلاح والهداية.

البداء فى مقام الإثبات

اشارة

البداء فى مقام الإثبات

إذا عرفت ما ذكرنا فاعلم: أنّ المراد من البداء فى مقام الإثبات هو وقوع التغير فى بعض مظاهر علمه سبحانه؛ فإنّ لعلمه سبحانه مظاهر، منها: ما لا يقبل التغيير، ومنها ما يقبل ذلك.

أمّا الأوّل: فهو المعبّر عنه ب «اللوح المحفوظ» تارة وب «أُمّ الكتاب» أُخرى، قال سبحانه: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱» . وقوله تعالى: وَإِنّهُ فى أُمّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلىٌّ حَكِيمٌ «۲».

وقال سبحانه: مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى أَنْفُسِكَمْ إِلَّافِى كِتابٍ مِن قَبْلِ أن نَبْرَأهَا إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ «۳».

فـاللوح المحفوظ وأُمّ الكتـاب يمكن التعبير عنه بأنّه ذلك الكتاب الـذى كتب فيه ما يصـيب الإنسان طيلـة حياته من بلايا وفتن ونعيم وسـرور بشـكل لا يمكن أن يتطرّق إليها المحو والإثبات قدر شعرة، ولأجل ذلك لو تمكّن الإنسان أن يتّصل به، لوقف على الحوادث على ما هى عليه بلا خطأ ولا تخلّف.

أمّا الثانى: فهو لوح المحو والإثبات الذى أشار إليه سبحانه بقوله: يَمْحُوا اللَّه مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ «۴»

فالأحكام الثابتة فيه أحكام معلّقة على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۴۹

وجود شـرطها أو عدم مانعها، فالتغيّر فيها لأجل إعواز شـرطها أو تحقّق مانعها، فمثلًا يمكن أن يكتب فيه الموت نظراً إلى مقتضياته فى الوقت المعين المتّصل بالمقتضـيات، إلّاأنّه ربّما يمحى ويؤجل ويكتب بدله توفر الصـحّة؛ لفقدان شـرط التقدير الأوّل أو طروّ مانع من تأثير المقتضى.

فالتقـدير الأـوّل يفرض لأجل قياس الحادث إلى مقتضـيه، كما أنّ التقـدير الثانى يتصوّر بالنسـبة إلى جميع أجزاء علّته، فإنّ الشـىء إذا قيس إلى مقتضـيه- الذى يحتاج الصدور منه إلى وجود شرائط وعدم موانع- يمكن تقدير وجوده، بالنظر إلى مجموع أجزاء علّته التى منها الشرائط وعدم الموانع، ويقدّر عدمه لفرض عدم وجود شرائطه، وتحقّق موانعه.

إذا علمت ذلـك فـاعلم: أنّه ربّمـا يتّصـل النبىّ أو الولىّ بلوح المحو والإثبـات، فيقف على المقتضـى من دون أن يقف على شـرطه أو مانعه، فيخبر عن وقوع شـىء ما، ولكنّه ربّما لا يتحقّق لأجل عـدم تحقّق شـرطه أو عـدم تحقّق وجود مانعه، وذلك هو البـداء فى عالم الإثبات.

وإن شـئت قلت: إنّ موارد وقوع البـداء حسب الإثبات من ثمرات البـداء فى عالم الثبوت، ولم يرد فى الأخبار من هذا القسم من البداء إلّاموارد لا تتجاوز عدد الأصابع «۱»، نشير إليه بعد الفراغ عمّا ورد فى الذكر الحكيم.

تلميحات للبداء فى الذكر الحكيم:

تلميحات للبداء فى الذكر الحكيم:

- قـال سـبحانه: فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلام حَلِيم* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أرى فِى المَنَامِ أَنِّى أَذبَحُكَ فَانظر مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّه مِنَ الصَّابِرِينَ «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۰

أخبر إبراهيم عليه السلام ولـده إسـماعيل عليه السـلام بأنّه رأى فى المنام أنّه يـذبحه، ورؤيا الأنبياء (كما ورد فى الحـديث) من أقسام الوحى، فكانت رؤياه صادقة حاكية عن حقيقة ثابتة، وهى أمر اللَّه إبراهيم بذبح ولده، وقد تحقّق ذلك الأمر، أى أمر اللَّه سبحانه به.

ولكن قوله: إِنِّى أَرى فِى المَنَامِ أَنِّى أَذبَحُكَ يكشف عن أمرين:

أوّلًا: الأمر بذبح الولد أمر تشريعى كما عرفت وقد تحقّق.

ثانياً: الحكايـة عن تحقّق ذلك فى الواقع الخارجى وأنّ إبراهيم سيمتثل ذلك، والحال أنّه لم يتحقّق لفقـدان شـرطه وهو عدم النسخ، ويحكى عن كلا الأمرين قوله: وفَدَيناهُ بِذَبْحٍ عظيم.

و عندئـذ يطرح هـذا السؤال نفسه: بـأنّه كيف أخبر خليـل الرحمن بشـىء من الملاحم والمغيبـات، ثمّ لم يتحقّق؟ والجواب عن هـذا السؤال يكمن فى الأمر الذى أشرنا إليه سابقاً وهو أنّ إبراهيم عليه السلام وقف على المقتضى فأخبر بالمقتضى، ولكنّه لم يقف على ما هو العلّة التامّة، وليس لعلمه هذا مصدر سوى اتّصاله بلوح المحو والإثبات.

۲- وأمّا يونس عليه السلام فإنّه أنذر قومه بأنّهم إن لم يؤمنوا فسوف يصيبهم العذاب إلى ثلاثة أيام «۱» وما كان قوله تخرّص أو تخويف، بل كان يخبر عن حقيقة يعلم بها، إلّا أنّ هذا الأمر لم يقع كما هو معروف، وفى هذا إشارة واضحة إلى أنّه عليه السلام وقف على المقتضى ولم يقف على المانع، وهو أنّ القوم سيتوبون عند رؤية العذاب توبة صادقة يعلمها اللّه تعالى ترفع عنهم العذاب الذى وعدوا به، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه:

فَلَوْلا كَانَت قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلّاقَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِى الحَياةِ الدُّنيا وَمَتَّعْناهُمْ إلى حِين «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۱

۳- أخبر موسى قومه بأنّه سيغيب عنهم ثلاثين ليلة، كما روى عن ابن عبّاس حيث قال: إنّ موسى قال لقومه: إنّ ربّى وعدنى ثلاثين ليلة أن ألقاه وأخلف هارون فيكم، فلمّا فصل موسى إلى ربّه زاده اللّه عشراً، فكانت فتنتهم فى العشر التى زاده اللّه «۱».

وإلى هذا الأمر يشير قوله سبحانه: وَوَاعدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسى لأخيهِ هَارونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبيلَ المفسِدِينَ «۲».

فلا شكّ أنّ موسى أُطلع على الخبر الأوّل ولم يطلع على نسخه، وأنّ التوقيت سيزيد، ولا مصدر لعلمه إلّاالاتّصال بلوح المحو والإثبات.

هذه جملة الأخبار التى تحدَّث بها الذكر الحكيم عن أحداث ووقائع كان النبيّون عليهم السلام قد أخبروا بحتمية وقوعها على حدّ علمهم، إلّاأنّها لم تتحقّق، وعندها لا مناص من تفسيرها بوقوف أنبياء اللّه تعالى على المقتضى دون العلّة التامّة.

فعندما يظهر عدم التحقّق يطلق عليه البداء، والمراد به أنّه بدا من اللّه لنبيّه وللناس ما خفى عليهم، على غرار قوله سبحانه: وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّه مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ «۳»

فالبداء إذا نسب إلى اللّه سبحانه فهو بداء منه، وإذا نسب إلى الناس فهو بداء لهم.

وبعبارة أُخرى: البداء من اللّه هو إظهار ما خفى على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفى لهم، وهذا هو الحقّ الصراح الذى لا يرتاب فيه أحد.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۲

تلميحات للبداء فى الروايات الشريفة

تلميحات للبداء فى الروايات الشريفة

وأمّا ما ورد فى الروايات، فهو بين خمسة أو أزيد بقليل:

۱- إنّ المسيح عليه السلام مرّ بقوم مجلبين «۱»، فقال: «ما لهؤلاء»؟ قيل يا روح اللّه فلانة بنت فلانة تهدى إلى فلان فى ليلته هذه، فقال: «يجلبون اليوم ويبكون غداً»، فقال قائل منهم: ولم يا رسول اللّه؟ قال: «لأنّ صاحبتهم ميّتة فى ليلتها هذه»... فلمّا أصبحوا وجدوها على حالها، ليس بها شىء، فقالوا: يا روح اللّه إنّ التى أخبرتنا أمس أنّها ميّتة لم تمُت. فدخل المسيح دارها فقال: «ما صنعت ليلتك هذه»؟ قالت:

لم أصنع شيئاً إلّاوكنت أصنعه فيما مضى، إنّه كان يعترينا سائل فى كلّ ليلة جمعة فَنُنيله ما يقوته إلى مثلها. فقال المسيح: «تنحّ عن مجلسك» فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة، عاضّ على ذنبه، فقال عليه السلام: «بما صنعتِ، صُرِفَ عنكِ هذا» «۲».

۲- روى الكلينى عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «مرّ يهودى بالنبىّ صلى الله عليه و آله فقال:

السام عليك، فقال النبىّ صلى الله عليه و آله: عليك. فقال أصحابه: إنّما سلّم عليك بالموت فقال: الموت عليك. فقال النبىّ صلى الله عليه و آله: وكذلك رددت. ثمّ قال النبىّ صلى الله عليه و آله: إنّ هذا اليهودى يعضّه أسود فى قفاه فيقتله.

قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله، ثمّ لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ضعه، فوضع الحطب فإذا أسود فى جوف الحطب عاضّ على عود، فقال: يا يهودى ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملًا إلّا حطبى هذا حملته فجئت به وكان معى كعكتان، فأكلت واحدة وتصدّقت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۳

بواحدة على مسكين، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: بها دفع اللَّه عنه، قال: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان» «۱».

ولا يمكن لأحدٍ تفسير مضامين الآيات الماضية وهذين الحديثين إلّاعن طريق البداء بالمعنى الذى تعرّفت عليه، وهو اتّصال النبىّ بلوح المحو والإثبات، والوقوف على المقتضى، والإخبار بمقتضاه دون الوقوف على العلّة التامّة.

۳- روى الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ اللَّه تعالى عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، فمرّ بآدم اسم داود النبىّ عليه السلام فإذا عمره فى العالم أربعون سنة، فقال آدم: يا ربِّ ما أقل عمر داود وما أكثر عمرى، يا ربّ إن أنا زدت داود من عمرى ثلاثين سنة، أتثبت ذلك له؟ قال اللَّه: نعم يا آدم، فقال آدم: فإنّى قد زدته من عمرى ثلاثين سنة» قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «فأثبت اللَّه عزّوجلّ لداود فى عمره ثلاثين سنة» «۲».

ترى أنّه سبحانه أثبت شيئاً، ثمّ محاه بدعاء نبيّه، وهذا هو المراد من قوله سبحانه: يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب فلو أخبر نبىّ اللَّه عن عمر داود بأربعين سنة لم يكن كاذباً فى إخباره؛ لأنّه وقف على الإثبات الأوّل، ولم يقف على محوه.

۴- أوحى اللَّه تعالى إلى نبىّ من أنبيائه أن يخبر أحد ملوك عصره بأنّه تعالى متوفّيه يوم كذا، فما كان من ذلك الملك إلّاأن رفع يديه بالدعاء إلى اللَّه تعالى قائلًا:

ربّ أخّرنى حتّى يشبَّ طفلى وأقضى أمرى، فأوحى اللَّه عزّوجلّ إلى ذلك النبىّ:

أن ائت فلاناً الملك وأخبره أنّى قد زدت فى عمره خمس عشرة سنة «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۴

۵- روى عمرو بن الحمق، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضرب على قرنه، فقال لى: «يا عمرو إنّى مفارقكم، ثمّ قال: سنة سبعين فيها بلاء»- قالها ثلاثاً- فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبنى وأُغمى عليه، فبكت أُمّ كلثوم فأفاق... فقلت: بأبى أنت وأُمّى قلتَ: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟

قال: «نعم يا عمرو إنّ بعد البلاء رخاء و يمحوا اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب» «۱»

.

هذه جملة ما ورد فى البداء فى مقام الإثبات، وإن شئت قلت فى ثمرات البداء فى الثبوت، ولا تجد فى الأحاديث الشيعية بداء غير ما ذكرنا، ولو عثر المتتبع على مورد، فهو نظير ما سبق من الموارد، والتحليل فى الجميع واحد.

إذا وقفت على ذلك تدرك بوضوح ضعف مقالة الرازى التى يقول فيها: إنّ أئمّة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم، لا يظهر معهما أحد عليهم:

الأوّل: القول بالبداء، فإذا قال: إنّهم سيكون لهم قوّة وشوكة، ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروا، قالوا: بدا للَّه فيه «۲».

إنّ الذى نقله أئمّة الشيعة هو ما تعرّفت عليه من الروايات، وليس فيها شىء مما نسبه الرازى إليهم، فقد نقلوا قصّة رسول اللَّه مع اليهودى، وقصة المسيح مع العروس، كما نقلوا قصّة عمر داود وعمر الملك، فهل يجد القارئ المنصف شيئاً مما ذكره الرازى؟!

وأمّا ما رواه عمرو بن الحمق فإنّما هو خبر واحد ذيّل كلامه بالآية قائلًا: بأنّ هذا ليس خبراً قطعياً وأنّه فى مظانّ المحو والإثبات.

أفيصحّ لأجل مثله رمى أئمّة الشيعة «بأنّهم وضعوا قاعدتين، وأنهم كلّما

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۵

يقولون سيكون لهم قوّة ثمّ لا يكون، قالوا بدا للّه تعالى فيه»؟!

وقد سبق الرازى فى هذا الزعم أبو القاسم البلخى المعتزلى على ما حكاه شيخنا الطوسى فى تبيانه «۱».

تتمّة البحث

اشارة

تتمّة البحث

ثمّ إنّ إكمال البحث يتوقّف على ذكر أُمور:

الأمر الأوّل:

الأمر الأوّل:

إنّ البداء بالمعنى المذكور يجب أن يكون على وجه لا يستلزم تكذيب الأنبياء ووحيهم، وذلك بأن تدلّ قرائن على صحّة الإخبار الأوّل كما صحّ الخبر الثانى، وهو ما نراه واضحاً فى قصّة يونس وإبراهيم الخليل، فإنّ القوم قد شاهدوا طلائع العذاب فأذعنوا بصحّة خبر يونس، كما أنّ التفدية بذبح عظيم دلّت على صحّة إخبار الخليل، وهكذا وجود الأفعى تحت الثياب أو فى جوف حطب اليهودى يدلّان على صحّة إخبار النبىّ الأعظم.

كلّ ذلك يشهد على أنّ الخبر الأوّل كان صحيحاً ومقدّراً، غير أنّ الإنسان يمكن له أن يغيّر مصيره بعمله الصالح أو الطالح كما فى غير تلك المقامات.

وبالجملة: يجب أن يكون وقوع البداء مقروناً بما يدلّ على صحة إخبار النبىّ عليه السلام ولا يكون البداء على وجه يعدّ دليلًا على كذبه، ففى هذه الموارد دلّت القرائن على أنّ المخبر كان صادقاً فى خبره.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۶

الأمر الثانى:

الأمر الثانى:

إنّ البداء لا يتحقّق فيما يتعلّق بنظام النبوّة والولاية والخاتمية والملاحم الغيبية التى تعدّ شعاراً للشريعة، فإذا أخبر المسيح بمجىء نبىّ اسمه أحمد، أو أخبر النبىّ بكونه خاتماً للرسل، أو أنّ الخلافة بعده لوصيّه، أو أنّه يخرج من ولده من يملأ الأرض قسطاً وعدلًا، ونظير ذلك، فلا يتحقّق فيه البداء قطعاً؛ لأنّ احتمال البداء فيه ناقض للحكمة، وموجب لضلال العباد، ولو كان احتمال هذا الباب مفتوحاً فى تلك المسائل الأُصولية لما وجب لأحد أن يقتفى النبىّ المبشَّر به، ولا يوالى الوصى المنصوص عليه، ولا يتلقّى دين الإسلام خاتماً، ولا ظهور المهدى أمراً مقضيّاً، بحجّة أنّه يمكن أن يقع فيه البداء. ففتح هذا الباب فى المعارف والعقائد والأُصول والسنن الإسلامية مخالف للحكمة وموجب لضلالة الناس، وهذا ما يستحيل على اللّه سبحانه، وإنّما مصبّ البداء هو القضايا الجزئية أو الشخصيّة، كما هو الحال فى الأخبار الماضية.

الأمر الثالث:

الأمر الثالث:

أنّ إطلاق البـداء فى هـذه الموارد، إنّما هو بالمعنى الذى عرفت، وأنّ حقيقته بداء من اللّه للناس وإظهار منه، ولو قيل بدا للّه، فإنّما هو من باب المشاكلة والمجاز، والقرآن مليء به، فقد نسب الذكر الحكيم إليه سبحانه المكر وقال: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّه واللّه خَيْرُ الماكِرِينَ «۱»

وليست المناقشة فى التعبير من دأب المحقّقين، فلو كـان أهـل السنّة لا يروقهم التعبير عن هـذا الأصل بلفظ البـداء للّه، فليغيّروا التعبير ويعبّروا عن هذه الحقيقة الناصعة بتعبير يرضيهم.

ولكن الشيعة تبعت النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى هذا المصطلح، وهو أوّل من استعمل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۷

تلك اللفظة فى حقّه سبحانه، وما يؤكّد ذلك هو ما رواه البخارى فى كتاب النبوّة «قصّة بدء الخليقة» وفيها هذه اللفظة التى يستهجنها البعض ويتّهم الشيعة بابتداعها واختلاقها، فقد روى أبو هريرة:

أنّه سمع من رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «أنّ ثلاثة فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا للّه أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أى شيء أحبّ إليك؟

قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فأُعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أىّ المال أحبّ إليك؟ قال: الإبل أو قال:

البقر- هو شكّ فى ذلك أنّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر:

البقر- فأُعطى ناقة عشراء، فقال: يبارك اللّه لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أىّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنّى هذا، قد قذرنى الناس. قال: فمسحه، فذهب، وأُعطى شعراً حسناً، قال: فأىّ المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملًا، وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أىّ شيء أحبّ إليك؟ قال: يردّ اللّه إلىّ بصرى، فأُبصر به الناس، قال: فمسحه فردّ اللّه إليه بصره. قال: فأىّ المال أحب إليك؟ قال:

الغنم، فأعطاه شاة والداً، فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم.

ثمّ إنّه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطّعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلّاباللّه ثمّ بك. أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغ عليه فى سفرى، فقال له: إنّ الحقوق كثيرة. فقال له: كأنّى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك اللّه؟

فأجابه: لقد ورثت لكابر عن كابر! فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك اللّه إلى ما كنت.

وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فردّ عليه مثلما ردّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۸

عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك اللّه إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطّعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلّاباللّه، ثمّ بك. أسألك بالذى ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فردّ اللّه بصرى، وفقيراً فقد أغنانى، فخذ ما شئت، فو اللّه لا أجدك اليوم بشيء أخذته للّه، فقال: أمسك مالك فإنّما ابتليتم فقد رضى اللّه عنك وسخط على صاحبيك» «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۵۹

المسألة السادسة: الرجعة فى الكتاب والسنّة

المسألة السادسة: الرجعة فی الکتاب والسنّة

اشارة

المسألة السادسة: الرجعة فی الکتاب والسنّة

إنّ فکرة الرجعة التی تحدّثت عنها بعض الآیات القرآنیة والأحادیث المرویّة عن أهل بیت الرسالة ممّا یشنّع بها علی الشیعة، فکأنَّ من قال بها رأی رأیاً یوجب الخروج عن الدین، غیر أنّ هؤلاء نسوا أو تناسوا أنّ أوّل من أبدی نظریة الرجعة هو الخلیفة عمر بن الخطّاب، فقد أعلن عندما شاعت رحلة النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله بأنّه ما مات ولیعودنّ فیقطعنّ أیدی وأرجل أقوام...

عن أبی هریرة قال: لمّا توفّی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قام عمر بن الخطّاب، فقال: إنّ رجالًا من المنافقین یزعمون أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله توفّی، وإنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله واللَّه ما مات، ولکنّه ذهب إلی ربّه کما ذهب موسی بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعین لیلة، ثمّ رجع إلیهم بعد أن قیل قد مات، واللَّه لیرجعنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کما رجع موسی، فلیقطعنّ أیدی رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله مات «۱»!!

ولا یخفی أنّ کلام الخلیفة لو کان کلاماً حقیقیاً لابدّ أن یُحمل علی أنّ النبیّ ما مات موتاً لا رجوع فیه وإنّما یرجع فیقوم بما أخبر عنه الخلیفة، ولو أراد من نفی

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۶۰

موته أنّه ما زال حیّاً فهو خلاف رأی جمیع الصحابة الذین اتّفقوا علی موته صلی الله علیه و آله، ولم یکن موت النبیّ صلی الله علیه و آله أمراً یدرکه جمیع الناس ولا یدرکه الخلیفة.

إنّ الرجعة بمعنی عود جماعة قلیلة إلی الحیاة الدنیویة قبل یوم القیامة ثمّ موتهم وحشرهم مجدّداً یوم القیامة لیس شیئاً یضادّ أُصول الإسلام، ولیس فیه إنکار لأیّ حکم ضروری، ولیس القول برجعتهم إلی الدنیا یلغی بعثهم یوم القیامة، وکیف لا یکون کذلک وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلی الحیاة الدنیویة، نظیر:

۱- إحیاء جماعة من بنی إسرائیل «۱».

۲- إحیاء قتیل بنی إسرائیل «۲».

۳- موت أُلوف من الناس وبعثهم من جدید «۳».

۴- بعث عزیر بعد مائة عام من موته «۴».

۵- إحیاء الموتی علی ید عیسی علیه السلام «۵».

فلو کان الاعتقاد برجوع بعض الناس إلی الدنیا قبل القیامة أمراً محالًا، فما معنی هذه الآیات الصریحة فی رجوع جماعة إلیها؟

ولو کان الرجوع إلی الدنیا علی وجه الإطلاق تناسخاً فکیف تفسّر هذه الآیات؟

إنّ الاعتقاد بالذکر الحکیم یجرّنا إلی القول بأنّه لیس کلّ رجوع إلی الدنیا تناسخاً، وإنّما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الإنسان إلی الدنیا عن طریق

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۴۶۱

النطفة والمرور بمراحل التکوّن البشری من جدید لیصیر إنساناً مرّة أُخری، وأین هذا من الرجعة وعود الروح إلی البدن الکامل من جمیع الجهات من دون أن یکون فیها رجوع من القوّة إلی الفعلیة، أو دخول روح فی بدن آخر، إنساناً کان أو حیواناً؟!

اتّفقت الشیعة علی بطلان التناسخ وامتناعه، وقد کتبوا فیه مقالات ورسائل یقف علیها من کان له إلمام بکتبهم وعقائدهم، وقد ذکروا أنّ للتناسخ أنواعاً وأقساماً، غیر أنّ الرجوع إلی الدنیا من خلال دخول الروح إلی البدن الذی فارقه عند الموت لا یعدّ تناسخاً، وإنّما

هو إحياء للموتى، الذى كان معجزة من معاجز المسيح.

كلّ ذلك يدلّ على أنّه ليس أمام القول بالرجعة عراقيل وموانع، وإنّما هو أمر ممكن لو دلّ عليه الدليل القطعى نأخذ به وإلّا فنتركه فى سنبله، والحال أنّ بعض الآيات والروايات تدلّ على أنّه سيتحقّق الرجوع إلى هذه الدنيا قبل يوم القيامة لبعض الناس على وجه الإجمال، وأمّا من هم؟ وفى أىّ وقت يرجعون؟ ولأىّ غرض يعودون إلى الدنيا؟ فليس هنا مقام بيانها، إنّما نكتفى ببيان بعض الآيات الدالّة على وقوعه قبل البعث، وإليك الآيات.

قال سبحانه: وَإِذا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الأَرضِ تُكَلِّمُهُمْ أنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنونَ* وَيَومَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجَاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ «۱».

لايشكّ من أمعن النظر فى سياق الآيات وما ذكره المفسّرون حولها، فى أنّ الآية الأُولى تتعلّق بالحوادث التى تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۲

مكمّلة لها، وتدلّ على حشر فوج من كلّ جماعة قبل يوم القيامة، والحال أنّ الحشر فى يوم القيامة يتعلّق بالجميع لا بالبعض، يقول سبحانه: وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبالَ وَتَرى الأَرضَ بارِزةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أحداً «۱».

أفبعد هذا التصريح يمكن تفسير الآية السابقة بيوم البعث والقيامة؟

وهذه الآية تعرب عن الرجعة التى تعتقد بها الشيعة فى حقّ جماعة خاصّة، وأمّا خصوصياتها فلم يحدّث عنها القرآن الكريم، وجاء التفصيل فى السنّة.

وقد سأل المأمون العباسى الإمام الرضا عليه السلام عن الرجعة، فأجابه بقوله: «إنّها حقّ قد كانت فى الأُمم السالفة ونطق بها القرآن وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يكون فى هذه الأُمّة كلّ ما كان فى الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة» «۲».

وأمّا من هم الراجعون؟ وما هو الهدف من إحيائهم؟ فيرجع فيه إلى الكتب المؤلّفة فى هذا الموضوع، وإجمال الجواب عن الأوّل: أنّ الراجعين لفيف من المؤمنين ولفيف من الظالمين.

وقال المفيد ناقلًا عن أئمّة أهل البيت: إنّما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم مَن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وأمّا ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب «۳».

وقال أيضاً فى المسائل السروية: والرجعة عندنا تختصّ بمن محض الإيمان، ومحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين «۴».

وإجمال الجواب عن الثانى ما ذكره السيّد المرتضى، قال: إنّ اللَّه تعالى يعيد عند

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۳

ظهور المهدى- عجَّل اللَّه تعالى فرجه الشريف- قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم.

ملاحظات جديرة بالانتباه

ملاحظات جديرة بالانتباه

۱- إنّ الرجعة وإن كانت من مسلّمات عقائد الشيعة، ولكن التشيّع ليس منوطاً بالاعتقاد بها، فمن أنكرها فقد أنكر عقيدة مسلّمة بين أكثر الشيعة، ولكن لم يكن ركناً من أركان التشيّع، ولأجل ذلك نرى أنّ جماعة من الشيعة أوّلوا الأخبار الواردة فى الرجعة إلى رجوع الدولة إلى شيعتهم وأخذهم بمجارى الأُمور دون رجوع أعيان الأشخاص، والباعث لهم على هذا التأويل هو عجزهم عن تصحيح القول بها نظراً واستدلالًا، ولكن المحقّقين من الإمامية، أخذوا بظواهرها وبيّنوا عدم لزوم استحالة عقلية على القول بها لعموم

قدرة اللَّه على كلّ مقدور، وأجابوا عن الشبه الواردة عليها، وإلى هذا الاختلاف يشير الشيخ المفيد بقوله: واتّفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف.

ويشير إلى الاختلاف تلميذه الجليل الشريف المرتضى في المسائل التي وردت عليه من الريّ ومنها حول حقيقة الرجعة، فأجاب: بأنّ الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أنّ اللَّه تعالى يعيد عند ظهور المهدي قوماً ممّن كان تقدّم موته من شيعته، وقوماً من أعدائه، وأنّ قوماً من الشيعة تأوّلوا الرجعة على أنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى شيعتهم، من دون رجوع الأشخاص، وإحياء الأموات «۱».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۴

۲- كيف يجتمع إعادة الظالمين مع قوله سبحانه: وَحَرامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ «۱»

فإنّ هذه الآية تنفي رجوعهم بتاتاً، وحشر لفيف من الظالمين يخالفها.

والإجابة عن السؤال واضحة؛ فإنّ الآية مختصّة بالظالمين الذين أُهلكوا في هذه الدنيا ورأوا جزاء عملهم فيها، فالآية تحكم بأنّهم لا يرجعون، وأمّا الظالمون الذين رحلوا عن الدنيا بلا مؤاخذة فترجع طائفة منهم ليروا جزاء عملهم فيها ثمّ يردّون إلى أشدّ العذاب في الآخرة، فالآية تنفي رجوع طائفة من الظالمين الذين ماتوا حتف الأنف.

۳- إنّ الظاهر من قوله تعالى: حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلّا إِنّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوم يُبْعَثُونَ «۲»

هو نفي الرجوع إلى الدنيا بعد مجيء الموت لأيّ أحد.

والإجابة عنها واضحة؛ فإنّ الآية كسائر السنن الإلهية الواردة في حقّ الإنسان؛ فهي تفيد أنّ الموت بطبعه ليس بعده رجوع، وهذا لا ينافي رجوع البعض استثناءً ولمصالح عليا، كما مرّت الآيات الواردة في هذا المضمار.

أضف إلى ذلك أنّ عود بعض الظالمين إلى الدنيا- على القول بالرجعة- إنّما هو لأجل عقابهم والانتقام منهم، وأين هذا من طلب هؤلاء الكفّار الرجوع لأجل تصحيح عملهم والقيام بما تركوه من الصالحات، وردّ هذا الفرع من الرجوع لا يكون دليلًا على نفي النوع الأوّل منه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۵

المسألة السابعة: زواج المتعة

المسألة السابعة: زواج المتعة

اشارة

المسألة السابعة: زواج المتعة

وممّا يشنع به على الشيعة: قولهم بجواز نكاح المتعة، ويعدّون القول بتشريعه أو بعدم نسخه مخالفاً للكتاب والسنّة. ورغم أنّ المسألة فرعية فقهية لا يناسب البحث عنها في كتب تاريخ العقائد، إلّاأنّه لما كانت من شعائر فقه الشيعة، آثرنا أن نبحث عنها في إطار الكتاب والسنّة، على وجه الإجمال، حتّى يقف القارئ على أنّ القول بأصل تشريعها وعدم نسخها ممّا يثبته الكتاب والسنّة، وأنّ القول بعدم تشريعها بتاتاً أو ادّعاء نسخها يضادّهما. وسيوافيك أنّ لفيفاً من الصحابة والتابعين كانوا يفتون بجوازها وعدم نسخها، وإنّما منع عنها عمر بن الخطاب لحافز نفسي أو اجتهاد شخصي لا دليل عليه وليس حجّة على الآخرين. وقد أبدى بنظيره في متعة الحجّ في زمن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله.

فأمّا زواج المتعة: فهو عبارة عن تزويج المرأة الحرّة الكاملة نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع- من نسب أو سبب أو رضاع أو

إحصان أو عدّة أو غير ذلك من الموانع الشرعية- بمهر مسمّى إلى أجل مسمّى بالرضا والاتّفاق، فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير طلاق. ويجب عليه مع الدخول بها- إذا لم تكن يائسة- أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۶

تعتد عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض وإلّا فبخمسة وأربعين يوماً «۱».

وولد المتعة- ذكراً كان أو أُنثى- يلحق بالأب ولا يدعى إلّابه، وله من الإرث ما أوصانا اللَّه سبحانه به فى كتابه العزيز. كما يرث من الأُمّ، وتشمله جميع العمومات الواردة فى الآباء والأبناء والأُمّهات، وكذا العمومات الواردة فى الأُخوة والأخوات والأعمام والعمّات.

وبالجملة: المتمتّع بها زوجة حقيقة، وولدها ولد حقيقة. ولا فرق بين الزواجين: الدائم والمنقطع إلّاأنّه لا توارث هنا ما بين الزوجين، ولا قسمة ولا نفقة لها. كما أنّ له العزل عنها. وهذه الفوارق الجزئية فوارق فى الأحكام لا فى الماهية؛ لأنّ الماهية واحدة غير أنّ أحدهما مؤقّت والآخر دائم، وأنّ الأوّل ينتهى بانتهاء الوقت والآخر ينتهى بالطلاق أو الفسخ.

وقد أجمع أهل القبلة على أنّه سبحانه شرّع هذا النكاح فى صدر الإسلام، ولا يشكّ أحد فى أصل مشروعيّته، وانّما وقع الكلام فى نسخه أو بقاء مشروعيته.

النكاح المنقطع فى القرآن الكريم

اشارة

النكاح المنقطع فى القرآن الكريم

والأصل فى مشروعيته قوله سبحانه: وحلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ وأنْ تَجْمَعُوا بينَ الاختَينِ إلَّاما قَدْ سَلَفَ إنَّ اللَّه كانَ غَفُوراً رَحيماً* والُمحْصَناتُ مِنَ النّساءِ إلّاما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ كِتابَ اللَّه عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنينَ غَيرَ مُسافِحينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَريضةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَرِيضَةِ إنَّ اللَّه كانَ عَليماً حَكيماً «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۷

الآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوه:

۱- الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

۱- الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

إنّ هذه السورة؛ أى سورة النساء، تكفّلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح فى أوائل السورة على نظام خاص، أمّا الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: وإنْ خِفْتُمْ ألَّا تُقْسِطُوا فى اليَتامى فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ ورُباعَ وإنْ خِفْتُمْ ألَّا تَعدِلُوا فَواحِدَةً... «۱».

وأمّا أحكام المهر فقد جاءت فى الآية التالية: وآتُوا النّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَريئاً «۲».

وأمّا نكاح الإماء فقد جاء فى قوله سبحانه: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أنْ يَنْكِحَ الُمحْصَناتِ المُؤْمِناتِ فَمِن مّا مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ المُؤْمِناتِ واللَّه أَعْلَمُ بِإيمانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالمَعْرُوفِ مُحْصَناتٍ غَيْرَ مُسافِحاتٍ ولا مُتّخِذاتِ أخْدانٍ... «۳».

فقوله سبحانه: مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ إشارة إلى نكاح السيّد لأمته، الذى جاء فى قوله سبحانه أيضاً: إلّاعلَى أَزْواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ

أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ... «۴».

وقوله سبحانه: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ إشارة إلى الزواج من أمة الغير.

فإلى هنا تمّ بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلّانكاح المتعة، وهو الذى جاء فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۸

الآية السابقة، وحمل قوله سبحانه: فما استمتعتم على الزواج الدائم، وحمل قوله: فآتوهنّ أُجورهُنّ على المهور والصدقات يوجب التكرار بلا وجه، فالناظر فى السورة يرى أنّ آياتها تكفّلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاصّ ولا يتحقّق ذلك إلّابحمل الآية على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً.

۲- تعليق دفع الأُجرة على الاستمتاع:

۲- تعليق دفع الأُجرة على الاستمتاع:

إنّ تعليق دفع الأُجرة على الاستمتاع فى قوله سبحانه: فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ يناسب نكاح المتعة الذى هو زواج مؤقّت لا النكاح الدائم، فإنّ المهر هنا يجب بمجرّد العقد ولا يتنجّز وجوب دفع الكلّ إلّابالمسّ، وأمّا المتعارف فيختلف حسب اختلاف العادات العرفية، فربّما يؤخذ قبل العقد وأُخرى يترك إلى أن يرث أحدهما الآخر.

۳- تصريح جماعة من الصحابة بشأن نزولها:

۳- تصريح جماعة من الصحابة بشأن نزولها:

ذكرت أُمّة كبيرة من أهل الحديث نزولها فيها، وينتهى نقل هؤلاء إلى أمثال ابن عبّاس، وأُبى بن كعب، وعبد اللَّه بن مسعود، وجابر بن عبد اللَّه الأنصارى، وحبيب بن أبى ثابت، وسعيد بن جبير، إلى غير ذلك من رجال الحديث الذين لا يمكن اتهامهم بالوضع والجعل.

وقد ذكر نزولها من المفسّرين والمحدّثين:

إمام الحنابلة أحمد بن حنبل فى مسنده «۱».

وأبو جعفر الطبرى فى تفسيره «۲».

وأبو بكر الجصّاص الحنفى فى أحكام القرآن «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۶۹

وأبو بكر البيهقى فى السنن الكبرى «۱».

ومحمود بن عمر الزمخشرى فى الكشاف «۲».

وأبو بكر بن سعدون القرطبى فى تفسير جامع أحكام القرآن «۳».

وفخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب «۴».

إلى غير ذلك من المحدّثين والمفسّرين الذين جاءوا بعد ذلك إلى عصرنا هذا، ولا نطيل الكلام بذكرهم.

وليس لأحد أن يتّهم هؤلاء الأعلام بذكر ما لا يثقون به. وبملاحظة هذه القرائن لا يكاد يشكّ فى ورودها فى نكاح المتعة.

ونزيد الوضوح بياناً بقوله سبحانه: وأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحين.

أنّ قوله سبحانه: أن تبتغوا مفعول له لفعل مقدّر، أى بيّن لكم ما يحلّ ممّا يحرم لأجل أن تبتغوا بأموالكم، وأمّا مفعول قوله: تبتغوا

فيعلم من القرينة وهو النساء؛ أى طلبكم النساء؛ أى بيّن الحلال والحرام لغاية ابتغائكم النساء من طريق الحلال لا الحرام.
وقوله سبحانه: محصنين وهو من الإحصان بمعنى العفّة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام، وقوله سبحانه: غير مسافحين هو جمع مسافح بمعنى الزانى مأخوذ من السفح بمعنى صبّ الماء، والمراد هنا هو الزانى بشهادة قوله سبحانه فى الآية المتأخّرة فى نكاح الإماء: وآتوهُنَّ أُجُورهنَّ بالمعروف

محصنات غير مسافحات أى عفائف غير زانيات.
ومعنى الآية: أنّ اللَّه تبارك وتعالى شرّع لكم نكاح ما وراء المحرّمات لأجل أن تبتغوا بأموالكم ما يحصنكم ويصون عفّتكم ويصدّكم عن الزنا، وهذا المناط موجود فى جميع الأقسام، النكاح الدائم، والمؤقّت، والزواج بأمة الغير المذكورة فى هذه السورة من أوّلها إلى الآية ۲۵.
هذا هو الذى يفهمه كلّ انسان من ظواهر الآيات غير أنّ من لا يروقه الأخذ بظاهر الآية: فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أُجورهنّ لرواسب نفسية أو بيئية حاول أن يطبق معنى الآية على العقد الدائم، وذكر فى المورد شبهات ضعيفة لا تصمد أمام النقاش نجملها بما يلى:

شبهات ضعيفة حول دلالة الآية

الشبهة الأُولى:

الشبهة الأُولى:
أنّ الهدف من تشريع النكاح هو تكوين الأُسرة وإيجاد النسل، وهو يختصّ بالنكاح الدائم دون المنقطع الذى لا يترتّب عليه إلّاإرضاء القوّة الشهوية وصبّ الماء وسفحه.
ويجاب عنها: بأنّه خلط بين الموضوع والفائدة المترتّبة عليه، وما ذكر إنّما هو من قبيل الحكمة، وليس الحكم دائراً مدارها، لضرورة أنّ النكاح صحيح وإن لم يكن هناك ذلك الغرض، كزواج العقيم واليائسة والصغيرة. بل أغلب المتزوّجين فى سن الشباب بالزواج الدائم لا يقصدون إلّاقضاء الوطر واستيفاء الشهوة من طريقها المشروع، ولا يخطر ببالهم طلب النسل أصلًا وإن حصل لهم قهراً، ولا يقدح ذلك فى صحّة زواجهم.
ومن العجب حصر فائدة المتعة فى قضاء الوطر، مع أنّها كالدائم قد يقصد منها

النسل والخدمة وتدبير المنزل وتربية الأولاد والإرضاع والحضانة.
ونسأل المانعين الذين يتلقّون نكاح المتعة، مخالفاً للحكمة، التى من أجلها شرّع النكاح، نسألهم عن الزوجين اللّذين يتزوّجان نكاح دوام، ولكن ينويان الفراق بالطلاق بعد شهرين، فهل هذا نكاح صحيح أو لا؟ لا أظن أنّ فقيهاً من فقهاء الإسلام يمنع ذلك إلّاإذا أفتى بغير دليل ولا برهان، وبهذا الشكل يتعيّن الجزم بصحّة هذا النكاح، فأىّ فرق يكون حينئذ بين المتعة وهذا النكاح الدائم سوى أنّ المدّة مذكورة فى الأوّل دون الثانى؟
يقول صاحب المنار: إنّ تشديد علماء السلف والخلف فى منع المتعة بنيّة الطلاق، وإن كان الفقهاء يقولون إنّ عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، ولم يشترطه فى صيغة العقد، ولكن كتمانه إيّاه يعدّ خداعاً وغشّاً وهو أجدر بالبطلان من العقد الذى يشترط فيه التوقيت «۱».

أقول: نحن نفترض أنّ الزوجين رضيا بالتوقيت لبّاً، حتّى لا يكون هناك خداع وغشّ، فهو صحيح بلا إشكال.

الشبهة الثانية:

الشبهة الثانية:

إنّ تسويغ النكاح المؤقّت ينافي ما تقرّر في القرآن كقوله عزّ وجلّ في صفة المؤمنين: والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ* إلّاعَلَى أزواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومينَ* فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُون «۲».

والمراد من الآية: أنّ من ابتغى وراء ذلك، هم المتجاوزون ما أحلّه اللّه لهم إلى ما حرّمه عليهم. والمرأة المتمتّع بها ليست زوجة فيكون لها على الرجل مثل الذي عليها بالمعروف.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۲

إلّا أ نّه يرد عليها: أنّها دعوة بلا دليل. فإنّها زوجة ولها أحكام، وعدم وجود النفقة والقسمة لا يخرجانها عن الزوجيّة، فإنّ الناشزة زوجة ليست لها النفقة وحقّ القسمة، ومثلها الصغيرة. والعجب أن يستدلّ بعدم وجود الأحكام على نفي الماهية، فإنّ الزوجيّة رابطة بين الزوجين تترتّب عليها جملة من الأحكام وربّما تختص بعض الأحكام ببعض الأقسام.

الشبهة الثالثة:

الشبهة الثالثة:

إنّ المتمتّع في النكاح المؤقّت لا يقصد الإحصان دون المسافحة، بل يكون قصده مسافحة، فإن كان هناك نوع مّا من إحصان نفسه ومنعها من التنقّل في دِمنِ الزنا، فإنّه لا يكون فيه شيء مّا من إحصان المرأة التي تؤجر نفسها كلّ طائفة من الزمن لرجل فتكون كما قيل:

كرة حُذِفْت بصوالجة فتلقّفها رجل رجل «۱» ويرد على هذه الشبهة: أنّه من أين وقف على أنّ الإحصان في النكاح المؤقّت يختصّ بالرجل دون المرأة، فإنّا إذا افترضنا كون العقد شرعياً، فكلّ واحد من الطرفين يُحصن نفسه من هذا الطريق، وإلّا فلا محيص عن التنقّل في دمن الزنا.

والذي يصون الفتاة عن البغي أحد الأُمور الثلاثة:

۱- النكاح الدائم.

۲- النكاح المؤقّت بالشروط الماضية.

۳- كبت الشهوة الجنسية.

فالأوّل ربّما يكون غير ميسور خصوصاً للطالب والطالبة اللّذين يعيشان بمنح ورواتب مختصرة يجريها عليهما الوالدان أو الحكومة، وكبت الشهوة الجنسية أمر شاقّ لا يتحمّله إلّاالأمثل فالأمثل من الشباب والمثلى من النساء؛ وهم قليلون،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۳

فلم يبق إلّاالطريق الثاني، فيحصنان نفسهما عن التنقّل في بيوت الدعارة.

إنّ الدين الإسلامي هو الدين الخاتم، ونبيّه خاتم الأنبياء، وكتابه خاتم الكتب، وشريعته خاتمة الشرائع، فلابدّ أن يضع لكلّ مشكلة اجتماعية حلولًا شرعية، يصون بها كرامة المؤمن والمؤمنة، وما المشكلة الجنسية عند الرجل والمرأة إلّاإحدى هذه النواحي التي لا يمكن للدين الإسلامي أن يهملها، وعندئذ يطرح هذا السؤال نفسه:

ماذا يفعل هؤلاء الطلبة والطالبات الذين لا يستطيعون القيام بالنكاح الدائم، وتمنعهم كرامتهم ودينهم عن التنقّل فى بيوت الدعارة والفساد، والحياة الماديّة بجمالها تؤجّج نار الشهوة فى نفوسهم؟ فمن المستحيل عادة أن يصون نفسه أحد إلّا من عصمه اللَّه، فلم يبق طريق إلّازواج المتعة، الذى يشكّل الحلّ الأنجع لتلافى الوقوع فى الزنا، وتبقى كلمة الإمام على بن أبى طالب ترنّ فى الآذان محذّرة من تفاقم هذا الأمر عند إهمال العلاج الذى وصفه المشرّع الحكيم له، حيث قال عليه السلام:

«لولا نهى عمر عن المتعة لما زنى إلّاشقىّ أو شقيّة».

وأمّا تشبيه المتعة بما جاء فى الشعر فهو يعرب عن جهل الرجل بحقيقة نكاح المتعة وحدودها، فإنّ ما جاء فيه هى المتعة الدورية التى ينسبها الرجل «۱» وغيره إلى الشيعة، وهم براء من هذا الإفك؛ إذ يجب على المتمتّع بها بعد انتهاء المدّة الاعتداد على ما ذكرنا، فكيف يمكن أن تؤجّر نفسها كلّ طائفة من الزمن لرجل؟! سبحان اللَّه! ما أجرأهم على الكذب على الشيعة والفرية عليهم، وما مضمون الشعر إلّاجسارة على الوحى والتشريع الإلهى، وقد اتّفقت كلمة المحدّثين والمفسّرين على التشريع، وأنّه لو كان هناك نهى أو نسخ فإنّما هو بعد التشريع والعمل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۴

الشبهة الرابعة: إنّ الآية منسوخة بالسنّة، واختلفوا فى زمن نسخها إلى أقوال شتّى:

۱- أُبيحت ثمّ نهى عنها عام خيبر.

۲- ما أُحلّت إلّافى عمرة القضاء.

۳- كانت مباحة ونهى عنها فى عام الفتح.

۴- أُبيحت عام أوطاس ثمّ نهى عنها «۱».

وهذه الأقوال تنفى الثقة بوقوع النسخ، كما أنّ نسخ القرآن بأخبار الآحاد ممنوع جدّاً، وقد صحّ عن عمران بن الحصين انّه قال: «إنّ اللَّه أنزل المتعة وما نسخها بآية أُخرى، وأمرنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بالمتعة وما نهانا عنها، ثمّ قال رجل برأيه»، يريد به عمر بن الخطّاب.

إنّ الخليفة الثانى لم يدّع النسخ وإنّما أسند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسخ من اللَّه عزّ وجلّ أو من رسوله، لأسند التحريم إليهما، وقد استفاض قول عمر وهو على المنبر: متعتان كانتا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء.

بل نقل متكلّم الأشاعرة فى شرحه على شرح التجريد أنّه قال: أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وأنا أنهى عنهنّ، وأُحرمهنّ، وأُعاقب عليهنّ:

متعة النساء، ومتعة الحج، وحىّ على خير العمل «۲».

وقد روى عن ابن عبّاس- وهو من المصرّحين بحلّية المتعة وإباحتها- فى ردّه على من حاجّه بنهى أبى بكر وعمر لها، حيث قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۵

من السماء، أقول: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

حتّى أنّ ابن عمر لمّا سئل عنها، أفتى بالإباحة، فعارضوه بقول أبيه، فقال لهم:

أمر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أحقّ أن يتّبع أم أمر عمر؟

كلّ ذلك يعرب عن أنّه لم يكن هناك نسخ ولا نهى نبوى، وإنّما كان تحريماً من جانب الخليفة، وهو فى حدّ ذاته يعتبر اجتهاداً قبالة النصّ الواضح، وهو ما انفكّ يعلن جملة من الصحابة رفضهم له وعدم إذعانهم لأمره، وإذا كان الخليفة قد اجتهد لأسباب رآها وأفتى

على أساسها، فكان الأولى بمن لحقوه أن يتنبّهوا لهذا الأمر لا أن يسرفوا فى تسويغه دون حجّة ولا دليل.

المنكرون للتحريم

المنكرون للتحريم

ذكرنا أنّ مجموعاً من وجوه الصحابة والتابعين أنكروا هذا التحريم ولم يقرّوا به، ومنهم:

۱– علىّ أمير المؤمنين، فيما أخرجه الطبرى بالإسناد إليه أنّه قال: «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلّاشقىّ» «۱».

۲– عبد اللَّه بن عمر، أخرج الإمام أحمد من حديث عبد اللَّه بن عمر، قال– وقد سئل عن متعة النساء–: واللَّه ما كنّا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله زانين ولا مسافحين، ثمّ قال: واللَّه لقد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: «ليكوننّ قبل يوم القيامة المسيح الدجّال وكذّابون ثلاثون وأكثر» «۲».

۳– عبد اللَّه بن مسعود، روى البخارى عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: كنّا نغزو

مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وليس لنا شىء، فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك، ثمّ رخّص لنا أن تنكح المرأة بالثوب إلى أجل معيّن، ثمّ قرأ علينا: يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّه لَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّه لا يُحِبُّ المُعْتَدينَ» «۱». «۲» ۴– عمران بن حصين، أخرج البخارى فى صحيحه عنه، قال: نزلت آية المتعة فى كتاب اللَّه، ففعلناها مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولم ينزل قرآن يحرّمها، ولم ينه عنها حتّى مات. قال رجل برأيه ما شاء «۳».

أخرج أحمد فى مسنده عن أبى رجاء عن عمران بن حصين، قال: نزلت آية المتعة فى كتاب اللَّه وعملنا بها مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلم تنزل آية تمنعها، ولم ينه عنها النبىّ صلى الله عليه و آله حتّى مات «۴».

۵– كما أنّ الخليفة العباسى المأمون أوشك أن ينادى فى أيام حكمه، بتحليل المتعة إلّاأنّه توقّف خوفاً من الفتنة وتفرّق المسلمين. قال ابن خلّكان، نقلًا عن محمّد بن منصور: قال: كنّا مع المأمون فى طريق الشام فأمر فنودى بتحليل المتعة، فقال يحيى بن أكثم لى ولأبى العيناء: بكّرا غداً إليه فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلّا فاسكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ:

متعتان كانتا على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلى عهد أبى بكر– رضى اللَّه عنه– وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جعل حتّى تنهى عمّا فعله رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأبو بكر– رضى اللَّه عنه–؟! فأومأ أبو العيناء إلى محمّد بن منصور وقال: رجل يقول: من عمر بن الخطاب، نكلّمه نحن؟ فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا، فقال

المأمون ليحيى: ما لى أراك متغيّراً؟ فقال: هو غمّ يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وحديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، قال اللَّه تعالى: قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ إلى قوله: والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُون* إلَّاعَلَى أَزْواجِهِمْ أو ما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ ملومين* فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذَلِكَ فَأُوْلئِكَ هُمُ العادُونَ «۱»

يا أمير المؤمنين زوج المتعة ملك يمين؟

قال: لا، قال: فهى الزوجة التى عند اللَّه ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟

قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين «۲».

أقول: هل عزب عن ابن أكثم– وقد كان ممّن يكنّ العداء لآل البيت– أنّ المتعة داخلة فى قوله سبحانه: إلّاعلى أزواجهم وانّ عدم الوراثة تخصيص فى الحكم، وهو لا ينافى ثبوتها، وكم لها من نظير، فالكافرة لا ترث الزوج المسلم، وبالعكس، كما أنّ القاتلة لا ترث

وهكذا العكس، وأمّا الولد فيلحق قطعاً، ونفى اللحوق ناشئ إمّا من الجهل بحكمها أو التجاهل به.

وما أقبح كلامه حيث فسّر المتعة بالزنا وقد أصفقت الأُمّة على تحليلها فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله والخليفة الأوّل، أفيحسب ابن أكثم أنّ الرسول صلى الله عليه و آله حلّل الزنا ولو مدّة قصيرة؟!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم

كبرت كلمة تخرج من أفواههم

وهناك روايات مأثورة عن الخليفة نفسه، تعرب عن أنّ التحريم كان من صميم رأيه، من دون استناد إلى آية أو رواية.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۸

فقد روى مسلم فى صحيحه: عن ابن أبى نضرة قال: كان ابن عبّاس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال: على يدى دار الحديث: تمتّعنا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلمّا قام عمر قال: إنّ اللَّه كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، فأتمّوا الحجّ والعمرة وأبتّوا نكاح هذه النساء، فلئِن أُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلّارجمته بالحجارة «۱».

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى نضرة قال: قلت لجابر: إنّ ابن الزبير ينهى عن المتعة، وانّ ابن عبّاس يأمر بها، فقال لى: على يدى جرى الحديث: تمتّعنا مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومع أبى بكر، فلمّا ولّى عمر خطب الناس فقال: إنّ القرآن هو القرآن، وإنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هو الرسول، وإنّهما متعتان كانتا عَلى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إحداهما متعة الحج والأُخرى متعة النساء «۲».

وهذه المأثورات تعرب جملة من الملاحظات نجملها بملاحظتين اثنتين:

أوّلًا: أنّ المتعة كانت باقية على الحلّ إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وبقيت لوقت فى أيامه حتى نهى عنها ومنع.

وثانياً: أنّه باجتهاده قام بتحريم ما أحلّه الكتاب والسنّة، ومن المعلوم أنّ اجتهاده- لو صحّت تسميته بالاجتهاد- حجّة على نفسه لا على غيره.

وفى الختام نقول:

إنّ الجهل بفقه الشيعة أدّى بكثير من الكتّاب إلى التقوّل على الشيعة، وخصوصاً فى مسألة المتعة التى نحن فى صدد الحديث عنها، بجملة منكرة من الآراء والأحكام تدلّ على جهل مطبق أو خبث سريرة لا يدمغ، ومن هذه الأقوال: إنّ من أحكام المتعة عند الشيعة أنّه لا نصيب للولد من ميراث أبيه، وأنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۷۹

المتمتَّع بها لا عدّة لها، وانّها تستطيع أن تنتقل من رجل إلى رجل إن شاءت. ومن أجل هذا استقبحوا المتعة واستنكروها وشنّعوا على من أباحها.

وقد خفى الواقع على هؤلاء، وانّ المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلّا بالعقد الدالّ على قصد الزواج صراحة، وانّ المتمتَّع بها يجب أن تكون خالية من جميع الموانع، وانّ ولدها كالولد من الدائمة من وجوب التوارث، والإنفاق وسائر الحقوق الماديّة، وانّ عليها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها وهى فى عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار «۱».

على أنّ الأمر الذى ينبغى الالتفات إليه وإدراكه بوضوح، أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّية زواج المتعة وعدم تحريمه- وهو ما يعلنون عنه صراحة ودون تردد- إلّاأنّهم لا يلجأون إلى هذا الزواج إلّافى حدود ضيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوره البعض من كونه ظاهرة متفشية فى مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۰

المسألة الثامنة: متعة الحج

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

إنّ الكـاتب المصرى أحمـد أمين، يصف الخليفـة عمر بن الخطاب بأنّه كان ممّن يأخـذ بروح القانون لا بلفظه «۱». وهو يريد بذلك تفسير ما شوهـدت منه فى بعض الموارد المخالفة للنصوص، ولو صحّ ما ذكره فى بعضـها؛ فإنّ البعض الآخر غير صـحيح. ونحن نرى أنّه كان ممّن يجتهد تجاه النصّ، ويأخذ بالرأى، مكان الأخذ بالدليل.

إنّ العاطفة الدينية هى الّتى دفعت الكاتب المصرى إلى ذلك التفسير، ولو أنّه تأمّل فيما سبق من تنفيذ طلاق الثلاث، وما يأتى منه فى هذه المسألة من تحريم حجّ التمتّع، وحصره فى القِران والإفراد، يقف على أنّه كان ممّن يقدّم المصلحة المزعومة على الذكر الحكيم وتنصيص النبىّ الأكرم، وإنّه ما نهى عن متعة الحجّ وما هدّد بفاعلها إلّاأنّه كان يكره أن يغتسل الحاجّ تحت الأراك ثمّ يفيض منه إلى الحجّ ورأسه يقطر ماءً؛ لأنّ التحلّل من محظورات الإحرام بين العمرة والحجّ، من لوازم ذاك النوع من الحجّ، وهو ممّا كان لا يروقه.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۱

وإن كنت فى شكّ فاقرأ ما نتلوه عليك:

اتّفق الفقهاء على أنّ أنواع الحجّ ثلاثة: تمتّع، وقران، وإفراد.

والمقصود من الأوّل، هو إحرام الشـخص بالحجّ فى أشهره (شوال وذى القعدة وذى الحجّة). والإتيان بأعمالها، والتحلّل من محظورات الإحرام بالفراغ منها، ثمّ الإحرام بالحجّ من مكّة والإتيان بأعماله من الوقوف بعرفات والإفاضة إلى المشعر و...

ويصحّ هذا النوع من الحجّ ممّن كان آفاقياً، أى من لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ويبتعد بيته عن مكّة بمقدار يجوز فيه تقصير الصلاة. وعند الإماميّة من نأى عن مكّة (۴۸) ميلًا من كلّ جانب وهو لا يتجاوز عن (۱۶) فرسخاً.

وأمّا القسـمان الآخران، فالقِران عند أهل السنّة هو الإحرام بالحجّ والعمرة معاً ويقول: لبّيك اللّهمّ بحجّ وعمرة، فيأتى بأعمال الحجّ أولًا ثمّ العمرة بإحرام واحد؛ وهو القِران الحقيقى.

وهنـاك قسم يسـمّى بالقِران الحكمى؛ وهو أن يـدخل إحرام الحـجّ فى إحرام العمرة، ثمّ يجمع بين أعمالها. وذلك بأن يحرم بالعمرة أولًا، وقبل أن يطوف لها؛ إمّا أربعة أشواط، أو قبل أن يشرع فيه يحرم للحجّ، على اختلاف بين الحنفية والشافعية، وهل يكتفى بطواف وسعى واحد، أو لكلٍّ طوافه وسعيه؟ فيه اختلاف.

وأمّا الإفراد، فهو أن يُحرم بالحـجّ من ميقاتِ بلـده، وبعـد الفراغ من أعماله، يُحرِم بالعمرة. والقِران والإفراد، يشترك فيهما جميع الناس ولا يختصّ بغير الآفاقى.

هذا لدى أهل السنّة، وأمّا الإماميّة، فالقران والإفراد واجب على من لم يكن بين مكّة وبيته (۴۸) ميلًا، وأمّا النائى عن هذا الحد، فواجبه هو حجّ التمتع.

والقِران والإفراد، ليسا أمرين متغايرين عندهم، بل يتمتّع كلّ منهما بإحرام

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۲

للحـجّ وإحرام للعمرة، غير أنّ الإـحرام فى الأوّل يقترن بسوق الهـدى دون الثانى، وعلى ذلك لا يجوز عنـدهم الإتيان بالحـجّ والعمرة بإحرام واحد، ولا إدخال إحرام الحجّ فى إحرام العمرة، كما فى القران الحكمى «۱».

والأصل حجّ التمتع، كما فى قوله سبحانه: فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ الَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

فِی الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْکَ عَشَرَةٌ کَامِلَةٌ ذلِکَ لِمَنْ لَمْ یَکُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِی الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقَابِ «۲»

.

وتفسیر الآیة: أنّ من تمتّع بسبب الإتیان بالعمرة بما یحرم علی المحرم، کالطیب والمخیط والنساء ومتوجّهاً إلی الحجّ ف علیه ما استیسر من الهدی من البدنة أو البقرة أو الشاة. ثمّ بیّن کیفیة الصیام وقال: ثلاثة أیّام فی الحجّ متوالیات و سبعة إذا رجعتم إلی أوطانکم تلک عشرة کاملة وذلک أی التمتّع بالعمرة إلی الحجّ فرض علی من لم یکن أهله باعتبار موطنه ومسکنه حاضری المسجد الحرام أی لم یکن من أهل مکّة وقراها واتّقوا اللَّه فیما أُمرتم به ونهیتم عنه فی أمر الحجّ واعلموا أنّ اللَّه شدید العقاب.

والآیة صریحة فی جواز التمتّع بمحظورات الإحرام بعد الإتیان بأعمال العمرة، وقبل التوجّه إلی الحجّ، ولم یدّع أحد کونها منسوخة بآیة، أو قول أو فعل، بل أکّد النبیّ الأکرم تشریعه بعمله.

روی أهل السیر والتاریخ: أنّ رسول اللَّه خرج فی العام العاشر من الهجرة إلی الحجّ لخمس لیال بقین من ذی القعدة، وقالت عائشة: لا یُذکَر ولا یَذکُر النّاسُ إلّا

الحجّ حتّی إذا کان بسرف وقد ساق رسول اللَّه صلی الله علیه و آله معه الهدی، وأشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن یحلّوا بعمرة إلّامن ساق الهدی- إلی أن قالت:- ودخل رسول اللَّه مکة فحلّ کلّ من کان لا هدی معه، وحلّت نساؤه بعمرة- إلی أن قال:- لمّا أمر رسول اللَّه نساءه أن یحلُلن بعمرة قلن: فما یمنعک یا رسول اللَّه أن تحلّ معنا؟ فقال: إنّی أهدیتُ ولبّوت فلا أُحلّ حتّی أنحَرَ هدیی.

إنّ رسول اللَّه کان بعث علیاً رضی الله عنه إلی نجران فلقیه بمکّة وقد أحرم فدخل علی فاطمة بنت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فوجدها قد حلَّتْ وتهیّأت فقال: ما لک یا بنت رسول اللَّه؟ قالت: أمرنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن نحلّ بعمرة فحللنا، ثمّ أتی رسول اللَّه، فلمّا فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: انطلق فطف بالبیت وحلّ کما حلّ أصحابک، قال: یا رسول اللَّه إنّی أهللتُ کما أهللتَ فقال: ارجع فاحلل کما حلّ أصحابُک، قال: یا رسول اللَّه إنّی قلت حین أحرمت: اللّهمّ إنّی أُهلُّ بما أهلَّ به نبیُّک وعبدُک ورسولُک صلی الله علیه و آله قال: فهل معک من هدی؟! قال: لا. فأشرکه رسول اللَّه فی هدیه وثبتَ علی إحرامه مع رسول اللَّه حتّی فرغا من الحجّ، ونحر رسول اللَّه الهدی عنهما «۱».

هذا هو الذکر الحکیم المدعم بالسنّة وإجماع الأُمّة، ومع ذلک نری أنّ بعض الصحابة لا یروقه متعة الحجّ لا فی عصر الرسالة ولا بعده بل یفتی بتحریمها! وإلیک البیان:

۱- روی أبو داود أنّ النبیّ أمر أصحابه أن یجعلوها عمرة، یطوفوا ثمّ یُقصِّروا ویُحلّوا إلّامن کان معه الهدی فقالوا: أننطلق إلی منی وذکورنا تقطر؟ فبلغ ذلک رسول اللَّه فقال: «لو أنّی استقبلت من أمری ما استدبرت ما أهدیت، ولولا أنّ

معی الهدی لأحللت» «۱»

.

۲- روی مالک، عن محمد بن عبد اللَّه أنّه سمع سعد بن أبی وقاص والضحّاک ابن قیس عام حجّ معاویة بن أبی سفیان وممّا یذکران أن التّمتّع بالعمرة إلی الحجّ.

فقال الضحّاک بن قیس: لا یفعل ذلک إلّامن جهل أمر اللَّه عزّوجلّ. فقال سعد:

بئس ما قلت یا ابن أخی، فقال الضحّاک: إنّ عمر بن الخطاب قد نهی عن ذلک، فقال سعد: قد صنعها رسول اللَّه وصنعناها معه «۲».

۳- وروی عن عبد اللَّه بن عمر أنّه قال: واللَّه لئن أعتمر قبل الحجّ وأهدی أحبّ إلیّ من أن أعتمر بعد الحجّ فی ذی الحجّة «۳».

۴- روى الترمذى عن سالم بن عبد اللّه أنّه سمع رجلًا من أهل الشام وهو يسأل عبد اللّه بن عمر عن التمتّع بالعمرة إلى الحجّ. فقال عبد اللّه بن عمر: هى حلال، فقال الشاميّ: إنّ أباك قد نهى عنها! فقال عبد اللّه بن عمر: أرأيت إن كان أبى نهى عنها وصنعها رسول اللّه صلى الله عليه و آله أأمرُ أبى نتّبع أم أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ فقال الرجل: بل أمر رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال: لقد صنعها رسول اللّه صلى الله عليه و آله «۴».

۵- روى مسلم عن أبى نضرة قال: كان ابن عبّاس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبد اللّه فقال: على يدىّ دار الحديث وتمتّعنا مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلمّا قام عمر قال: إنّ اللّه كان يُحلّ لرسوله ما شاء، بما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازلهُ، فأتمّوا الحجّ والعمرة للّه كما أمركم اللّه- إلى أن قال فى الحديث:- فافصلوا حجّكم من عمرتكم، فإنّه أتمّ لحجّكم وأتمّ لعمرتكم «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۵

ومن العجب أنّ الزرقانى يقوم بتصويب فتوى الخليفة ويعلّق على الرواية ويقول: الإتمام فى قوله سبحانه: فَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ يقتضى استمرارَ الإحرام إلى فراغ الحجّ ومنع التحلّل، والمتمتّع متحلّل ويستمتع بما كان محظوراً عليه «۱».

يلاحظ عليه أولًا: لو صحّ ما ذكره من التفسير تلزم المعارضة بين صدر الآية، أعنى قوله: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ وبين ذيلها الدّالّ على جواز التمتّع بين الإحرامين بقوله: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةَ الَى الْحَجِّ وهو كما ترى.

وثانياً: أنّ الإتمام يهدف إلى فعل كلّ من الحجّ والعمرة تماماً، بمعنى: إذا شرعتم فى فعلِ كلّ فأتمّوه، مثل قوله: وَاذ ابْتَلَى إبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ «۲»

وقوله سبحانه: ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ الَى اللَّيْلِ «۳»

، لا إلى الاستمرار.

وثالثاً: إذا كان التفسير تبريراً لنهى الخليفة؛ فهو فى الوقت نفسه تخطئة للنبىّ الأكرم؛ حيث أمر أصحابه وأهل بيته بالتحلّل، وإنّما هو لم يتحلّل لسوقه الهدى.

نعم أراد الخليفة من قوله: «فافصلوا حجّكم من عمرتكم»، هو الإتيان بالعمرة فى غير أشهر الحجّ. روى الجصّاص عن ابن عمر أنّ عمر قال: أن تُفرّقوا بين الحجّ والعمرة؛ فتجعلوا العمرة فى غير أشهر الحج، أتمّ لحجّ أحدكم «۴».

۶- روى الإمام أحمد عن أبى نضرة عن جابر قال: متعتان كانتا على عهد النبىّ، فنهانا عنها عمر رضى الله عنه فانتهينا «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۶

۷- روى ابن حزم فى المحلّى بسنده قال: قال عمر بن الخطاب: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و سلم وأنا أنهى عنهما وأضرب عليهما- ثمّ قال:- هذا لفظ أيوب، وفى رواية خالد: أنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحجّ «۱».

۸- لم يكن نهى الخليفة عن متعة الحجّ مستنداً إلى دليل شرعى وانّما نهى عنه لما كرهه أن يظلّوا معرّسين بهنّ فى الأراك، ثمّ يروحون بالحجّ تقطر رؤوسهم «۲».

وهذا هو الّذى نوّهنا عنه فى صدر البحث: أنّ الخليفة ومن لفّ لفّه، كانوا يقدّمون المصالح المزعومة على النصوص الشرعية مهما تضافرت وتواترت.

ثمّ إنّ المتأخّرين أرادوا حفظ كرامة الخليفة، فحرّفوا الكلم عن مواضعه وأوّلوا نهى الخليفة بوجهين:

۱- قالوا: إنّ ما حرّمه وأوعد عليه، غير هذا، وإنّما هو أن يحرم الرجل بالحجّ حتّى إذا دخل مكّة فسخ الحجّ إلى العمرة، ثمّ حَلّ وأقام حلالًا حتّى يهلّ بالحجّ يوم التروية «۳».

وهذا- كما ترى- لا يوافق ما مرّ من النصوص، خصوصاً ما نقلناه من المناظرة بين سعد والضحّاك بن قيس من صحيح مسلم. ومن

يقف على النصوص الكثيرة، والمناظرة الدائرة بين النبیّ وأصحابه، وبين الصحابة أنفسهم يطمئنّ إنّما نهى عن حجّ التمتع.

وقد روى البخارى عن مروان بن الحكم قال: شهدتُ عثمانَ وعليّاً- رضى اللَّه عنهما- وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلمّا رأى عليٌّ (النهى) أهلّ بهما:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۷

لبّيك بعمرة وحجّة قال: ما كنت لأدع سنّة النبیّ صلى الله عليه و آله لقول أحد «۱».

۲- إنّ نهى الخليفة عن متعة الحجّ لاختصاص إباحة المتعة بالصحابة فى عمرتهم مع رسول اللَّه فحسب.

ويكفينا فى الردّ عليه قول ابن قيّم الجوزية: «إنّ تلكم الآثار الدالّة على الاختصاص بالصحابة بين باطل لا يصحّ، عمّن نُسب إليه البتّة، وبين صحيح عن قائل غير معصوم لا يعارض به نصوص المشرِّع المعصوم، ففى صحيحة الشيخين وغيرهما عن سراقة بن مالك قال: مُتعتُنا هذه يا رسول اللَّه ألعامنا هذا أم للأبد؟

قال: «لا بل للأبد» «۲»

.

قال العينى فى قوله سبحانه: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ الَى الْحَجِّ: أجمع المسلمون على إباحة التمتّع فى جميع الأعصار، وأمّا السنّة فحديث سراقة: المتعة لنا خاصّة أم هى للأبد؟ قال: «بل للأبد»، وحديث جابر المذكور فى صحيح مسلم فى صفة الحجّ نحو هذا. ومعناه أنّ أهل الجاهلية كانوا لا يجيزون التمتّع، ولا يرون العمرة فى أشهر الحجّ، فبيّن النبیّ صلى الله عليه و سلم أنّ اللَّه قد شرّع العمرة فى أشهر الحج وجوّز المتعة إلى يوم القيامة «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۸

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

اشارة

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

اختلف المسلمون فى غسل الرجلين ومسحهما، فذهب الأئمّة الأربعة إلى أنّ الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشيعة الإمامية: إنّه المسح، وقال داود بن على والناصر للحقّ من الزيدية: يجب الجمع بينهما، وهو صريح الطبرى فى تفسيره:

ونقل عن الحسن البصرى: أنّه مخيّر بينهما «۱».

وممّا يثير العجب اختلاف المسلمين فى هذه المسألة، مع أنّهم رأوا وضوء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كلّ يوم وليلة فى موطنه ومهجره، وفى حضره وسفره، ومع ذلك اختلفوا فى أشدّ المسائل ابتلاءً، وهذا يعرب عن أنّ الاجتهاد لعب فى هذه المسألة دوراً عظيماً، فجعل أوضح المسائل أبهمها.

إنّ الذكر الحكيم تكفّل ببيان المسألة وما أبقى فيها إبهاماً وإعضالًا، ومثل ذلك بيّنه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ومن هنا فلابدّ من الجزم بأنّ المسلمين كانوا قد اتّفقوا على فعل واحد، وإلّا فما كان هذا الأمر بخفى، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقوم بتوضيحه، إذن فلا محيص من القول بأنّ الحاضرين فى عصر النزول فهموا من الآية معنىً واحداً:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۸۹

إمّا المسح أو الغسل، ولم يتردّدوا فى حكم الرجلين أبداً. ولو خفى حكم هذه المسألة بعد رحلة الرسول صلى الله عليه و آله على

الأجيال الآتية فلا غرو فی أنّ يخفى على المسلمين حكم أكثر المسائل.

وقفة مع آية الوضوء

وقفة مع آية الوضوء

وليس فيها شيء أوثق من كتاب اللَّه فعلينا دراسة ما جاء فيه، قال سبحانه:

يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلى المَرافِقِ وامْسَحُوا بِرؤوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلى الكَعْبَيْن «۱»

وقد اختلف القرّاء فی قراءة: وأرجلكم إلى الكعبين فمنهم من قرأ بالفتح، ومنهم من قرأ بالكسر إلّا أنّه من البعيد أن تكون كلّ من القراءتين موصولة إلى النبیّ صلى الله عليه و آله فإنّ تجويزهما يضفی على الآية إبهاماً وإعضالًا، ويجعل الآية لغزاً، والقرآن كتاب الهداية والإرشاد، وتلك الغاية تطلب لنفسها الوضوح وجلاء البيان، خصوصاً فيما يتعلّق بالأعمال والأحكام التی يبتلى بها عامّة المسلمين، ولا تقاس بالمعارف والعقائد التی يختصّ الإمعان فيها بالأمثل فالأمثل.

وعلى كلّ تقدير فممّن حقّق مفاد الآية وبيّنها الإمام الرازی فی تفسيره، ننقل كلامه بتلخيص:

قال: حجّة من قال بوجوب المسح مبنی على القراءتين المشهورتين فی قوله:

وأرجلكم وهما:

الأوّل: قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم- فی رواية أبی بكر عنه- بالجرّ.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۰

الثانی: قرأ نافع وابن عامر وعاصم- فی رواية حفص عنه- بالنصب.

أمّا القراءة بالجرّ فهی تقتضی كون الأرجل معطوفة على الرؤوس فكما وجب المسح فی الرأس، فكذلك فی الأرجل.

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون الجرّ على الجوار؟ كما فی قوله: «جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» وقوله: «كَبِيرُ أُناسٍ فی بِجادٍ مَزَمّلٍ».

قيل: هذا باطل من وجوه:

۱- إنّ الكسر على الجوار معدود من اللحن الذی قد يتحمّل لأجل الضرورة فی الشعر، وكلام اللَّه يجب تنزيهه عنه.

۲- إنّ الكسر على الجوار انّما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما فی قوله: «جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ» فإنّ «الخَرِب» لا يكون نعتاً للضبّ بل للجحر، وفی هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل.

۳- إنّ الكسر بالجوار إنّما يكون بدون حرف العطف وأمّا مع حرف العطف فلم تتكلّم به العرب.

وأمّا القراءة بالنصب فهی أيضاً توجب المسح، وذلك لأنّ «برؤوسكم» فی قوله: «فامسحوا برؤوسكم» فی محل النصب «۱» بامسحوا لأنّه المفعول به، ولكنّها مجرورة لفظاً بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز فی الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، وجاز الجرّ عطفاً على الظاهر.

نزيد بياناً انّه على قراءة النصب يتعيّن العطف على محلّ برؤوسكم، ولا يجوز العطف على ظاهر أيديكم لاستلزامه الفصل بين العاطف والمعطوف عليه بجملة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۱

أجنبية وهو غير جائز فی المفرد، فضلًا عن الجملة.

هذا هو الذی يعرفه المتدبّر فی الذكر الحكيم، ولا يسوغ لمسلم أن يعدل عن القرآن إلى غيره، فإذا كان هو المهيمن على جميع الكتب السماوية، فأولى أن يكون مهيمناً على ما فی أيدی الناس من الحقّ والباطل، والمأثورات التی الحديث فيها ذو شجون. مع كونها متضاربة فی المقام، فلو ورد فيها الأمر بالغسل، فقد جاء فيها الأمر بالمسح، رواه الطبری عن الصحابة والتابعين نشير إليه على

وجه الإجمال.

۱- ابن عباس، قال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

۲- كان أنس إذا مسح قدميه بلّهما، ولمّا خطب الحجّاج وقال: ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه في قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، قال أنس: صدق اللّه وكذب الحجّاج، قال اللّه: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما.

۳- عكرمة، قال: ليس على الرجلين غسل، وإنّما نزل فيهما المسح.

۴- الشعبي قال: نزل جبرئيل بالمسح وقال: ألا ترى أنّ التيمّم أن يمسح ما كان غسلًا ويلغى ما كان مسحاً.

۵- عامر: أُمر أن يمسح في التيمّم ما أُمر أن يغسل بالوضوء، وأُبطل ما أُمر أن يمسح في الوضوء؛ الرأس والرجلان. وقيل له: إنّ أُناساً يقولون: إنّ جبرئيل نزل بغسل الرجلين فقال: نزل جبرئيل بالمسح.

۶- قتادة في تفسير الآية: افترض اللّه غسلتين ومسحتين.

۷- الأعمش: قرأ «وأرجلكم» مخفوضة اللام.

۸- علقمة: قرأ «أرجلكم» مخفوضة اللام.

۹- الضحاك: قرأ «وأرجلكم» بالكسر.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۲

۱۰- مجاهد: مثل ما تقدّم «۱».

وهؤلاء من أعلام التابعين وفيهم الصحابيان: ابن عبّاس وأنس وقد أصفقوا على المسح وقراءة الجرّ الصريحة في تقديم المسح على الغسل، وجمهور أهل السنّة يحتجّون بأقوالهم في مجالات مختلفة، فلماذا أُعرض عنهم في هذا المجال المهمّ والحسّاس في عبادة المسلم.

إنّ القول بالمسح هو المنصوص عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهم يسندون المسح إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، ويحكون وضوءه به، قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ألا أحكي لكم وضوء رسول اللّه صلى الله عليه و آله»؟ ثمّ أخذ كفّاً من الماء فصبّها على وجهه... إلى أن قال: ثمّ مسح رأسه وقدميه.

وفي رواية أُخرى: ثمّ مسح ببقيّة ما بقي في يديه رأسه ورجليه ولم يعدهما في الإناء «۲».

وفي ضوء هذه الروايات والمأثورات اتّفقت الشيعة الإمامية على أنّ الوضوء غسلتان ومسحتان، وإلى ذلك يشير السيّد بحر العلوم في منظومته الموسومة بالدرة النجفيّة:

إن الوضوء غسلتان عندنا ومسحتان والكتاب معنا

فالغسل للوجه ولليدينِ والمسح للرأس وللرجلينِ وبعد وضوح دلالة الآية، وإجماع أئمّة أهل البيت على المسح، واستناداً إلى جملة الأدلّة الواضحة التي ذكرنا بعضاً منها، فانّ القول بما يخالفها يبدو ضعيفاً ولا يصمد أمام النقاش، إلّاأنّا سنحاول أن نورد الوجوه التي استدلّ بها القائلون بالغسل ليتبين للقارئ الكريم مدى ضعف حجّيتها:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۳

أدلة القائلين بالغسل ونقضها

أدلة القائلين بالغسل ونقضها

۱- إنّ الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب

المصير إليه، ويكون غسل الأرجل يقوم مقام مسحها «۱».

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ أخبار الغسل معارضة بأخبار المسح، وليس شيء أوثق من كتاب اللّه، فلو دلّ على لزوم المسح لا يبقى مجال لترجيحه على روايات المسح. والقرآن هو المهيمن على الكتب والمأثورات، والمعارض منها للكتاب لا يقام له وزن.

وأعجب من ذلك قوله: إنّ الغسل مشتمل على المسح، مع أنّهما حقيقتان مختلفتان، فالغسل إمرار الماء على المغسول، والمسح إمرار اليد على الممسوح «۲» وهما حقيقتان مختلفتان لغة وعرفاً وشرعاً، ولو حاول الاحتياط لوجب الجمع بين المسح والغسل، لا الاكتفاء بالغسل.

۲- ما روى عن على عليه السلام من أنّه كان يقضى بين الناس فقال: «وأرجلكم هذا من المقدّم والمؤخّر فى الكلام فكأنّه سبحانه قال: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق واغسلوا أرجلكم وامسحوا برؤوسكم» «۳».

لكنّه يرد بأنّ أئمّة أهل البيت كالباقر والصادق عليهما السلام أدرى بما فى البيت، وهما اتّفقا على المسح، وهل يمكن الاتّفاق على المسح مع اعتقاد كبيرهم بالغسل؟! إنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۴

المؤكّد هو أنّ هذه الرواية موضوعة عن لسان الإمام ليثيروا الشكّ بين أتباعه وشيعته. ولا نعلّق على احتمال التقديم والتأخير شيئاً، سوى أنّه يجعل معنى الآية شيئاً مبهماً فى المورد الذى يطلب فيه الوضوح؛ إذ هى المرجع للقروى والبدوى، وللحاضر عصر النزول، والغائب عنه، فيجب أن يكون على نسق ينتقل منه إلى المراد، ثمّ إنّه أىّ ضرورة اقتضت هذا التقديم والتأخير، مع إنّه كان من الممكن ذكر الأرجل بعد الأيدى من دون تأخير؟ ولو كان الدافع إلى التأخير هو بيان الترتيب، وإنّ غسل الأرجل بعد مسح الرأس، فكان من الممكن أن يُذكر فعله ويقال:

فامسَحُوا بِرُؤُوسِكُم واغْسلوا أرجلكم إلى الكعبين. كلّ ذلك يعرب عن أنّ هذه محاولات فاشلة لتصحيح الاجتهاد تجاه النصّ، وما عليه أئمّة أهل البيت من الاتّفاق على المسح.

۳- ما روى عن ابن عمر فى الصحيحين قال: تخلّف عنّا رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى سفره، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، وجعلنا نتوضّأ ونمسح على أرجلنا، قال:

فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار»- مرتين أو ثلاثاً- «۱».

ويردّ هذا الاستدلال: أنّ هذه الرواية على تعيّن المسح أدلّ من دلالتها على غسل الرجلين؛ فإنّها صريحة فى أنّ الصحابة يمسحون، وهذا دليل على أنّ المعروف عندهم هو المسح، وما ذكره البخارى من أنّ الإنكار عليهم كان بسبب المسح لا بسبب الاقتصار على بعض الرجل، اجتهاد منه، وهو حجّة عليه لا على غيره، فكيف يمكن أن يخفى على ابن عمر حكم الرجلين حتّى يمسح رجليه عدّة سنين إلى أن ينكر عليه النبىّ المسح؟!

على أنّ للرواية معنى آخر تؤيّده بعض المأثورات، فقد روى: أنّ قوماً من أجلاف العرب، كانوا يبولون وهم قيام، فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۴۹۵

فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً لذلك الوعيد «۱» ويؤيّد ذلك ما يوصف به بعض الأعراب بقولهم: بوّال على عقبيه، وعلى فرض كون المراد ما ذكره البخارى، فلا تقاوم الرواية نصّ الكتاب.

۴- روى ابن ماجة القزوينى عن أبى إسحاق عن أبى حيّة، قال: رأيت عليّاً توضّأ فغسل قدميه إلى الكعبين ثمّ قال: «أردت أن أُريكم طهور نبيّكم» «۲».

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ أبا حيّة مجهول لا يعرف، ونقله عنه أبو إسحاق الذى شاخ ونسى واختلط وترك الناس روايته «۳» أضف إليه

أنّه يعارض ما رواه عنه أهل بيته، وأئمّة أهل بيته، خصوصاً من لازمه فى حياته وهو ابن عبّاس كما مرّ.

۵- قال صاحب المنار: وأقوى الحجج اللفظية على الإمامية جعل الكعبين غاية طهارة الرجلين، وهذا لا يحصل إلّا باستيعابهما بالماء؛ لأنّ الكعبين هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل.

وهذا القول يلاحظ عليه: أنّا نفترض أنّ المراد من الكعبين هو ما ذكره، لكنّا نسأله: لماذا لا تحصل تلك الغاية إلّا باستيعابها بالماء؟ مع أنّه يمكن تحصيل تلك الغاية بمسحهما بالنداوة المتبقية فى اليد، والاختبار سهل، فها نحن من الذين يمسحون الأرجل إلى العظمين الناتئين بنداوة اليد، ولا نرى فى العمل إعضالًا وعسراً.

۶- وقال: إنّ الإمامية يمسحون ظاهر القدم إلى معقد الشراك عند المفصل بين الساق والقدم، ويقولون هو الكعب، ففى الرجل كعب واحد على رأيهم، فلو صحّ

هذا لقال: إلى الكعاب كما قال فى اليدين: «إلى المرافق» «۱».

أقول: إنّ المشهور بين الإمامية هو تفسير الكعب بقبّة القدم التى هى معقد الشراك، وهناك من يذهب إلى أنّ المراد هو المفصل بين الساق والقدم، وذهب قليل منهم إلى أنّ المراد هما العظمان الناتئان فى جانبى الرجل. وعلى كلّ تقدير، يصحّ إطلاق الكعبين، وإن كان حدّ المسح هو معقد الشراك أو المفصل، فيكون المعنى: فامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين منكم إذ لا شك أنّ كلّ مكلّف يملك كعبين فى رجليه.

أضف إلى ذلك: أنّه لو صحّ التفسير بما ذكره فإنّه يجب أن يوسّع الممسوح ويحدّد بالعظمين الناتئين لا أن يبدّل المسح بالغسل، وكأنّه تخيّل أنّ المسح بالنداوة المتبقّية فى اليد لا يتحقّق بها، وأنّ اليد تجفّ قبل الوصول إليهما.

ولعمرى أنّ هذه اجتهادات واهية، وتخرّصات لا قيمة لها فى مقابل الذكر الحكيم.

۷- آخر ما عند صاحب المنار فى توجيه غسل الأرجل هو التمسّك بالمصالح، حيث قال: لا يعقل لإيجاب مسح ظاهر القدم باليد المبلّلة بالماء حكمة، بل هو خلاف حكمة الوضوء؛ لأنّ طروء الرطوبة القليلة على العضو الذى عليه غبار أو وسخ يزيده وساخة، وينال اليد الماسحة حظّ من هذه الوساخة.

وهذا القول يردّه: أنّ ما ذكره استحسان لا يُعرَّج عليه مع وجود النصّ، فلا شكّ أنّ الأحكام الشرعية تابعة للمصالح الواقعية ولا يجب علينا أن نقف عليها، فأىّ مصلحة فى المسح على الرأس ولو بمقدار إصبع أو إصبعين حتّى قال الشافعى:

إذا مسح الرجل بإصبع واحدة أو بعض إصبع أو باطن كفه، أو أمر مَن يمسح له أجزأه ذلك؟!

وهناك كلمة قيّمة للإمام شرف الدين الموسوى نأتى بنصّها، قال- رحمه اللَّه-:

نحن نؤمن بأنّ الشارع المقدّس لاحظ عباده فى كلّ ما كلّفهم به من أحكامه الشرعية، فلم يأمرهم إلّابما فيه مصلحتهم، ولم ينههم إلّاعمّا فيه مفسدة لهم، لكنّه مع ذلك لم يجعل شيئاً من مدارك تلك الأحكام منوطاً من حيث المصالح والمفاسد بآراء العباد، بل تعبّدهم بأدلّة قويّة عيّنها لهم، فلم يجعل لهم مندوحة عنها إلى ما سواها. وأوّل تلك الأدلّة الحكيمة كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وقد حكم بمسح الرؤوس والأرجل فى الوضوء، فلا مندوحة عن البخوع لحكمه، أمّا نقاء الأرجل من الدنس فلابدّ من إحرازه قبل المسح عليها عملًا بأدلّة خاصّة دلّت على اشتراط الطهارة فى أعضاء الوضوء قبل الشروع فيه «۱». ولعلّ غسل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رجليه- المدّعى فى أخبار الغسل- إنّما كان من هذا الباب، ولعلّه كان من باب التبرّد، أو كان من باب المبالغة فى النظافة بعد الفراغ من الوضوء. واللَّه أعلم «۲».

المسألة العاشرة: السجود علی الأرض

المسألة العاشرة: السجود علی الأرض

اشارة

المسألة العاشرة: السجود علی الأرض

لعلّ من أوضح مظاهر العبودیة والانقیاد والتذلّل من قبل المخلوق لخالقه، هو السجود، وبه یؤکّد المؤمن عبودیته المؤکّدة للّه تعالی، ومن هنا فانّ البارئ عزّ اسمه یقدّر لعبده هذا التصاغر وهذه الطاعة؛ فیضفی علی الساجد فیض لطفه وعظیم إحسانه، لذا روی فی بعض المأثورات: «أقرب ما یکون العبد إلی ربّه حال سجوده».

ولمّا کانت الصلاة من بین العبادات معراجاً یتمیّز بها المؤمن عن الکافر، وکان السجود رکناً من أرکانها، فلیس هناک أوضح فی إعلان التذلّل للّه تعالی من السجود علی التراب والرمل والحجر والحصی، لما فیه من تذلّل أوضح وأبین من السجود علی الحصر والبواری، فضلًا عن السجود علی الألبسة الفاخرة والفرش الوثیرة والذهب والفضّة، وإن کان الکلّ سجوداً، إلّاأنّ العبودیة تتجلّی فی الأوّل بما لا تتجلّی فی غیره.

والإمامیة ملتزمة بالسجدة علی الأرض فی حضرهم وسفرهم، ولا یعدلون عنها إلّاإلی ما أُنبت منها من الحصر والبواری بشرط أن لا یؤکل ولا یلبس، ولا

یرون السجود علی غیرهما صحیحاً فی حال الصلاة أخذاً بالسنّة المتواترة عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وأهل بیته وصحبه. وسیظهر- فی ثنایا البحث- أنّ الالتزام بالسجود علی الأرض أو ما أنبتت، کانت هی السنّة بین الصحابة، وأنّ العدول عنها حدث فی الأزمنة المتأخّرة، ولأجل توضیح المقام نقدّم أُموراً:

۱- اختلاف الفقهاء فی شرائط المسجود علیه

۱- اختلاف الفقهاء فی شرائط المسجود علیه

اتّفق المسلمون علی وجوب السجود فی الصلاة فی کلّ رکعة مرّتین، ولم یختلفوا فی المسجود له؛ فإنّه هو اللّه سبحانه الذی له یسجد من فی السماوات والأرض طوعاً وکرهاً «۱» وشعار کلّ مسلم قوله سبحانه: لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا للقَمَرِ واسجُدُوا للّه الّذی خَلَقَهُنَّ «۲»

وإنّما اختلفوا فی شروط المسجود علیه- أعنی: ما یضع الساجد جبهته علیه- فالشیعة الإمامیة تشترط علی أن یکون المسجود علیه أرضاً أو ما ینبت منها غیر مأکول ولا ملبوس کالحصر والبواری، وما أشبه ذلک. وخالفهم فی ذلک غیرهم من المذاهب، وإلیک نقل الآراء:

قال الشیخ الطوسی وهو یبیّن آراء الفقهاء: لا یجوز السجود إلّاعلی الأرض أو ما أنبتته الأرض ممّا لا یؤکل ولا یلبس من قطن أو کتّان مع الاختیار. وخالف جمیع الفقهاء فی ذلک وأجازوا السجود علی القطن والکتان والشعر والصوف وغیر ذلک- إلی أن قال-: لا یجوز السجود علی شیء هو حامل له ککور العمامة، وطرف الرداء، وکمّ القمیص، وبه قال الشافعی، وروی ذلک عن علیّ- علیه الصلاة

والسلام- وابن عمر، وعبادة بن الصامت، ومالك، وأحمد بن حنبل.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب التى عليه أجزأه.

وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفترش يده ويسجد عليها أجزأه لكنّه مكروه، وروى ذلك عن الحسن البصرى «۱».

وقال العلّامة الحلّى- وهو يبيّن آراء الفقهاء فيما يسجد عليه-: لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع، وأطبق الجمهور على الجواز.

وقد اقتفت الشيعة فى ذلك أئمتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه فى حديث الثقلين، ونحن نكتفى هنا بإيراد جانب ممّا روى فى هذا الجانب:

روى الصدوق بإسناده عن هشام بن الحكم أنّه قال لأبى عبد اللَّه عليه السلام: أخبرنى عمّا يجوز السجود عليه، وعمّا لا يجوز قال: «السجود لا يجوز إلّاعلى الأرض، أو على ما أنبتت الأرض إلّاما أُكل أو لبس». فقال له: جعلت فداك ما العلّة فى ذلك؟

قال: «لأنّ السجود خضوع للَّه عزّ وجلّ فلا ينبغى أن يكون على ما يؤكل ويلبس؛ لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد فى سجوده فى عبادة اللَّه عزّ وجلّ، فلا ينبغى أن يضع جبهته فى سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغترّوا بغرورها» «۲».

فلا عتب على الشيعة إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته؛ إذا لم يكن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۱

مأكولًا ولا ملبوساً اقتداءً بأئمّتهم، على أنّ ما رواه أهل السنّة فى المقام، يدعم نظريّة الشيعة، وسيظهر لك فيما سيأتى من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتّضح أنّ السنّة كانت هى السجود على الأرض، ثمّ جاءت الرخصة فى الحصر والبوارى فقط، ولم يثبت الترخيص الآخر بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك.

۲- الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

۲- الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

كثيراً ما يتصوّر أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت منها بدعة، ويتخيّل الحجر المسجود عليه وثناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين المسجود له، والمسجود عليه، ويزعمون أنّ الحجر أو التربة الموضوعة أمام المصلّى وثناً يعبده المصلّى بوضع الجبهة عليه.

ولكن لا عتب على الشيعة إذا قصر فهم المخالف، ولم يفرّق بين الأمرين، وزعم المسجود عليه مسجوداً له، وقاس أمر الموحّد بأمر المشرك بحجّة المشاركة فى الظاهر، فأخذ بالصور والظواهر، مع أنّ الملاك هو الأخذ بالبواطن والضمائر، فالوثن عند الوثنى معبود ومسجود له يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحّد الذى يريد أن يصلّى فى إظهار العبودية إلى نهاية مراتبها، يخضع للَّه سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر والرمال والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلًا: أين التراب وربّ الأرباب.

نعم؛ الساجد على التربة غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهّم عكس ذلك فهو من البلاهة بمكان، وسيؤدّى إلى إرباك كلّ المصلين والحكم بإشراكهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لابدّ أن يكون عابداً لها على هذا المنوال، فيا للعجب العجاب!!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۲

۳- السنّة فى السجود فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله وبعده

اشارة

۳- السنّة فی السجود فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله وبعده

إنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله وصحبه کانوا ملتزمین بالسجود علی الأرض مدّة لا یستهان بها، متحمّلین شدّة الرمضاء، وغبار التراب، ورطوبة الطین، طیلة أعوام. ولم یسجد أحد یوم ذاک علی الثوب وکور العمامة، بل ولا علی الحصر والبواری والخمر، وأقصی ما کان عندهم لرفع الأذی عن الجبهة، هو تبرید الحصی بأکفّهم ثمّ السجود علیها، وقد شکا بعضهم رسول اللّه صلی الله علیه و آله من شدّة الحرّ، فلم یجبه؛ إذ لم یکن له أن یبدل الأمر الإلهی من تلقاء نفسه، إلی أن وردت الرخصة بالسجود علی الخمر والحصر، فوسع الأمر للمسلمین لکن فی إطار محدود، وعلی ضوء هذا فقد مرّت فی ذلک الوقت علی المسلمین مرحلتان لا غیر:

۱- ما کان الواجب فیها علی المسلمین السجود علی الأرض بأنواعها المختلفة من التراب والرمل والحصی والطین، ولم تکن هناک أیّة رخصة.

۲- المرحلة التی ورد فیها الرخصة بالسجود علی نبات الأرض من الحصی والبواری والخمر، تسهیلًا للأمر، ورفعاً للحرج والمشقّة، ولم تکن هناک أیّة مرحلة اُخری توسع الأمر للمسلمین أکثر من ذلک کما یدّعیه البعض، وإلیک البیان:

المرحلة الاولی: السجود علی الأرض:

المرحلة الاولی: السجود علی الأرض:

۱- روی الفریقان عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «وجُعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً» «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۰۳

والمتبادر من الحدیث أنّ کلّ جزء من الأرض مسجد وطهور یُسجد علیه ویُقصد للتیمّم، وعلی ذلک فالأرض تقصد للجهتین: للسجود تارةً، وللتیمّم اُخری.

وأمّا تفسیر الروایة بأنّ العبادة والسجود للّه سبحانه لا یختصّ بمکان دون مکان، بل الأرض کلّها مسجد للمسلمین بخلاف غیرهم؛ حیث خصّوا العبادة بالبِیَع والکنائس، فهذا المعنی لیس مغایراً لما ذکرناه؛ فإنّه إذا کانت الأرض علی وجه الإطلاق مسجداً للمصلّی فیکون لازمه کون الأرض کلّها صالحة للعبادة، فما ذکر معنی التزامی لما ذکرناه، ویعرب عن کونه المراد ذکر «طهوراً» بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولین ل «جُعلت» والنتیجة هو توصیف الأرض بوصفین: کونها مسجداً، وکونها طهوراً، وهذا هو الذی فهمه الجصّاص وقال: إنّ ماجعله من الأرض مسجداً هو الذی جعله طهوراً «۱».

ومثله غیره من شرّاح الحدیث.

تبرید الحصی للسجود علیها:

۲- عن جابر بن عبد اللّه الأنصاری، قال: کنت اُصلّی مع النبیّ صلی الله علیه و آله الظهر، فآخذ قبضة من الحصی، فأجعلها فی کفّی ثمّ اُحوّلها إلی الکفّ الاُخری حتّی تبرد ثمّ أضعها لجبینی، حتّی أسجد علیها من شدّة الحرّ «۲».

وعلّق علیه البیهقی بقوله: قال الشیخ: ولو جاز السجود علی ثوب متّصل به لکان ذلک أسهل من تبرید الحصی بالکفّ ووضعها للسجود «۳».

ونقول: ولوکان السجود علی مطلق الثیاب سواء کان متصلًا أم منفصلًا جائزاً

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۰۴

لکان أسهل من تبرید الحصی، ولأمکن حمل مندیل أو ما شابه للسجود علیه.

۳- روی أنس قال: کنّا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی شدّة الحرّ فیأخذ أحدنا الحصباء فی یده، فإذا برد وضعه وسجد علیه «۱».

۴- عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شدّة الرمضاء فى جباهنا وأكفّنا، فلم يشكّنا «۲».

قال ابن الأثير فى معنى الحديث: إنّهم لمّا شكوا إليه ما يجدون من ذلك لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم «۳».

هذه المأثورات تعرب عن أنّ السنّة فى الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتّى أنّ الرسول صلى الله عليه و آله لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتّصلة أو المنفصلة، وهو صلى الله عليه و آله مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مسّ جباههم الأرض، وإن آذتهم شدّة الحرّ.

والذى يعرب عن التزام المسلمين بالسجود على الأرض، وعن إصرار النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله بوضع الجبهة عليها لا على الثياب المتّصلة ككور العمامة أو المنفصلة كالمناديل والسجاجيد، ما روى من حديث الأمر بالتتريب فى غير واحد من الروايات.

الأمر بالتتريب:

۵- عن خالد الجهنى: قال: رأى النبيّ صلى الله عليه و آله صهيباً يسجد كأنّه يتّقى التراب فقال له: «ترّب وجهك يا صهيب» «۴».

۶- والظاهر أنّ صهيباً كان يتّقى عن التتريب بالسجود على الثوب المتّصل والمنفصل، ولا أقلّ بالسجود على الحصر والبوارى والأحجار الصافية، وعلى كلّ تقدير؛ فالحديث شاهد على أفضليّة السجود على التراب فى مقابل السجود على الحصى؛ لما دلّ من جواز السجدة على الحصى فى مقابل السجود على غير الأرض.

۷- روت أُمّ سلمة- رضى اللَّه عنها-: رأى النبى صلى الله عليه و آله غلاماً لنا يقال له أفلح ينفخ إذا سجد، فقال: «يا أفلح ترّب» «۱».

۸- وفى رواية: «يا رباح ترّب وجهك» «۲».

۹- روى أبو صالح قال: دخلت على أُمّ سلمة، فدخل عليها ابن أخ لها فصلّى فى بيتها ركعتين، فلمّا سجد نفخ التراب، فقالت أُمّ سلمة: ابن أخى لا تنفخ؛ فإنّى سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول لغلام له يقال له يسار- ونفخ-: «ترّب وجهك للَّه» «۳».

الأمر بحسر العمامة عن الجبهة:

۱۰- روى: أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته «۴».

۱۱- روى عن علىّ أمير المؤمنين أنّه قال: «إذا كان أحدكم يصلّى فليحسر العمامة عن وجهه»، يعنى حتّى لا يسجد على كور العمامة «۵».

۱۲- روى عن صالح بن حيوان السبائى: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رأى رجلًا يسجد بجنبه وقد اعتمّ على جبهته فحسر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن جبهته «۶».

۱۳- عن عياض بن عبد اللَّه القرشى: رأى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله رجلًا يسجد على كور عمامته فأومأ بيده: «ارفع عمامتك» وأومأ إلى جبهته «۱».

هذه الروايات تكشف عن أنّه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلّاالسجود على الأرض، ولم يكن هناك أىّ رخصة سوى تبريد الحصى، ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبيّ صلى الله عليه و آله بالتتريب، وحسر العمامة عن الجبهة.

المرحلة الثانية: الترخيص فى السجود على الخمر والحصر:

المرحلة الثانية: الترخيص فى السجود على الخمر والحصر:

هذه الأحاديث والمأثورات المبثوثة فى الصحاح والمسانيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبى صلى الله عليه و آله وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنّهم كانوا لا يعدلون عنه، وإن صعب الأمر واشتدّ الحرّ، لكن هناك نصوصاً تعرب عن ترخيص النبى

صلى الله عليه و آله- بإيحاء من اللّه سبحانه إليه- السجود على ما أنبتت الأرض، فسهّل لهم بذلك أمر السجود، ورفع عنهم الإصر والمشقّة في الحرّ والبرد، وفيما إذا كانت الأرض مبتلّة، وإليك تلك النصوص:

۱- عن أنس بن مالك قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة «۲».

۲- عن ابن عباس: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة، وفي لفظ: وكان النبيّ صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة «۳».

۳- عن عائشة: كان النبيّ صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة «۴».

۴- عن أُمّ سلمة: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۷

۵- عن ميمونة: ورسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة فيسجد «۱».

۶- عن أُمّ سليم قالت: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمرة «۲».

۷- عن عبد اللّه بن عمر: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على الخمر «۳».

المرحلة الثالثة: السجود على الثياب لعذر:

المرحلة الثالثة: السجود على الثياب لعذر:

قد عرفت المرحلتين الماضيتين، ولو كان هناك مرحلة ثالثة فإنّما مرحلة جواز السجود على غير الأرض وما ينبت منها لعذر وضرورة. ويبدو أنّ هذا الترخيص جاء متأخّراً عن المرحلتين لما عرفت أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لم يُجب شكوى الأصحاب من شدّة الحرّ والرمضاء، وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحرّ والأذى، ولكنّ الباري عزّ اسمه رخّص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضرورة، وإليك ما ورد في هذا المقام.

۱- عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلّينا مع النبيّ صلى الله عليه و آله فلم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض، طرح ثوبه ثمّ سجد عليه.

۲- وفي صحيح البخاري: كنّا نصلّي مع النبيّ صلى الله عليه و آله فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحرّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه.

۳- وفي لفظ ثالث: كنّا إذا صلّينا مع النبيّ صلى الله عليه و آله فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّة الحرّ مكان السجود «۴».

وهذه الرواية التي نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف حقيقة بعض ما روي في ذلك المجال الظاهر في جواز السجود على الثياب في حالة الاختيار أيضاً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۰۸

وذلك لأنّ رواية أنس نصّ في اختصاص الجواز على حالة الضرورة، فتكون قرينة على المراد من هذه المطلقات، وإليك بعض ما روي في هذا المجال:

۱- عبداللّه بن محرز عن أبي هريرة: كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصلّي على كور عمامته «۱».

إنّ هذه الرواية مع أنّها معارضة لما مرّ من نهي النبيّ صلى الله عليه و آله عن السجود عليه، محمولة على العذر والضرورة، وقد صرّح بذلك الشيخ البيهقي في سننه، حيث قال:

قال الشيخ: «وأمّا ما روي في ذلك عن النبيّ صلى الله عليه و آله من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك، وأصحّ ما روي في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله «۲».

وقد روی عن ابن راشد قال: «رأیت مکحولًا یسجد علی عمامته فقلت: لما تسجد علیها؟ قال أتّقی البرد علی أسنانی» «۳».

۲- ما روی عن أنس: «کنّا نصلّی مع النبیّ صلی الله علیه و آله فیسجد أحدنا علی ثوبه» «۴».

والروایة محمولة علی صورة العذر بقرینة ما رویناه عنه، وبما رواه عنه البخاری: «کنّا نصلّی مع النبیّ صلی الله علیه و آله فی شدّة الحرّ، فإذا لم یستطع أحدنا أن یمکّن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد علیه» «۵».

ویؤیّده ما رواه النسائی أیضاً: «کنّا إذا صلّینا خلف النبیّ صلی الله علیه و آله بالظهائر سجدنا علی ثیابنا اتّقاء الحرّ» «۶».

وهناک روایات قاصرة الدلالة حیث لا تدلّ إلّاعلی أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله صلّی علی

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۰۹

الفرو. وأمّا أنّه سجد علیه فلا دلالة لها علیه.

۳- عن المغیرة بن شعبة: کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یصلّی علی الحصیر والفرو المدبوغة «۱».

والروایة مع کونها ضعیفة بیونس بن الحرث، لیست ظاهرة فی السجود علیه.

ولاـ ملازمـة بین الصـلاة علی الفرو والسـجدة علیه، ولعلّه صـلی الله علیه و آله وضع جبهته علی الأـرض أو مـا ینبت منها. وعلی فرض الملازمة لا تقاوم هی وما فی معناها ما سردناه من الروایات فی المرحلتین الماضیتین.

حصیلة البحث

اشارة

حصیلة البحث

إنّ المتأمّـِل فی الروایات یجـد وبـدون لبس أنّ قضـیّة السـجود فی الصـلاة مرّت بمرحلتین أو ثلاث مراحل؛ ففی المرحلـة الأُولی کان الفرض السـجود علی الأـرض ولم یرخّص للمسـلمین السـجود علی غیرهـا، وفی الثانیـة جـاء الترخیص فیما تنبته الأرض، ولیست وراء هاتین المرحلتین مرحلة أُخری إلّاجواز السـجود علی الثیاب لعذر وضـرورة، فما یظهر من بعض الروایات من جواز السـجود علی الفرو وأمثاله مطلقاً فمحمولة علی الضرورة، أو لا دلالة لها علی السجود علیها، بل غایتها الصلاة علیها.

ومن هنا فإنّ ما یظهر بوضوح أنّ ما التزمت به الشـیعة هو عین ما جاءت به السـنّة النبویّـة، ولم تنحرف عنه قیـد أُنملة، ولعلّ الفقهاء هم أدری بـذلک من غیرهم، لأنّهم الأُمناء علی الرسالة والأدلّاء فی طریق الشـریعة، ونحن ندعو إلی برهة من التأمّل لإحقاق الحقّ وتجاوز البدع.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۱۰

ما هو السرّ فی اتّخاذ تربة طاهرة؟

ما هو السرّ فی اتّخاذ تربة طاهرة؟

بقی هنا سؤال یطرحه کثیراً إخواننا أهل السـنّة حول سبب اتّخاذ الشیعة تربة طاهرة فی السفر والحضر والسجود علیها دون غیرها. وربّما یتخیّل البسـطاء- کما ذکرنا سابقاً- أنّ الشـیعة یسـجدون لها لا علیها، ویعبـدون الحجر والتربـة، وذلک لأنّ هؤلاء المساکین لا یفرّقون بین السجود علی التربة، والسجود لها.

وعلى أىّ تقدير فالإجابة عنها واضحة، فإنّ المستحسن عند الشيعة هو اتّخاذ تربة طاهرة طيّبة ليتيقن من طهارتها، من أىّ أرض أَخذت، ومن أىّ صقع من أرجاء العالم كانت، وهى كلّها فى ذلك سواء.

وليس هذا الالتزام إلّامثل التزام المصلّى بطهارة جسده وملبسه ومصلّاه، وأمّا سرّ الالتزام فى اتّخاذ التربة هو أنّ الثقة بطهارة كلّ أرض يحلّ بها، ويتّخذها مسجداً، لاـ تتأتّى له فى كلّ موضع من المواضع التى يرتادها المسلم فى حلّه وترحاله، بل وأنّى له ذلك وهذه الأماكن ترتادها أصناف مختلفة من البشر، مسلمين كانوا أم غيرهم، ملتزمين بأُصول الطهارة أم غير ذلك، وفى ذلك محنة كبيرة تواجه المسلم فى صلاته لا يجد مناصاً من أن يتّخذ لنفسه تربة طاهرة يطمئنّ بها وبطهارتها يسجد عليها لدى صلاته حذراً من السجدة على الرجاسة والنجاسة، والأوساخ التى لا يتقرّب بها إلى اللَّه قطّ ولا تجوّز السنّة السجود عليها ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً بعد ورود التأكيد التام البالغ فى طهارة أعضاء المصلّى ولباسه والنهى عن الصلاة فى مواطن منها:

١- المزبلة، والمجزرة، وقارعة الطريق، والحمّام، ومعاطن الإبل، بل والأمر بتطهير المساجد وتطييبها «١».

وهذه القاعدة كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها، فقد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۱

روى: أنّ التابعى الفقيه مسروق بن الأجدع (ت ۶۲ ه) كان يصحب فى أسفاره لبنة من المدينة يسجد عليها. كما أخرجه ابن أبى شيبة فى كتابه المصنّف، باب من كان حمل فى السفينة شيئاً يسجد عليه. فأخرج بإسنادين أنّ مسروقاً كان إذا سافر حمل معه فى السفينة لبنة يسجد عليها «١».

إلى هنا تبيّن أنّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّاتسهيل الأمر للمصلّى فى سفره وحضره خوفاً من أن لا يجد أرضاً طاهرة أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

وأمّا السرّ فى التزام الشيعة استحباباً بالسجود على التربة الحسينية، فإنّ من الأغراض العالية والمقاصد السامية منها، أن يتذكّر المصلّى حين يضع جبهته على تلك التربة، تضحية ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوة من أصحابه فى سبيل العقيدة والمبدأ ومقارعة الجور والفساد.

ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفى الحديث «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده» فيناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية، أُولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنيا الزائفة، وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع كما فى الخبر، فيكون حينئذ فى السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب «٢».

وقال العلّامة الأمينى: نحن نتّخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنة من تربة المدينة المنوّرة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة، فقيه المدينة، ومعلّم السنّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۲

بها، وحاشاه من البدعة. فليس فى ذلك أىّ حزازة وتعسّف أو شىء يضادّ نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة اللَّه وسنّة رسوله صلى الله عليه و آله أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

وليس اتّخاذ تربة كربلاء مسجداً لدى الشيعة من الفرض المحتّم، ولا من واجب الشرع والدين، ولا ممّا ألزمه المذهب، ولا يفرق أىّ أحد منهم منذ أوّل يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض فى جواز السجود عليها خلاف ما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإن هو عندهم إلّااستحسان عقلى ليس إلّا، واختياراً لما هو الأولى بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت، وكثير من رجال المذهب يتّخذون معهم فى أسفارهم غير تربة كربلاء ممّا يصحّ السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خمرة مثله ويسجدون عليه فى صلواتهم «١».

هـذا إلمام إجمالى بهـذه المسألـة الفقهيـة والتفصـيل موكول إلى محلّه، وقد أغنانا عن ذلك ما سطّره أعلام العصـر وأكابره، وأخص بالذكر منهم.

۱- المصلح الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (۱۲۹۵- ۱۳۷۳ ه) فى كتابه «الأرض والتربة الحسينية».

۲- العلّامة الكبير الشيـخ عبد الحسين الأمينى مؤلّف الغدير (۱۳۲۰- ۱۳۹۰ ه) فقـد دوّن رسالة فى هذا الموضوع طبعت فى آخر كتابه «سيرتنا وسنّتنا».

۳- السجود على الأرض للعلّامة الشيخ عليّ الأحمدى- دام عزّه- فقد أجاد فى التتبع والتحقيق.

وما ذكرنا فى هذه المسألة اقتباس من أنوار علومهم. رحم اللّه الماضين من علمائنا وحفظ اللّه الباقين منهم.

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم

اشارة

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم

صحابة النبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله هم المسلـمون الأوائل الذين رأوا النبيّ الأكرم صـلى الله عليه و آله وتشـرّفوا بكرامة الصحبة، وتحمّلـوا جانبـاً مهمّـاً فى عمليـة نشـر الـدعوة الإسـلامية، وبـذل جمع منهم النفس والنفيس فى نشـر الإسـلام، حـتّى امتـدّ إلى أقاصـى المعمـورة فأقـاموا أُسسه، وشـادوا بنيـانه، ورفعوا قواعـده بجهـادهم المتواصـل، وبلغوا ذروة المجـد باستسـهال المصـاعب، فلولا- بريق سيوفهم، وقوّة سواعدهم، وخوضهم عباب المنايا، لما قام للدين عمود، ولا اخضرّ له عود.

ولمّا كان الكتاب والسنّة هما المصدرين الرئيسيين عند المسلمين جميعاً، والشيعة منهم، وبهدى نورهما يسترشد فى استشراف الحقائق الثابتة التى لا غبار عليها، فإنّ التأمل فى هذين المصدرين الغدقين يبيّن مدى فضل أُولئك ومنزلتهم فى الإسلام.

ولعـلّ المتأمـل فى الكتـاب والسنّة يجـد مـدى مـا يحفى به الصـحابة الصـادقون من ثناء وتكريم، ومن تلا آيات الـذكر الحكيم حول المهاجرين والذين اتّبعوهم بإحسان، لا يملك نفسه إلّاأن يغبط منزلتهم وعلوّ شأنهم، بل ويتمنّى من صميم

قلبه أن يكون أحـدهم ويـدرك شأنهم، ومن اسـتمع للآيات النازلـة فى الـذين بايعوا رسول اللّه صـلى الله عليه و آله تحت الشـجرة أو أصـحاب سورة الفتح «۱» فلا- بـد أن تفيض عينـاه دمعـاً ويرتعش قلبه شوقاً نحو تلك الثلّـة المؤمنـة التى صـدقت ما عاهـدت اللّه عليه ورسوله صلى الله عليه و آله.

فإذا كان هـذا حال الصـحابة فى الـذكر الحكيم فكيف يتجرّأ مسـلم على تكفير الصـحابة ورميهم بالردّة والزندقة أو تفسـيقهم جميعاً؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

وكيف يسـتطيع أن يصوّر دعوة النبيّ صـلى الله عليه و آله ضـئيلة الفائـدة أو يتّهمه بعـدم النجـاح فى هدايـة قومه وإرشاد أُمّته، وأنّه لم يؤمن به إلّاشـرذمة قليلـة لا- يتجـاوزون عـدد الأصـابع، وأنّ ما سواهم كانوا بين منافق ستر كفره بالتظاهر بالإيمان، أو مرتـدّ على عقبيه القهقرى بعد رحلة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

كيف يجوز لمسـلم أن يصف دعوته ويقول: إنّه لم يهتـد ولـم يثبت على الإسـلام بعـد مرور (۲۳) عاماً من الدعوة إلّاثلاثة أو سـبعة أو عشرة. إنّ هذا ليس إلّاهراء وكذب رخيص لا تقبله العقول.

والأنكى من ذلك كلّه أن يُرمى الشيعة بهذا التقوّل الممجوج، وأن تجد من يصدّق ذلك ويرتّب على أساسه مواقف وآراء، وإنّا نسأل أُولئك عن هذا فنقول لهم: أىّ شيعى واع ادّعى ذلك؟ ومتى قال؟ وأين ذكره؟ إنّ الشيعة بريئة من هذه التخرّصات، وما هذه الحكايات السقيمة إلّاجزءاً من الدعايات الفارغة ضدّ الشيعة والتى أثارها الأمويّون فى أعصارهم، ليسقطوا الشيعة من عيون المسلمين، وتلقّفتها أقلام المستأجرين لتمزيق الوحدة الإسلامية، وفصم عرى الأُخوّة.

وترى تلك الفرية فى هذه الأيام فى كتيب نشره الكاتب أبو الحسن الندوى أسماه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۵

ب «صورتان متعارضتان». وهو يجترّ ذلك مرّة بعد أُخرى، وما يريد من ذلك إلّا زيادة الأُمّة فرقة وتمزيقاً.

نعم وردت روايات فى ذلك، ولكنّها لا تكون مصدراً للعقيدة، ولا تتّخذ مقياساً لها؛ لأنّها روايات آحاد لا تفيد علماً فى مجال العقائد، وستوافيك دراسة متونها وأسانيدها.

إنّا لو أحصينا المهتدين فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله من بنى هاشم لتجاوز عددهم العشرات، بدءاً من عمّه أبى طالب ومروراً بصفيّة عمّته، وفاطمة بنت أسد، وبحمزة والعبّاس وجعفر وعقيل وطالب وعبيدة بن الحارث «شهيد بدر» وأبى سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وجعدة بن أبى هبيرة وأولادهم وزوجاتهم، وانتهاءً بعلىّ عليه السلام وأولاده وبناته وزوجته فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.

أمّا الذين استشهدوا فى عهد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فهم يتجاوزون المئات، ولا يشكّ أىّ مسلم فى أنّهم كانوا مثال المؤمنين الصادقين الذين حوّلهم الإسلام وأثّر فيهم، فضربوا فى حياتهم أروع الأمثلة فى الإيمان والتوحيد والتضحية بالغالى والنفيس، خدمة للمبدأ و العقيدة. ولعلّ الاستعراض المتعجّل لمجموع تلك الأسماء لا يملك إلّا أن يجزم بصحّة ما ذهبنا إليه من القول بمكانة أُولئك الصحابة ابتداءً بآل ياسر الذين كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول لهم وهو يسمع أنينهم تحت سياط التعذيب: «صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة» «۱»، و مروراً بمن توفّى فى مهجر الحبشة وشهداء بدر وأُحد، وقد استشهد فى معركة أُحد سبعون صحابياً كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يزورهم ويسلّم عليهم، ثمّ شهداء سائر المعارك والغزوات، حتّى قال النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى حقّ سعد بن معاذ شهيد غزوة الخندق: «اهتزّ العرش لموته»، وشهداء بئر معونة والتى يتراوح عدد الشهداء فيها بين (۴۰) حسب رواية أنس بن مالك و (۷۰)

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۶

حسب رواية غيره، إلى غير ذلك من الأصحاب الصادقين الأجلّاء الذين:

صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبدِيلًا «۱»

، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الوَكِيلُ «۲»

، لِلفُقَراءِ المُهاجِرينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّه وَرِضْواناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ... والَّذِينَ تَبَوَّءوا الدّارَ والإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إلَيهِمْ ولا يَجِدُونَ فى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ «۳»

.

أو ليست هذه الآيات تثبت نجاح النبىّ صلى الله عليه و آله فى دعوته، وأنّه اجتمع حوله رجال صالحون ومخلصون، فكيف يمكن رمى مسلم يتلو الذكر الحكيم ليل نهار باعتقاده بخيبة النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فى دعوته وتهالكه فى هداية أُمّته. إنّ الموقف الصحيح من الصحابة هو ما جاء فى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أين إخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التّيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم

الذين تعاقدوا على المنيّة وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟ أوّه على إخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبّروا الفرض فأقاموه. أحيوا السنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوه» «۴».

وليس ما جاء فى هذه الخطبة فريداً فى كلامه، فقد وصف أصحاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۷

رسول اللّه صلى الله عليه و آله يوم صفّين، يوم فرض عليه الصلح بقوله:

«ولقد كنّا مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّاإيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً فى جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا. فلمّا رأى اللّه صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتّى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمرى لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود» «۱».

هذه كلمة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام قائد الشيعة وإمامهم، أفهل يجوز لمن يؤمن بإمامته أن يكفّر جميع صحابة النبىّ صلى الله عليه و آله أو يفسّقهم أو ينسبهم إلى الزندقة والإلحاد أو الارتداد، من دون أن يقسّمهم إلى أقسام، ويصنّفهم أصنافاً ويذكر تقاسيم القرآن والسنّة فى حقّهم!! كلّا وألف كلّا.

وهذا هو الإمام علىّ بن الحسين يذكر فى بعض أدعيته صحابة النبىّ صلى الله عليه و آله ويقول: «اللّهمّ وأصحاب محمّد صلى الله عليه و آله خاصّة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء فى تثبيت نبوّته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبّته، يرجون تجارة لن تبور فى مودّته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى ظلّ قرابته، فلا تنس لهم اللّهمّ ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۸

وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرت فى إعزاز دينك من مظلومهم.

اللّهمّ وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا...» «۱».

فإذا كان الحال كذلك، واتّفق الشيعى والسنّى على إطراء الذكر الحكيم للصحابة والثناء عليهم، فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كى يعدّ ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟

إنّ موضع الخلاف ليس إلّافى نقطة واحدة، وهى أنّ أهل السنّة يقولون بأنّ كلّ من رأى النبىّ صلى الله عليه و آله وعاشره ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالة منذ اللقاء إلى يوم أُدرج فى كفنه، ولو صدر منه قتل أو نهب أو زنا أو غير ذلك، محتجّين بما نسب إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «أصحابى كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم» وفى ذلك خلل كبير أعاذ اللّه المسلمين منه، فالتاريخ بين أيدينا، وصفحاته خير شاهد على ما نقول، ونحن لا نقول كما قال الحسن البصرى: «طهّر اللّه سيوفنا عن دمائهم، فلنطهّر ألسنتنا»، لأنّا لا نظنّ أنّ الحسن البصرى يعتقد بما قال بل إنّه تدرّع بهذه الكلمة وصان بها نفسه عن هجمات الأمويين الذين كانوا يروّجون عدالة الصحابة فى جميع الأزمنة، بل يلبسونهم ثوب العصمة، إلى حدّ كان القدح بالصحابى أشدّ من القدح برسول اللّه صلى الله عليه و آله، فنفى العصمة عن النبىّ صلى الله عليه و آله واتّهامه بالذنب قبل بعثه وبعده كان أمراً سهلًا يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤاخذ القائل به، وأمّا من نسب صغيرة أو كبيرة إلى صحابى فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلّا فالقتل...

فإذا كان هذا هو محلّ النزاع- أى عدالة الكل بلا استثناء أو تصنيفهم إلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۱۹

مؤمن أو فاسق، ومثالی أو عادی، إلی زاهد أو متوغّل فی حبّ الدنيا، إلی عالم بالشريعة وعامل بها أو جاهل لا يعرف منها إلّاشيئاً طفيفاً- فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنّة، مجرّدين عن كلّ رأی مسبق، لا يقودنا فی ذلک إلّا الدليل الصحيح والحجّة الثابتة، ولأجل إماطة الستر عن وجه الحقيقة نذكر أُموراً:

الصحابة فی القرآن الكريم

الصحابة فی القرآن الكريم

۱- إنّ القرآن الكريم يصنّف الصحابة إلی أصناف مختلفة؛ فهو يتكلّم عن السابقين الأوّلين، والمبايعين تحت الشجرة، والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم، وأصحاب الفتح، إلی غير ذلک من الأصناف المثالية، الذين يثنی عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفی مقابل ذلک يذكر أصنافاً أُخر يجب أن لا تغيب عن أذهاننا وتلک الأصناف هی التالية:

۱- المنافقون المعروفون «۱».

۲- المنافقون المتستّرون الذين لا يعرفهم النبیّ صلی الله عليه و آله «۲».

۳- ضعفاء الإيمان ومرضی القلوب «۳».

۴- السمّاعون لأهل الفتنة «۴».

۵- المسلمون الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۰

۶- المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر «۱».

۷- الفاسق أو الفسّاق الذين لا يصدق قولهم ولا فعلهم «۲».

۸- المسلمون الذين لم يدخل الإيمان فی قلوبهم «۳».

۹- المؤلّفة قلوبهم الذين يظهرون الإسلام ويتآلفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم «۴».

۱۰- المولّون أمام الكفّار «۵».

هذه الأصناف إذا انضمّت إلی الأصناف المتقدّمة، فإنّها تعرب عن أنّ صحابة النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله لم يكونوا على نمط واحد، بل كانوا مختلفين من حيث قوّة الإيمان وضعفه، والقيام بالوظائف والتخلّی عنها، فيجب إخضاعهم لميزان العدالة الذی توزن به أفعال جميع الناس، وعندئذ يتحقّق أنّ الصحبة لا تعطی لصاحبها منقبة إلّا إذا كان أهلًا لها، وتوضّح بجلاء أنّ محاولة المساواة فی الفضل بين جميع الصحابة أمر فيه مجافاة صريحة للحقّ وكلمة الصدق، وهذا ما ذهبت إليه الشيعة، وهو نفس النتيجة التی يخرج بها الإنسان المتدبّر للقرآن الكريم.

۲- إنّ الآيات التی تناولت المهاجرين والأنصار وغيرهم بالمدح والثناء، لا تدلّ على أكثر من أنّهم كانوا حين نزول القرآن مُثلًا للفضل والفضيلة، ولكن الأُمور إنّما تعتبر بخواتيمها، فيحكم عليهم- بعد نزول الآيات- بالصلاح والفلاح إذا بقوا على ما كانوا عليه من الصفات، وأمّا لو ثبت عن طريق السنّة أو التاريخ الصحيح أنّه صدر عن بعضهم ما لا تحمد عاقبته، فحينئذ لا مندوحة لنا إلّاالحكم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۱

بذلک، ولا يعد مثل ذلک معارضاً للقرآن الكريم؛ لأنّه ناظر إلی أحوالهم فی ظروف خاصّة، لا فی جميع فصول حياتهم، فليس علينا رفع اليد عن السنّة والتاريخ الصحيح بحجّة أنّ القرآن الكريم مدحهم، وأنّ اللَّه تعالی كان فی وقت مّا راضياً عنهم، لما عرفت من أنّ المقياس القاطع للقضاء هو دراسة جميع أحوالهم وإخضاعها للقرآن والسنّة، فكم من مؤمن زلّت قدمه فی الحياة، فعاد منافقاً، أو مرتدّاً، وكم من ضالّ شملته العناية الإلهية، فبصر الطريق وصار رجلًا إلهياً.

وبالجملة: فمن ثبت عن طريق الدليل الصحيح انحرافه وزيغه عن الصراط المستقيم وشوب إيمانه بالظلم والعيث والفساد، فيؤخذ بما هو الثابت فى ذينك المصدرين، وأمّا من لم يثبت زيغه فلا نتكلّم فى حقّه بشىء سوى ما أمر اللّه به سبحانه من طلب الرحمة لهم حيث قال: رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإيمانِ «۱».

۳- ومن سوء الحظ أنّ شرذمة قليلة من الصحابة زلّت أقدامهم وانحرفوا عن الطريق، فلا تمس دراسة أحوال هؤلاء القليلين، وتبيين مواقفهم، وانحرافهم عن الطريق المستقيم بكرامة الباقين، ولعلّ عدد المنحرفين (غير المنافقين) لا يتجاوز العشرة إلّابقليل.

أفيسوغ فى ميزان العدل رمى الشيعة بأنّهم يكفّرون الصحابة ويفسّقونهم بحجّة أنّهم يدرسون حياة عدّة قليلة منهم ويذكرون مساوئ أعمالهم، وما يؤاخذ عليهم على ضوء الكتاب والسنّة والتاريخ الصحيح.

وما نسب إلى الحسن البصرى فهو أولى بالإعراض عنه، إذ لو كانت النجاة فى ترك ذكرهم، فلماذا اهتمّ ببيان أفعالهم وصفاتهم التاريخ المؤلّف بيد السلف الصالح

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۲

الذين كانوا يحترمون الصحابة مثلما يحترمهم الخلف؟ فلو كان الحقّ ترك التكلّم فيهم وإعذارهم بالاجتهاد، فلماذا وصف النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بعضهم بالارتداد، كما رواه البخارى وغيره؟ «۱».

وإذا دار الأمر بين كون القرآن أو النبىّ صلى الله عليه و آله أُسوة، أو الكلمة المأثورة عن الحسن البصرى، فالأوّل هو المتعيّن، ويضرب بالثانى عرض الجدار.

الردّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله

الردّة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله

بقيت هنا كلمة وهى: إذا كان موقف الشيعة وأئمّتهم من الصحابة ما ذكر آنفاً، فما معنى ما رواه أبو عمرو الكشّى من أنّه ارتدّ الناس بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلّاثلاثة؟ إذ لو صحّ ما ذكر، وجب الالتزام بأنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله لم ينجح فى دعوته، ولم يتخرّج من مدرسته إلّاقلائل لا يعتدّ بهم فى مقابل ما ضحّى به من النفس والنفيس.

والإجابة على هذا السؤال واضحة لمن تفحّص عنها سنداً ومتناً؛ فإنّ ما رواه لا يتجاوز السبع روايات؛ وهى بين ضعيف لا يعوّل عليه، وموثّق- حسب اصطلاح علماء الإمامية فى تصنيف الأحاديث- وصحيح قابلين للتأويل، ولا يدلّان على الارتداد عن الدين، والخروج عن الإسلام بل يرميان إلى أمر آخر.

أمّا الضعيف فهو ما رواه الكشّى عن حمدويه وإبراهيم ابنى نصير قال: حدّثنا محمّد بن عثمان، عن حنّان بن سدير، عن أبيه، عن أبى جعفر عليه السلام قال: «كان الناس أهل الردّة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله إلّاثلاثة...» «۲».

وكفى فى ضعفها وجود محمّد بن عثمان فى سندها؛ وهو من المجاهيل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۳

ما رواه أيضاً عن علىّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبى بكر الحضرمى قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «ارتدّ الناس إلّاثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد» «۱».

وكفى فى ضعفها أنّ الكشّى من أعلام القرن الرابع الهجرى القمرى، فلا يصحّ أن يروى عن علىّ بن الحكم، سواء أكان المراد منه الأنبارى الراوى عن ابن عميرة المتوفّى عام (۲۱۷ ه) أو كان المراد الزبيرى الذى عدّه الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام المتوفّى عام ۲۰۳ ه.

وما نقله أيضاً عن حمدويه بن نصير قال: حدّثنى محمّد بن عيسى ومحمّد بن مسعود قال: حدّثنا جبرئيل بن أحمد قال: حدثنا محمّد

بن عيسى، عن النضر بن سويد، عن محمّد بن البشير، عمّن حدثه قال: «ما بقى أحد إلّاوقد جال جولة إلّا المقداد بن الأسود؛ فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد» «۲».

والرواية ضعيفة بجبرئيل بن أحمد؛ فإنّه مجهول كما أنّها مرسلة فى آخرها.

وأمّا الروايات الباقية فالموثّق عبارة عمّا ورد فى سنده علىّ بن الحسن الفضال، والثلاثة الباقية صحيحة، ومن أراد الوقوف على أسنادها ومتونها فليرجع إلى رجال الكشّى «۳».

ومع ذلك كلّه فإنّ هذه الروايات لا يحتجّ بها أبداً لجهات عديدة نشير إلى بعض منها:

۱- كيف يمكن أن يقال إنّه ارتدّ الناس بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولم يبق إلّاثلاثة تمسّكوا بولاية علىّ ولم يعدلوا عنها، مع أنّ ابن قتيبة والطبرى رويا أنّ جماعة من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۴

بنى هاشم وغيرهم تحصَّنوا فى بيت على معترضين على ما آل إليه أمر السقيفة، ولم يتركوا بيت الإمام إلّابعد التهديد والوعيد وإضرام النار أمام البيت. وهذا يدلّ على أنّه كان هناك جماعة مخلصون بقوا أوفياء لما تعهّدوا به فى حياة النبىّ صلى الله عليه و آله، وإليك نصّ التاريخ: قال ابن قتيبة:

إنّ بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى علىّ بن أبى طالب، ومعهم الزبير ابن العوّام- رضى اللَّه عنه- «۱».

وقال فى موضع آخر: إنّ أبا بكر- رضى اللَّه عنه- تفقّد قوماً تخلَّفوا عن بيعته عند علىّ- كرّم اللَّه وجهه- فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار علىّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن... «۲».

روى الطبرى: قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علىّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: واللَّه لأُحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه «۳».

وقال ابن واضح الأخبارى: وتخلّف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علىّ بن أبى طالب، منهم: العبّاس بن عبد المطلب، والفضل بن العبّاس، والزبير بن العوّام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبوذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبى بن كعب. فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فقال: ما الرأى؟ قالوا: الرأى أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۵

هذا الأمر نصيباً... «۱».

كلّ ذلك يشهد على أنّه كان هناك أُمّة بقوا على ما كانوا عليه، فى عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، ولم يغترّوا بانثيال الأكثرية إلى غير من كان الحقّ يدور مداره. وكيف يمكن ادّعاء الردّة لعامة الصحابة إلّاالقليل.

۲- كيف يمكن أن يقال: ارتدّ الناس إلّاثلاثة مع أنّ الصدوق- رضى اللَّه عنه- ذكر عدّة من المنكرين للخلافة فى أوائل الأمر وقد بلغ عددهم اثنا عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار وهم: خالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن الأسود، وأُبى ابن كعب، وعمّار بن ياسر، وأبوذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وعبد اللَّه بن مسعود، وبريدة الأسلمى، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وسهل بن حنيف، وأبو أيّوب الأنصارى، وأبو هيثم بن التيهان وغيرهم.

ثمّ ذكر اعتراضاتهم على مسألة الخلافة واحداً بعد واحد «۲».

۳- إنّ وجود الاضطراب والاختلاف فى عدد من استثناهم الإمام يورث الشكّ فى صحّتها، ففى بعضها «إلّا ثلاثة» وفى البعض الآخر «إلّا سبعة» وفى ثالث «إلّا ستة» فإنّ التعارض وإن كان يمكن رفعه بالحمل على اختلافهم فى درجات الإيمان غير أنّه على كلّ تقدير

يوهن الرواية.

۴- كيف يمكن إنكار إيمان أعلام من الصحابة مع اتّفاق كلمة الشيعة والسنّة على علوّ شأنهم، أمثال: بلال الحبشى، وحجر بن عدى، وأُويس القرنى، ومالك ابن نويرة المقتول ظلماً على يد خالد بن الوليد، والعبّاس بن عبد المطلب وابنه حبر الأُمّة وعشرات من أمثالهم، وقد عرفت أسماء المتخلّفين عن بيعة أبى بكر فى كلام اليعقوبى، أضف إلى ذلك أنّ رجال البيت الهاشمى كانوا على خطّ الإمام ولم يتخلّفوا

عنه، وإنّما غمدوا سيوفهم اقتداءً بالإمام لمصلحة عالية ذكرها فى بعض كلماته «۱».

وأقصى ما يمكن أن يقال فى حقّ هذه الروايات هو أنّه ليس المراد من الارتداد الكفر والضلال والرجوع إلى الجاهلية، وإنّما المراد عدم الوفاء بالعهد الذى أُخذ منهم فى غير واحد من المواقف وأهمّها غدير خم. ويؤيّد ذلك:

ما رواه وهب بن حفص، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام: «جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك «۲» إلى علىّ عليه السلام فقالوا له: أنت واللَّه أمير المؤمنين وأنت واللَّه أحقّ الناس وأولاهم بالنبىّ صلى الله عليه و آله هلمّ يدك نبايعك فواللَّه لنموتنّ قدامك.

فقال علىّ عليه السلام: إن كنتم صادقين فاغدوا غداً علىّ محلّقين. فحلق أمير المؤمنين وحلق سلمان وحلق المقداد وحلق أبو ذر ولم يحلق غيرهم «۳».

وهذه الرواية قرينة واضحة على أنّ المراد هو نصرة الإمام عليه السلام لأخذ الحق المغتصب، فيكون المراد من الردّة هو عدم القتال معه.

وممّا يؤيّد ذلك أيضاً الرواية التى جاء فيها أنّ قلب المقداد بن الأسود كزبر الحديد، فهى وإن كانت ضعيفة السند لكنّ فيها إشعاراً على ذلك؛ لأنّ وصف قلب المقداد إشارة إلى إرادته القويّة وثباته فى سبيل استرداد الخلافة.

و ظنّى أنّ هذه الروايات صدرت من الغلاة و الحشوية دعماً لأمر الولاية وتغابناً فى الإخلاص، غافلين عن أنّها تضادّ القرآن الكريم، وما روى عن أمير المؤمنين وحفيده سيّد الساجدين، من الثناء والمدح لعدّة من الصحابة. وهناك كلام قيّم للعلّامة السيد محسن الأمين العاملى نذكر نصّه وهو يمثّل عقيدة الشيعة فقال:

وقالت الشيعة: حكم الصحابة فى العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتّم الحكم بها

بمجرّد الصحبة؛ وهى لقاء النبى صلى الله عليه و آله مؤمناً به ومات على الإسلام. وإنّ ذلك ليس كافياً فى ثبوت العدالة بعد الاتّفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته، ولزمنا له من التعظيم والتوقير، بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد فى سبيل اللَّه ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته، أمثال مروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وبسر بن أرطاة وبعض بنى أُميّة وأعوانهم، ومن جهلنا حاله فى العدالة توقّفنا فى قبول روايته.

وممّا يمكن أن يذكر فى المقام أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله توفّى ومن رآه وسمع عنه يتجاوز مائة ألف إنسان من رجل وامرأة على ما حكاه ابن حجر فى الإصابة عن أبى زرعة الرازى: «وقيل مات صلى الله عليه و آله عن مائة وأربعة عشر ألف صحابى» ومن الممتنع عادة أن يكون هذا العدد فى كثرته وتفرّق أهوائه وكون النفوس البشرية مطبوعة على حبّ الشهوات كلّهم قد حصلت لهم ملكة التقوى المانعة عن صدور الكبائر، والإصرار على الصغائر بمجرّد رؤية النبىّ صلى الله عليه و آله والإيمان به، ونحن نعلم أنّ منهم من أسلم طوعاً ورغبة فى الإسلام، ومنهم من أسلم خوفاً وكرهاً، ومنهم المؤلّفة قلوبهم، وما كانت هذه الأُمّة إلّاكغيرها من الأُمم التى جبلت على حبّ الشهوات وخلقت فيها الطبائع القائدة إلى ذلك إن لم يردع رادع والكل من بنى آدم، وقد صحّ عنه صلى الله عليه و

آله أنّه قال: «لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتّى لو دخل أحدهم جحر ضب لدخلتموه». ولو منعت رؤية النبيّ صلى الله عليه و آله من وقوع الذنب لمنعت من الارتداد الذى حصل من جماعة منهم كعبد اللّه بن جحش، وعبيد اللّه بن خطل، وربيعة بن أُمية بن خلف، والأشعث بن قيس «۱» وغيرهم. هذا مع ما شوهد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۸

من صدور أُمور من بعضهم لا-تتّفق مع العدالة، كالخروج على أئمـة العدل، وشقّ عصا المسلمين، وقتل النفوس المحترمة، وسلب الأموال المعصومة، والسبّ والشتم وحرب المسلمين وغشهم، وإلقاح الفتن، والرغبة فى الدنيا، والتزاحم على الإمارة والرئاسة وغير ذلك ممّا تكفّلت به كتب الآثار والتواريخ وملأ الخافقين.

وأعمال مروان بن الحكم فى خلافة عثمان معلومة مشهورة، وكذلك بسر بن أرطاة والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة، وكلّهم من الصحابة «۱».

وحصيلة البحث: أنّ موضع الاختلاف، ومصبّ النزاع ليس إلّاكون عدالة الصحابة قضية كلّية أو جزئيّة؟ فالسنّة على الأُولى، والشيعة على الثانية، وأمّا ما سواها من سبّ الصحابة ولعنهم، أو ارتدادهم عن الدين بعد رحلة الرسول، أو عدم حجّية رواياتهم على وجه الإطلاق، فإنّها تُهمٌ أُموية ناصبية، اتُّهم بها شيعة آل محمّد صلى الله عليه و آله وهم براء منها. ونعم الحكم اللّه. فالشيعة يعطون لكلّ ذى حقّ حقّه، فيأخذون معالم دينهم عن ثقات الصحابة، ولا يتكلّمون فى حقّ من لم يتعرّفوا على حاله، ويحكمون على القسم الثالث على ضوء الكتاب والسنّة.

إنّ هناك رجالًا من السلف لا يسوغ لمنصف يمتلك مقياساً شرعياً سليماً أن يذهب إلى جواز حبّهم أو الترحّم عليهم؛ لأنّ فى ذلك خروجاً صارخاً عن أبسط المقاييس والموازين الشرعية، ومن هؤلاء:

۱- معاوية بن أبى سفيان- ويكفى فى حقّه إيراد ما ذكره الجاحظ فى رسالته فى بنى أُمية والآثام التى اقترفوها-: استوى معاوية على الملك، واستبدَّ على بقيّة أهل الشورى، وعلى جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار فى العام الذى سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۲۹

تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً، ثمّ ما زالت معاصيه من جنس ما حكيناه، وعلى منازل ما رتّبناه، حتّى ردّ قضية رسول اللّه صلى الله عليه و آله ردّاً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً «۱»، فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفّار.

أو ليس قتل حجر بن عدى، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والاستئثار بالفىء، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء جحد الكتاب، وردّ السنّة إذا كانت فى شهرة الكتاب وظهوره، إلّا أنّ أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشدّ «۲».

وقد أربت نابتة عصرنا ومبدعة دهرنا فقالت: لا تسبّوه؛ فإنّ له صحبة، وسبّ معاوية بدعة، ومن بغضه فقد خالف السنّة، فزعمت أنّ من السنّة ترك البراءة ممّن جحد السنّة «۳».

۲- عمرو بن العاص، الذى ألّب على عثمان وسرّ بقتله، ثم اجتمع مع معاوية يطالب بدمه علىّ بن أبى طالب عليه السلام الذى كان من أشدّ المدافعين عنه، وأعطفهم عليه يوم أمر طلحة بمنع الماء عنه وتعجيل قتله. كلّ ذلك كان من ابن العاص حبّاً بخراج مصر، لا بعثمان ولا بمعاوية أيضاً، والعجب أنّ الرسول صلى الله عليه و آله تنبأ بذلك وصرّح بأنّهما لا يجتمعان إلّاعلى غدر «۴».

۳- يزيد الخليع المستهتر خليفة معاوية الذى ولّى ثلاث سنين بعده، فقتل فى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۰

الأُولى الإمام الحسين عليه السلام، وفى الثانية أغار على المدينة وقتل من الصحابة والتابعين ما لا يحصى وأباح أعراضهم، وفى الثالثة

رمی الکعبة «۱»، وکفی فی کفره وإلحاده جهره بقول ابن الزبعری:

لعبت هاشم بالملک فلا خبر جاء ولا وحی نزلْ ۴- مروان بن الحکم، الذی کان من أشدّ الناس بغضاً لأهل البیت. قال ابن حجر: ومن أشدّ الناس بغضاً لأهل البیت مروان بن الحکم.

روی الحاکم: أنّ عبد الرحمن بن عوف- رضی اللَّه عنه- قال: کان لا یولد لأحد بالمدینة ولد إلّاأُتی به النبیّ صلی الله علیه و آله، فأُدخل علیه مروان بن الحکم، فقال: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون» «۲».

۵- الولید بن عقبة شارب الخمر، والزائد فی الفریضة «۳».

۶- وعبد اللَّه بن سعد بن أبی سرح الذی أهدر النبیّ دمه «۴».

۷- الولید بن یزید بن عبد الملک، الذی یخاطب کتاب اللَّه العزیز بعد أن ألقاه ورماه بالسهام بقوله:

تهدّدنی بجبار عنید فها أنا ذاک جبّار عنید

إذا ما جئت ربّک یوم حشر فقل یا ربّ مزّقنی الولید «۵» ویقول السیوطی: إنّ الولید هذا کان فاسقاً خمیراً لوّاطاً، راود أخاه سلیمان

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۳۱

عن نفسه، ونکح زوجات أبیه «۱».

هؤلاء وأضرابهم هم الذین تتبرّأ الشیعة منهم وتحکم علیهم بما حکم اللَّه به علیهم. أفیصحّ تکفیر الشیعة وتفسیقهم لأجل سبّ هؤلاء والتبرّی منهم؟! إنّ أعمال هؤلاء ینـدی لها جبین الإنسانیة ولا یمکن أن تغضی عنها، فیاللَّه!! أمن الإنصاف أن تتّهم الشیعة بالانحراف والخروج عن الدین لأنّها تدین هؤلاء وتلعنهم، واللَّه تعالی لعن أقواماً کثیرین فی کتابه الحکیم وکذلک رسوله صلی الله علیه و آله؟ ولعلّ أعمال أُولئک لو وزنت بأعمال هؤلاء لما رجحت علیها.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۳۲

المسألة الثانیة عشرة: فی عالمیة رسالة النبی صلی الله علیه و آله وخاتمیّتها

المسألة الثانیة عشرة: فی عالمیة رسالة النبی صلی الله علیه و آله وخاتمیّتها

تمهید: ملامح الشریعة الإسلامیّة

تمهید: ملامح الشریعة الإسلامیّة

تمتاز الشریعة الإسلامیة بنقطتین رئیستین:

الأُولی: عالمیّتها وشمولیّتها.

الثانیة: کونها خاتمة الشرائع.

أمّا الأُولی: فمعناها أنّ دعوتَها عالمیة لا تنحصر بإقلیم معیّن، وهی من أبرز الملامح التی یستهدفها القرآن فی دعوته ورسالته.

یقول سبحانه: تبارکَ الّذی نزَّلَ الفُرقانَ علی عَبدِه لیکونَ للعالمینَ نَذیراً «۱».

ویقول أیضاً: وما أرسلناک إلّاکافّةً للنّاسِ بَشیراً ونَذیراً ولکنَّ أکثر النّاسِ لا یَعلَمون «۲»

.

وقال سبحانه: قُلْ یا أیُّها النّاسُ إنِّی رَسولُ اللَّهِ إلَیکُمْ جَمیعاً... «۳»

.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۳۳

لقد بعثَ الرسولُ الأعظم صلى الله عليه و آله سفراءه إلى أنحاء المعمورة لنشر دعوته فيها وبيد كلّ واحد منهم كتاب يعبِّر عن عالميّة دعوته، فقد بعثَ إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، وعظيم القبط، وملك الحبشة، والحارث بن أبى شمر الغسّانى ملك تخوم الشام، وحوزة بن علىّ الحنفى ملك اليمامة، وغيرهم من ملوك العرب وشيوخ القبائل والأساقفة، والمرازبة، والعمّال، وهذه المواثيق أوضح دليل على أنّ رسالته عالمية لا تحدُّ بحدّ، بل تجعل الأرض كلها ساحة لإشاعة دينه وتطبيق شريعته.

هذا والبراهين على عالمية دعوته كثيرة لا مجال لذكرها.

نعم ربما قد تظهر بعض المغالطات من النصارى القدامى فى هذه النقطة؛ حيث حاولوا تحجيم أمر الرسالة وتخصيصها بمكان وعنصر خاصَّين، وليست شبهاتهم قابلة للذكر.

كيف وبيانات القرآن وخطاباته للبشر كافة ومواثيق الرسول ودعواته المتجاوزة حدود الجزيرة العربية، واجتياح جيوش المسلمين ورجالهم أرض غير العرب، واستقرار الأُمّة الإسلامية فى أكثر مناطق المعمورة بل معظمها يومذاك، أبطلت هذه المغالطات وجعلتها فى مدحرة البطلان، ولذلك نعود إلى الملمح الثانى من ملامح الشريعة الإسلامية، فى بحثنا وهو خاتميتها؛ وهى تعنى:

أنّها آخر الشرائع، وأنّ المبعوث بها هو خاتم الأنبياء؛ فشريعته خاتمة الشرائع، وهذا ما نحاول دراسته فى هذه الرسالة، ونستدلّ عليه عن طريق الكتاب والسنّة ونحلّل الإشكالات المثارة حوله كل ذلك فى ضمن فصولٍ.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۴

الخاتمية فى الذكر الحكيم

اشارة

الخاتمية فى الذكر الحكيم

اتّفقت الأُمّة الإسلامية- عن بكرة أبيها- على أنّ نبيّهم محمداً صلى الله عليه و آله خاتم النبيّين، وأنّ دينه خاتم الأديان، وكتابه خاتم الكتب والصحف، فهو صلى الله عليه و آله آخر السفراء الإلهيين، أُوصد به باب الرسالة والنبوة، وختمت به رسالة السماء إلى الأرض.

لقد اتّفق المسلمون كافّة على أنّ دين نبيّهم دين اللَّه الأبدى، وكتابه كتاب اللَّه الخالد ودستوره الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد أنهى اللَّه إليه كلّ تشريع وأودع فيه أُصول كلّ رقى، وأناط به كلّ سعادة ورخاء، فاكتملت بدينه وكتابه الشرائع السماوية التى هى رسالة السماء إلى الأرض.

توضيحه: أنّ الشريعة الإلهية الحقّة التى أنزلها اللَّه تعالى إلى أوّل سفرائه لا تفترق جوهراً عمّا أنزله على آخرهم، بل كانت الشريعة السماوية فى بدء أمرها نواة قابلة للنموّ والنشوء؛ فأخذت تنمو وتستكمل عبر القرون والأجيال؛ حسب تطور الزمان وتكامل الأُمم، وتسرّب الحصافة إلى عقولهم، وتسلّل الحضارة إلى حياتهم.

ويفصح عمّا ذكرنا قوله سبحانه: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً... «۱»

فقد وصّى نبينا محمداً بما وصّى به نوحاً، من توحيده سبحانه وتنزيهه عن الشرك، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والتنديد بالجرائم الخلقية، والقضاء على أسبابها، إلى غير ذلك ممّا تجده فى صحف الأوّلين والآخرين.

وتتجلّى تلك الحقيقة الناصعة؛ أى وحدة الشرائع السماوية من مختلف الآيات

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۵

فى شتّى المواضع، قال سبحانه: إِنَّ الدِّين عِندَ اللَّهِ الإسلامُ ومَا اختلَفَ الَّذينَ أُتُوا الكِتابَ إلّامِنْ بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغياً بَينَهُمْ «۱»

وظاهر الآية يعطى أنّ الدين عند اللَّه- لم يزل ولن يزال- هو الإسلام فى طول القرون والأجيال، ويعاضدها قوله تعالى: ومَنْ يَبتَغِ غَيرَ

الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنهُ «۲»

. وقال سبحانه فی مورد آخر مخطّئاً مزعمة اليهود والنصارى فی رَمی بطل التوحيد إبراهيم باليهودية والنصرانية قال: ما كانَ إبراهيمُ يَهودياً ولا نَصرانياً ولكنْ كانَ حَنيفاً مُسلِماً وما كانَ مِنَ المُشرِكينَ «۳»

.

فحقيقة الشرائع السماوية فی جميع الأدوار والأجيال كانت أمراً واحداً وهو التسليم لفرائضه وعزائمه وحده جلّ وعلا.

ولأجل ذلک كتب الرسول إلى قيصر عندما دعاه إلى الإسلام، قوله سبحانه:

قُلْ يا أهلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَينَكُمْ ألّا نَعبُدَ إلّااللَّه ولا نُشرِکَ بِهِ شَيئاً ولا يتَّخِذَ بَعضُنا بَعضاً أرباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فإنْ تَولَّوْا فَقولُوا اشهَدُوا بأنّا مُسلِمُون «۴»

.

وقد أمر سبحانه فی آية أُخرى رسوله بدعوة معشر اليهود أو الناس جميعاً إلى اتّباع ملّة إبراهيم قال سبحانه: فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وما كانَ مِنَ المُشرِكين «۵»

.

وصرّح سبحانه بأنّ كلّ نبیّ جاء عقب نبیّ آخر، كانَ يصرِّح بأنّه مصدِّق بوجود النبیّ المتقدّم عليه وكتابه ودينه، فالمسيح مصدّق لما بين يديه من التوراة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۶

ومحمّد صلى الله عليه و آله مصدّق لما بين يديه من الكتب وكتابه مهيمن عليه، كما قال سبحانه:

وَقفَّينا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابنِ مَريمَ مُصدِّقاً لِما بَينَ يَديهِ مِنَ التَّوراة «۱»

، وأنْزَلْنا إليکَ الكتابَ بالحقِّ مُصدِّقاً لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكتابِ ومُهَيمناً عَليهِ «۲».

وهذه النصوص كلّها تعبّر عن وحدة أُصول الشرائع وجذورها ولبابها.

وعلى هذا فرسالة السماء إلى الأرض، رسالة واحدة فی الحقيقة مقولة بالتشكيک، متكاملة عبر القرون جاء بها الرسل طوال الأجيال وكلّهم يحملون إلى المجتمع البشرى رسالة واحدة؛ لتصعد بهم إلى مدارج الكمال، وتهديهم إلى معالم الهداية ومكارم الأخلاق.

نعم كان البشر فی بدايات حياتهم يعيشون فی غاية البساطة والسذاجة، فما كانت لهم دولة تسوسهم، ولا مجتمع يخدمهم، ولا ذرائع تربطهم، وكانت أواصر الوحدة ووشائج الارتباط بينهم ضعيفة جداً، فلأجل ذاک القصور فی العقل، وقلّة التقدم، وضعف الرقى، كانت تعاليم أنبيائهم، والأحكام المشروعة لهم طفيفة فی غاية البساطة، فلما أخذت الإنسانية بالتقدّم والرقى، وكثرت المسائل يوماً فيوماً، اتّسع نطاق الشريعة واكتملت الأحكام تلو هذه الأحوال والتطوّرات.

فهذه الشرائع (مع اختلافها فی بعض الفروع والأحكام نظراً إلى الأحوال الأُممية والشؤون الجغرافية) لا تختلف فی أُصولها ولبابها، بل كلّها تهدف إلى أمر واحد، وتسوق المجتمع إلى هدف مفرد، والاختلاف إنّما هو فی الشريعة والمنهاج لا فی المقاصد والغايات كما قال سبحانه: لِكلٍّ جَعلْنا مِنكُم شِرعةً ومِنهاجاً ولَوْ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۷

شاءَ اللَّهُ لَجعلَكُمْ أُمّةً واحدةً ولكنْ لِيبلُوَكُمْ فی ما آتاكُمْ فَاستَبِقُوا الخَيراتِ «۱»

.

وقال سبحانه: ثُمَّ جَعلناکَ عَلى شَريعةٍ مِنَ الأمرِ فاتَّبِعْها ولا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذينَ لا يَعلَمون «۲»

.

وخلاصة القول: إنّ السنن مختلفة، فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، ولكن الدين هو الأصول والعقائد والأحكام التى تساير الفطرة الإنسانية ولا تخالفها واحدة منها.

وهاتان الآيتان لا تهدفان إلى اختلاف الشرائع فى جميع موادّها، ومواردها اختلافاً كلّياً بحيث تكون النسبة بينها نسبة التباين، كيف وهو سبحانه يأمر نبيَّه بالاقتداء بهدى أنبيائه السالفين ويقول: أُولئك الّذينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ «۳»

.

نعم جاءت الرسل تترى، وتواصلت حلقات النبوّة فى الأدوار الماضية إلى أن بعث اللّه آخر سفرائه فأتمّ نعمته وأكمل به دينه، فأصبح المجتمع البشرى فى ظلّ دينه الكامل، وكتابه الجامع، غنياً عن تواصل الرسالة وتعاقب النبوّة، وأصبح البشر غير محتاجين إلى إرسال أىّ رسول بعده؛ إذ جاء الرسول بأكمل الشرائع وأتقنها وأجمعها للحقوق وبكلّ ما يحتاج إليه البشر فى أدوار حياتهم وأنواع تطوراتهم، وفى الوقت نفسه فيها مرونة تتمشى مع جميع الأزمنة والأجيال، من دون أن تمسّ جوهرَ الرسالة الأصلى بتحوير وتحريف. وإليك أدلّة خاتميته من الكتاب أولًا، والسنّة ثانياً، أمّا الكتاب ففيه نصوص:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۸

النصّ الأول

النصّ الأول:

قوله سبحانه: ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ ولكنْ رَسولَ اللّهِ وخاتَمَ النبيّينَ وكانَ اللّهُ بِكلِّ شَىءٍ عَليماً «۱»

.

توضيح الآية: تبنّى رسول اللّه صلى الله عليه و آله زيداً قبل عصر الرسالة، وكانت العرب يُنزِّلون الأدعياء منزلة الأبناء فى أحكام الزواج والميراث، فأراد اللّه سبحانه أن ينْسخ تلك السنّة الجاهلية، فأمر رسوله أن يتزوّج زينب زوجة زيدٍ بعد مفارقته لها، فلمّا تزوّجها رسول اللّه أوجد ذلك ضجّة بين المنافقين والمتوغّلين فى النزعات الجاهلية والمنساقين وراءها، فردّ اللّه سبحانه مزاعمهم بقوله ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالِكُمْ من الذين لم يلدهم ومنهم زيد ولكن رَسولَ اللّهِ وهو لايترك ما أمره اللّه به وخاتَمَ النبيّينَ وآخرهم خُتِمت به النبوّة، فلا نبىّ بعده، ولا شريعة بعد شريعته، فنبوّته أبدية، وشريعته باقية إلى يوم الدين.

الخاتم وما يراد منه:

لقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين:

الأوّل: بفتح التاء وعليه قراءة عاصم، ويكون بمعنى الطابع الذى تختم به الرسائل والمواثيق، فكان النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بالنسبة إلى باب النبوة كالطابع؛ ختم به باب النبوة، وأُوصِدَ وأُغْلِقَ فلا يفتح أبداً.

الثانى: بكسر التاء وعليه يكون اسم فاعل؛ أى الذى يختم باب النبوّة، وعلى كلتا القراءتين فالآية صريحة على أنّ باب النبوة أو بعث الأنبياء خُتم بمجىء النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

قال أبو محمد الدميرى:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۳۹

والخاتِم الفاعلُ قُل بالكسر وما به يُختم فتحاً يجرى وأنت إذا راجعت التفاسير المؤلّفة منذ العصور الأُولى إلى يومنا هذا ترى أنّ عامّة المفسّرين يفسّرونها بما ذكرنا ويصرحون بأنّ وصفه صلّى اللّه عليه وآله وتشبيهه بالخاتم (بالفتح) لأنّه كان الرسم الدائر بين العرب هو ختم الرسالات بخاتمهم الذى بين أصابعهم، فكانت خواتيمهم طوابعهم، فكأنَّ النبىّ الأكرم بين الأنبياء هو الخاتم ختم به باب النبوّات، ولك أن تستلهم هذا المعنى من الآيات الكثيرة التى وردت فيها مادة تلك الكلمة، فترى أنّ جميعها يفيد هذا المعنى، كالآيات التالية:

۱- قال سبحانه: يُسقَونَ مِنْ رَحيقٍ مَختُوم «۱»
أی مختوم بابه بشیء مثل الشمع وغيره دليلًا على خلوصه.
۲- وقال سبحانه: خِتامُهُ مِسكٌ وفی ذلک فَلْيتنافَسِ المُتنافِسُونَ «۲»
أی آخر شربه تفوح منه رائحة المسک.
۳- وقال سبحانه: اليومَ نَختِمُ عَلى أفواهِهِمْ وتُكلِّمنا أيدِيهِمْ «۳»
أی يطبع على أفواههم فتوصدُ، وتَتكلَّم أيديهم.
إلى غير ذلک من الآيات التی وردت فيها مادّة تلک الكلمة، والكلّ يهدف إلى الانتهاء والانقطاع. وفی مورد الآية.. انتهاء النبوّة وانقطاعها.

النصّ الثانی

النصّ الثانی:
قوله سبحانه: تَبارکَ الَّذی نَزَّلَ الفُرقانَ على عَبدِهِ ليكونَ
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۰
لِلعالَمينَ نَذيراً «۱»
.
والآية صريحة فی أنّ الغاية من تنزيل القرآن على عبده (النبیّ الأعظم صلى الله عليه و آله) كون القرآن نذيراً للعالمين من بدء نزوله إلى يوم يبعثون، من غير فرق بين تفسيرها بالإنس والجنّ أو الناس أجمعهم، وإن كان الثانی هو المتعيّن، فإنّ العالمين فی الذكر الحكيم جاء بهذا المعنى.
قال سبحانه حاكياً عن لسان لوط: قالَ إنَّ هؤلاءِ ضَيفی فلا تَفْضَحونِ* واتَّقوا اللَّهَ ولا تُخزونِ* قالوا أوَلَمْ نَنْهَکَ عَنِ العالَمين «۲»
.
فإنّ المراد من العالمين فی كلامهم هم الناس؛ إذ لا معنى لأن ينهونه عن استضافة الجن والملائكة، ونظيره قوله سبحانه حاكياً عن لسان لوط: أتأتونَ الذُّكرانَ مِنَ العالَمين «۳»
فالمراد من العالمين فی كلتا الآيتين هم الناس.
وبذلک يعلم قوّة ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام من أنّ العالمين عنى به الناس وجعل كلّ واحد عالماً، ولا يعدل عن ذلک الظاهر إلّابقرينة، وبما أنّه لا قرينة على العدول من الظاهر فيكون معنى قوله: ليكونَ لِلعالَمينَ نَذيراً أی نذيراً للناس أجمعهم من يوم نزوله إلى يوم يبعثون.

النصّ الثالث

النصّ الثالث:
قوله سبحانه: إنَّ الَّذينَ كَفروا بالذِّكرِ لما جاءَهُمْ وإنَّهُ لَكتابٌ عزيزٌ* لا يأتِيهِ الباطِلُ مِنْ بينِ يَديهِ ولا مِنْ خَلفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ «۴»
.

وجه الدلالة على الخاتمية، أنّ المراد من الذكر هو القرآن بقرينة قوله سبحانه:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۱

ذلكَ نتلُوه عليكَ منَ الآياتِ والذِّكرِ الحَكيم «۱»

.

والضـمير فى لا يأتيه يرجع إلى الذكر ومفاد الآية أنّ الباطل لا يتطرّق إليه ولا يجد إليه سبيلًا من أىّ جهة من الجهات؛ فلا يأتيه الباطل بأيّة صورة متصوّرة، ودونك صوره.

۱- لا يأتيه الباطل: أى لا ينقص منه شيء ولا يزيد عليه شيء.

۲- لا يأتيه الباطل: أى لا يأتيه كتاب يبطله وينسخه وأن يجعله سُدى فهو حقّ ثابت لا يبدّل ولا يغيّر ولا يترك.

۳- لا يأتيه الباطل: لا يتطرق الباطل فى إخباره عمّا مضى ولا فى إخباره بما يجىء، فكلّها تطابق الواقع.

وحاصل الآية أنّ القرآن حقّ لا يداخله الباطل إلى يوم القيامة، فإذا كان حقّاً مطلقاً مصوناً عن تسلّل البطلان إليه ومتّبعاً للناس إلى يوم القيامة يجب عند ذلك دوام رسالته وثبات نبوّته وخاتمية شريعته.

وبتعبير آخر أنّ الشـريعة الجديـدة إمّا أن تكون عين الشـريعة الإسـلامية الحقّـة أو غيرها، فعلى الأول لا حاجة إلى الثانية، وعلى الثانى: فإمّـا أن تكون الثانيـة حقّـة كالأُولى؛ فيلزم كون المتناقضـين حقاً، أو أن تكون الأُولى حقّاً دون الأُخرى؛ وهـذا هو المطلوب، وشـريعة الرسول الأعظم جزءٌ من الكتاب الحقّ الذى لا يدانيه الباطل، وسنّته المحكمة التى لا تصدر إلّابإيحاء منه كما قال تعالى: وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى* إنْ هُوَ إلّاوَحىٌ يُوحى* عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى «۲»

فالآية صريحة فى نفى أىّ تشريع بعد القرآن وأيّة شريعة بعد الإسلام، فتدلّ بالملازمة على عدم النبوّة التشريعية بعد نبوته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۲

النصّ الرابع

النصّ الرابع:

قوله سبحانه: قُلْ أىُّ شَىءٍ أكبرُ شهادةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَينى وبينَكُمْ وَأُوحىَ إلىَّ هذا القُرآنُ لأُنذرَكُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغ... «۱»

.

وظاهر الآيـة: أنّ الغايـة من نزول القرآن تحـذير من بلغه إلى يوم القيامـة وبـذلك يُفسّـر قوله سـبحانه فى آية أُخرى: وكذلكَ أوحينا إليكَ قُرآناً عَربياً لِتُنذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ حَولَها... «۲»

.

فـإنّ المراد ومَن حولهـا جميع أقطـار المعمورة، وعلى فرض انصـرافها عن هـذا المعنى العـامّ فلا مفهوم للآيـة بعـد ورود قوله سـبحانه: لأُنذركُم بِهِ ومَنْ بَلَغ.النصّ الرابع:

قوله سبحانه: قُلْ أىُّ شَىءٍ أكبرُ شهادةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَينى وبينَكُمْ وَأُوحىَ إلىَّ هذا القُرآنُ لأُنذرَكُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغ... «۱»

.

وظاهر الآيـة: أنّ الغايـة من نزول القرآن تحـذير من بلغه إلى يوم القيامـة وبـذلك يُفسّـر قوله سـبحانه فى آية أُخرى: وكذلكَ أوحينا إليكَ قُرآناً عَربياً لِتُنذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ حَولَها... «۲»

.

فـإنّ المراد ومَن حولهـا جميع أقطـار المعمورة، وعلى فرض انصـرافها عن هـذا المعنى العـامّ فلا مفهوم للآيـة بعـد ورود قوله سـبحانه:

لأنذركُمْ بهِ ومَنْ بَلَغ.

النصّ الخامس

النصّ الخامس:

قوله سبحانه: وما أرسلناكَ إلّاكافةً للنّاسِ بَشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يعلَمون «٣»

.

والمتبادر من الآية كون كافّة حالًا من الناس قُدّمتْ على ذيها وتقدير الآية وما أرسلناك إلّاللناس كافّة بشيراً ونذيراً.

وإليك محصّل الآيات الخمس:

أمّا الأُولى فهو: أنّ باب الإخبار عن السماء الذى كان هو النبوّة قد أُوصد، وبإيصاده تكون النبوّة مختومة، وبختمها تكون الشريعة المحمدية أبديّة؛ لأنّ تجديد الشريعة فرع فتح باب النبوّة، فإذا كان التنبّؤ بإخبار السماء مغلقاً؛ فلا يمكن الإخبار عن السماء بوجه من الوجوه، ومنها نسخ الشريعة.

وأمّا الآيات الأربع الباقية فهى صريحة ببقاء الشريعة الإسلامية بعموميتها،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٥٤٣

فمجموع الآيات يركِّز على أمر واحد: غلق باب النبوة وأبدية الشريعة الإسلامية.

هذه هى النصوص، ومع ذلك ففى القرآن إشارات إلى الخاتمية بعناوين أُخرى نشير إلى بعض منها:

الأُولى: أفغيرَ اللّهِ أبتغى حَكَماً وهوَ الَّذى أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ مُفَصَّلًا والَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ فَلا تكونَنَّ مِنَ المُمْتَرينَ* وتَمَّتْ كَلِمةُ ربِّكَ صِدْقاً وَعدْلًا لا مُبدِّلَ لِكلماتِهِ وهوَ السَّميعُ العَليمُ «١»

.

إنّ دلالة قوله سبحانه: وتمّت كلمةُ رَبِّك... على إيصاد باب الوحى إلى يوم القيامة واضحة بعد الوقوف على معنى الكلمة؛ فإنّ المراد منها الدعوة الإسلامية، أو القرآن الكريم وما فيه من شرائع وأحكام، والشاهد عليها الآية المتقدمة حيث قال سبحانه: وهوَ الَّذى أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ مُفَصَّلًا والَّذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ يَعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ «٢»

فالمراد من قوله أنزلَ إلَيكُمُ الكتابَ هو القرآن النازل على العالمين، ثمّ يقول: بأنّ الذين آتيناهم الكتاب من قبل كاليهود والنصارى إذا تخلّصوا من الهوى يعلمون أنّ القرآن وحى إلهى كالتوراة والإنجيل، وأنّه منزّلٌ من اللّه سبحانه بالحقّ، فلا يصحّ لأىّ منصف أن يتردّد فى كونه نازلًا منه إلى هداية الناس.

ثمّ يقول فى الآية التالية: وتمّت كلمةُ ربِّكَ بظهور الدعوة المحمدية، ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب، وصارت مستقرة فى محلّها بعدما كانت تسير دهراً طويلًا فى مدارج التدرّج بنبوّة بعد نبوّة وشريعة بعد شريعة «٣».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٥٤٤

وهذه الكلمة الإلهية- أعنى: الدعوة الإلهية المستوحاة فى القرآن الكريم- صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الأحكام من الأمر والنهى، عدل لا يخالطه ظلم، ولأجل تلك التمامية لاتتبدّل كلماته وأحكامه من بعد «١».

هذه نظرة إلى القرآن حول الخاتمية ومن أراد التفصيل والتحقيق فليراجع التفاسير، وكما أنّ الكتاب الحكيم اهتمّ بالخاتمية، فهكذا اهتمت بها السنّة النبوية وروايات العترة الطاهرة ولو حاولنا أن نذكر ما وقفنا عليه فى ذلك المجال من المآثر لطال وقوفنا مع القرّاء، ولذلك نقتصر على اثنتى عشرة رواية مع أنّ المأثور يتجاوز المائة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٥٤٥

الخاتمیة فی الأحادیث النبویّة

الخاتمیة فی الأحادیث النبویّة

لقد حصحص الحقّ بما أوردناه من النصوص القرآنیة وانکشف الریب عن مُحیّا الواقع؛ فلم تبق لمجادلٍ شبهة فی أنّ الرسول فی الذکر الحکیم خاتم النبیین وشریعته خاتمة الشرائع وکتابَه خاتم الکتب.

وقد وردت الخاتمیة علی لسان النبیّ الأکرم، نذکر منها ما یأتی:

۱- خرج رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من المدینة إلی غزوة تبوک وخرج الناس معه فقال علی علیه السلام: «أخرج معک؟» فقال: «لا»، فبکی علیّ فقال له رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «أما ترضی أن تکون منّی بمنزلة هارون من موسی إلّاأنّه لا نبیّ بعدی- أو لیس بعدی نبیّ- ولا ینبغی أن أذهب إلّاوأنت خلیفتی».

والحدیث علی لسان المحدّثین حدیث المنزلة؛ لأنّ النبیّ نزّل فیه نفسه منزلة موسی ونزّل علیّاًمکان هارون، أخرجه البخاری فی صحیحه فی غزوة تبوک، ومسلم فی صحیحه فی باب فضائل علی علیه السلام، وابن ماجة فی سننه فی باب فضائل أصحاب النبیّ، والحاکم فی مستدرکه فی مناقب علیّ علیه السلام و إمام الحنابلة فی مسنده بطرق کثیرة «۱».

ووضوح دلالة الحدیث علی الخاتمیة بمکان أغنانا عن البحث حولها.

۲- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «مَثَلی ومَثل الأنبیاء کمَثل رجلٍ بنی داراً فأتمّها وأکملها إلّاموضع لبنة، فجعل الناس یدخلونها ویتعجّبون منها ویقولون، لولا موضع هذه اللّبنة» قال رسول اللَّه: «فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبیاء».

أخرجه البخاری ومسلم والترمذی «۲».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۴۶

۳- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «لی خمسة أسماء: أنا محمّد، وأحمد، أنا الماحی یمحو اللَّه بی الکفر، وأنا الحاشر، یحشر الناس علی قدمی، وأنا العاقب الذی لیس بعده نبی» «۱»

.

۴- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «أنا قائد المرسلین ولا فخر، وأنا خاتم النبیّین ولا فخر، وأنا أوّل شافع ومشفّع ولا فخر» «۲»

.

۵- قال النبیّ صلی الله علیه و آله: «یا علیّ أخصمک بالنبوّة؛ فلا نبوّة بعدی وتخصم الناس بسبع ولا یجاحدک فیها أحد من قریش، أنت أوّلهم إیماناً باللَّه» «۳»

.

۶- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «إنّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت ولا رسولَ بعدی ولا نبیّ» قال: فشقّ ذلک علی الناس فقال: «ولکن المبشّرات» فقالوا: یا رسول اللَّه وما المبشّرات؟ فقال: «رؤیا المسلم، وهی جزء من أجزاء النبوة» «۴»

.

۷- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «أُرسلتُ إلی الناس کافّة وبی خُتم النبیّون» «۵»

.

۸- قال النبیّ صلی الله علیه و آله: «کنت أوّل الناس فی الخلق، وآخرهم فی البعث» «۶»

.

۹- استأذن العباس بن عبد المطّلب النبیّ فی الهجرة فقال له: «یا عم أقم مکانک الذی أنت فیه؛ فإنّ اللَّه تعالی یختم بک الهجرة کما

ختم بی النبوّة» ثمّ هاجر إلی النبیّ وشهد معه فتح مکّة وانقطعت الهجرة «۷».

۱۰- قال صلی الله علیه و آله: «یکون فی أُمتی ثلاثون کذّاباً؛ کلّهم یزعم أنّه نبیّ وأنا خاتم

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۴۷

النبیین؛ لا نبیّ بعدی» «۱»

.

۱۱- قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «فُضِّلتُ بستٍّ: أُعطیتُ جوامعَ الکلم، ونُصِرتُ بالرعب، وأُحلّت لی الغنائم، وجُعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلت إلی الخلق کافة، وختم بی النبیّون» «۲»

.

۱۲- روی الإمام أبو جعفر الباقر علیه السلام عن النبیّ صلی الله علیه و آله أنه قال: «قال النبیّ صلی الله علیه و آله: یا أیّها الناس إنّه لا نبیّ بعدی، ولا سنّة بعد سنّتی، فمن ادّعی ذلک فدعواه وبدعته فی النار فاقتلوه ومن تبعه؛ فإنّه فی النار» «۳»

.

الخاتمیّة فی أحادیث العترة الطاهرة

الخاتمیّة فی أحادیث العترة الطاهرة

قد روی عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أحادیث أُخر فی مجال کونه خاتماً إلّاأنّ ذکر الجمیع غیر میسور لنا، وأُردف البحث بما روی عن عترته الطاهرة علیهم السلام فی هذا المجال، وأقتصر علی القلیل من الکثیر؛ فإنّ المروی عنه فی ذلک المجال متوفّر جداً.

۱- قال الإمام علیّ علیه السلام: «إلی أن بَعثَ اللَّه محمداً صلی الله علیه و آله لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً علی النبیین میثاقه، مشهورة سماتُه، کریماً میلادُه» «۴»

.

۲- قال الإمام علیّ علیه السلام: «اجعل شریف صلواتک، ونامی برکاتک، علی محمّد صلی الله علیه و آله عبدک ورسولک الخاتم لما سبق» «۵».

۳- وقال علیه السلام: «أرسله علی حین فترة من الرسل، وتنازع من الألسن، فقفا به الرسلَ وختَم به الوحی» «۶».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۴۸

۴- قال علیه السلام وهو یلی غسل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وتجهیزه: «بأبی أنت وأُمّی لقد انقطع بموتک مالم ینقطع بموت غیرک من النبوّة والأنباءوأخبار السماء، خصّصت حتّی صِرتَ مسلّیاً عمّن سواک، وعمّمتَ حتّی صار الناس فیک سواء» «۱»

. هذا وقد روی عن غیر الإمام علی علیه السلام من العترة الطاهرة ونذکر منهم ما یأتی:

۵- عن فاطمة الزهراء علیها السلام قالت: «لمّا حملتُ بالحسن وولدته جاء النبیّ ثم هبط جبرئیل فقال: یا محمّد، العلیّ الأعلی یقرؤک السلام ویقول: علیٌّ مِنک بمنزلة هارون من موسی، ولا نبیّ بعدک، سَمّ ابنک هذا باسم ابن هارون» «۲»

.

۶- وروی عن الحسن بن علیّ بن أبی طالب علیهم السلام قال: «جاء نفر إلی رسول اللَّه فقالوا: یا محمّد إنّک الذی تزعم أنّک رسول اللَّه، وأنّک الذی یوحی إلیک کما أوحی اللَّه إلی موسی بن عمران؟ فسکت النبیّ ساعة ثم قال: أنا سیّد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبیّین، وإمام المتّقین، ورسول ربّ العالمین» «۳»

.

۷- روى عن الحسين بن علىّ عليهما السلام أنّه قال لرسول اللَّه: «فأخبرنى يا رسول اللّه هل يكون بعدك نبىّ؟ فقال: لا، أنا خاتم النبيّين، لكن يكون بعدى أئمة قوّامون بالقسط، بعدد نقباء بنى إسرائيل» «۴»

.

۸- وقال الإمام السجّاد عليه السلام فى بعض أدعيته: «صلّ على محمّد خاتم النبيّين، وسيّد المرسلين، وأهل بيته الطيّبين الطاهرين، وأعذْنا وأهالينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات ممّا استعذنا منه» «۵»

.

۹- وقال الإمام الباقر فى حديث: «وقد ختم اللَّه بكتابكم الكُتبَ وختم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۴۹

بنبيّكم الأنبياءَ» «۱»

.

۱۰- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «فكلّ نبى جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتّى جاء محمّد صلى الله عليه و آله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» «۲»

.

۱۱- وقال عليه السلام: «بعث اللَّه سبحانه أنبياءَه ورسلَه ونبيَّه محمداً، فأفضل الدين معرفة الرسل وولايتهم، وأخبرك أنّ اللَّه أحلّ حلالًا وحرّم حراماً إلى يوم القيامة» «۳».

۱۲- روى زرارة قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الحرام والحلال فقال:

«حلال محمّد حلال أبداً إلى يوم القيامة لايكون غيره ولا يجيء غيره» «۴»

.

۱۳- وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «إذا وقفت على قبر رسول اللَّه فقل أشهد أن لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له وأشهد أنّك خاتم النبيّين» «۵»

.

۱۴- وقال الإمام الرضا عليه السلام فى سؤال من سأله: ما بال القرآن، لا يزداد عند النشر والدراسة إلّاغضاضة؟ قال: «لأنّ اللَّه لم ينزّله لزمان دون زمان ولا لناسٍ دون ناس، فهو فى كلّ زمانٍ جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة» «۶»

.

هذه أربعة عشر حديثاً عن العترة الطاهرة، ولو أردنا أن نذكر ما وقفنا عليه لطال بنا المقام، غير أنّ المهم طرح أسئلة حول الخاتمية وتحليلها بإيجاز.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۰

أسئلة حول الخاتميّة

اشارة

أسئلة حول الخاتميّة

هناك أسئلة حول الخاتمية تثار بين آن وآخر، وهى بين سؤال قرآنى وفلسفى وفقهى، ونكتفى من الأوّل بواحد من الأسئلة.

السؤال الأوّل: تنصيص القرآن على أنّ جميع أهل الشرائع ينالون ثواب اللّه.

السؤال الأوّل: تنصيص القرآن على أنّ جميع أهل الشرائع ينالون ثواب اللّه.

إنّ القرآن الكريم ينصّ على أنّ المؤمنين باللّه وباليوم الآخر من جميع الشرائع سينالون ثواب اللّه، وأنّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومعنى ذلك أنّ جميع الشرائع السماوية تُحفَظ إلى جانب الإسلام، وأنّ أتباعها ناجون شأنُهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، وعلى ضوء هذا، فكيف تكون الشريعة الإسلامية واقعة في آخر مسلسل الشرائع السماوية؟ وكيف تكون رسالته خاتمة الشرائع؟ وإليك ما يدل على ذلك حسب نظر السائل:

۱- قال سبحانه: إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والنّصارى والصّابئينَ مَنْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخرِ وعَمِلَ صالحاً فَلهُمْ أجرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ ولا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُونَ «۱»

.

۲- إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والصّابئونَ والنّصارى مَنْ آمنَ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ وعَمِلَ صالحاً فَلا خَوفٌ عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُونَ «۲»

.

۳- إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادُوا والصّابئينَ والنّصارى والمجوسَ والَّذينَ أشرَكوا إنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَينهُمْ يومَ القيامةِ إنّ اللَّه على كلِّ شَيءٍ شَهيد «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۱

إنّ استنتاج بقاء شرعية الشرائع السماوية من هذه الآيات مبنيّ على غضّ النظر عمّا تهدف إليه الآيات، وذلك أنّ الآيات بصدد ردّ مزاعم ثلاثة كانت اليهود تتبناها، لا بصدد بيان بقاء شرائعهم بعد بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله. وهي:

۱- فكرة «الشعب المختار»!

كانت اليهود والنصارى يستولون على المسلمين بل العالم بادّعائهم فكرة «الشعب المختار» بل إنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين: اليهود والنصارى، كانت تدّعى أنّها أرقى أنواع البشر، وكانت اليهود أكثرهم تمسّكاً بهذا الزعم وقد نقل عنهم سبحانه قولهم:

وقالَتِ اليَهودُ والنّصارى نحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحِبّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعذِّبُكُمْ بِذُنُوبكُمْ بَلْ أنتُمْ بَشَرٌ مِمَّن خَلَق... «۱»

واللَّه سبحانه يردّ هذا الزعم بكلّ قوة عندما يقول:

فَلِمَ يُعذِّبُكُمْ بِذُنُوبكُمْ، وقد بلغت أنانية اليهود واستعلاؤهم الزائف حدّاً بالغاً وكأنّهم قد أخذوا على اللَّه عهداً بأن يستخلصهم ويختارهم، حيث قالوا: وقالُوا لَنْ تَمسَّنا النّارُ إلّاأياماً مَعدُودَةً «۲»

.

۲- الانتماء إلى اليهودية والنصرانية مفتاح الجنة!

قد كانت اليهود والنصارى تبثّان وراء فكرة: «الشعب المختار»، فكرة أُخرى، وهي: أنّ الجنة نصيب كل من ينتسب إلى بنى إسرائيل أو يُسمّى مسيحياً ليس إلّا، وكأنَّ الأسماء والانتساب مفاتيح للجنة، قال سبحانه ناقلًا عنهم: وقالُوا لَنْ يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّامَنْ كانَ هُوداً أو نَصارى «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۲

ولكنّ القرآن يردّ عليهم ويقول: تِلكَ أمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرهانَكُمْ إنْ كُنتُمْ صادِقينَ* بَلى مَنْ أسلَمَ وَجهَهُ للَّهِ وهوَ مُحسنٌ فَلهُ أجرُهُ عندَ

ربِّهِ ولا خوفٌ عَلَيهم ولا هُمْ يحزَنُون «۱»

فإنّ قوله سبحانه: بَلى مَنْ أسلَمَ يعنى الإيمان الخالص وقوله: وهوَ مُحسنٌ يعنى العمل وفق ذلك الإيمان، وكلتا الجملتين تدلّان على أنّ السبيل الوحيد إلى النجاة يوم القيامة هو الإيمان والعمل لا الانتساب إلى اليهودية والنصرانية، فليست المسألة مسألة أسماء، وإنّما هى مسألة إيمان صادق وعمل صالح.

۳- الهداية فى اعتناق اليهودية والنصرانية!

وهذا الزعم غير الزعم الثانى، ففى الثانى كانوا يقتصرون فى النجاة بالانتماء إلى الأسماء، وفى الأخير يتصوّرون أنّ الهداية الحقيقية تنحصر فى الاعتناق باليهودية والنصرانية وقالُوا كونُوا هُوداً أو نَصارى تَهتَدوا «۲»

والقرآن الكريم يردّ هذه الفكرة كما سبق، ويقول إنّ الهداية الحقيقية تنحصر فى الاقتداء بملّة إبراهيم واعتناق مذهبه فى التّوحيد الخالص الذى أمر الأنبياء بإشاعته بين أُممهم، قال سبحانه: قُلْ بَلْ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وما كانَ مِنَ المُشركين «۳»

وفى آية أُخرى ما كانَ إبراهيمُ يَهوديّاً ولا نَصرانيّاً ولكنْ كانَ حَنيفاً مُسلماً وما كانَ مِنَ المُشركين «۴»

.

نستخلص من كلّ هذه الآيات أنّ اليهودَ والمسيحيّين وبخاصة القدامى منهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۳

كانوا يحاولون- بهذه الأفكار الواهية- التفوّق على البشر، والتمرّد على تعاليم اللّه، والتخلّص بصورة خاصّة من الانضواء تحت لواء الإسلام، مرة بافتعال أُكذوبة «الشعب المختار» الذى لا ينبغى أن يخضع لأىّ تكليف، ومرّة أُخرى بافتعال خرافة «الأسماء والانتساب» وادّعاء النجاة بسبب ذلك، والحصول على مغفرة اللّه وجنّته وثوابه، ومرّة ثالثة بتخصيص «الهداية» وحصرها فى الانتساب إلى إحدى الطائفتين بينما نجد أنّه كلّما مرّ القرآن على ذكر هذه المزاعم الخرافية أعلن بكلّ صراحة وتأكيد: أنّه لافرق بين إنسان وآخر إلّابتقوى اللّه؛ فإنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم.

وأمّا النجاة والجنّة فمن نصيب من يؤمن باللّه، ويعمل بأوامره دونما نقصان لاغير، وهو بهذا يقصد تفنيد مزاعم اليهود والنصارى الجوفاء.

بهذا البحث حول الآيات الثلاث (المذكورة فى مطلع البحث) نكشف بطلان الرأى القائل بأن الإسلام أقرّ- فى هذه الآيات- مبدأ «الوفاق الإسلامى المسيحى واليهودى» تمهيداً لإنكار عالمية الرسالة الإسلامية وخاتميتها، بينما نجد أنّ غاية ما يتوخّاه القرآن- فى هذه الآيات- إنما هو فقط نسف وإبطال عقيدة اليهود والنصارى، وليعلن مكانه بأنّ النجاة إنما هى بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

فلا استعلاء ولا تفوّق لطائفة على غيرها من البشر مطلقاً، كما أنّ هذا التشبّث الفارغ بالأسماء والدعاوى ليس إلّامن نتائج العناد والاستكبار عن الحقّ.

فليست الأسماء ولا الانتساب هى التى تنجى أحداً فى العالم الآخر، وإنّما هو الإيمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح فى وجه كلّ إنسان يهودياً كان أو نصرانياً، مجوسياً أو غيرهم.

ويوضّح المراد من هذه الآية قوله سبحانه: وَلو أنّ أهلَ الكِتابِ آمَنوا واتَّقَوا لَكفَّرنا عَنهمْ سَيِّئاتِهِمْ ولأدخلناهُمْ جَنّاتِ النَّعيم «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۴

فتصرّح الآية بانفتاح هذا الباب بمصراعيه فى وجه البشر كافّة من غير فرق بين جماعة دون جماعة، حتّى أنّ أهل الكتاب لو آمنوا بما آمن به المسلمون لقبلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم.

هذا هو كل ما كان يريد القرآن بيانه من خلال هذه الآيات، وليس أىّ شىء آخر.

إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام لشرعيّة الشرائع بعد ظهوره... وإنّما تدلّ على أنّ القرآن يحاول بها إبطال بعض المزاعم.

هذا كله حول السؤال القرآني، وهناك أسئلة أُخرى جديرة بالذكر والتحليل، وإليك بيانها:

السؤال الثاني: لماذا ختمت النبوّة التبليغية؟

السؤال الثاني: لماذا ختمت النبوّة التبليغية؟

إنّ الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة الأركان؛ فلا شريعة بعدها، ومع الاعتراف بذلك يطرح هذا السؤال:

إنّ الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كان صاحب شريعة، ومنهم من كان مبلّغاً لشريعة مَن قبله من الأنبياء، كأكثر أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يبلِّغون شريعة موسى بين أقوامهم.

فهب أنّه ختم باب النبوّة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا ختم باب النبوّة التبليغية؟

والجواب عنه، غنى الأُمة الإسلامية عن هذا النوع من النبوّة، وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أنّ النبيّ الأكرم ترك بين الأُمّة الكتابَ والعترة وعرّفهما إليها، وقال: لن تضلّ الأُمّة مادامت متمسّكة بهما.

فإذا كانت الهداية تكمن في التمسّك بهما فالأُمّة الإسلامية في غنى عن المهمّة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۵

التبليغية؛ إذ مهمّتها موجدة بالتمسّك بهما فالعترة الطاهرة مشاعل الحقّ، ومنارات التوحيد، أغنت الأمة، علومُهم وتوجيهاتُهم عن بعث نبيّ يبلّغ رسالات اللّه، وهذا إجمال الكلام في أئمة أهل البيت عليهم السلام والتفصيل موكول إلى محلّه.

الوجه الثاني: أنّ علماء الأُمّة المأمورين بالتبليغ بعد التفقّه أغنوا الأُمّة عن أيّ نبوّة تبليغية، قال سبحانه: فَلَولا نفر مِنْ كُلِّ فِرقةٍ مِنهُمْ طائفةٌ لِيتفقَّهوا في الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قَومَهُمْ إذا رَجَعوا إلَيهم لَعلَّهم يَحذَرون «۱»

وقال سبحانه:

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدعونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمَعرُوفِ وَينهَونَ عَنِ المُنكَرِ «۲»

.

السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟

السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟

الجواب: إنّ الفتوحات الغيبية من المكاشفات والمشاهدات الروحية لم توصد بابها، وإنّما أُوصد باب خاصّ وهو باب النبوّة الذي يحمل الوحي التشريعي أو التبليغي.

قال سبحانه: سَنُرِيهِمْ آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسهِم حتّى يتبيَّنَ لَهُمْ أنّهُ الحقُّ أوَلَمْ يَكفِ بِربِّكَ أنَّهُ على كُلِّ شيءٍ شَهيد «۳»

.

فالفتوحات الباطنية من المكاشفات والإلقاءات في الروع غير مسدودة بنصّ الكتاب العزيز قال سبحانه: يا أيُّها الذينَ آمَنوا إن تَتَّقوا اللَّه يجعلْ لَكُمْ فُرقانا «۴»

أي يجعل في قلوبكم نوراً تفرِّقون به بين الحقِّ والباطل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۶

وتميِّزون به بين الصحيح والزائف لا بالبرهنة والاستدلال، بل بالشهود والمكاشفة، قال سبحانه: يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وآمِنوا برسولهِ يُؤْتِكُمْ كِفلَينِ مِنْ رَحمتهِ ويَجعلْ لَكُمْ نُوراً تَمشونَ بِهِ ويَغفرْ لَكُمْ واللّهُ غَفورٌ رَحيم «۱»

.

وهناك آيات وروايات تدلّ بوضوح على انفتاح هذا الباب فى وجه الإنسان، نكتفى بما ذكرناه.

السؤال الرابع: ادّعاء النقص فى التشريع الإسلامى.

اشارة

السؤال الرابع: ادّعاء النقص فى التشريع الإسلامى.

كلّما تكاملت جوانب الحضارة وتشابكت، وتعدّدت ألوانها، واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جديدة وطرحت عليه مشاكل طارئة لا عهد للأزمنة السابقة بها، إذن فحاجة المجتمع إلى قوانين وتشريعات جديدة لا تزال تتزايد كلّ يوم تبعاً لذلك، وما جاء به الرسول لا يجاوز قوانين محدودة، فكيف تفى النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غير المتناهية؟

الجواب: إنّ خلود التشريع وبقاءه فى جميع الأجيال ومسايرته للحضارات الإنسانية، واستغناءه عن كلّ تشريع سواه، يتوقّف على وجود أمرين فيه:

الأول: أن يكون التشريع ذا مادّة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر معها علماء الأُمّة والأخصّائيون منهم على استنباط كلّ حكم يحتاج إليه المجتمع البشرى فى كلّ عصر من الأعصار.

الثانى: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق، مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال، وتساير الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامى كِلا الأمرين، أمّا الأوّل فقد أحرزه بتنفيذ أُمور:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۷

الف- الاعتراف بحجّية العقل فى مجالات خاصّة:

إنّ من سمات التشريع الإسلامى التى يمتاز بها عن سائر التشريعات هى إدخال العقل فى دائرة التشريع، والاعتراف بحجّيته فى الموارد التى يصلح له التدخّل والقضاء فيها، فالعقل أحد الحجج الشرعيّة، وفى مصافّ المصادر الأُخرى للتشريع، وقد فتح هذا الاعتراف للتشريع الإسلامى سعةً وانطلاقاً وشمولًا لما يتجدّد من الأحداث، ولما يطرأ من الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

إنّ الملازمة بين حُكمى العقل والشرع (إنّه كلّما حكمَ بِهِ العقلُ حكمَ بِهِ الشرع) ترفع كثيراً من المشاكل التى لم يرد فيها نصّ، فللعقل دور كبير فى استنباط كثير من الأحداث التى يصلح للعقل القضاء فيها، ويقدر على إدراك حكم الشرع من حكم نفس العقل، وذلك فى الموارد التالية:

۱- القول بالملازمة بين وجوب المقدّمة وذيها.

۲- القول بالملازمة بين حرمة الشىء ومقدمته.

۳- الحكم بالبراءة عند عدم النصّ.

۴- الحكم بالامتثال القطعى عند العلم الإجمالى.

۵- الحكم بالملازمة بين الحرمة وفساد العبادة.

۶- الحكم بالملازمة بين تعلّق النهى بنفس المعاملة وفسادها.

۷- الحكم بالإجزاء عند الامتثال وفق الأمر الاضطرارى.

۸- الحكم بالإجزاء عند الامتثال وفق الأمر الظاهرى.

۹- استكشاف الأمر الشرعى بالأهم عند التزاحم.

۱۰- استكشاف بطلان الصلاة عند اجتماع الأمر والنهى بتقديمه على الآمر.

إلى غير ذلك من الأحكام التى تعدّ من ثمرات القول بالتحسين والتقبيح العقليين، فمن عزل العقل عن الحكم فى ذلك المجال، فقد قصرت فكرته عن تقديم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۸

أىّ حلّ لهذه الأحكام وما ذكرناه نماذج لما للعقل من دور، وإلّا فالأحكام المستنبطة من العقل فى مجالات مختلفة أكثر من ذلك.

ب- إنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية:

إنّ من أمعن فى الكتاب والسنّة يقف على أنّ التشريع الإسلامى تابع لملاكات؛ فلا واجب إلّاالمصلحة فى فعله ولا حرام إلّاالمفسدة فى اقترافه، ويشهد بذلك كتاب اللّه فى موارد:

يقول سبحانه: إنّما يُريدُ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ بَينكُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ فى الخمرِ والمَيسِرِ ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكرِ اللَّهِ وعنِ الصَّلاةِ فَهلْ أنتم مُنتَهون «۱»

فالآية تعلّل حرمة الخبيثين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصدّهما عن ذكر اللّه، يقول سبحانه:... وأقِمِ الصَّلاةَ إنّ الصَّلاةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ... «۲»

.

إلى غير ذلك من الآيات التى تصرّح بملاكات الأحكام.

وقد تضافرت النصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على أنّ الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر علىّ بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يبح أكلًا ولا شرباً إلّالما فيه المنفعة والصلاح، ولم يحرّم إلّاما فيه الضرر والتلف والفساد» «۳»

.

وقال عليه السلام فى الدم: «إنّه يسىء الخلق، ويورث القسوة للقلب، وقلّة الرأفة والرحمة، ولايؤمن أن يقتل ولده ووالده» «۴»

.

وهذا باقر العلوم وإمامها عليه السلام يقول: «إنّ مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۵۹

الارتعاش، ويهدم مروّته، ويحمله إلى التجسّر على المحارم من سفك الدماء، وركوب الزنا» «۱»

.

وغيرها من النصوص المتضافرة عن أئمة الدين «۲».

فإذا كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد فى الموضوع، فالغاية المتوخّاة من تشريعها إنّما هى الوصول إليها، أو التحرّز عنها، وبما أنّ المصالح والمفاسد ليست على وزان واحد، بل رُبّ واجب يسوغ فى طريق إحرازه اقتراف بعض المحارم، لاشتماله على مصلحة كبيرة لا يجوز تركها أصلًا، ورُبّ حرام ذى مفسدة كبيرة، لا يجوز اقترافه، وإن استلزم ترك الواجب أو الواجبات.

ولأجل ذلك فقد عقد الفقهاء باباً خاصاً لتزاحم الأحكام وتصادمها فى بعض الموارد، فيقدّمون الأهم على المهم والأكثر مصلحة على الأقل منها، والأعظم مفسدة على الأحقر منها، وهكذا... ويتوصلون فى تمييز الأهم عن المهم، بالطرق والأمارات التى تورث الاطمئنان،

وباب التزاحم فى علم الأصول غير التعارض فيه، ولكلٍّ أحكام.

وقد أعان فتح هذا الباب على حلّ كثير من المشاكل الاجتماعية التى ربّما يتوهّم الجاهل أنّها تعرقل خطى المسلمين فى معترك الحياة، وأنّها من المعضلات التى لاتنحلّ أبداً، ولنأتى على ذلك بمثال وهو:

إنّه قد أصبح تشريح بدن الإنسان فى المختبرات من الضروريات الحيوية التى يتوقّف عليه نظام الطبّ الحديث، فلا يتسنّى تعلّم الطبّ إلّابالتشريح والاطّلاع على خفايا الأمراض والأدوية.

غير أنّ هذه المصلحة، تصادمها مسألة احترام الإنسان حيّاً وميتاً، إلى حدّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۰

أوجب الشارع الإسراع فى تغسيله وتكفينه وتجهيزه للدفن، ولا يجوز نبش قبره إذا دفن، ولا يجوز التمثيل به وتقطيع أعضائه، بل هو من المحرّمات الكبيرة التى لم يجوّزها الشارع حتّى بالنسبة إلى الكلب العقور، غير أنّ عناية الشارع بالصحّة العامة وتقدّم العلوم جعلته يسوّغ اقتراف هذا العمل لتلك الغاية، مقدّماً بدن الكافر على المسلم والمسلم غير المعروف على المعروف منه، وهكذا...

ج- التشريع الإسلامى ذو مادة حيوية:

إنّ التشريع الإسلامى فى مختلف الأبواب مشتمل على أُصول وقواعد عامّة تفى باستنباط آلاف من الفروع التى يحتاج إليها المجتمع البشرى على امتداد القرون والأجيال.

أخرج الكلينى عن عمر بن قيس، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول:

«إنّ اللَّه تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلّاأنزله فى كتابه وبيّنه لرسوله، وجعل لكلّ شىء حدّاً، وجعل عليه دليلًا يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً».

روى الكلينى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام أنّه قال: «ما من شىء إلّاوفيه كتاب أو سنّة» «۱»

.

وقال الإمام الطاهر موسى الكاظم عليه السلام عندما سأله عن وجود كلّ شىء فى كتاب اللَّه وسنّة نبيه قال مجيباً: «بل كلّ شىء فى كتاب اللَّه وسنّة نبيّه» «۲»

.

نعم تتجلّى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنّة رسول اللَّه المرويّة عن طريق أئمة أهل البيت؛ فقد حفظوا سنّة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عندما كانت كتابة الحديث أمراً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۱

معرضاً عنه، ولذلك صارت أدلّة الفقه الإسلامى متوسّعة كافلة لاستنباط الأحكام، وبذلك أغنوا الأُمة الإسلامية عن مقاييس ظنّية كالقياس والاستقراء، وما لا دليل عليه من الكتاب والسنّة على وجه القطع واليقين.

إنّ الاكتفاء بما ورد عن النبىّ عن طريق الصحابة وعدم الرجوع إلى ما رواه أئمة أهل البيت عن جدّهم متسلسلًا كابر عن كابر لخسارة عظمى، فعلى المشغوف بتجديد حياة الإسلام وإغنائه عن أىّ تشريع غربىّ وشرقىّ وتجسيد الخاتمية فى مجال التشريع أن يجتاز الحدود التى ضربها الأُمويون ومَن لفّ لفّهم بين الناس وأئمة أهل البيت عليهم السلام فعند ذلك ستنفتح آفاق من حديث الرسول ممّا يحتار اللبّ به، ويثير الحسرة لما فات الأُمّة من التنوّر بنورهم فى القرون الماضية.

د- تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابه:

وممّا أضفى على التشريع الإسلامى خلوداً وغضاضة وشمولية وإغناءً عن موائد الأجانب، فتح باب الاجتهاد فيما تحتاج إليه الأُمّة فى حياتها الفردية والاجتماعية، ومن أقفله فى الأدوار السابقة قطع الأُمّة الإسلامية عن مواكبة التطوّر والحضارة، ومِن ثَمّ جعل التشريع

الإسلامى ناقصاً غير كامل لما تحتاج إليه الامّة، وأمّا لزوم فتحه فهو أنّ الأمّة الإسلامية فى زمن تتوالى فيه الاختراعات والصناعات، وتتجدّد الأحداث التى لم يكن لها مثيل فى عصر النبىّ ولا بعده، فهم أمام أحد أُمور:

۱- بذل الوسع فى استنباط أحكام الموضوعات الحديثة من الأُصول والقواعد الإسلامية.

۲- اتّباع المبادئ الغربية من غير نظر إلى مقاصد الشريعة.

۳- الوقوف من غير إعطاء حكم.

ومن المعلوم بطلان الثانى والثالث فيتعيّن الأوّل.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۲

نعم، لم يزل هذا الباب مفتوحاً عند الشيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، وبذلك أنقذوا الشريعة من الانطماس وأغنوا الأُمّة الإسلامية عن التطلّع إلى موائد الغربيين.

وبما أنّ الاجتهاد الحرّ، والخروج عن قيد المذاهب صار واضح اللزوم نقتصر على هذا المقدار.

ه- حقوق الحاكم الإسلامى أو ولاية الفقيه:

من الأسباب الباعثة على بقاء الدين وكونه مادّة حيوية صالحة لحلّ المشاكل والمعضلات الطارئة، كون الحاكم الإسلامى بعد النبىّ والأئمة ممثّلًا لقيادتهم الحكيمة فى أُمور الدين والدنيا، التى من شأنها أن توجّه المجتمع البشرى إلى أرقى المستويات الحضارية، فقد فتحت لمثل هذا الحاكم الصلاحيات المؤدّية إلى حقّ التصرّف فى كلّ ما يراه ذا مصلحة للأُمّة فى إطار القوانين العامّة؛ لأنّه يتمتّع بمثل ما يتمتّع به النبىّ والإمام من النفوذ المطلق إلّاما كان من خصائص النبىّ والأئمة.

وبما أنّ المحقّقين أسهبوا الكلام فى معنى ولاية الفقيه اقتصرنا على هذا المقدار.

مرونة التشريع الإسلامى:

مرونة التشريع الإسلامى:

لقد سبق الحديث عن أنّ استغناء التشريع الإسلامى عن كلّ تشريع سواه رهن أمرين:

الأول: إنّه ذو مادة حيوية خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر على الإجابة ببيان حكم جميع الأحداث التالية والطارئة.

الثانى: النظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشى جميع الأزمنة والأجيال، وقد مرّ الكلام فى الأمر الأوّل وإليك الكلام حول الأمر الثانى.

إنّ الذى فتح للتشريع الإسلامى خلوداً وغناءً عن سائر التشريعات هو

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۳

مرونة أحكامه التى تماشى جميع الأزمنة والحضارات، وقد تمثّلت هذه المرونة بأُمور:

الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادّة والروح

إذا غالت المسيحية فى التوجّه إلى الناحية الروحية، فدعت إلى الرهبانية والتعزّب، وغالت اليهودية فى الدعوة إلى ملاذّ الحياة والانكباب على المادّة حتّى نسيت كلّ قيمة روحية، فالإسلام دعا إلى المادّية والمعنوية على وجه يطابق الفطرة الإنسانية، وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام، وشرع للإنسان ما يسعده فى الدنيا والآخرة على ما هو مفصّل فى محله.

الثانى: النظر إلى المعانى لا إلى الظواهر

الإسلام ينظر إلى المعانى والحقائق لا الظواهر والقشور، فيأمر بالأخذ باللبّ لا بالقشر، وهذا هو السرّ فى خاتمية الدين الإسلامى

وتمشّيه مع تطوّر الحياة، ولاـ يتوهّم من ذلك جواز التدخّل في التشريع بحجّة الأخذ باللبّ دون القشر؛ فإنّ الكبريات الواردة في الكتاب والسنّة كلّها لبّ، وأمّا القشر فإنّما يرجع إلى التخطيط والتجسيد.

وسيوافيك عند الإجابة على السؤال الخامس أنّ الإسلام دعا الإنسان إلى الملبس والمسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا هو اللبّ، وأمّا الأشكال والأنماط لهذا التشريع فمتروك إلى مقتضيات العصور.

إنّ الذي يهتمّ به التشريع كون البيت مُقاماً على أرض غير مغصوبة ومن مال حلال بحيث يتمكّن المسلم من إقامة فرائضه فيه وحفظ كيانه، وقد أناط شكل البيت وهندسته إلى مقتضيات الظروف والمصالح؛ وكذا الملابس ووسائل التعليم ابتداءً من الحفر على الصخر والجدران والكتابة على الجلود والقراطيس، إلى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۴

ابتكار وسائل ألكترونية متطوّرة لإنجاز الغرض، فمن أراد الحفاظ على الصور، فقد عرقل الأُمّة الإسلاميّة عن التقدّم وأثار مشاكل في تطبيق الشريعة في الأزمنة الحاضرة.

الثالث: الأحكام التي لها دور التحديد

من الأسباب الموجبة لمرونة هذا الدين وانطباقه على جميع الحضارات الإنسانية تشريعه القوانين الخاصّة التي لها دور التحديد والرقابة بالنسبة إلى عامّة تشريعاته وقد اصطلح عليها الفقهاء بالأدلّة الحاكمة؛ لأجل حكومتها وتقدّمها على كلّ حكم ثبت لموضوع بما هو هو، فهذه القوانين الحاكمة، تعطي لهذا الدين مرونة يماشي لبّها كلّ حضارة إنسانية، مثلًا قوله سبحانه: وما جعلَ عَليكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... «۱»

حاكم على كلّ تشريع استلزم العمل به حرجاً، لا يتحمّل عادة للمكلّف فهو مرفوع في الظروف الحرجة، ومثله قوله صلى الله عليه و آله: «لاـ ضرر ولا ضرار» فكلّ حكم استتبع العمل به ضرراً شديداً، فهو مرفوع في تلك الشرائط، وقس عليهما غيرهما من القوانين الحاكمة.

نعم تشخيص الحاكم عن المحكوم، ومايرجع إلى العمل بالحاكم من الشرائط، يحتاج إلى الدقّة والإمعان والتفقّه والاجتهاد، ورأينا أنّ الموضوع يحتاج إلى التبسّط أكثر من هذا، فإلى مجال آخر أيّها القارئ الكريم.

السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطوّرة.

السؤال الخامس: القوانين الثابتة والحياة المتطوّرة.

إنّ مقتضى كون الإسلام ديناً خاتماً، ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أنّ المجتمع الإنساني لم يزل في تطوّرٍ وتغيّرٍ، فعند ذلك يُطْرح السؤال التالي:

كيف يمكن للقانون الثابت معالجة متطلّبات المجتمع المتغيّر؟ فإنّ من لوازم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۵

التغيّر والتطوّر، تغييرُ ما تسُود عليه من قوانين وتشريعات؟

هذا هو السؤال الذي يُطرح بين آن وآخر، والإجابة عنه تتوقّف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيّرها، وأنّ للثابت من جانب حياته تشريعاً ثابتاً، وللجانب المتغيّر منها تشريعاً متغيّراً فالتشريع الثابت لما هو الثابت والمتغير لما هو المتغيّر، وإليك البيان:

الجانب الثابت من حياة الإنسان:

۱- إنّ للحياة الإنسانية جانبين: متغيّر وثابت، فالثابت منها عبارة عن الغرائز الثابتة والروحيات الخالدة التي لا تتغيّر ولا تتبدّل مادام الإنسان إنساناً ولا يتسرّب التغيّر إليها.

فالإنسان الاجتماعى بماهو موجود ذو غرائز يحتاج لحفظ حياته وبقاء نفسه إلى العيش الاجتماعى والحياة العائلية، وهذان الأمران من أُسُس حياة الإنسان لا تفتأ تقوم عليهما حياته منذ وجوده إلى يومنا هذا.

فإذا كان التشريع الموضوع منسجماً ومتطلبات الغرائز، ومعدِّلًا إيّاها عن الإفراط والتفريط ومرتكزاً على العدل والاعتدال، فذلك التشريع يكون خالداً فى ظلّ خلود الغرائز.

۲- إنّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا ـ ينكر؛ فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً رغم كلّ الدعايات السخيفة المنكرة لذلك الاختلاف، ولكلّ من الرجل والمرأة متطلّب وفق تركيبه، فإذا كان التشريع متجاوباً مع التركيب والفطرة، يكون خالداً حسب خلود الفطرة والتركيب.

۳- الروابط العائلية كعلاقة الأب بولده وبالعكس، علاقات طبيعية مبنية على الفطرة، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من التوارث ولزوم التكريم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۶

إنّ السؤال مبنيّ على أنّ الإنسان بفطرته وتركيبه يقع فى مهبِّ التغيّر والتطوّر؛ فلا يبقى منه شىء عبْر القرون، فكأنّ الإنسان الحالى غير الإنسان الغابر، مع أنّها فكرة باطلة، فلو كان هناك تغيّر فإنّما يعود هذا إلى غير الجانب الثابت من حياته.

۴- إنّ فى حياة الإنسان قضايا أخلاقية ثابتة عبر الزمان لا ـ يتسرَّب إليها التغيير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً، وجزاء الإحسان بالإحسان حسناً وبالسيّئ قبيحاً، والعمل بالميثاق حسناً ونقضه قبيحاً، إلى غيرها من القضايا الأخلاقية الثابتة فى حياة الإنسان. سواء قلنا بأنّها أحكام فطرية نابعة من الخلقة أو قلنا إنّ هناك عوامل عبر التاريخ رسخت هذه المفاهيم فى ذهن الإنسان؛ فإنّ الاختلاف فى جذور تلك المُثُل لا يضرّ بما نحن بصدده؛ لأنّها على كلّ تقدير ثابتة فى حياة الإنسان، والتشريع الموضوع وفقها يتمتّع بالثبات.

إنّ هناك موضوعات فى الحياة الإنسانية لم تزل ذات مصالح ومفاسد أبدية، فما دام الإنسان إنساناً فالخمر يزيل عقله والميسر ينبت العداوة فى المجتمع، والإباحة الجنسية تفسد النسل والحرث مدى الدهور والأجيال، فبما أنّ هذه القضايا قضايا ثابتة فى حياته، فالتشريع على وفقها يكون ثابتاً وفق ثباتها.

فهذه نماذج من الجانب الثابت من حياة الإنسان تناولناها لإيقاف القارئ على أنّ التغيّر فى حياة الإنسان ليس أمراً كلّياً ولا يتسرَّبُ إلى أعماق حياته، وإنّما التغيّر يرجع إلى صور من حياته فالتغيّر- كما سيوافيك بيانه- إنّما يكون مثلًا فى المواصلات، وفى التكتيك الحربى، وفى طراز البناء وأشكاله، وفى معالجة الأمراض وغيرها، فأين مثل هذا التغيّر من حرمة الظلم، ووجوب العدل، ولزوم أداء الأمانات، ودفع الغرامات، ولزوم الوفاء بالعهد والأيمان، وتكريم ذوى الحقوق إلى غير ذلك من القوانين الثابتة الموضوعة على غرار الفطرة مبنياً على الجانب الثابت من حياته فهو يحتلّ مكان التشريع الدائم.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۷

الجانب المتغيّر فى الحياة الإنسانية:

إنّ للإنسان جانباً آخر فى حياته لا يزال يتغيّر من حال إلى حال، فمثل هذا يتطلّب تشريعات متغيّرة حسب تغيّره وتبدّله، ومن حسن الحظّ أنّه ليس فى الإسلام الخاتم تشريعٌ ثابتٌ لهذا الجانب من الحياة مظاهر حياته وقشورها لا جوهرها، ولذلك لم يتدخّل فيه الإسلام تدخُّلًا مباشراً، بل ترك أمرها للمجتمع الإسلامى فى ظلّ إطارٍ خاص. وسوَّغ للمجتمع البشرى إدارة شؤون حياته فى مجال العمران والبناء وتطور وسائل الحياة المختلفة فى مجال الثقافة والدفاع والاقتصاد فى ظلّ إطارٍ عام الذى يتجاوب مع التغيّر والتطوّر.

فترك للإنسان مجالًا متحرّكاً يختار به أىّ نوع من الألبسة والبناء والمعدّات والوسائل المختلفة ضمن شروط معلومة فى الفقه الإسلامى، ولأجل هذه المرونة فى الإنسان نرى أنّه يتجاوب مع جميع الحضارات الإنسانية، وما هذا إلّالأنّه لم يتدخّل فى الجزئيات المتغيّرة إلّابوضع إطار خاصّ لا يمنع حرّيته ولا يزاحم التغيّر، وهنا كلمة قيّمة للشيخ الرئيس ابن سينا نذكرها، قال:

«يجب أن يفوّض كثير من الأحوال خصوصاً فى المعاملات إلى الاجتهاد؛ فإنّ للأوقات أحكاماً لا ـ يمكن أن تنضبط، وأمّا ضبط المدينة بعد ذلك بمعرفة ترتيب الحفظة ومعرفة الدخل والخرج وإعداد أهب الأسلحة والحقوق والثغور وغير ذلك فينبغى أن يكون ذلك إلى السائس من حيث هو خليفة، ولا ـ تفرض فيها أحكام جزئية؛ فإنّ فى فرضها فساداً؛ لأنّها تتغيّر مع تغيّر الأوقات، وفرض الكليّات فيها مع تمام الاحتراز غير ممكن، فيجب أن يجعل ذلك إلى أهل المشورة» «۱».

نعم إنّ عنوان مقتضى الزمان صار رمزاً لكلّ من أراد أن يتحرّر من القيم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۸

الأخلاقية، ويعيش متحلّلا من كلّ قيد وحدّ، خالعاً كلّ عذار.

وهؤلاء حيثما رأوا الإباحة الجنسيّة، واختلاط الرجال والنساء، واتّخاذ الملاهى بأنواعها وشرب المسكر، واللعب بالميسر، واقتراف المعاصى وأخذ الربا وغير ذلك ممّا حرّمته الشريعة الإسلامية، لم يجدوا مبرّراً لاقترافها إلّاالتمسّك بمقتضيات الزمان وجبر التاريخ.

وهذا أبرز دليل على أنّ التمسّك به غطاء للتحرّر من القيود الشرعية والأخلاقية، وإلّا فلو كان المقصود من تطبيق الحياة على مقتضيات الزمان، هو ترفيع الثقافة الإنسانية، والاستفادة من أحدث الأجهزة فى المجالات كافّة؛ فهذا ممّا لا يرفضه الإسلام، وليس له فيه قانون يعرقل خطى الترقّى وحدوده بإطار عام، وهو عبارة أن لا يزاحم سعادة الإنسان، وأن لا يكون فيه ضرر على روحه وجسمه، والقيم التى بها يمتاز عن الحيوان.

نماذج من الأحكام المتغيرة حسب تغير الظروف:

وها نحن نأتى فى المقام بنماذج من الأحكام المتغيرة بتغيّر الظروف وراء ماذكرناه فى مجال الصناعة والمسكن والملبس بشرط أن لا يزاحم المثل والقيم.

فى مجال العلاقات الدولية الدبلوماسية:

يجب على الدولة الإسلامية أن تراعى مصالح الإسلام والمسلمين، فهذا أصل ثابت وقاعدة عامّة، وأمّا كيفية تلك الرعاية، فتختلف باختلاف الظروف الزمانية والمكانية، فتارة تقتضى المصلحة السلام والمهادنة والصلح مع العدوّ، وأُخرى تقتضى ضدّ ذلك.

وهكذا تختلف المقرّرات والأحكام الخاصّة فى هذا المجال، باختلاف الظروف،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۶۹

ولكنّها لا تخرج عن نطاق القانون العام الذى هو رعاية مصالح المسلمين، كقوله سبحانه:

ولَنْ يَجعلَ اللَّهُ للكافرينَ عَلى المُؤمِنينَ سَبيلًا «۱»

، وقوله سبحانه:

لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فى الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقسِطُوا إلَيهِمْ إنَّ اللَّهَ يُحبُّ المُقسِطينَ* إنَّما يَنهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ قاتَلُوكُمْ فى الدِّينِ وَ أخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وظاهَروا على إخراجِكُمْ أنْ تَوَلَّوهُمْ وَمنْ يَتولَّهُمْ فَأُولئك هُمُ الظّالِمونَ «۲»

.

فى العلاقات الدولية التجارية:

قد تقتضى المصلحة عقدَ اتفاقيات اقتصاديّة وإنشاء شركات تجارية، أو مؤسّسات صناعية، مشتركة بين المسلمين وغيرهم، وقد تقتضى المصلحة غير ذلك. ومن هذا الباب حكم الإمام المغفور له المجدِّد السيد الشيرازى بتحريم التدخين ليمنع من تنفيذ الاتفاقية الاقتصادية التى عقدت فى زمانه بين إيران وإنجلترا؛ إذ كانت مُجحِفة بحقوق الشعب الإيرانى المسلم؛ لأنّها خوّلت لإنجلترا حقّ احتكار التنباك الإيرانى.

في مجال الدفاع عن حريم الإسلام:

الدفاع عن بيضة الإسلام وحفظ استقلاله وصيانة حدوده من الأعداء، قانون ثابت لا يتغيّر، فالمقصد الأسنى لمشرِّع الإسلام، إنّما هو صيانة سيادته عن خطر أعدائه وأضرارهم، ولأجل ذلك أوجب عليهم تحصيل قوّة ضاربة ضدّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۰

الأعداء، وإعداد جيش عارم جرّار تجاه الأعداء كما يقول سبحانه: وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا استَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ «۱»

فهذا هو الأصل الثابت في الإسلام الذي يؤيّده العقل والفطرة أمّا كيفية الدفاع وتكتيكه ونوع السلاح، أو لزوم الخدمة العسكرية وعدمه، فكلّها موكولة إلى مقتضيات الزمان، تتغيّر بتغيّره، ولكن في إطار القوانين العامة فليس هناك في الإسلام أصل ثابت، حتّى مسألة لزوم التجنيد العمومي، الذي أصبح من الأُمور الأصلية في غالب البلاد.

وما نرى في الكتب الفقهية من تبويب باب، أو وضع كتاب خاص، لأحكام السبق والرماية، وغيرها من أنواع الفروسية التي كانت متعارفة في الأزمنة الغابرة ونقل أحاديث في ذلك الباب عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمة الإسلام، فليست أحكامها أصلية ثابتة في الإسلام، دعا إليها الشارع بصورة أساسية ثابتة، بل كانت هي نوع تطبيق لذلك الحكم، والغرض منه تحصيل القوة الكافية، تجاهَ العدو في تلكم العصور، وأمّا الأحكام التي ينبغي أنْ تطبّق في العصر الحاضر فإنّه تفرضها مقتضيات العصر نفسه.

فعلى الحاكم الإسلامي تقوية جيشه وقواته المسلّحة بالطرق التي يقدر معها على صيانة الإسلام ومعتنقيه عن الخطر، ويصدّ كلّ مؤامرة عليه من جانب الأعداء حسب إمكانيات الوقت.

والمقنِّن الذي يتوخّى ثباتَ قانونه ودوامه وسيادة نظامه الذي جاء به، لا يجب عليه التعرّض إلى تفاصيل الأُمور وجزئيّاتها، بل الذي يجب عليه هو وضع الكليات والأُصول ليساير قانونه جميعَ الأزمنة بأشكالها وصورها المختلفة، ولو سلك غير هذا السبيل لصار حظّه من البقاء قليلًا جداً.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۱

في نشر العلم والمعارف والثقافة:

نشر العلم والثقافة، واستكمال المعارف التي تَضمنُ سيادةَ المجتمع ماديّاً ومعنويّاً، يعتبر من الفرائض الإسلامية، أمّا تحقيق ذلك وتعيين نوعه ونوع وسائله فلا يتحدّد بحدّ خاص، بل يوكل إلى نظر الحاكم الإسلامي واللجان المقررة لذلك من جانبه حسب الإمكانيات الراهنة في ضوء القوانين الثابتة.

وبالجملة: فقد ألزم الإسلام رُعاة المسلمين وولاة الأمر نشرَ العلم بين أبناء الإنسان، واجتثاث مادّة الجهل من بينهم، ومكافحة أيّ لون من الأُميّة، وأمّا نوع العلم وخصوصياته، فكلّ ذلك موكول إلى نظر الحاكم الإسلامي وهو أعلم بحوائج عصره.

فربّ علم لم يكن لازماً؛ لعدم الحاجة إليه في العصور السابقة، ولكنّه أصبح اليوم في الرعيل الأوّل من العلوم اللازمة التي فيها صلاح المجتمع كالاقتصاد والسياسة.

في مجال إقامة النظام:

حفظ النظام وتأمين السبل والطرق، وتنظيم الأُمور الداخلية ورفع مستوى الاقتصاد و... من الضرورات، فيتبع فيه وأمثاله مقتضيات الظروف، وليس فيه للإسلام حكم خاصّ يتّبع، بل الذي يتوخّاه الإسلام هو الوصول إلى هذه الغايات، وتحقيقها بالوسائل الممكنة، دون تحديد وتعيين لنوع هذه الوسائل، وإنّما ذلك متروك إلى إمكانيات الزمان الذي يعيش فيه البشر، وكلّها في ضوء القوانين العامّة.

في مجال المبادلات المالية:

قد جاء الإسلام بأصل ثابت في مجال الأموال وهو قوله سبحانه: ولا تَأْكُلُوا

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۷۲

أموالَکُمْ بَینَکُمْ بِالباطل «۱»

وقد فرّع الفقهاء علی هذا الأصل شرطاً فی صحّة عقد البیع أو المعاملة فقالوا: یشترط فی صحّة المعاملة وجود فائدة مشروعة، وإلّا فلا تصحّ المعاملة ومن هنا حرّموا بیع «الدم» وشراءه.

إلّا أنّ تحریم بیع الدم أو شراءه لیس حکماً ثابتاً فی الإسلام بل الحکم الثابت هو حرمة أکل المال بالباطل، وکانت حرمة الدم فی الزمان السابق صورة إجرائیة لما أفادته الآیة من حرمة أکل المال بالباطل ومصداقاً لها فی ذلک الزمان، فالحکم یدور مدار وجود الفائدة (التی تخرج المعاملة عن أن تکون أکلًا للمال بالباطل) وعدم تحقّق الفائدة، فلو ترتّبت فائدة معقولة علی بیع الدم أو شرائه فسوف یتبدّل حکم الحرمة إلی الحلّیة، والحکم الثابت هنا هو قوله تعالی: ولا تَأْکُلُوا أموالَکُمْ بَینَکُمْ بِالباطل.

وفی هذا المضمار ورد أنّ علیّاً علیه السلام سئل عن قول الرسول صلی الله علیه و آله: «غیّروا الشیب ولا تشبّهوا بالیهود؟» فقال: علیه السلام: «إنّما قال صلی الله علیه و آله ذلک والدِّینُ قَلّ، فأمّا الآن فقد اتّسع نطاقه، وضرب بِجرانِهِ «۲» فالمرء وما اختار» «۳»

.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۷۳

الشیعة والخاتمیّة

اشارة

الشیعة والخاتمیّة

اتّفقت الشیعة- قاطبة- تبعاً للکتاب والسنّة علی أنّ نبیّ الإسلام، هو النبیّ الخاتم، وکتابه خاتم الکتب، ورسالته خاتمة الرسالات، وقد أُوصِد برحیله باب الوحی، وأُقفل بموته باب التشریع؛ فلا وحی ولا تشریع بعد ذهابه، وقد وقفت علی کلام الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام عند تغسیل النبیّ صلی الله علیه و آله وتجهیزه فلا نعید «۱».

غیر أنّ هناک شبهات ضئیلة فی المقام تطرح من جانب أُناس لا عرفان لهم بمذهب الشیعة ولا تعرّفَ لهم علیه من کتب، وقد تلقّوها من المستشرقین أو من البعداء عن البیئات الشیعیة.

وهذه الأسئلة تجمعها الأُمور التالیة.

۱- کیف تقولون بالخاتمیة وإیصاد باب الوحی والتشریع وأنتم تعملون بکتاب علیّ علیه السلام؟

۲- کیف تقولون بذلک، وعندکم مصحف باسم مصحف فاطمة؟ وهل کان عند بنت المصطفی صلی الله علیه و آله قرآن غیر القرآن الموجود عند المسلمین؟

۳- کیف تقولون ذلک وأنتم تعتمدون علی روایات مرویة عن الأئمة الاثنی عشر بصورة موقوفة غیر متّصلة إلی النبیّ الأکرم؟ وهل الأئمة الاثنا عشر ممّن یوحی إلیهم؟

إنّ هذه الأسئلة ربّما تنطلی علی الجاهل غیر العارف بمعتقدات الشیعة فیرمیهم بما هم براء منه، ولأجل رفع الغطاء نأخذ کلَّ واحد بالدراسة بوجه موجز.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۵۷۴

کتاب علیّ وإملاء رسول اللّه

كتاب عليّ وإملاء رسول اللَّه:

إنّ السؤال الأوّل يرجع إلى كتاب عليّ وماهيّته؟ وهل هو أحاديث رسول اللَّه صلى الله عليه و آله التى دوّنها الإمام دون غيره؟ وإليك التفصيل:

كانت لمدرسة أئمة أهل البيت عناية خاصة بضبط وتدوين كلّ ما أُثِر عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله من قول وفعل؛ لأنّه صلى الله عليه و آله لا يصدر فى مجال التشريع والتعليم إلّاعن الوحى قال سبحانه: ومايَنطِقُ عنِ الهَوى* إن هوَ إلّاوَحيٌ يُوحى «۱»

وكان صلى الله عليه و آله على علم قاطع بأنّه سوف ينتقل إلى بارئه، وأنّ الأُمّة الإسلامية سوف تحتاج إلى كلماته وأقواله، وأفعاله وأعماله ولا تبقى خالدة إلّابالضبط والتدوين.

إنّ الإمام عليّ بن أبى طالب عليه السلام كان وليدَ البيت النبوىّ وكان مع الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول اللَّه عن الدنيا، وهو عليه السلام يصف حياته فى صباه وما بعده ويقول: «ولقد كنتُ أتّبعُه (يعنى: رسول اللَّه) اتِّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفعُ لى فى كلّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كلّ سنة بِحِراءَ فأراه ولا يراه غيرى. ولم يجتمع بيت واحد يومئذٍ فى الإسلام غير رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة» «۲»

.

كان ربيبه عليّ عليه السلام يلازمه ليلًا ونهاراً، سفراً وحضراً، فى موطِنه ومهجَره، لم يفارقه فى غزوة إلّاغزوة تبوك، وقد أقامه رسول اللَّه مقامه فى المدينة ليكون عيناً للمسلمين على المنافقين، وصاعقة على المتمرّدين إذا حاولوا المؤامرة، أو إيذاء من بقى من المسلمين من الشيوخ والأطفال، إلى أن دخل العام الحادى عشر للهجرة وقد قرب أجله وارتحاله صلى الله عليه و آله ومرض وكان عليّ هو الممرّض له، وقُبض ورأسه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۵

لَعلى صدره عليه السلام.

إنّ علياً عليه السلام يشرح ذلك الموقف ويقول: «ولقد قُبِضَ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإنّ رأسه لَعَلى صدرى- إلى أن يقول- ولقد ولّيتُ غسلَه صلى الله عليه و آله والملائكة أعوانى، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط، وملأ يعرُج وما فارقَتْ سمعى هينمة «۱» منهم، يصلّون عليه. حتّى واريناه فى ضريحه. فَمَن ذَا أحقُّ به منّى حيّاً وميِّتاً؟» «۲»

.

كلّ ذلك يعرف عن لواذ الإمام واختصاصه بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله والتجائه إليه.

وقد اختصّ الإمام بهذا المقام من بين الصحابة ولم يشاركه غيره، وبذلك صار باب علم النبيّ «۳» والحاكم الروحى على الإطلاق حتّى عصر الخلفاء ولا يشكّ فى ذلك من فتح عينيه على سيرة الخلفاء وتاريخ المسلمين.

ولمثل هذا النوع من التلاحم يصف عليّ عليه السلام حاله مع النبيّ ويقول: «إنّى إذا كنت سألته أنبأنى، وإذا سكتُّ ابتدأنى» «۴»

.

كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يأمر عليّاً عليه السلام أن يكتب كلّ ما يملى عليه، فقال عليه السلام مرّة لرسول اللَّه:

«يا نبىّ اللَّه أتخاف علىَّ النسيان؟» قال: «لستُ أخاف عليك النسيان، وقد دعوت اللَّه أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك» قال «قلت: ومن شركائى يا نبيّ اللَّه؟» قال: «الأئمة من ولدك» «۵»

.

وكان من جملة ما أملاه عليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وكتب عليّ عليه السلام بخطّه، كتاب طوله

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۶

سبعون ذراعاً فى عرض الأديم، وهذا هو المعروف بكتاب عليٍّ أو صحيفته، اشتهر أمره بين الشيعة وأئمتهم، وفيها ما يحتاج إليه الناس فى مجال الأحكام إلى يوم القيامة، وكانت الأئمة بعد الإمام يصدرون عنه ويروُونَ عنه، ويستشهدون فى مواقع خاصّة به، وليس كتابه سوى أحاديث أملاها النبيّ، وكَتبها الوصيّ وورثها أبناؤه كابر عن كابر، ونقلوا عنه شيئاً كثيراً، وبذلك صار الإمام هو المدوِّن الرسمى للحديث النبوىّ، وإن كان بعض الصحابة «۱» شاركه فى ضبط الحديث النبوى، لكن صحائفهم وكتبهم أُحرقت- ويا للأسف- فى عصر الخلفاء لمصالح هم أعرف بها، وبذلك خسر المسلمون والسنّة النبوية خسارة كبرى لاتستقال، وبالتالى صار الحديث النبوى مرتعاً لوضع الوضّاعين والكذّابين يلصقون به ما شاءوا من الإسرائليات والمسيحيات والمجوسيات، لكن بقى كتاب الإمام غضّاً طريّاً مصوناً من الشرّ، يرثه إمام بعد إمام.

ولأجل إيقاف القارئ على واقع الأمر، نذكر مواصفات الكتاب وميزاته، وشيئاً من نصوصه، حتّى يتبيّن أنّ كتاب علىّ عليه السلام لم يكن إلّاجامعاً حديثياً، وكان تدويناً مبكراً للسنّة النبوية المطهرة:

أ- روى: بكر بن كرب الصيرفى قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: «إنّ عندنا ما لا ـ نحتاج معه إلى الناس، وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاباً إملاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وخطّ علىّ عليه السلام، صحيفة فيها كلّ حلال وحرام» «۲»

.

ب- روى فضيل بن يسار قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام: «يا فضيل! عندنا كتاب علىّ سبعون ذراعاً، ما على الأرض شيء يحتاج إليه إلّاوهو فيه حتّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۷

أرش الخدش» «۱»

.

ج- روى أبو بصير- فى حديث- عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «يا أبا محمّـد! وإنّ عندنا الجامعة، وما يُدريهم ما الجامعة؟» قال قلتُ: جعلتُ فداك، وما الجامعة؟

قال: «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإملائه من فِلق فيه، وخطّ علىّ عليه السلام بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرش فى الخدش» «۲»

.

د- روى أيضاً عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: سمعته يقول- وذكر ابنَ شبرمة- «أين هو من الجامعة؛ إملاء رسول اللَّه وخطّه علىّ بيده، فيها جميع الحلال والحرام حتّى أرش الخدش» «۳»

.

إلى غير ذلك من الروايات الحاكية لخصوصيات الكتاب وميزاته الذى رواه أصحاب المعاجم من محدّثى الشيعة، فتسمية أئمة أهل البيت تارة بكتاب علىّ، وأُخرى بالجامعة، وثالثة بصحيفة علىّ، والكتاب، يعرب عن عناية الإمام بضبطأحاديث الرسول صلى الله عليه و آله، كما يعرب عن عناية سيّد الثقلين، بكتابة حديثه، ليبقى على مرّ العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والدسُّ.

وفى العصر الذى كان الناس يروون عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: لا تكتبوا عنّى!! ومن كتب عنّى غير القرآن فليمحه «۴» وإنّ فريقاً من الصحابة استأذنوا النبيّ صلى الله عليه و آله أن يكتبوا عنه فلم يأذنهم «۵»!

وفى العصر الذى كانت مدرسة الخلفاء تروّج تقليل الرواية عن الرسول،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۸

وكلّما يبعث الخليفة عمر بن الخطاب والياً إلى قطرٍ أو بلدٍ يوصيه فى جملة ما يوصيه بقوله: «جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن محمّد وأنا شريككم!!» «۱» وربّما يعيب إفشاء الحديث عنه صلى الله عليه و آله ويقول مخاطباً لأبى ذر، وعبد اللَّه بن مسعود، وأبى الدرداء «وما هذا الحديث الذى تفشون عن محمد؟» «۲».

ففى تلك العصور الحرجة، نرى أئمة أهل البيت يحتفظون بكتاب علىّ، ويعتمدون عليه فى نقل الحلال والحرام، وبه يردّون ما كان يصدر من الفتيا الشاذّة عن الكتاب والسنّة ولا يقيمون للمنع عن الكتابة والرواية وزناً ولا قيمة، ولنذكر نماذج من روايات كتاب علىّ ليعلم موقفه من صيانة السنّة من الضياع:

۱- روى أبو بصير عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها أبو جعفر عليه السلام فإذا فيها: «المرأة تموت وتترك زوجها ليس لها وارث غيره قال: فله المال كلّه» «۳»

.

۲- روى أبو بصير المرادى قال: سألت أبا عبد اللَّه عن شىء من الفرائض، فقال: «ألا أُخرِج لك كتاب علىّ عليه السلام»- إلى أن قال:- فأخرجه فإذا كتاب جليل وإذا فيه: «رجل مات وترك عمّه وخاله فقال: للعمّ الثلثان، وللخال الثلث» «۴»

.

۳- روى عبد الملك بن أعين قال: دعا أبو جعفر بكتاب علىّ فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطويّاً، فإذا فيه: «إنّ النساء ليس لهنّ من عقار الرجل- إذا هو توفّى عنها- شىءٌ فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا واللَّه خطّ علىّ بيده، وإملاء رسول اللَّه» «۵»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۷۹

۴- روى محمّد بن مسلم الثقفى: قال: أقرأنى أبو جعفر كتاب الفرائض التى هى إملاء رسول اللَّه وخطّ على فإذا فيها: «إنّ السهام لا تعول» «۱»

.

۵- روى عذافر الصيرفى قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبى جعفر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر عليه السلام له مكرماً، فاختلفا فى شىء، فقال أبو جعفر:

«يا بُنىّ قُم فأخرِج كتابَ علىّ» فأخرج كتاباً مدرّجاً عظيماً وفتحه وجعل ينظر حتّى أخرج المسألة فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذا خطّ علىّ عليه السلام، وإملاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله» «۲»

.

وهذه الروايات تكشف عن أنّ كتاب الفرائض الذى ذكر لعلىّ عليه السلام كان جزءاً من كتابه الكبير.

۶- روى ابن بكير قال: سأل زرارة أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الصلاة فى الثعالب والسنجاب وغيره من الوبر فأخرج كتاباً زعم أنّه إملاء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إنّ الصلاة فى وبر كلّ شىء حرام أكله فالصلاة فى وبره وشعره وجلده وبوله وروثه وألبانه وكلّ شىء منه فاسدة، لا تقبل تلك الصلاة حتّى تصلّى فى غيره ممّا أحل اللَّه أكله» ثمّ قال: «يا زرارة هذا عن رسول اللَّه» «۳»

.

وقد اقتصرنا على هذا المقدار ليعلم أنّ الكتاب أقدم جامع حديثى، أملاه النبىّ وكتبه الإمام علىّ، وكان الكتاب موجوداً بين أئمة أهل البيت يرثه كابر عن كابر، يصدرون عنه فى الإفتاء وشاهده غير واحد من أصحابهم، والكتاب وإن لم يكن موجوداً بشخصه بيننا، لكن روى أصحاب الجوامع الحديثية كالكلينى، والصدوق والطوسى قسماً كبيراً منه، وفرّقوا أحاديثه على أبواب كتبهم على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۰

الترتيب المألوف، وقد جمعها العلّامة الحجّة الشيخ على الأحمدى فى موسوعته «مكاتيب الرسول» «۱».

نعم بقى هنا سؤال:

هل هذا الكتاب، نفس الصحيفة التى كانت فى قراب سيفه أو غيره؟

الجواب: قد ذكر غير واحد من المحدّثين انّه كانت لعلىّ فى قراب سيفه صحيفة، لكن الخصوصيات التى ذكرت للكتاب فى الروايات تدلّ مائة بالمائة على أنّه غير الصحيفة التى كان يجعلها فى قراب سيفه، وكيف وقراب السيف لا يسع إلّا صحائف صغار، مهما لفَّت وأُدرِجت فأين هى من المواصفات التى وقفت عليها من أنّه كتاب طوله سبعون ذراعاً، أو طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم، أو مثل فخذ الفالج «۲» أو أخرج أبو جعفر كتاباً مدرّجاً عظيماً، أو كتاباً جليلًا أو هو مثل فخذ الرجل مطوياً، إلى غير ذلك ممّا مرّ ذكرها.

نعم روى أبو جحيفة، قال: سألت علياً رضى الله عنه: هل كان عندكم من النبىّ صلى الله عليه و آله شىء سوى القرآن؟ قال: «والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة، إلّاأن يوتى اللَّه عبداً فهماً فى القرآن، وما فى الصحيفة»، قلت: وما الصحيفة؟ قال: «العقل وفِكاك الأسير، ولايقتل مؤمن بكافر» «۳».

إنّ هذه الرواية مهما صحّت ونقلها أئمة الحديث، لا تقابل ما نقلناه عن أئمة أهل البيت حول كتاب علىّ، ومواصفاته، ومشاهدة جمّ غفير لهذا الكتاب، وقد نقلنا النزر اليسير من الكثير، وهذا الحديث وما شابهه فى التعبير وضع لنفى ما عند علىّ من ودائع النبوة وعلوم النبىّ صلى الله عليه و آله، والذى يعرب عن ذلك، الإصرار على أنّه ليس

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۱

عند علىّ سوى كتاب اللَّه أو الصحيفة الموجودة فى قراب سيفه، فقد رووها بالعبارات التالية:

أ- «ما كتبنا عن النبىّ إلّاالقرآن وما فى هذه الصحيفة».

ب- «من زعم أنّ عندنا شيئاً نقرأه إلّاكتاب اللَّه أو هذه الصحيفة فقد كذب».

ج- «ما خصّنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بشىء لم يخصّ به الناس إلّاما فى قراب سيفى هذا».

د- «ما عهد إلىَّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله شيئاً خاصّاً دون الناس إلّاشىء سمعته، وهو فى صحيفة قراب سيفى...» «۱»

.

إلى غير ذلك من التعابير الهادفة إلى نفى علمه بشىء إلّابالكتاب والصحيفة الصغيرة.

نحن نغضّ الطرف عمّا ذكرنا، فلو صحّ ما فى هذه الرواية، فما معنى قوله صلى الله عليه و آله لعلىّ: «أنا مدينة العلم وعلىّ بابها»؟ وقد نقله كثير من الحفاظ والمحدّثين، فهذا شمس الدين المالكى يذكره فى شعره بقوله:

وقال رسول اللَّه إنّى مدينة من العلم وهو الباب والبابَ فاقصدِ وقد رواه من الحفاظ والأئمة ما يناهز مائة وثلاثة وأربعين شخصاً «۲»

وقد ذكروا حول الحديث كلمات تعرب عن مفاد الحديث.

قال الحافظ أبو عبد اللَّه محمد بن يوسف الكنجى الشافعى (ت ۶۵۸ ه): قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل علىّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارته،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۲

وحدّة فهمه، ووفور حكمته، وحسن قضاياه، وصحّة فتواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه فى الأحكام ويأخذون بقوله فى النقض والإبرام، اعترافاً منهم بعلمه، ووفور فضله، وبرصانة عقله، وصحّة حكمه، وليس هذا الحديث فى حقّه بكثير؛ لأنّ رتبته عند اللَّه وعند رسوله وعند المؤمنين أجلّ وأعلى من ذلك «۱».

وقال فضل بن روزبهان فى ضمن ردّه على حجاج العلّامة بأعلمية أمير المؤمنين بحديثى: «أقضاكم علىّ»، و «أنا مدينة العلم»، من طريق الترمذى، قال ما هذا نصّه: وأمّا ما ذكره المصنّف من علم علىّ فلا شكّ فى أنّه من علماء الأُمّة، والناس محتاجون إليه فيه، وكيف لا؛

وهو وصيّ النبيّ فى إبلاغ العلم وودائع حقائق المعارف؟ فلا نزاع لأحد فيه، وما ذكره من صحيح الترمذى صحيح «۲».

وقال المناوى فى فيض القدير تفسيراً لقوله صلى الله عليه و آله: «عليّ عيبة علمى»: أى مظنّة استفصاحى وخاصّتى وموضع سرّى، ومعدن نفائسى. والعيبة: ما يحرز الرجل فيه نفائسه قال ابن دريد: وهذا من كلامه الموجز الذى لم يسبق ضرب المثل بشىء أراده اختصاصه بأُموره الباطنة التى لا يطّلع عليها أحد غيره، وذلك غاية فى مدح عليّ «۳».

وأخرج الطبرانى عن ابن عبّاس أنّه قال: كنّا نتحدّث معاشر أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله عهد إلى عليّ سبعين، لم يعهدها إلى غيره «۴».

ورواه القندوزى فى ينابيعه ثمانين عهداً مكان سبعين «۵».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۳

فقد خرجنا بالنتائج التالية:

۱- إنّ كتاب عليّ من إملاء رسول اللّه وخطّ عليّ.

۲- إن الكتاب أوّل جامع حديثيّ قام بكتابته عليّ عليه السلام لتدوين السنّة وصيانتها من الضياع.

۳- كانت فى قرابة سيف عليّ عليه السلام صحيفة، ولكن لم تكن هى الشىء الوحيد عند عليّ، وإنّ كتاب عليّ- حسب ما مرّ من المواصفات- غير تلك الصحيفة.

۴- إذا كان عليّ هو باب علم النبيّ، والحاكم الروحيّ فى عصر الخلفاء وما بعده؛ فيلزم أن يكون عنده ودائع النبوّة، وجميع ماتحتاج إليه الأُمّة فى مجال الأحكام.

مصحف فاطمة

مصحف فاطمة:

لا شكّ أنّه كان عند فاطمة مصحف، حسبما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصّاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاصّ، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

المصحف: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف، وإنّما سمى المصحف مصحفاً؛ لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين. ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن فى عصر نزوله، وإنّما صار علماً له بعد رحيل رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال السيوطى: روى ابن أشتة فى كتاب المصاحف أنّه لمّا جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف؛ فانّ الحبشة يسمّونه المصحف قال: وكان أبو بكر أوّل من جمع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۴

كتاب اللّه وسمّاه المصحف «۱».

وأمّا ما هو واقع هذا الكتاب؟ فقد كشفت عنه الروايات المتضافرة عن أئمة أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلّامة الشيخ مصطفى قصير العاملى فى دراسته كتاب عليّ ومصحف فاطمة.

وإليك بعضها:

۱- روى أبو عبيدة عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: «... إنّ فاطمة مكثت بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله خمسة وسبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذرّيتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة» «۲».

۲- روى أبو حمزة عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: «مصحف فاطمة مافيه شىء من كتاب اللّه، وإنّما هو شىء أُلقى إليها بعد موت

أبيها صلوات اللّه عليهما» «۳».

والعجب أنّ الدسّ الإعلامى قد اتّخذ لفظ «مصحف فاطمة» ذريعة لاتّهام الشيعة بأنّ عندهم قرآناً يسمى «مصحف فاطمة»، وقد سعى غير واحد من دعاة التفرقة إلى نشر تلك الفكرة الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم؛ فإنّ للحقّ دولة، وللباطل جولة.

ولعلّ القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمة محدَّثة تحدّثها الملائكة، كما ورد فى الرواية السابقة، غير أنّ فاطمة عليها السلام لا تقلّ شأناً عن مريم البتول، ولا عن امرأة الخليل، قال سبحانه: وإذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللّهَ اصطَفاكِ وطَهَّركِ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۵

واصطَفاكِ على نساءِ العالَمين «۱»

إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى سورتى آل عمران، ومريم.

وهذه امرأة إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: ولَقدْ جاءتْ رُسلُنا إبراهيمَ بالبُشرى.. وامرأتُهُ قائمةٌ فضَحِكَتْ فَبشَّرناها بإسحقَ ومن وراءِ إسحقَ يَعقوب* قالَتْ يا ويلتَى أألِدُ وأنا عَجوزٌ وهذا بَعْلى شَيخاً إنّ هذا لَشىءٌ عَجيب* قالُوا أتَعجَبينَ مِنْ أمرِ اللّهِ رحمتُ اللّهِ وبركاتُهُ عَليكُمْ أهلَ البَيتِ إنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ «۲»

.

فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدّثين، ففاطمة سيدة نساء العالمين أولى بأن تكون محدّثة.

ما هو مصدر روايات أئمّة أهل البيت

ما هو مصدر روايات أئمّة أهل البيت؟

هذا هو السؤال الثالث من الأسئلة الثلاثة المطروحة حول الخاتمية لدى الشيعة فنقول:

إنّ لعلوم أئمة أهل البيت مصادر مختلفة، ونشير إلى أُصولها تاركين البحث فى فروعها:

۱- النقل عن آبائهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله

إنّهم عليهم السلام كثيراً ما يروون الحديث عن آبائهم عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله معنعناً، من دون أن يتوسّط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.

فمثلًا لمّا ترك علىّ بن موسى الرضا نيسابور عازماً إلى مرو، اجتمعت حوله مجموعة كبيرة من المحدّثين وطلبوا منه أن يحدّثهم بحديث عن جدّه صلى الله عليه و آله، فقال:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۶

«حدّثنى أبى موسى بن جعفر، قال: حدّثنى أبى جعفر الصادق، قال: حدّثنى أبى أبو جعفر الباقر، قال: حدّثنى أبى علىّ بن الحسين، قال: حدّثنى أبى الحسين بن علىّ، قال: حدّثنى أبى علىّ بن أبى طالب، قال: حدّثنى رسول اللّه عن جبرئيل عليه السلام عن اللّه قال: لا إله إلّااللّه حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى» «۱»

.

إنّ هذا النوع من الأحاديث متوفّر فى الجوامع الحديثية للشيعة؛ فلو قام باحث بجمع هذا النوع الذى يروى فيه كابر عن كابر والإمام بعد الإمام لبلغ موسوعة كبيرة.

وهذا هو هشام بن سلمان، وحمّاد بن عثمان، وغيرهما من أصحاب الإمام الصادق، قالوا: سمعنا أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وحديث رسول اللّه قول اللّه عزوجل «۲».

۲- النقل عن كتاب عليّ

إنّ أئمـة أهل البيت كانوا يسـتندون إلى كتاب عليّ ويحتجّون به، فكان الكتاب أحـد مصادر علومهم التى يصـدرون عنها، وقد وقفت على قسم قليل منها فيما تقدّم.

۳- الإلهام أو تحديث الملائكة

إنّ أئمة أهل البيت حسب النصوص محدّثون؛ تحدّثهم الملائكة، كما كانت

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۷

تحدّث مريم البتول وامرأة الخليل، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيبون عن الأسئلة فالكلّ ممّا كان يلقى فى روعهم.

وهـذا النوع من المصـدر وإن كـان ثقيلًا على من لم يعرف مقاماتهم، إلّاأنّه صـحيح لمن درس حياتهم، ووقف على أحوالهم. ولأجل إيقاف القارئ على أنّ (المحدَّث) أمر ممّا اتّفق عليه الأعلام نبحث عنه على وجه الإيجاز:

المُحَدّث فى الإسلام:

المُحَدّث فى الإسلام:

المحدَّث- بصـيغة المفعول-: مَن تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويلقى فى روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو ينكت له فى قلبه من حقائق تخفى على غيره.

المحدّث بهذا المعنى ممن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنّة، ولو كان هناك خلاف فإنّما هو فى مصداقه.

وقبل ذلك نجد المحدّث فى الأُمم السالفة؛ فهذا صاحب موسـى كان محدّثاً، فقد أخبره عن مصـير السفينة والغلام والجدار على وجه جاء فى سورة الكهف «۱» فهو لم يكن نبيّاً، ولكنّه كان عارفاً بما سيحدث، وقد عرفه بإحدى الطرق المذكورة.

وهذه مريم البتول، كانت الملائكة تكلّمها وتحدّثها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

وإذْ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللَّهَ اصطَفاكِ وطَهَّركِ واصطَفاكِ على نساءِ العالَمين «۲»

.

وقال سبحانه: إذ قالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنّ اللَّهَ يبشِّرُكِ بِكَلِمةٍ منهُ اسمُهُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۸

المسيحُ عِيسى ابنُ مريمَ وَجيهاً فى الدُّنيا والآخرةِ ومِنَ المُقرَّبينَ «۱»

.

وهذه أُمّ موسى يلقى فى روعها ويوحى إليها ولم تكن نبيّة، قال سبحانه:

وأوحينا إلى أُمّ موسى أنْ أرضِعيهِ فإذا خِفتِ عَليهِ فَألقيهِ فى اليَمِّ ولا تخافى ولاتَحزنى إنّا رادُّوهُ إلَيكِ وجاعِلوهُ مِنَ المُرسَلين «۲»

.

وأمّا السـنّة النبويـة ففيها تصـريح بأنّ فى الأُمّـة الإسـلامية- نظير الأُمم السالفـة- رجالًا يكلّمون من دون أن يكونوا أنبياء؛ وإليك بعض هذه النصوص:

۱- أخرج البخارى فى صـحيحه عن أبى هريرة قال: قال النبىّ: «لقـد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسـرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أُمّتى منهم أحد فعمر بن الخطاب» «۳»

.

۲- أخرج البخارى عن أبى هريرة مرفوعاً «أنّه قـد كان فيما مضـى قبلكم من الأُمم محـدّثون، إن كان فى أُمّتى هـذه منهم فإنّه عمر بن

الخطاب» «۴»

.

قال القسطلانى فى شرح الحديث: يجرى على ألسنتهم الصواب من غير نبوّة.

وقال الخطّابى: يلقى الشىء فى روعه فكأنّه قد حُدّث به، يظنّ فيصيب، ويخطر الشىء بباله فيكون. وهى منزلة رفيعة من منازل الأولياء «۵».

۳- أخرج مسلم فى صحيحه عن عائشة عن النبىّ صلى الله عليه و آله: «قد كان فى الأُمم قبلكم مُحدّثون فإن يكن فى أُمّتى منهم أحد فإنّ عمر بن الخطّاب منهم»، قال ابن وهب: تفسير «محدّثون» ملهَمون.

قال النووى فى شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء فى تفسير المراد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۸۹

ب «محدَّثون» فقال ابن وهب: ملهَمون، وقيل: مصيبون إذا ظنّوا، فكأنّهم حدّثوا بشىء فظنّوه، وقيل تكلّمهم الملائكة، وجاء فى رواية «مكلَّمون» وقال البخارى:

يجرى الصواب على ألسنتهم، وفيه كرامات الأولياء «۱». ومن راجع شروح الصحيحين يجد نظير هذه الكلمات بوفرة؛ والرأى السائد فى تفسير المحدّث هو تكليم الملائكة أو الإلقاء فى الروع. هذا ما لدى السنّة.

روايات الشيعة حول المحدَّث

وأمّا الشيعة، فعندهم أخبار عن أئمتهم تصرّح بأنّهم محدّثون وفى الوقت نفسه ليسوا بأنبياء، فقد روى الكلينى فى باب الفرق بين الرسول والنبىّ والمحدّث أحاديث أربعة:

قال: «المحدّث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة». وفى رواية أُخرى:

سألته عن الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك».

إلى غير ذلك من الروايات المصرّحة بأنّ الأئمة الاثنى عشر محدَّثون «۲».

روى الصفّار فى بصائر الدرجات عن بريد: قلت لأبى جعفر وأبى عبد اللَّه عليهما السلام: ما منزلتكم بمن تُشَبَّهون ممّن مضى؟ فقال: «كصاحب موسى وذى القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين» «۳»

.

هذا ما لدى الفريقين. وبذلك يُعْلَم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من اللَّه سبحانه لايلازم كون المخبر نبياً، وأنّ تَكَلُّم الملائكة مع إنسان لا يصلح دليلًا على كونه مبعوثاً من اللَّه سبحانه للنبوّة.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۰

ولو اعتمدت الشيعة على علم الأئمة فلكونهم وارثين لعلم النبىّ، ووارثين لما عند علىّ من الكتب التى كتبها بإملاء من رسول اللَّه، أو محدَّثين تلقى فى روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدلّ على أنّهم أنبياء، ومن نسبهم إلى تلك الفرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم، فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرّق بين النبوّة والرسالة والتحدّث.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۱

الفصل الخامس

رؤية اللّه

اشارة

رؤية اللّه

فى ضوء

الكتاب والسنّة والعقل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۲

قال اللّه تعالى:

لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام/ ١٠٣

وقال تعالى وتقدّس:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلكِنِ أُنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. الأعراف/ ١۴٣

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۳

سمات العقيدة الإسلاميّة

سمات العقيدة الإسلاميّة

اشارة

سمات العقيدة الإسلاميّة

إنّ للعقيدة الإسلاميّة سمات نذكر منها ما يأتى:

١- سهولة العقيدة:

١- سهولة العقيدة:

للعقيدة الإسلامية صفات متعدّدة، منها: سهولة فهمها وتعلّمها؛ لأنّها عقيدة شاملة لا تختص بالفلاسفة والمتكلّمين والمفكّرين، إلّاأنّ ذلك لا يعنى سذاجتها وابتذالها وعدم خضوعها للبراهين العقلية، بل يعنى أنّها فى متانتها ورصانتها وخضوعها للبراهين والأدلّة، بعيدة عن الألغاز والإبهامات، فلو فُسّرت وبُيّنت لفهمها عامّة الناس حسب مستوياتهم، فهى بهذه الصفة تخالف ما تتبنّاه نصرانية اليوم والأمس، التى أحاطت بها إبهامات فى العقيدة وألغاز فى الدين، بحيث لم يتيسّر لأحد حتّى الآن حلُّ مشاكلها وألغازها، فالمسلم مثلًا إذا سئل عن عقيدته فى التوحيد، وعن صفات اللّه تعالى يقول: هُوَ اللَّهُ أَحد* اللَّهُ الصَمَد* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۴

كُفُواً أَحَدٌ «١»

.

وقد جاء فى الأثر أنّ جماعة من أهل الكتاب سألوا النبىّ صلى الله عليه و آله وقالوا: انسب لنا ربّك، فنزلت سورة التوحيد «٢».

فالعقيدة الإسلامية فى هذا المجال واضحة المفاهيم، جليّة المعالم، لا يكسوها إبهام ولا يسترها لغز، فيخرج المسلم فى مقام الوصف وتبيين العقيدة مرفوع الرأس، فللعقيدة براهينها الواضحة التى يمكن أن يقف عليها كل من درسها.

وأمّا لو سُئل النصرانى عن ذلك، فإنه يتلعثم فى بيان عقيدته، فتارةً يقول: إنّه واحد وفى الوقت نفسه ثلاثة، ثمّ يضيف أنه لا منافاة بين

كون الشيء واحداً وكثيراً.

ومن المعلوم أنّ هـذه العقيدة بهذا الإبهام والإجمال لا تقبلها الطباع السليمة؛ إذ كيف تُذْعِن بأنه سبحانه واحد لا نظير له ولا مثيل ولا نـدّ، ولكنه مع ذلك له أنـداد ثلاثة وأمثال متعدّدة، فهذه العقيدة يناقض أوّلها آخرَها ويردّ آخرُها أوّلها، فهو سبحانه إمّا واحد لا نظير له وإمّا كثير له أمثال.

وقِس على ذلك سائر المواضيع في العقيدة الإسلامية وقابِلْها مع ما تقول سائر الشرائع فيها، ترى تلك الصفة بنفسها في العقيدة الإسلامية، ونقيضها في غيرها.

إنّ من العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الإسلام في مختلف الحضارات وتغلغله بين الأوساط، اتّصافه بسهولة العقيدة ويُسر التكليف.

يقول الأُستاذ الشيخ محمّد محمّد المدني:

يقول اللّه عزّ وجلّ في حثّ العباد على التفكّر في خلقه وآثاره وما له من تصريف وتدبير: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ «۱»، قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ «۲»، فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ «۳»، أُنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ «۴»، فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا «۵»، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا «۶»، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ «۷»

.

ويقول اللّه عزّ وجلّ في وصف نفسه وإعلام المخلوقين بأنّه فوق ما يعقلون أو يدركون: وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ «۸»، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «۹»، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «۱۰»، وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ* بَدِيعُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ* لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۱۱»

.

فالقرآن الكريم لم يأت لنا أبداً بشيء يُفصِحُ عن ذات اللّه تعالى من حيث الحقيقة والكُنْه، وإنّما هو يُلفِتُ دائماً إلى آثار اللّه في الخلق والتصريف «۱».

۲- الإذعان في العقيدة والتعبّد في الأحكام

۲- الإذعان في العقيدة والتعبّد في الأحكام

وهناك أمرٌ ثانٍ نلفت إليه نظر القارئ، وهو الفرق الواضح بين العقيدة والأحكام الشرعية العملية؛ فإنّ المطلوب في الأُولى هو الاعتقاد الجازم، ومن المعلوم أنّ الإذعان بشيء متوقّف على ثبوت مقدّمات بديهية أو نظرية منتهية إليه حتّى يستتبعها اليقين والإذعان، وهذا بخلاف الأحكام الشرعية؛ فإنّ المطلوب فيها هو العمل وتطبيقها في مجالات الحياة، ولا تتوقّف على القطع بصدورها عن الشارع، وهذا الفرق بين العقائد والأحكام يجرّنا إلى التأكّد من صحّة الدليل وإتقانه أو ضعفه وبطلانه في مجال العقائد أكثر من الأحكام، ولذلك نرى أئمة الفقه يعملون بأخبار الآحاد في مجال الأحكام والفروع العملية ولا يشترطون إفادتها القطعَ أو اليقينَ، وهذا بخلاف العقائد التي يُفترض فيها اطمئنان القلب ورسوخ الفكرة في القلب والنفس، فيرفضون خبر الآحاد في ذلك المجال ويشترطون تواتر

النص أو استفاضته إلى حدٍّ يورث العلم.

۳- خضوعها للبرهان العقلى

۳- خضوعها للبرهان العقلى

وهناك أمر ثالث وراء هذين الأمرين، وهو أنه لا يمكن لأىّ باحث إسلامى أن يرفض العقل ويكتفى بالنص إذا أراد أن يعتمد الأُسلوب العلمى فى مجال

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۷

العقيدة؛ لأنّ الأخذ بالنصّ متوقّف على ثبوت أُصول موضوعية مسبقة تتبنّى نبوّة الرسول الأكرم وحجيّة قوله، فما لم يثبت أنّ للعالم صانعاً حكيماً، قد بعث الأنبياء والرسل بالمعجزات والبيّنات لهداية الناس، لا تثبت نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وحجيّة كلامه فى مجال العقيدة، ولا يمكن أن نعتمد على النصوص وسنّة الرسول فى إثبات الصانع ونبوّة رسوله.

وهذا هو الذى يفرض علينا أن نستجيب للعقل، باعتباره العمود الفقرى للعقائد الّتى يبنى عليها صرح النبوّة المحمديّة صلى الله عليه و آله، ولذلك نرى أنّ الكتاب العزيز يثبت هذا الأصل من الأُصول بدلالة العقل وإرشاده، فيستدلّ على أُصول التوحيد بمنطق العقل، ويتكلّم باسم العقل ويقول: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ «۱»

، فيستدل على توحيده ونفى الآلهة المتعدّدة بقضية شرطية؛ وهى ترتّب الفساد فى حالة تعدّد الآلهة.

ويقول سبحانه: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ «۲»

.

ويقول سبحانه: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا «۳»

.

فالآيات الثلاث على اختلافها فى الإجمال والتفصيل تستبطن برهاناً مشرقاً خالداً على جبين الدهر.

ويقول سبحانه: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ «۴»

فيعتمد على

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۸

الفطرة فى إبطال وجود الممكن وتحقّقه بلا علّة وصانع.

كما نرى أتقن البراهين وأوضحها فى إبطال ربوبيّة الأجرام السماوية من خلال محاجّة إبراهيم الخليل عليه السلام مع عبدتها، فيستدلّ بالأُفول على بطلان ربوبيتها ضمن آيات، قال سبحانه: وَكَذلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۱»

.

فقد بلغ الخليل النهاية فى مجال المعرفة على وجهٍ رأى ملكوت السماوات والأرض، فأراه سبحانه ملكوتهما، أى كونهما قائمين باللّه سبحانه، وما ذلك إلّا ليكون موقناً ومذعناً لأُصول التوحيد، وما أراه ملكوت السماوات والأرض إلّا بإلهامه البرهانَ الدامغ الّذى أثبت به بطلان ربوبيّة الكوكب والقمر والشمس، وانتهى فى آخره إلى أنّه لا إله إلّاهو، وقال بعد ذكر البراهين: وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ

السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ «۲»

.

فهـذه الآيـات ونظائرها تكشف عن أصل موضوعی فی الشـريعة الإسـلامية وهو أنّ الغايـة من طرح الأُصول العقائديـة هی الإذعان بها والوصول إلی اليقين، لا ـ التعبّـد بهـا دون يقين، وهـذا يفرض علينا أن نفتـح مسامعنا لنـداء العقل ودعوته، خصوصاً فی الأُصول الأوّلية الّتی تُبنی عليها نبوّة النبیّ الأكرم؛ فمن حاول تعطيل العقل وإبعاده عن ساحة البحث مكتفياً بالنصّ، فقد لعب بورق خاسر؛ إذ إنّ

الاضواء علی عقائد الشيعة الامامية، ص: ۵۹۹

بديهة العقل تحكم أنّ الاكتفاء بالسمع فی عامّة الأُصول مستلزم للدور، وتوقّف صحّة الدليل علی ثبوت المدّعی وبالعكس.

إنّ رفض العقل فی مجال البرهنة علی العقيدة- من قبل بعض الفرق طبعاً- صار سـبباً لتغلغل عنصر الخرافة فی عقائد كثير من الطوائف الإسـلامية، وفی ظلّ هـذا الأصل؛ أی إبعاد العقل، دخلت أخبار التجسـيم والتشبيه فی الصـحاح والمسانيـد عن طريق الأحبار والرهبان الّذين تظاهروا بالإسـلام، وأبطنوا اليهودية والنصـرانية، وخدعوا عقول المسلمين، فحشروا عقائدهم الخرافية بين المحدّثين والسُّذَّج من الناس اغتراراً بإسلامهم وصدق لهجتهم.

إنّ من مواهبه سبحانه أنّه أنار مصباح العقل فی كلّ قرن وزمان ليكون حصناً أمام نفوذ الخرافات والأوهام، وليميّز به الإنسان الحقَّ عن الباطـل فيما له فيه حقّ القضاء، إلّاأنّ هـذا لا يعنی أنّ المرجع الوحيـد فی العقيـدة هو العقل دون الشـرع، وإنّما يهـدف إلی أنّ اللبنات الأوّلية لصرح العقيدة الإسلامية تجب أن تكون خاضعة للبرهان، ولا تناقض حكم العقل.

وعنـدما تثبت الأُصول الموضوعيـة فی مجال العقيـدة وتثبت فی ظلها نبوّة النبیّ الأكرم صـلی الله عليه و آله، يكون كلّ ما جاء به النبی صلی الله عليه و آله حجّة فی العقائد والأحكام، لكن بشرط الاطمئنان بصدورها عن النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله.

وقد خرجنا فی هذه المقدّمة الموجزة بثلاث نتائج:

الأُولی: أنّ العقيدة الإسلامية عقيدة سهلة يمكن اعتناقها بيُسر دون تكلّف.

الثانيـة: أنّ المطلوب فی العقائـد هو الإذعان وعقـد القلب، وهذا لا يحصل إلّا بعد ثبوت المقدّمات المنتهية إليه، وليس من شأن أخبار الآحاد خلق اليقين والإذعان ما لم يثبت صـدورها عن مصـدر الوحی علی وجه القطع واليقين، بخلاف الأحكام؛ فإنّ المطلوب فيها هو العمل تعبّداً.

الاضواء علی عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۰

الثالثة: أنّ الأُصول التی يبنی عليها ثبوت النبوّة تثبت بالعقل دون الشرع.

ففی ضوء هذه النتائج الثلاث ندرس فكرة رؤية اللَّه تعالی يوم القيامة التی أحدثت ضـجّة فی الآونة الأخيرة، وستقف علی حقيقة الأمر بإذنه سبحانه.

الاضواء علی عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۱

حقيقة التجسيم والتشبيه والجهة والرؤية

(۱) حقيقة التجسيم والتشبيه والجهة والرؤية

اشارة

(۱) حقيقة التجسيم والتشبيه والجهة والرؤية

لمّا انتشـر الإسـلام فی الجزيرة العربيـة، ودخل الناس فی الإسـلام زرافاتٍ ووحدانا، لم يجد اليهود والنصاری الموجودون فيها محيصاً

إلّاالاستسلام؛ فدخلوا فيه متظاهرين به، غير معتقدين غالباً إلّامن شملتهم العناية الإلهية منهم وكانوا قليلين، ولكن الأغلبية الساحقة منهم خصوصاً الأحبار والرهبان بقوا على ما كانوا عليه من العقائد السابقة.

وبما أنّهم كانوا من أهل الكتاب عارفين بما فى العهدين من القصص والحكايات والأُصول والعقائد، عمَدوا إلى نشرها بين المسلمين بخداع خاصّ، وبطريقة تعليميّة، ولمّا كانت السذاجة تغلب على عامّة المسلمين لذا تلقّوهم كعلماء ربانيين، يحملون العلم، فأخذوا ما يلقونه إليهم بقلبٍ واعٍ ونيّة صادقة، وبالتالى نشر هؤلاء فى هذا الجوّ المساعد كلّ ما عندهم من القصص الانحرافية والعقائد الباطلة، خصوصاً فيما يرجع إلى التجسيم والتشبيه وتصغير شأن الأنبياء فى أنظار المسلمين، بإسناد المعاصى الموبقة إليهم، والتركيز على القدر وسيادته فى الكون على كلّ شىء، حتى على إرادة اللَّه سبحانه ومشيئته.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۲

ولم تكن رؤية اللَّه بأقلّ مما سبق فى تركيزهم عليها.

فما ترى فى كتب الحديث قديماً وحديثاً من الأخبار الكثيرة حول التجسيم، والتشبيه، والقدر السالب للاختيار والرؤية ونسبة المعاصى إلى الأنبياء، فكلّ ذلك من آفات المستسلمة من اليهود والنصارى. وقد عدّها المسلمون حقائق ثابتة وقصصاً صادقة فتلقّوها بقبول حسن ونشرها السلف بين الخلف، ودام الأمر على ذلك.

وأهمّ العوامل التى فسحت المجال للأحبار والرهبان لنشر ما فى العهدين بين المسلمين، النهى عن تدوين حديث الرسول صلى الله عليه و آله ونشره ونقله والتحدّث به طيلة أكثر من مائة سنة، فأوجد الفراغ الّذى خلفه هذا العمل أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية ونصرانية وسخافات مسيحية وأساطير يهودية، خصوصاً من قبل الكهنة والرهبان.

فقد كان التحدّث بحديث الرسول صلى الله عليه و آله أمراً مكروهاً، بل محظوراً من قبل الخلفاء إلى عصر عمر بن عبد العزيز (۶۱- ۱۰۱ ه)، بل إلى عصر المنصور العباسى (۱۴۳ ه)، ولكن كان المجال للتحدّث بالأساطير من قبل هؤلاء أمراً مسموحاً به؛ فهذا هو تميم بن أوس الدارى من رواة الأساطير، وقد أسلم سنة تسع للهجرة، وهو أول من قصّ بين المسلمين، واستأذن عمر أن يقصّ على الناس قائماً، فأذن له، وكان يسكن المدينة ثمّ انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان «۱». فسمحت الظروف لمثل هذا الكتابىّ أن يتحدّث بما تعلّم فى حياته السابقة ولكن منع من أراد التحدّث بحديث الرسول، لذا كان المجال خصباً لنشر الأساطير والعقائد الخرافية.

يقول الشهرستانى: وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أحاديثَ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۳

متعددة فى مسائل التجسيم والتشبيه وكلها مستمدّة من التوراة «۱».

وهذا هو المقدسى يتكلّم عن وجود هذه العقائد بين عرب الجاهلية، يقول:

وكان فيهم من كلّ ملّة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل فى قريش، والمزدكية والمجوسية فى تميم، واليهودية والنصرانية فى غسان، وعبادة الأوثان فى سائرهم «۲».

ويقول ابن خلدون: إنّ العرب لم يكونوا أهلَ كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأُميّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شىء ممّا تتوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكوَّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنّما يسألون عنه أهلَ الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبّه وعبد اللَّه بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم وتساهلَ المفسّرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلّها كما قلنا من التوراة أو ممّا كانوا يفترون «۳».

ولو أردنا أن ننقل كلمات المحقّقين حول الخسارة التى أحدثها اليهود والنصارى لطال بنا الكلام وطال مقالنا مع القرّاء.

ومن أكابر أحبار اليهود الذين تظاهروا بالإسلام كعب الأحبار؛ حيث خدع عقولَ المسلمين وحتى الخلفاء والمترجمين عنه من علماء

الرجال، فقد أسلم فی زمن أبی بکر، وقدِمَ من الیمن فی خلافة عمر، فانخدع به الصحابة وغیرهم.

قال الذهبی: العلّامة الحبر!! الذی کان یهودیاً فأسلم بعد وفاة النبیّ، وقدم المدینة من الیمن فی أیام عمر (رض)، وجالس أصحاب محمّد، فکان یحدّثهم عن

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۰۴

الکتب الإسرائیلیة ویحفظ عجائب- إلی أن قال:- حدّث عنه أبو هریرة ومعاویة وابن عباس، وذلک من قبیل روایة الصحابی عن تابعی، وهو نادر عزیز، وحدّث عنه أیضاً أسلم مولی عمر وتبیع الحمیری ابن امرأة کعب، وروی عنه عدّة من التابعین کعطاء بن یسار وغیره مرسلًا، وقع له روایة فی سنن أبی داود والترمذی والنسائی «۱». وعرّفه الذهبی أیضاً فی بعض کتبه بأنه من أوعیة العلم «۲».

وقد وجد الحبر الماکر جوّاً ملائماً لنشر الأساطیر والقصص الوهمیة، وبذلک بثّ سمومه القاتلة بین الصحابة والتابعین، وقد تبعوه وهم یحسبون أنهم یحسنون صنعاً.

وقد تنبّه إلی جسامة الخسارة التی أحدثها ذلک الحبر لفیف من القدماء، منهم ابن کثیر فی تفسیره، حیث إنّه بعدما أورد طائفة من الأخبار فی قصة ملکة سبأ مع سلیمان، قال: والأقرب فی مثل هذه السیاقات أنّها متلقاة عن أهل الکتاب ممّا وجد فی صحفهم، کروایات کعب ووهب- سامحهما اللَّه تعالی!- فیما نقلاه إلی هذه الأُمّة من أخبار بنی إسرائیل من الأوابد والغرائب والعجائب ممّا کان وما لم یکن، وممّا حُرِّف وبُدِّل ونسخ، وقد أغنانا اللَّه سبحانه عن ذلک بما هو أصحّ منه وأنفع وأوضح وأبلغ «۳».

والّذی یدلّ علی عمق مکره وخداعه لعقول المسلمین أنه ربّما ینقل شیئاً من العهدین، وفی الوقت ذاته نری أنّ بعض الصحابة الّذین تتلمذوا علی یدیه وأخذوا منه ینسب نفس ما نقله إلی الرسول! والذی یبرّر ذلک العمل حسن ظنّهم وثقتهم به، فحسبوا المنقول أمراً واقعیاً، فنسبوه إلی النبیّ زاعمین أ نّه إذا کان کعب

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۰۵

الأحبار عالماً به فالنبیّ أولی بالعلم منه.

وإن کنت فی شکٍّ من ذلک فاقرأ نصّین فی موضوع واحد أحدهما للإمام الطبری فی تأریخه ینقله عن کعب الأحبار فی حشر الشمس والقمر یوم القیامة، والآخر للإمام ابن کثیر صاحب التفسیر ینقله عن أبی هریرة عن النبیّ الأکرم، ومضمون الحدیث ینادی بأعلی صوته بأ نّه موضوع مجعول علی لسان الوحی، نشره الحبر الخادع وقبله الساذج من المسلمین.

۱- قال الطبری: عن عکرمة، قال: بینا ابن عباس ذات یوم جالس إذ جاءه رجل فقال: یابن عباس سمعت العجب من کعب الحبر یذکر فی الشمس والقمر، قال: وکان متکئاً فاحتفز ثمّ قال: وما ذاک؟ قال: زعم یجاء بالشمس والقمر یوم القیامة کأنّهما ثوران عقیران فیقذفان فی جهنم، قال عکرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووقعت أُخری غضباً، ثمّ قال: کذب کعب، کذب کعب، کذب کعب، ثلاث مرّات، بل هذه یهودیة یرید إدخالها فی الإسلام، اللَّه أجلّ وأکرم من أن یعذّب علی طاعته، ألم تسمع قول اللَّه تبارک وتعالی:

وَسَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَیْنِ «۱»

، إنّما یعنی دؤوبهما فی الطاعة، فکیف یعذّب عبدین یُثنی علیهما أنّهما دائبان فی طاعته؟ قاتلَ اللَّه هذا الحبر وقبّح حبریّته، ما أجرأه علی اللَّه وأعظم فریته علی هذین العبدین المطیعین للَّه!! قال: ثمّ استرجع مراراً «۲».

۲- قال ابن کثیر: روی البزار، عن عبد العزیز بن المختار، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن فی هذا المسجد- مسجد الکوفة- وجاء الحسن فجلس إلیه فحدّث، قال: حدّثنا أبو هریرة أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و سلم قال: «إنّ الشمس والقمر ثوران فی النار عقیران یوم القیامة» فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أُحدّثک عن

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۰۶

رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وتقول- أحسبه قال-: وما ذنبهما؟! ثمّ قال: لا یروی عن أبی هریرة إلّا من هذا الوجه «۱».

ولمّا كان إسلام كعب الأحبار بعد رحيل الرسول، لذلك تعذّر عليه إسناد ما رواه من أساطير إلى النبيّ الأكرم، ولو أنّه أدرك شيئاً من حياته صلى الله عليه و آله وإن كان قليلًا لنسب تلك الأساطير إليه، ولكن حالت المشيئة الإلهية دون أمانيه الباطلة، ولكنّ أبا هريرة لما صحب النبيّ واستحسن الظنّ بكعب الأحبار، وكان أُستاذه فى الأساطير نسب الرواية إلى النبيّ صلى الله عليه و آله.

هذا نموذج قدمته إلى القرّاء لكى يقفوا على دور الأحبار والرهبان فى نشر البدع اليهودية والنصرانية بين المسلمين، وأن لا يحسنوا الظنّ بمجرّد النقل من دون التأكّد من صحته.

هذا غيض من فيض وقليل من كثير ممّا لعب به مستسلمة اليهود والنصارى فى أحاديثنا وأُصولنا، ولولا أنّه سبحانه قيّض فى كلّ آنٍ رجالًا مصلحين كافحوا هذه الخرافات وأيقظوا المسلمين من السبات، لذهبت هذه الأساطير بروعة الإسلام وصفائه وجلاله.

كعب الأحبار وتركيزه على التجسيم والرؤية

كعب الأحبار وتركيزه على التجسيم والرؤية

إنّ المتفحّص فيما نقل عن ذلك الحبر يقف على أنّه كان يركز على فكرتين يهوديّتين: الأُولى فكرة التجسيم، والثانية رؤية اللّه تعالى.

يقول عن الفكرة الأُولى: إنّ اللّه تعالى نظر إلى الأرض فقال: إنّى واطئ على بعضك، فاستعلت إليه الجبال، وتضعضعت له الصخرة، فشكر لها ذلك، فوضع

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۷

عليها قدمه فقال: هذا مقامى ومحشر خلقى، وهذه جنّتى وهذه نارى، وهذا موضع ميزانى، وأنا ديّان الدين «۱».

ففى هذه الكلمة الصادرة عن هذا الحبر تصريح على تجسيمه تعالى أوّلًا، وتركيز على أنّ الجنة والنار والميزان ستكون على هذه الأرض، ومركز سلطانها سيكون على الصخرة، وهذا من صميم الدين اليهودى المحرّف.

كما أنّه ركّز على الرؤية، حيث أشاع فكرة التقسيم، فقال: إنّ اللّه تعالى قسّم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمّد صلى الله عليه و سلم «۲»، وعنه انتشرت هذه الفكرة؛ أى فكرة التقسيم بين المسلمين.

ومن أعظم الدواهى أنّ الرجل تزلّف إلى الخلفاء فى خلافة عمر وعثمان، وروى كثيراً من القصص الخرافية، وبعدما توفّى عثمان تزلّف إلى معاوية ونشر فى عهده ما يؤيد به ملكه ودولته، ومن كلماته فى حقّ الدولة الأُموية: مولد النبى بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام! «۳»

وبذلك أضفى على الدولة الأُموية صبغة شرعية وجعل ملكهم وسلطتهم امتداداً لملك النبيّ وسلطته.

الرؤية فى كتب العهدين

الرؤية فى كتب العهدين

إذا كان كعب الأحبار وزملاؤه يحملون فكرة الرؤية، فلا غروَ ولا عجب فى أنّهم اتّبعوا فى نشر الفكرة ما فى العهد القديم، وإليك بعض ما ورد فيه من تصريح برؤية الرب:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۸

۱- وقال (الرب): لا تقدر أن ترى وجهى؛ لأنّ الإنسان لا يرانى ويعيش.

وقال الرب: هو ذا عندى مكان فتقفُ على الصخرة، ويكون من اجتاز مجدى أنّى أضعك فى نقرة من الصخرة وأستركَ بيدى حتّى اجتاز ثمّ أرفعُ يدى فتنظر ورائى، وأما وجهى فلا يرى «۱».

وعلى هذا فالربّ يُرى قفاه ولا يُرى وجهه!

۲- رأيت السيّد جالساً على كرسيّ عال.. فقلت: ويل لى؛ لأنّ عينىّ قد رأتا الملك ربّ الجنود «۲».

والمقصود من السيد هو اللّه جلّ ذكره.

۳- كنت أرى أنه وضعتْ عروش، وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار «۳».

۴- أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك «۴».

۵- فقال منوح لامرأته: نموت موتاً لأننا قد رأينا اللّه «۵».

۶- فغضب الربّ على سليمان، لأنّ قلبه مال عن الربّ، إله إسرائيل الّذى تراءى له مرّتين «۶».

۷- وقد رأيت الرب جالساً على كرسيّه، وكلّ جند البحار وقوف لديه «۷».

۸- كان فى سنة الثلاثين فى الشهر الرابع فى الخامس من الشهر، وأنا بين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۰۹

المسبيّين عند نهر خابور، أنّ السماوات انفتحت فرأيت رؤى اللّه- إلى أن قال:- هذا منظر شبه مجد الربّ، ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلّم «۱».

إنّ فكرة الرؤية تسرّبت إلى المسلمين من المتظاهرين بالإسلام، كالأحبار والرهبان، وصار ذلك سبباً لجرأة طوائف من المسلمين على جعلها فى ضمن العقيدة الإسلامية، بحيث يُكفَّر منكرها أحياناً أو يفسَّق، ولما صارت تلك العقيدة راسخة فى القرنين الثانى والثالث بين المسلمين، عاد المتكلّمون الّذين تربوا بين أحضانهم للبرهنة والاستدلال على تلك الفكرة من الكتاب أولًا والسنة ثانياً، ولولا رسوخها بينهم لما تحمّلوا عبء الاستدلال وجهد البرهنة، وسوف يوافيك أنّ الكتاب يردّ فكرة الرؤية ويستعظم أمرها وينكرها بشدّة، وما استدلّ به على جواز الرؤية من الكتاب فلا يمتّ إلى الموضوع بصلة.

إنّ مسألة رؤية اللّه تعالى قد طرحت على صعيد البحث والجدال فى القرن الثانى، عندما حيكت العقائد على نسق الأحاديث، ووردت فيها رؤيته سبحانه يوم القيامة، فلأجل ذلك عدّت من العقائد الإسلامية، حتّى أنّ الإمام الأشعرى عندما تاب عن الاعتزال ولحق بأهل الحديث رقى يوم الجمعة كرسيّاً ونادى بأعلى صوته: من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرّفه نفسى، أنا فلان بن فلان كنت قلت بخلق القرآن، وأنّ اللّه لا يُرى بالأبصار، وانّ أفعال الشرّ أنا أفعلها، وإنّى تائب مقلع معتقد للردّ على المعتزلة «۲».

وقال فى الإبانة: وندين بأنّ اللّه تعالى يرى فى الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول اللّه «۳».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۱۰

وقال فى كتابه الآخر: بسم اللّه، إن قال قائل: لم قلتم إنّ رؤية اللّه بالأبصار جائزة من باب القياس؟ قيل له: قلنا ذلك؛ لأنّ ما لا يجوز أن يوصف به تعالى ويستحيل عليه لا يلزم فى القول بجواز الرؤية «۱».

وهذا النص يعرب عن أنّ الرؤية كانت فى ذلك العصر وفى عصر الإمام أحمد جزءاً من العقائد الإسلامية، ولذلك لا تجد كتاباً كلامياً إلّاويذكر رؤية اللّه تبارك وتعالى فى الآخرة، ويقرّرها جزءاً من العقائد الإسلامية، حتّى أنّ الإمام الغزالى مع ما أُوتى من مواهب كبيرة وكان من المصرّين على التنزيه- فوق ما يوجد فى كتب الأشاعرة- لم يستطع أن يخرج عن إطار العقيدة، وقال: العلم بأنّه تعالى- مع كونه منزّهاً عن الصورة والمقدار، مقدّساً عن الجهات والأنظار- يُرى بالأعين والأبصار «۲».

ثمّ إنّهم اختلفوا فى الدليل على الرؤية؛ ففرقة منهم اعتمدوا على الأدلة العقلية دون السمعية، كسيف الدين الآمدى أحد مشايخ الأشاعرة فى القرن السابع (۵۵۱- ۶۳۱ ه) يقول: لسنا نعتمد فى هذه المسألة على غير المسلك العقلى؛ إذ ما سواه لا يخرج عن المظاهر السمعية، وهى ممّا يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلّاعلى سبيل التقريب» «۳».

وفرقهٔ أَخرى كالرازى وغيره قالوا: العمدهٔ فى جواز الرؤيهٔ ووقوعها هو جواز السمع، وعليه الشيخ الشهرستانى فى نهايهٔ الإقدام «۴».
الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۶۱۱

الرؤيهٔ بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا

الرؤيهٔ بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا
محل النزاع بين الأشاعرهٔ ومن قبلهم الحنابلهٔ وأصحاب الحديث، وبين غيرهم من أهل التنزيه، هو رؤيهٔ اللّه سبحانه بالأبصار التى هى نعمهٔ من نعم اللّه سبحانه وطريق إلى وقوف الإنسان على الخارج.
يقول سبحانه: هُوَ الَّذِى أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «۱»
.
فالمُثبتُ للرؤيهٔ والنافى لها يركّزُ على موضوع واحد هو الرؤيهٔ بالأبصار، وأنّ الخارج عن هذا الموضوع خارج عن إطار العقيدهٔ.
وبذلك يظهر أنّ الرؤيهٔ بغير الأبصار تأويل للعقيدهٔ التى أصرّ عليها أصحاب أحمد، بل الملتحق به الإمام الأشعرى، ولا يمتّ إلى موضوع البحث بصلهٔ، فقد نقل عن ضرار وحفص الفرد: إنّ اللّه لا يرى بالأبصار، ولكن يخلق لنا يوم القيامهٔ حاسّهٔ سادسهٔ غير حواسنا فندركه بها «۲».
يقول ابن حزم: إنّ الرؤيهٔ السعيدهٔ ليست بالقوهٔ الموضوعهٔ بالعين، بل بقوّهٔ أُخرى موهوبهٔ من اللّه «۳».
إلى غير ذلك من الكلمات التى حرّفت النقطهٔ الرئيسيهٔ فى البحث، ومعتقد أهل الحديث الأشاعرهٔ، ونحن نركّز فى البحث على الرؤيهٔ بالأبصار، وأمّا الرؤيهٔ بغيرها فخارجهٔ عن مجاله.
فإذا كانت الحنابلهٔ والأشاعرهٔ مصرّين على جواز الرؤيهٔ، فأئمهٔ أهل البيت
الاضواء على عقائد الشيعهٔ الاماميهٔ، ص: ۶۱۲
ومن تبعهم من الإماميهٔ والمعتزلهٔ والزيديهٔ قائلون بامتناعها فى الدنيا والآخرهٔ.
فالبيت الأُموى والمنتمون إليه من أهل الحديث كانوا من دعاهٔ التجسيم والتشبيه والجبر وإثبات الجههٔ، والرؤيهٔ للّه سبحانه، وأما الإمام أمير المؤمنين علىّ ابن أبى طالب عليه السلام وبيته الطاهر وشيعتهم فكانوا من دعاهٔ التنزيه والاختيار، ومن الرافضين لهذه البدع المستوردهٔ من اليهود بحماس.
وقد نجم فى ظلّ العراك الفكرى بين العلويين والأُمويين منهجان فى مجال المعارف كلّ يحمل شعاراً، فشيعهٔ الإمام وأهل بيته يحملون شعار التنزيه والاختيار، والأُمويون وشيعتهم يحملون شعار التشبيه والجبر، وقد اشتهر منذ قرون، القول بأنّ: التنزيه والاختيار علويان، والتشبيه والجبر أُمويان.
فصارت النتيجهٔ فى النهايهٔ أنّ كلّ محدّث مُتزلّف إلى البيت الأُموى يحشّد أخبار التجسيم والجبر، بلا مبالاهٔ واكتراث، لكن الواعين من أُمّهٔ محمّد الموالين لأهل بيته كانوا يتجنّبون نقل تلك الآثار.
قال الرازى فى تفسير قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ «۱»
: احتجّ علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآيهٔ على نفى كونه جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء، حاصلًا فى المكان والجههٔ؛ فقالوا: لو كان جسماً لكان مثلًا لسائر الأجسام، فيلزم حصول الأمثال والأشباه، وذلك باطل بصريح قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ- إلى أن قال: واعلم أنّ محمّد بن إسحاق بن خزيمهٔ أورد استدلال أصحابنا بهذه الآيهٔ فى الكتاب الذى سمّاه بالتوحيد، وهو فى الحقيقهٔ كتاب الشرك، واعترض عليها، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات؛ لأنّه كان رجلًا مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل، فقال: نحن نثبت للّه وجهاً ونقول: إنّ لوجه ربّنا من النور

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۱۳

والضیاء والبهاء ما لو کشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه کلّ شیء أدرکه بصره، ووجه ربّنا منفی عنه الهلاک والفناء، ونقول: إنّ لبنی آدم وجوهاً کتب اللّه علیها الهلاک والفناء، ونفی عنها الجلال والاکرام، غیر موصوفة بالنور والضیاء والبهاء، ولو کان مجرّد إثبات الوجه للّه یقتضی التشبیه لکان من قال: «إنّ لبنی آدم وجوهاً وللخنازیر والقردة والکلاب وجوهاً»، قد شبّه وجوه بنی آدم بوجوه الخنازیر والقردة والکلاب. ثمّ قال: ولا شکّ أنّه اعتقاد الجهمیة؛ لأنّه لو قیل له:

وجهک یشبه وجه الخنازیر والقردة لغضب ولشافهه بالسوء، فعلمنا أنّه لا یلزم من إثبات الوجه والیدین للّه إثبات التشبیه بین اللّه وبین خلقه.

إلی أن قال: وأقول هذا المسکین الجاهل إنّما وقع فی أمثال هذه الخرافات لأنّه لم یعرف حقیقة المثلین، وعلماء التوحید حقّقوا الکلام فی المثلین ثمّ فرعوا علیه الاستدلال بهذه الآیة «۱».

ولیس ابن خزیمة أوّل أو آخر محدّث تأثّر بهذه البدع، بل کانت الفکرة تتغلغل بین أکثر أهل الحدیث الذین منهم:

۱- عثمان بن سعید بن خالد بن سعید التمیمی الدارمی السجستانی (۲۸۰ ه) صاحب المسند وصاحب النقض، یقول فیه: إنّ اللّه فوق عرشه وسماواته.

۲- حشیش بن أصرم (۲۵۳ ه) مؤلف کتاب الاستقامة، یعرّفه الذهبی: بأنّه یردّ فیه علی أهل البدع، ویرید به أهل التنزیه الذین یرفضون أخبار التشبیه.

۳- أحمد بن محمّد بن الأزهر بن حریث السجستانی السجزی (۳۱۲ ه) نقل الذهبیّ فی میزان الاعتدال عن السلمی قال: سألت الدار قطنی عن الأزهری، فقال: هو أحمد بن محمّد بن الأزهر بن حریث، سجستانیّ منکر الحدیث، لکن

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۱۴

بلغنی أنّ ابن خزیمة حسن الرأی فیه، وکفی بهذا فخراً «۱».

یلاحظ علیه: أ نّه کفی بهذا ضعفاً؛ لأنّ ابن خزیمة هذا رئیس المجسّمة والمشبّهة، ومنه یعلم حال السجستانی «۲».

۴- محمّد بن إسحاق بن خزیمة، ولد عام ۳۱۱ ه وقد ألّف «التوحید وإثبات صفات الربّ»، وکتابه هذا مصدر المشبّهة والمجسّمة فی العصور الأخیرة، وقد اهتمّت به الحنابلة، وخصوصاً الوهابیة، فقاموا بنشره علی نطاق واسع، وسیأتی الحدیث عنه.

۵- عبد اللّه بن أحمد بن حنبل (۲۱۳ ه- ۲۹۰ ه) یروی أحادیث أبیه (الإمام أحمد بن حنبل)، وکتابه «السنة» المطبوع لأوّل مرّة بالمطبعة السلفیة ومکتبتها عام ۱۳۴۹ ه، وهو کتاب مشحون بروایات التجسیم والتشبیه، یروی فیه ضحک الربّ، وتکلّمه، وإصبعه، ویده، ورجله، وذراعیه، وصدره، وغیر ذلک ممّا سیمرّ علیک بعضه.

وهذه الکتب الحدیثیة الطافحة بالإسرائیلیات والمسیحیات جرّت الویل علی الأُمّة وخدع بها المغفّلون من الحنابلة والحشویة وهم یظنّون أنّهم یحسنون صنعاً.

الرؤیة فی کلمات الإمام علی علیه السلام

الرؤیة فی کلمات الإمام علی علیه السلام

من یرجع إلی خطب الإمام علی علیه السلام فی التوحید وما أُثِر عن العترة الطاهرة یقف علی أنّ مذهبهم فی ذلک هو امتناع الرؤیة، وأنّه سبحانه لا تدرکه أوهام القلوب، فکیف بأبصار العیون؟ وإلیک نزراً یسیراً ممّا ورد فی هذا الباب:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۱۵

۱- قال الإمام علی علیه السلام فی خطبة الأشباح: «الأوّل الذی لم یکن له قبل فیکون شیء قبله، والآخر الّذی لیس له بعد فیکون شیء

بعده، والرادع أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه» «١»

.

٢- وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

«أ فأعبد ما لا أرى؟»

فقال: وكيف تراه؟ فقال:

«لا تدركه العيون بمشاهدة العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين» «٢».

٣- وقال عليه السلام: «الحمد للَّه الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر» «٣»

.

إلى غير ذلك من خطبه عليه السلام الطافحة بتقديسه وتنزيهه عن إحاطة القلوب والأبصار به «۴».

وأمّا المروي عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد عقد ثقة الإسلام الكليني في كتابه «الكافي» باباً خاصاً للموضوع روى فيه ثمانِيَ روايات «۵»، كما عقد الصدوق في كتاب التوحيد باباً لذلك روى فيه إحدى وعشرين رواية، يرجع قسم منها إلى نفي الرؤية الحسيّة البصريّة، و قسم منها يثبت رؤية معنوية قلبية سنشير إليه في محلّه «۶».

ثمّ إنّ للإمام الطاهر عليّ بن موسى الرضا احتجاجاً في المقام على مقال المحدّث أبي قرّة، حيث ذكر الحديث الموروث عن الحبر الماكر «كعب الأحبار»: من أنّه

سبحانه قسم الرؤية والكلام بين نبيّين، كما تقدّم.

فقال أبو قرة: فإنّا روينا: أنّ اللَّه قسّم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمّد صلى الله عليه و آله الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلِّغ عن اللَّه إلى الثقلين الجنّ والإنس أنّه لا تُدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، أليس محمّد صلى الله عليه و آله؟ قال: بلى.

قال أبو الحسن عليه السلام: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند اللَّه، وأنّه يدعوهم إلى اللَّه بأمر اللَّه، ويقول: إنّه لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، ثمّ يقول: أنا رأيته بعينيّ وأحطتُ به علماً وهو على صورة البشر، أما تستحيون؟ أما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون أتى عن اللَّه بأمر ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر؟!

فقال أبو قرة: إنّه يقول: وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى «١»

.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى «٢»

يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه و آله ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأت عيناه فقال: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «٣»

فآيات اللَّه غير اللَّه، وقال:

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً «۴»

فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذّب بالرواية؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء «۵».

(۲) الرؤیة فی منطق العلم والعقل

اشارة

(۲) الرؤیة فی منطق العلم والعقل

إنّ الرؤیة فی منطق العلم والعقل لا تتحقّق إلّاإذا کان الشیء مقابلًا أو حالّاً فی المقابل من غیر فرق بین تفسیرها حسبَ رأی القدماء أو حسب العلم الحدیث، فإنّ القدماء کانوا یفسّرون الرؤیة علی النحو التالی:

خروج الشعاع من العین وسقوطه علی الأشیاء ثمّ انعکاسه عنها ورجوعه إلی العین لکی تتحقّق الرؤیة.

ولکن العلم الحدیث کشف بطلان هذا التفسیر وقال: إنّها صدور الأشعة من الأشیاء ودخولها إلی العین عن طریق عدستها وسقوطها علی شبکیّة العین فتتحقّق الرؤیة.

وعلی کلّ تقدیر فالضرورة قاضیة علی أنّ الإبصار بالعین متوقّف علی حصول المقابلة بین العین والمرئی أو حکم المقابلة، کما فی رؤیة الصور فی المرآة.

وهذا أمر تحکم به الضرورة، وإنکاره مکابرة واضحة، فإذا کانت ماهیّة الرؤیة هی ما ذکرناه فلا یمکن تحقّقها فیما إذا تنزّه الشیء عن المقابلة أو الحلول فی المقابل.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۱۸

وبعبارة واضحة: أنّ العقل والنقل اتّفقا علی کونه سبحانه لیس بجسم ولا جسمانی ولا فی جهة، والرؤیة فرع کون الشیء فی جهة خاصة، وما شأنه هذا یتعلّق بالمحسوس لا بالمجرّد.

ثمّ إنّ الرازی أراد الخدش فی هذا الأمر البدیهی ولکنّه رجع خائباً، اعترض علی هذا الاستدلال بوجهین:

الأوّل: أنّ ادّعاء الضرورة والبداهة علی امتناع رؤیة الموجود المنزّه عن المکان والجهة أمر باطل؛ لأنّه لو کان بدیهیاً لکان متّفقاً علیه بین العقلاء، وهذا غیر متّفق علیه بینهم؛ فلا یکون بدیهیاً، ولذلک لو عرضنا قضیّة أنّ الواحد نصف الاثنین لا یختلف فیه اثنان، ولیست القضیّة الأُولی فی البداهة فی قوّة القضیّة الثانیة «۱».

یلاحظ علیه: بأنّه خفی علی الرازی بأنّ للبداهة مراتب مختلفة، فکون نور القمر مستفاداً من الشمس قضیّة بدیهیة، ولکن أینَ هذه البداهة من بداهة قولنا:

الواحد نصف الإثنین؟

أضف إلی ذلک أنّ العقلاء متّفقون علی لزوم المقابلة أو حکمها علی تحقّق الرؤیة، وإنّما خالف فیه أمثال من خالف القضایا البدیهیة کالسفسطائیین؛ حیث ارتابوا فی وجودهم وعلومهم وأفعالهم مع أنّهم کانوا یُعدّون من الطبقات العلیا فی المجتمع الیونانی.

الثانی: أنّ المقابلة شرط فی رؤیة الشاهد، فلمَ قلتم إنّه فی الغائب کذلک؟

وتحقیقه هو أنّ ذات اللّه تعالی مخالفة بالحقیقة والماهیة لهذه الحوادث، والمختلفات فی الماهیة لا یجب استواؤها فی اللوازم، فلم یلزم من کون الادراک واجباً فی الشاهد عن حضور هذه الشرائط، کونه واجباً فی الغائب عند

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۱۹

حضورها «۱». هذا کلامه فی کتاب الأربعین.

ویقول فی تفسیره: ألم تعلموا أنّ ذاته تعالی مخالفة لسائر الذوات، ولا یلزم من ثبوت حکم فی شیء ثبوت مثل ذلک الحکم فیما

يخالفه، والعجب أنّ القائلين بالامتناع يدّعون الفطنة والكياسة ولم يتنبّه أحد لهذا السؤال، ولم يخطر بباله ركاكة هذا الكلام «۲».
يلاحظ عليه: أنّ الرازى غفل عن أنّ الرؤية من الأُمور الإضافية القائمة بالرائى والمرئى، فالتقابل من لوازم الرؤية بما هى هى، فاختلاف المرئى فى الماهيات كاختلاف الرائى فى كونه حيواناً أو إنساناً لا مدخليّة له فى هذا الموضوع، فافتراض نفس الرؤية وتعلّقها بالشىء وغضّ النظر عن الرائى وخصوصيات المرئى يجرّنا إلى القول: بأنّ الرؤية رهن التقابل أو حكمه، وذلك لأنّ الموضوع لحكم العقل من لزوم المقابلة فى الرؤية هو نفسها بما هى هى، والموضوع متحقّق فى الشاهد والغائب، والمادّى والمجرّد، فاحتمال انتقاض الحكم باختلاف المرئى يناقض ما حكم به بأنّ الرؤية بما هى هى لا تنفكّ عن التقابل، فإنّه أشبه بقول القائل: إنّ نتيجة ۲+ ۲/ ۴، لكن إذا كان المعدود مادّياً لا مجرّداً، ويردّ بأنّ الموضوع نفس اجتماع العددين وهو متحقّق فى كلتا الصورتين.
ثمّ ماذا يقصد (الرازى) من الغائب؟ هل يقصد الموجود المجرّد عن المادّة ولوازمها؟ فبداهة العقل تحكم بأنّ المنزّه عن الجسم والجسمانية والجهة والمكان لا- يتصوّر أنْ يقع طرفاً للمقابلة، وإنْ أراد منه الغائب عن الأبصار مع احتمال كونه جسماً أو ذا جهة، فذلك إبطال للعقيدة الإسلامية الغرّاء التى تبنّتها الأشاعرة وكذلك الرازى نفسه فى غير واحد من كتبه الكلامية وفى غير موضع فى تفسيره.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۰

ولقائل أن يسأل الرازى: أنّه لو وقعت الرؤية على ذاته سبحانه فهل تقع على كلِّه أو بعضه؟ فلو وقعت على الكلّ تكون ذاته محاطة لا محيطة؛ وهذا باطل بالضرورة، ولو وقعت على الجزء تكون ذاته ذات جزء مركب.
وممّا ذكرنا يتبيّن ركاكة ما استدلّ به الرازى على كلامه.

المحاولة اليائسة فى تجويز الرؤية

اشارة

المحاولة اليائسة فى تجويز الرؤية
إنّ مفكّرى الأشاعرة الّذين لهم أقدام راسخة فى المسائل العقليّة لمّا وقعوا فى تناقض من جرّاء هذا الدليل ذهبوا إلى الجمع بين الرؤية والتنزيه، وإليك بيان ذلك:

۱- الرؤية بلا كيف:

۱- الرؤية بلا كيف:
هذا العنوان هو الّذى يجده القارئ فى كتب الأشاعرة، وربما يعبّر عنه خصومهم بالبلكفة، ومعناه أنّ اللَّه تعالى يرى بلا كيف وأنّ المؤمنين فى الجنّة يرونه بلا كيف، أى منزّهاً عن المقابلة والجهة والمكان.
يلاحظ عليه: أنّ تمنّى الرؤية بلا مقابلة ولا جهة ولا مكان، أشبه برسم أسد بلا رأس ولا ذنب على جسم بطل، فالرؤية الّتى لا يكون المرئى فيها مقابلًا للرائى ولا متحقّقاً فى مكان ولا متحيّزاً فى جهة كيف تكون رؤيته بالعيون والأبصار.
والحقّ أنّ اعتماد الأشاعرة على أهل الحديث فى قولهم «بلا كيف» مهزلة لا يُعتمد عليها؛ فإنّ الكيفية ربّما تكون من مقوّمات الشىء، ولولاها لما كان له أثر، فمثلًا عندما يقولون: إنّ للَّه يداً ورجلًا وعيناً وسمعاً بلا كيف ويصرّحون بوجود واقعيات هذه الصفات حسب

معانیها اللغویة لکن بلا کیفیة، فإنّه یلاحظ علیه، بأنّ الید فی اللغة العربیّة وضعت للجارحة حسبما لها من الکیفیة؛ فإثبات الید للّه

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۲۱

بالمعنی اللغوی مع حذف الکیفیة، یکون مساویاً لنفی معناه اللغوی، ویکون راجعاً إلی تفسیره بالمعانی المجازیة التی تفرّون منها فرار المزکوم من المسک، ومثله القدم والوجه.

وبعبارة أُخری: أنّ الحنابلة والأشاعرة یصرّون علی أنّ الصفات الخبریة، کالید والرجل والقدم والوجه فی الکتاب والسنّة؛ یجب أن تُفسّر بنفس معانیها اللغویة، ولا یجوز لنا حملها علی معانیها المجازیة، کالقدرة فی الید مثلًا، ولما رأوا أنّ ذلک یلازم التجسیم التجأوا إلی قولهم «ید بلا کیف» ولکنّهم خفی عنهم أنّ الکیفیة فی الید والوجه وغیرهما مقوّمة لمفاهیمها، فنفی الکیفیة یساوق نفی المعنی اللغوی، فکیف یمکن الجمع بین المعنی اللغوی والحمل علیه بلا کیف؟!

ومنه یعلم حال الرؤیة بالبصر والعین؛ فإنّ التقابل مقوّم لمفهومها، فإثباتها بلا کیف یلازم نفی أصل الرؤیة، وقد عرفت أنّ الکلام فی النظر بالبصر والرؤیة بالعین، لا الرؤیة بالقلب أو فی النوم.

وقد أوضحنا حال الصفات الخبریة فی بحوثنا الکلامیّة «۱».

۲- اختلاف الأحکام باختلاف الظروف:

۲- اختلاف الأحکام باختلاف الظروف:

إنّ بعض المثقّفین الجُدد لمّا أدرکوا بعقولهم أنّ الرؤیة لا تنفکّ عن الجهة التجأوا إلی القول بأنّ کلّ شیء فی الآخرة غیره فی الدنیا، ولعلّ الرؤیة تتحقّق فی الآخرة بلا هذا اللّازم السلبی.

لکن هذا الکلام رجمٌ بالغیب؛ لأنّه إنْ أراد من المغایرة بأنّ الآخرة ظرف للتکامل وأنّ الأشیاء توجد فی الآخرة بأکمل الوجوه وأمثلها، فهذا لا مناقشة فیه، یقول سبحانه: کُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِی رُزِقْنَا مِنْ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۲۲

قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً «۱»

ولکن إنْ أراد أنّ القضایا العقلیة البدیهیة تتبدّل فی الآخرة إلی نقیضها فهذا یوجب انهیار النُّظم الکلامیة والفلسفیّة والأسالیب العلمیّة التی یعتمد علیها المفکّرون من أتباع الشرائع وغیرهم؛ إذ معنی ذلک أنّ النتائج المثبتة فی جدول الضرب سوف تتبدّل فی الآخرة إلی ما یباینها فتکون نتیجة ضرب ۲* ۲/ ۵ أو ۱۰ أو ۰۰۰ وأنّ قولنا: کلّ ممکن یحتاج إلی علّة یتبدّل فی الآخرة إلی أنّ الممکن غنیّ عن العلّة.

فعند ذلک لا یستقرّ حجر علی حجر وتنهار جمیع المناهج الفکریة، ویصیر الإنسان سفسطائیاً مائة بالمائة.

۳- عدم الاکتراث بإثبات الجهة:

۳- عدم الاکتراث بإثبات الجهة:

إنّ أساتذة الجامعات الإسلامیة فی الریاض ومکّة المکرّمة والمدینة المنوّرة بدلًا من أنْ یُجهدوا أنفسهم فی فهم المعارف، ویتجرّدوا فی مقام التحلیل عن الآراء المسبقة، نراهم یقدّمون لطلبة الجامعات وخرّیجیها دعماً مالیاً وفکریاً لمواصلة البحوث حول الرؤیة فی محاولة لإثباتها وإثبات الجهة للّه تعالی، وإلیک نموذجاً من ذلک:

يقول الدكتور أحمد بن محمّد خريج جامعة أُمّ القرى: إنّ إثبات رؤية حقيقيّة بالعيان من غير مقابلة أو جهة، مكابرة عقليّة؛ لأنّ الجهة من لوازم الرؤية، وإثبات اللزوم ونفى اللّازم مغالطة ظاهرة.

ومع هذا الاعتراف تخلّص عن الالتزام بإثبات الجهة للّه بقوله:

إنّ إثبات صفة العلوّ للّه تبارك وتعالى ورد فى الكتاب والسنّة فى مواضع كثيرة جداً، فلا حرج فى إثبات رؤية اللّه تعالى من هذا العلوّ الثابت له تبارك وتعالى،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٢٣

ولا يقدح هذا فى التنزيه؛ لأنّ مَن أثبتَ هذا أعلم البشر بما يستحقّ اللّه تعالى من صفات الكلمات.

أمّا لفظ الجهة فهو من الألفاظ المجملة التى لم يرِد نفيها ولا إثباتها بالنصّ فتأخذ حكم مثل هذه الألفاظ «١».

ويلاحظ على هذا الكلام ما يلى:

أوّلًا: كيف ادّعى أنّ الكتاب والسنّة أثبتا العلوّ للّه الّذى هو مساوق للجهة؛ فإن أراد قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ «٢»

فقد حُقّقَ فى محلّه بأنّ استواءه على العرش كناية عن استيلائه على السماوات والأرض وعدم عجزه عن التدبير. وأين هو من إثبات العلوّ للّه، وقد أوضحنا مفادَ هذه الآيات فى أسفارنا الكلاميّة «٣».

وإنْ أراد ما جمعه ابن خزيمة وأضرابه من حشويات المجسّمة والمشبّهة، فكلّها بدع يهودية أو مجوسية تسرّبت إلى المسلمين ويرفضها القرآن الكريم، وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: إذا افترضنا صحّة كونه موجوداً فى جهة عالية ينظر إلى السماوات والأرض فكيف يكون محيطاً بكلّ شىء وموجوداً مع كلّ شىء، فإذا كان هذا معنى التنزيه فسلامٌ على التجسيم.

ونِعْمَ ما قال شاعر المعرّة:

فيا موت زر إنّ الحياة ذميمةٌ ويا نفسُ جُدّى إنّ دهرك هازلُ الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٢٤

فالّذى تستهدفه رسالات السماء يتلخّص فى توحيده سبحانه، وأنّه واحد لا نظير له ولا مثيل أوّلًا، وتنزيهه سبحانه عن مشابهة الممكنات والموجودات ثانياً.

غير أنّ أصحاب الحديث بعد رحيل الرسول توغّلوا فى وحل حبائل الشرك والتجسيم وأبطلوا كلتا النتيجتين؛ فقالوا بقدم القرآن وعدم حدوثه، وأثبتوا بذلك مثلًا للّه فى الأزلية وكونه قديماً كقدمه سبحانه.

وأثبتوا للّه سبحانه العلوّ والجهة اغتراراً ببعض الظواهر والأحاديث المستوردة، فأبطلوا بذلك تنزيهه- سبحانه- وتعاليه عن مشابهة المخلوقات.

فخالفوا رسالات السماء فى موردين أصيلين:

التوحيد: بالقول بقدم القرآن.

التنزيه: بإثبات الجهة والرؤية.

فكانوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غزلها مِنْ بَعْدِ قوّةٍ أَنْكَاثاً «١»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٢٥

موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية

(٣) موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية

اشارة

(۳) موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية

إنّ الذكر الحكيم يصف اللَّه سبحانه بصفات تهدف جميعها إلى تنزيهه عن الجسم والجسمانية، وأنّه ليس له مثل ولا نظير، ولا ندّ ولا كفء، وأنّه محيط بكلّ شىء، ولا يحيطه شىء، إلى غير ذلك من الصفات المنزِّهة الّتى يقف عليها الباحث إذا جمع الآيات الواردة فى هذا المجال، وبدورنا نشير إلى بعض منها:

قال سبحانه:

۱- فَاطِرُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «۱»

.

۲- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «۲»

.

۳- هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۶

۴- هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ «۱»

.

۵- هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۲»

.

۶- هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۳»

.

۷- مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَما كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ «۴»

.

۸- أَلَا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطٌ «۵»

.

۹- اللَّهُ لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّموَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ «۶»

.

۱۰- لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۷»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۷

وحصيلة هذه الآيات أنّه لا يوجد فى صفحة الوجود له مثل، وهو أحدٌ لا كُفء له، لم يلد ولم يولد، بل هو أزلىّ.

فبما أنّه أزليّ الوجود، فوجوده قبل كلّ شيء أي لا وجود قبله.

وبما أنّه أبديّ الوجود، فهو آخرُ كلّ شيء؛ إذْ لا وجود بعده.

وبما أنّه خالقُ السماوات والأرض فالكون قائم بوجوده، فهو باطنُ كلّ شيء، كما أنّ النظام البديع دليل على وجوده، فهو ظاهر كلّ شيء، لا يحويه مكان؛ لأنّه خالق السماوات والأرض وخالق الكون والمكان، فكان قبل أنْ يكون أيّ مكان.

وبما أنّ العالم دقيقه وجليله فقير محتاج إليه قائم به، فهو مع الأشياء معيّة قيّوميّة لا معيّة مكانيّة، ومع الإنسان أينما كان.

فلا يكون من نجوى ثلاثةٍ إلّاهو رابعهم ولا خمسةٍ إلّاهو سادسُهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّاهو معهم أينما كانوا، وذلك مقتضى كونه قيّوماً وما سواه قائماً به، ولا يمكن للقيّوم الغيبوبة عمّا قام به.

وفي النهاية هو محيط بكلّ شيء لا يحيطه شيء، فقد أحاط كُرسيُّه السماوات والأرض، فالجميع محاط وهو محيط، ومن كان بهذه المنزلة لا تُدرِكه الأبصار الصغيرة الضعيفة ولا يقع في أُفقها، ولكنّه لكونه محيطاً يُدركُ الأبصار.

هذه صفاته سبحانه في القرآن ذكرناها بإيجاز، وأوردناها بلا تفسير.

وقد علمت أنّ من سمات العقيدة الإسلامية كونها عقيدة سهلة لا إبهام فيها ولا لغز، فلو وجدنا شيئاً في السنّة أو غيرها ما يصطدم بهذه الصفات فيحكم عليه بالتأويل إن صحّ السند، أو بالضرب عرض الجدار إن لم يصح.

فمن تلا هذه الآيات وتدبّر فيها يحكم بأنّه سبحانه فوق أنْ يقع في وهم الإنسان وفكره ومجال بصره وعينه، وعند ذلك لو قيل له: إنّه جاء في الأثر: إنّكم سترون

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۸

ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا (البدر) لا تُضامون في رؤيته «۱».

فسيجد أنّ هذا الكلام يناقض ما تلا من الآيات أو استمع إليها، وسيشكّك ويقول: إذا كان الخالقُ البارئُ الّذي هو ليس بجسم ولا جسماني، لا يحويه مكان ومحيط بالسماوات والأرض، فكيف يرى يوم القيامة كالبدر في جهة خاصّة وناحية عالية مع أنّه كان ولا علوّ ولا جهة، بل هو خالقهما، وأين هذه الرؤية من وصفه سبحانه بأنّه لا يحويه مكان ولا يقع في جهة وهو محيط بكلّ شيء؟!

ولا يكون هذا التناقض بين الوصفين بأقلّ من التناقض الموجود في العقيدة النصرانيّة من أنّه سبحانه واحد وفي الوقت نفسه ثلاثة.

وكلّما حاول القائل بالرؤية الجمع بين العقيدتين، لا يستطيع أنْ يرفع التعارض والاصطدام بين المعرفتين في أنظار المخاطبين بهذه الآيات والرواية، ومن جرّد نفسه عن المجادلات الكلاميّة والمحاولات الفكريّة للجمع بين المعرفتين يرى التعريفين متصادمين، فأين القول بأنّه سبحانه بعيد عن الحسّ والمحسوسات منزّه عن الجهة والمكان محيط بعوالم الوجود، وفي نفس الوقت تنزله سبحانه منزلة الحسّ والمحسوسات، واقعاً بمرأى ومنظر من الإنسان، يراه ويبصره كما يبصر البدر، ويشاهده في أُفق عال.

وقد عرفت في التمهيد أنّ السهولة في العقيدة والخلوّ من الألغاز هو من سمات العقيدة الإسلاميّة؛ فالجمع بين المعرفتين كجمع النصارى بين كونه واحداً وثلاثة.

*** هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أنّه سبحانه كلّما طرح مسألة الرؤية في القرآن الكريم فإنّما يطرحها ليؤكّد عجز الإنسان عن نيلها، ويعتبر سؤالها وتَمنّيها

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۲۹

من الإنسان أمراً فظيعاً وقبيحاً وتطلّعاً إلى ما هو دونه.

۱- قال سبحانه: وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ* ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «۱»

.

۲- وقال سبحانه: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّل عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذلِكَ وَآتَيْنَا مُوسى سُلْطَاناً مُبِيناً «۲»

.

۳- وقال سبحانه: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلكِنْ أُنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ «۳»

.

۴- وقال سبحانه: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ «۴»

.

فالمتدبّر فى هذه الآيات يقضى بأنّ القرآن الكريم يستعظم الرؤية ويستفظع سؤالها ويقبّحه، ويعدّ الإنسان قاصراً عن أنْ ينالها على وجه ينزل العذاب

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۰

عند سؤالها.

فلو كانت الرؤية أمراً ممكناً ولو فى وقتٍ آخر، لكان عليه سبحانه أن يتلطّف عليهم بأنّكم سترونه فى الحياة الآخرة لا فى الحياة الدنيا، ولكنّا نرى أنّه سبحانه يقابلهم بنزول الصاعقة فيقتلهم ثمّ يحييهم بدعاء موسى، كما أنّ موسى لمّا طلب الرؤية وأُجيب بالمنع تاب إلى اللّه سبحانه وقال: أنا أوّل المؤمنين بأنّك لا تُرى.

فالإمعان بما ورد فيها من عتاب وتنديد، بل وإماتة وإنزال عذاب، يدلّ بوضوح على أنّ الرؤية فوق قابليّة الإنسان، وطلبه لها أشبه بالتطلّع إلى أمر محال، فعند ذلك لو قيل للمتدبّر فى الآيات إنّه روى قيس بن أبى حازم أنّه حدّثه جرير وقال: خرج علينا رسول اللّه ليلة البدر فقال: «إنّكم سترون ربّكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته» «۱»

، يجد الحديث مناقضاً لما ورد فى هذه الآيات ويشكّ أنّه كيف صار الأمر الممتنع أمراً ممكناً، والإنسان غير المؤهّل للرؤية مؤهّلًا لها.

محاولتان للتخلّص من التضادّ بين الآيات وخبر قيس

اشارة

محاولتان للتخلّص من التضادّ بين الآيات وخبر قيس

إنّ هنا محاولتين للتخلّص من التضادّ الموجود بين الآيات، وخبر قيس بن أبى حازم الدالّ على وقوع الرؤية فى الآخرة:

المحاولة الأُولى:

المحاولة الأُولى:

إنّ تعارض الآيات والرواية من قبيل تعارض المطلق والمقيد، فلا مانع من الجمع بينهما بحمل الأُولى على الحياة الحاضرة، والثانية على الحياة الآخرة «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۱

يلاحظ عليه: بأنّ الجمع بين الآيات والرواية على نحو ما ذكر أشبه بمحاولة الفقيه إذا فوجئ بروايتين تكون النسبة بينهما هى العموم والخصوص المطلق، فيجمع بينهما بحمل المطلق على المقيد.

ولو صحّ ما ذكر فإنّما هو فى المسائل الفرعيّة لا العقائدية، وليست الآيات الواردة فيها كالمطلق، والحديث كالمقيد، بل هى بصدد بيان العقيدة الإسلامية على أنّه سبحانه فوق أن تناله الرؤية، وانّ من تمنّاها فإنّما يتمنّى أمراً محالًا.

والدافع إلى هذا الجمع إنّما هو تزمّتهم بالروايات وتلقّيهم صحيح البخارى وغيره صحيحاً على الإطلاق لا يقبل النقاش والنقد، فلم يكن لهم محيص من معاملة الروايات والآيات معاملة الإطلاق والتقييد، ولأجل ذلك فكلّما تليت هذه الآيات للقائلين بالجواز يجيبون بأنّ الجميع يعود إلى هذه الدنيا، ولا صلة له بالآخرة، ولكنّهم غافلون عن أنّ الآيات تهدف فى تنديدها وتوبيخها إلى ملاحظة طلب نفس الرؤية بما هى هى، بغضّ النظر عن الدنيا والآخرة، ولا صلة لها بظرف السؤال، فحمل تلك الآيات على ظرف خاص تلاعب بالكتاب العزيز وتقديم للسنّة على القرآن، واعتماد على الظنّ دون القطع واليقين.

وأيمن اللَّه لو لم يكن فى الصحاح حديث قيس بن أبى حازم وغيره لما كان لديهم أىّ وازع لتأويل الآيات.

المحاولة الثانية:

المحاولة الثانية:

لقد تصدّى أبو الحسن الأشعرى للإجابة عن الآيات الأخيرة، وزعم أنّ الاستعظام إنّما كان لطلبهم الرؤية تعنّتاً وعناداً، قال:

إنّ بنى إسرائيل سألوا رؤية اللَّه عزّ وجلّ على طريق الإنكار لنبوّة موسى وترك الإيمان به حتّى يروا اللَّه لأنّهم قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۲

فلمّا سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتّى يريهم اللَّه من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم اللَّه سؤال أهل الكتاب أنْ ينزّل عليهم كتاباً من السماء من غير أنْ يكون ذلك مستحيلًا، ولكن لأنّهم أبوا أنْ يؤمنوا بنبىّ اللَّه حتّى يُنزّل عليهم من السماء كتاباً» «۱».

يلاحظ عليه أوّلًا: أنّ ما ذكره من أنّ الاستعظام لأجل كون طلبهم كان عن عنادٍ وتعنّتٍ لا لطلب معجزة زائدة، لو صحّ فإنّما يصحّ فى غير هذه الآيات، أعنى فى قوله سبحانه: وَقَالَ الَّذِينَ لَايَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً «۲»

، لا فيما تلوناه من الآيات، فإنّ الظاهر منها أنّ الاستعظام والاستفظاع راجعان إلى نفس السؤال بشهادة قوله: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ «۳»

، والذى يوضح ذلك أنّ التوبيخ والتنديد راجعان إلى نفس السؤال- مع غضّ النظر عن سبب السؤال، وهل هو لغاية زيادة العلم أو للعتوّ؟- أُمور:

۱- أ نّه سبحانه سمّى سؤالهم ظلماً وتعدّياً عن الحدّ.

۲- أنّ موسى سمّى سؤالَهم سؤالًا سفهيّاً.

۳- عندما طلب موسى الرؤية أُجيب بالخيبة والحرمان، ولم يكن سؤاله عن عناد واستكبار، ولو كانت الخيبة مختصّة بالدنيا، كان عليه سبحانه الرجوع إليه بالعطف والحنان بأنّها غير ممكنة فى هذه الدار وسوف ترانى فى الآخرة.

وثانياً: أنّه سبحانه وإنْ جمع فی آیة سورة النساء «۴»، بین نزول الکتاب من

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۳۳

السماء علیهم، ورؤیة اللّه جهرةً، لکن کون الأوّل أمراً ممکناً لا یکون دلیلًا علی کون الثانی مثله؛ وذلک لأنّ وجه الشبه بین الأمرین لیس الإمکان أو الاستحالة حتّی یکونا مشارکین فیهما، بل هو طلب أمر عظیم، وشیء لیسوا مستأهلین له، فلا یکون إمکان الأوّل دلیلًا علی إمکان الثانی.

علی أنّ قوله سبحانه: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ یشیر إلی الفرق بین الطلبین مع المشارکة فی أمر الاستعظام؛ وهو استحالة الثانی دون الأوّل، ولذا سمّاه أکبر.

وبذلک تقف علی ضعف ما ذکره الرازی فی تفسیره؛ لکونه مأخوذاً من کلام إمامه الأشعری.

کما أنّه نقل کلام أبی الحسین المعتزلی فی کتاب التصفّح وناقشه بوجه غیر تامّ «۱».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۳۴

دراسة أدلّة النافین

(۴) دراسة أدلّة النافین

الآیة الأُولی: لا تدرکه الأبصار

اشارة

الآیة الأُولی: لا تدرکه الأبصار

قد عرفت تعبیر الکتاب عن الرؤیة إجمالًا، وأنّه یعدّ طلب الرؤیة وسؤالها أمراً فظیعاً، قبیحاً، موجباً لنزول الصاعقة والعذاب، والآیات السالفة وضّحت موقف الکتاب من هذه المسألة لکن علی وجه الإجمال، غیر أنّا إذا استنطقنا ما سبق من الآیات، نقف علی قضاء الکتاب فی أمر الرؤیة علی وجه التفصیل.

وقد عقدنا هذا الفصل لدراسة بعض ما سبق وتحلیله.

قال سبحانه: ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ کُلِّ شَیْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٍ* لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ «۱»

والاستدلال بالآیة یتوقّف علی البحث فی مرحلتین:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۳۵

المرحلة الأُولی: فی بیان مفهوم الدرک لغةً:

المرحلة الأُولی: فی بیان مفهوم الدرک لغةً:

الدرک فی اللغة اللحوق والوصول ولیس بمعنی الرؤیة، ولو أُرید منه الرؤیة فإنّما هو باعتبار قرینیّة المتعلّق.

قال ابن فارس: الدرک له أصلٌ واحد (أی معنی واحد) وهو لحوق الشیء بالشیء ووصوله إلیه، یقال: أدرکت الشیء أُدرکه إدراکاً، ویقال: أدرک الغلام والجاریة إذا بلغا، وتدارک القوم: لحق آخرُهم أوّلهم، فأمّا قوله تعالی: بَلْ ادَّارَکَ عِلْمُهُمْ فِی الْآخِرَةِ «۱»

فهو من هذا، لأن علمهم أدرکهم فی الآخرة حین لم ینفعهم «۲».

وقال ابن منظور مثله، وأضاف: ففی الحدیث «أعوذ بک من درک الشقاء» أی لحوقه، یقال: مشیتُ حتی أدرکتهُ، وعشتُ حتی أدرکتُه، وأدرکتُه ببصری أی رأیته «۳».

إذا کان الدرک بمعنی اللحوق والوصول فله مصادیق کثیرة، فالإدراک بالبصر التحاق من الرائی بالمرئی بالبصر، والإدراک بالمشی، کما فی قول ابن منظور:

مشیت حتّی أدرکته، التحاق الماشی بالمتقدّم بالمشی، وهکذا غیره.

فإذا قال سبحانه: لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ یتعیّن ذلک المعنی الکلی (اللحوق والوصول) بالرؤیة، ویکون معنی الجملة أنه سبحانه تفرّد بهذا الوصف وتعالی عن الرؤیة دون غیره.

المرحلة الثانیة: فی بیان مفهوم الآیتین:

المرحلة الثانیة: فی بیان مفهوم الآیتین:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۳۶

أنه سبحانه لما قال: وَهُوَ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ ربما یتبادر إلی بعض الأذهان أ نّه إذا صار وکیلًا علی کلّ شیء، یکون جسماً قائماً بتدبیر الأُمور الجسمانیة، لکن یدفعه بأنه سبحانه مع کونه وکیلًا علی کلّ شیء لَاتُدْرِکُهُ الْأَبْصَارُ.

وعندما یتبادر من ذلک الوصف إلی بعض الأذهان أنه إذا تعالی عن تعلّق الأبصار فقد خرج عن حیطة الأشیاء الخارجیة وبطل الربط الوجودی الّذی هو مناط الإدراک والعلم بینه وبین مخلوقاته، یدفعه قوله: وَهُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصَارَ ثم تعلیله بقوله: وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ و «اللطیف» هو الرقیق النافذ فی الشیء و «الخبیر» من له الخبرة الکاملة؛ فإذا کان تعالی محیطاً بکلّ شیء؛ لرقّته ونفوذه فی الأشیاء، کان شاهداً علی کلّ شیء، لا یفقده ظاهر کلّ شیء وباطنه، ومع ذلک فهو عالم بظواهر الأشیاء وبواطنها من غیر أن یشغله شیء عن شیء أو یحتجب عنه شیء بشیء.

وبعبارة أُخری أن الأشیاء فی مقام التصوّر علی أصناف:

۱- ما یَری ویُری کالإنسان.

۲- ما لا یَری ولا یُری کالأعراض النسبیة مثل الأُبوّة والبنوّة.

۳- ما یُری ولا یَری کالجمادات.

۴- ما یَری ولا یُری وهذا القسم تفرّد به خالق جمیع الموجودات بأنّه یَری ولا یُری، والآیة بصدد مدحه وثنائه بأنّه جمعَ بین الأمرین یَری ولا یُری لا بالشقّ الأوّل وحده نظیر قوله سبحانه: فَاطِرِ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ یُطْعِمُ وَلَا یُطْعَمُ «۱»

ودلالة الآیة علی أنّه سبحانه لا یُری بالأبصار بمکان من الوضوح غیر أن للرازی ومن لفّ لفّه تشکیکات نأتی بها مع تحلیلها:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۳۷

الشبهة الأُولی:

أنّ الآیة فی مقام المدح؛ فإذا کان الشیء فی نفسه تمتنع رؤیته فلا یلزم من عدم رؤیته مدح وتعظیم للشیء، أمّا إذا کان فی نفسه جائز الرؤیة ثم إنّه قدر علی حَجب الأبصار عن رؤیته وعن إدراکه، کانت هذه القدرة الکاملة دالّة علی المدح والعظمة، فثبت أن هذه الآیة دالّة علی أنّه جائز الرؤیة حسب ذاته «۱».

إنّ هذا التشکیک یحطّ من مقام الرازی، فهو أکثر عقلیة من هذا التشکیک، وذلک لأنّه زعم أن المدح بالجملة الأُولی، أعنی قوله

سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وغفل عن أنّ المدح بمجموع الجزأين المذكورين فى الآية، بمعنى أنّه سبحانه لعلوّ منزلته لا يُدرَك وفى الوقت نفسه يُدرِك غيره، وهذا ظاهر لمن تأمّل فى الآية ونظيرها قوله سبحانه: يُطعِم ولا يُطعَم فهل يرضى الرازى بأنّه سبحانه يمكن له الأكل والطعم؟

الشبهة الثانية:

إنّ لفظ الأبصار صيغةُ جمعٍ دخل عليها الألف واللام فهو يفيد الاستغراق، فقوله: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ بمعنى لا تراه جميع الأبصار، وهذا يفيدُ سلبَ العموم ولا يفيد عمومَ السلب «۲».

يلاحظ عليه: أنّ المتبادر فى المقام كما فى نظائره هو عموم السلب أى لا يدركه أحد من ذوى الأبصار، نظير قوله سبحانه: إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ «۳»

وقوله سبحانه: فَإِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْكَافِرِينَ «۴»

وقوله سبحانه: وَاللَّهُ لَا

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۸

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ «۱»

.

يقول الإمام علىّ عليه السلام: «الحمد للَّه الذى لا يبلُغُ مدحتهُ القائلون، ولا يُحصى نعماءه العادّون، ولا يؤدّى حقّه المجتهدون، الذى لا يُدركه بُعد الهِمم، ولا ينالُه غوصُ الفِطَن» «۲»

.

فهل يحتمل الرازى فى هذه الآيات والجمل سلب العموم وأنّه سبحانه لا يحبّ جميع المعتدين والكافرين والظالمين، ولكن يحبّ بعضَ المعتدين والكافرين والظالمين، أو أنّ بعض القائلين يبلغون مدحته ويحصون نعماءه.

وهذا دليل على أنّ الموقف المسبق للرازى هو الّذى دفعه لدراسة القرآن لأجل دعمه، وهو آفة الفهم الصحيح من الكتاب.

الشبهة الثالثة: الإدراك هو الإحاطة

إن هذه الشبهة ذكرها ابن حزم فى فِصَله، والرازى فى مفاتيح الغيب وابن قيّم فى كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح «۳»، وقد أسهبوا الكلام فى تطوير الشبهة، ولا يسع المقام لنقل عباراتهم كلها، وإنّما نشير إلى المهم من كلماتهم.

وبما أن الأساس لكلام هؤلاء هو ابن حزم الظاهرى نذكر نصّ كلامه أوّلًا.

قال: إنّ الإدراك فى اللغة يفيد معنى زائداً عن النظر، وهو بمعنى الإحاطة، وليس هذا المعنى فى النظر والرؤية، فالإدراك (الإحاطة) منتفٍ عن اللَّه تعالى على كلّ حال فى الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك قوله سبحانه: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِى رَبِّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۳۹

سَيَهْدِين «۱»

، ففرّق اللَّه عزّ وجلّ بين الإدراك والرؤية فرقاً جليّاً؛ لأنّه تعالى أثبت الرؤية بقوله: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، وأخبر تعالى بأنّه رأى بعضهم بعضاً فصحّت منهم الرؤية لبنى إسرائيل، ولكن نفى اللَّه الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم:

كَلَّا إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ، فأخبر تعالى أنّه رأى أصحاب فرعون بنى إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شكّ فى أنّ ما نفاه اللَّه تعالى غير الّذى أثبته، فالإدراك غير الرؤية والحجّة لقولنا قول اللَّه تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ* إلى رَبِّها ناظِرَة «۲» «۳»

.

يلاحظ عليه: أنّ الشبهة تعرب عن أنّ صاحبها لم يقف على كيفية الاستدلال بالآية على نفى الرؤية، فزعم أنّ أساسه هو كون الإدراك فى اللغة بمعنى الرؤية، فردّ عليه بأنّه ليس بمعنى الرؤية، بشهادة أنّه سبحانه جمع فى الآية بين إثبات الرؤية ونفى الدرك، ولكنّه غفل عن أنّ مبدأ الاستدلال ليس ذلك، وقد قلنا سابقاً: إنّ الإدراك فى اللغة بمعنى اللحوق والوصول وليس بمعنى الرؤية ابتداءً، وإنما يتعيّن فى النظر والرؤية حسب المتعلّق، ولأجل ذلك لو جرّد عن المتعلّق- كما فى الآية- لا يكون بمعنى الرؤية، ولذلك جمع فيها بين الرؤية ونفى الدرك؛ لأنّ الدرك هناك بحكم عدم ذكر المتعلّق كالبصر، بمعنى اللحوق والوصول، فقد وقع الترائى بين الفريقين، ورأى فرعون وأصحابه بنى إسرائيل، ولكن لم يدركوهم أى لم يلحقوهم.

وعلى ضوء ذلك إذا جرّد عن المتعلّق مثل البصر والسمع يكون بمعنى اللحوق، وإذا اقترن بمتعلّق مثل البصر يتعيّن فى النظر والرؤية، لكن على وجه الإطلاق من غير تقيّد بالإحاطة.

فبطل قوله: بأنّ الادراك يدلّ على معنى زائد على النظر وهو الإحاطة، بل الإدراك مجرّداً عن القرينة لا يدلّ على الرؤية أبداً، ومع اقتران القرينة ووجود المتعلّق يدلّ على الرؤية والنظر على وجه الإطلاق من غير نظر إلى الفرد الخاص من الرؤية.

وبذلك يظهر أن ما أطنب به الرازى فى كلامه لا يرجع إلى شيء، حيث قال: لا نسلّم أنّ إدراك البصر عبارة عن الرؤية، بل هو بمعنى الإحاطة، فالمرئى إذا كان له حدّ ونهاية وأدركه البصر بجميع حدوده وجوانبه ونهاياته صار كأنّ ذلك الإبصار إحاطة به فسمّى هذه الرؤية إدراكاً، أمّا إذا لم يحط البصر بجوانب المرئى لم تسمّ تلك الرؤية إدراكاً، فالحاصل أنّ الرؤية جنس تحتها نوعان: رؤية مع الإحاطة، ورؤية لا مع الإحاطة، والرؤية مع الإحاطة هى المسماة بالإدراك؛ فنفى الإدراك يفيد نفىَ نوع واحد من نوعى الرؤية، ونفى النوع لا يوجب نفى الجنس، فلم يلزم من نفى الإدراك عن اللّه تعالى نفى الرؤية عنه.

ثمّ قال: فهذا وجه حسن مقبول فى الاعتراض على كلام الخصم «۱».

ويلاحظ عليه بأنّ ما ذكره الرازى كان افتراءً على اللغة للحفاظ على المذهب، وهذا أشبه بتفسير القرآن بالرأى، ولولا أنّ الرازى من أتباع المذهب الأشعرى لما تجرّأ بذلك التصرّف.

ونحن بدورنا نسأله: ما الدليل على أنّ الادراك إذا اقترن بالبصر يكون بمعنى الإدراك الإحاطى، مع أنّنا نجد خلافه فى الأمثلة التالية، نقول: أدركت طعمهُ أو ريحهُ أو صوتهُ، فهل هذه بمعنى أحطنا إحاطة تامّة به، أو أنه بمعنى مجرّد الدرك بالأدوات المذكورة من غير اختصاص بصورة الإحاطة؟ مثل قولهم أدرك الرسول، فهل هو بمعنى الإحاطة بحياته، أو يراد منه إدراكه مرّة أو مرّتين؟ ولم

يفسّره أحد من أصحاب المعاجم بما ذكره الرازى.

وحاصل الكلام: أنّ اللفظة إذا اقترنت ببعض أدوات الإدراك كالبصر والسمع يحمل المعنى الكلّى، أى اللحوق والوصول- على الرؤية والسماع- سواء كان الإدراك على وجه الإحاطة أو لا، وأما إذا تجرّدت اللفظة عن القرينة تكون بمعنى نفس اللحوق، قال سبحانه: حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ «۱»

ومعنى الآية: حَتَّى إِذَا لَحِقَهُ الْغَرَقَ ورأى نفسه غائصاً فى الماء استسلم وقال: آمَنْتُ ....

وقال سبحانه: فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى الْبَحْرِ يَبَساً لَاتَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى «۲»

، أى لا تخاف لحوق فرعون وجيشه بك وبمن معك من بنى إسرائيل.

وقال سبحانه: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ «۳»

فأثبت الرؤية ونفى الدرك، وما ذلك إلّالأنّ الإدراك إذا جُرّد عن المتعلّق لا يكون بمعنى الرؤية بتاتاً، بل بمعنى اللحوق.

نعم إذا اقترن بالبصر يكون متمحّضاً فى الرؤية من غير فرق بين نوعٍ ونوع، وتخصيصه بالنوع الإحاطى- لأجل دعم المذهب- افتراءٌ

على اللغة.

***

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۲

الآية الثانية: ولا يحيطون به علماً

اشارة

الآية الثانية: ولا يحيطون به علماً

قال سبحانه: يَوْمَئِذٍ لَاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً «۱»

.

إنّ الآية تتركّب من جزأين:

الأوّل: قوله: يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ.

الثانى: قوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً.

والضمير المجرور فى قوله: بِهِ يعود إلى اللَّه سبحانه.

ومعنى الآية:

ومعنى الآية:

اللَّه يحيطُ بهم لأنّه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ويكون معادلًا لقوله:

وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ولكنّهم لَايُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً. ويساوى قوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

وأمّا كيفية الاستدلال فبيانُها أنّ الرؤية سواء أوَقعت على جميع الذات أم على جزئها، فهى نوع إحاطةٍ علميّة من البشر به سبحانه، وقد قال: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً.

ولكن الرازى لأجل التهرّب من دلالة الآية على امتناع رؤيته سبحانه قال:

بأنّ الضمير المجرور يعود إلى قوله: مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ أى لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم، واللَّه سبحانه محيطٌ بما بينَ أيديهم وما خلفَهم.

أقول: إنّ الآية تحكى عن إحاطته العلمية سبحانه يوم القيامة بشهادةِ ما قبلَها: يَوْمَئِذٍ لَاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا، وعندئذٍ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۳

يكون المراد من الموصول فى قوله سبحانه: يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم هو الحياة الأُخروية الحاضرة، وقوله سبحانه: وَمَا خَلْفَهُمْ هو الحياة الدنيوية الواقعة خلف الحياة الأُخروية، وحينئذٍ لو رجع الضمير فى قوله: وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً إلى الموصولين يكون مفادُ الآية عدم إحاطة البشر بما يجرى فى النشأتين، وهو أمر واضح لا حاجة إلى التركيز عليه، وهذا بخلاف ما إذا رجع إلى «اللَّه»؛ فستكون الآية بصدد التنزيه، ويكون المقصود أنّ اللَّه يحيط بهم علماً وهؤلاء لا يحيطون كذلك، على غرار سائر الآيات.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۴

الآية الثالثة: قال لن ترانى

اشارة

الآية الثالثة: قال لن ترانى

قال سبحانه: وَلَمَّا جاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْکَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلكِن انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَيکَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ «۱»

. لقد استدلّ- بهذه الآية- كلٌّ من النافى والمثبت، رُغْم أنْ ليس لها إلّامدلول واحد، فكان بين القولين تناقض واضح.

ومردّ ذلک إلى أنّ أحد المستدلّين لم يتجرّد عن هواه حينما استدلّ بالآية، وإنّما ينظر إليها ليحتجّ بها على ما يتبنّاه، وهذا من قبيل التفسير بالرأى الّذى نهى النبىّ صلى الله عليه و آله عنه بالخبر المتواتر، وبالتالى قلّ من نظر إليها بموضوعية خالية عن كلّ رأى مسبق.

المفهوم الصحيح للآية:

المفهوم الصحيح للآية:

لا شکّ أنّنا إذا عرضنا الآية على عربى صميم لم يتأثّر ذهنه بالمناقشات الكلامية الدائرة بين النافين والمثبتين، وطلبنا منه أنْ يبيّن الإطار العام للآية و مفادها و منحاها، وهل هى بصدد بيان امتناع الرؤية أو جوازها؟ فسيجيب بصفاء ذهنه بأنّ الإطار العام لها هو تعاليه سبحانه عن الرؤية، وأنّ سؤاله أمر عظيم فظيع لا يُمحى أثره إلّابالتوبة، فسيكون فهم ذلک العربى حجّة علينا لا يجوز لنا العدول عنها، والقرآن نزل بلسانٍ عربىّ مبين ولم ينزل بلسان المتكلّمين أو المجادلين.

كما أنّنا إذا أردنا أن نُفسّر مفاد الآية تفسيراً صناعياً؛ فلا شکّ أنه يدلّ أيضاً على تعاليه عنها، وذلک لوجوه:

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۵

۱- الإجابة بالنفى المؤبد:

لمّا سأل موسى رؤية اللّه تبارک وتعالى أُجيب ب لَنْ تَرَانِى، والمتبادر من هذه الجملة أى قوله: لَنْ تَرَانِى هو النفى الأبدىّ الدالّ على عدم تحقُّقها أبداً.

والدليل على ذلک هو تتبع موارد استعمال كلمة «لن» فى الذكر الحكيم، فلا تراها متخلّفة عن ذلک ولو فى مورد واحد:

۱- قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ «۱»

.

۲- إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۲»

.

۳- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۳»

.

۴- سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۴»

.

۵- وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ «۵»

.

۶- فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِى أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِى عَدُوّاً «۶»

.

إلى غير ذلك من الآيات الصريحة فى أنّ «لن» تفيد التأبيد.

وربّما نوقش فى دلالة لَنْ على التأبيد مناقشة ناشئة عن عدم الوقوف الصحيح على مقصود النحاة من قولهم «لن» موضوعة للتأبيد، ولتوضيح مرامهم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۶

نذكر أمرين ثمّ نعرض المناقشة عليهما:

۱- إنّ المراد من التأبيد ليس كونُ المنفى ممتنعاً بالذات، بل كونه غير واقع، وكم فرق بين نفى الوقوع ونفى الإمكان، نعم ربّما يكون عدم الوقوع مستنداً إلى الاستحالة الذاتية.

۲- إنّ المراد من التأبيد هو النفى القاطع، وهذا قد يكون غير محدّد بشىء وربّما يكون محدّداً بظرفٍ خاص، فيكون معنى التأبيد بقاء النفى بحاله مادام الظرف باقياً.

إذا عرفت الأمرين تقف على وهن ما نقله الرازى عن الواحدى من أنّه قال:

ما نُقل عن أهل اللغة أنّ كلمة «لن» للتأبيد دعوى باطلة، والدليل على فساده قوله تعالى فى حقّ اليهود: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ «۱»

قال: وذلك لأنّهم يتمنّون الموت يوم القيامة بعد دخولهم النار، قال سبحانه: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ «۲»

فإنّ المراد من لِيَقْضِ عَلَيْنَا هو القضاء بالموت «۳».

ووجه الضعف ما عرفت من أنّ التأبيد على قسمين: غير محدّد، ومحدّد بإطار خاصّ، ومن المعلوم أنّ قوله سبحانه: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ ناظر إلى التأبيد فى الإطار الّذى اتّخذه المتكلّم ظرفاً لكلامه وهو الحياة الدنيا، فالمجرمون ما داموا فى الحياة الدنيا لا يتمنّون الموت أبداً، لعلمهم بأنّ اللّه سبحانه بعد موتهم يُقدّمهم للحساب والجزاء، ولأجل ذلك لا يتمنّونه أبداً قطّ.

وأمّا تمنّيهم الموت بعد ورودهم العذاب الأليم فليس داخلًا فى مفهوم الآية

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۷

الأُولى حتى يُعدّ التمنّى مناقضاً للتأبيد.

ومن ذلك يظهر وهن كلام آخر وهو: أنه ربّما يقال: إنّ «لن» لا تدلّ على الدوام والاستمرار بشهادة قوله: إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً «۱»

إذ لو كانت لَنْ تفيد تأبيد النفى لوقع التعارض بينها وبين كلمة الْيَوْمَ لأنّ اليوم محدّد معيّن، وتأبيد النفى غير محدّد ولا معيّن، ومثله قوله سبحانه على لسان ولد يعقوب: فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِى أَبِى «۲»

حيث حدّد بقاءه فى الأرض بصدور الإذن من أبيه «۳».

وجه الوهن: أنّ التأبيد فى كلام النحاة ليس مساوياً للمعدوم المطلق، بل المقصود هو النفى القاطع الّذى لا يشق، والنفى القاطع الّذى لا يكسر ولا يشقّ على قسمين:

تارةً يكون الكلام غير محدّد بظرف خاص ولا تدلّ عليه قرينة حالية ولا مقالية فعندئذٍ يساوق التأبيدَ المعدوم المطلق.

وأخرى يكون الكلام محدّداً بزمان حسب القرائن اللفظية والمثالية، فيكون التأبيد محدّداً بهذا الظرف أيضاً، ومعنى قول مريم: فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً «۴»

هو النفى القاطع فى هذا الإطار، ولا ينافى تكلّمها بعد هذا اليوم.

والحاصل: أنّ ما أُثير من الإشكال فى المقام ناشئ من عدم الإمعان فيما ذكرنا من الأمرين؛ فتارةً حسبوا أنّ المراد من التأبيد هو الاستحالة فأوردوا بأنّه ربّما يكون المدخول أمراً ممكناً كما فى قوله: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِى أَبَداً «۵»

، وأُخرى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۸

حسبوا أنّ التأبيد يلازم النفى والمعدوم المطلق، فناقشوا فى الآيات الماضية الّتى لم يكن النفى فيها نفياً مطلقاً، ولو أنّهم وقفوا على ما ذكرنا من الأمرين لسكتوا عن هذه الاعتراضات.

وبما أنّه سبحانه لم يتّخذ لنفى رؤيته ظرفاً خاصاً، فسيكون مدلوله عدم تحقّق الرؤية أبداً لا فى هذه الدنيا ولا فى الآخرة.

والحاصل: أنّ الآية صريحة فى عدم احتمال الطبيعة البشرية لذلك الأمر الجلل، ولذلك أمره أنْ ينظر إلى الجبل عند تجلّيه، فلما اندكّ الجبل خرّ موسى مغشيّاً عليه من الذُّعْرِ، ولو كان عدم الرؤية مختصاً بالحياة الدنيا لما احتاج إلى هذا التفصيل، بل كان فى وسعه سبحانه أن يقول: لا ترانى فى الدنيا ولكن ترانى فى الآخرة؛ فاصبر حتّى يأتيك وقته، والإنسان مهما بلغ كمالًا فى الآخرة فهو لا يخرج عن طبيعته التى خُلق عليها، وقد بيّن سبحانه أنّه خلق ضعيفاً.

۲- تعليق الرؤية على أمر غير واقع:

علّق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل وبقائه على الحالة التى كان عليها عند التجلّى، وعدم تحوّله إلى ذرّات ترابية صغار بعده، والمفروض أنه لم يبقَ على حالته السابقة، وبطلت هويّته، وصارت تراباً مدكوكاً، فإذا انتفى المعلّق عليه (بقاء الجبل على حالته) ينتفى المعلّق، وهذا النوع من التعليق فى كلامهم، طريقة معروفة حيث يعلِّقون وجود الشىء على ما يعلم عدم وقوعه وتحقّقه، واللّٰه سبحانه بما أنّه يعلم أنّ الجبل لا يستقر فى مكانه- بعد التجلّى- فعلّق الرؤية على استقراره؛ لكى يستدلّ بانتفائه على انتفائه، قال سبحانه: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۴۹

والحاصل: أنّ المعلّق عليه هو وجودُ الاستقرار بِغَضّ النظرِ عن كونهِ أمراً ممكناً أو مستحيلًا، والمفروض أنّه لا يستقرّ، فبانتفائه ينتفى ما علّق عليه وهو الرؤية.

وبالإمعان فيما ذكر تستغنى عن جلّ ما ذكره المتكلّمون من المعتزلة والأشاعرة حول المعلّق عليه «۱».

ولإراءة نموذج من كلامهم نأتى بما ذكره الرازى، قال: إنّه تعالى علّق رؤيته على أمر جائز، والمعلّق على الجائز جائز، فيلزم كون الرؤية فى نفسها جائزة بدليل قوله: فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى «۲»

واستقرار الجبل أمرٌ جائزُ الوجود فى نفسه، فثبت أنه تعالى علّق رؤيته على جائز الوجود فى نفسه... «۳».

ويلاحظ على كلامه أنّ المعلّق عليه ليس إمكانُ الاستقرار وكونه أمراً ممكناً مقابل كونه أمراً مُحالًا عليه حتّى يكون أمراً حاصلًا ويلزم منه وجود المعلّق، أعنى الرؤية، مع أنّ المفروض عدمها، بل المعلّق عليه بقاء الجبل على ما كان عليه؛ إذ لو كان المعلّق عليه إمكان الاستقرار يلزم نقض الغرض وتحقّق الرؤية لموسى عليه السلام بل المعلّق عليه هو بقاء الجبل على حالته الّتى كان عليها حين التكلّم، والمفروض أنّه لم يبقَ عليها، بل دُكَّ وصار تراباً مستوياً بالأرض، فبانتفائه انتفى المعلَّق، أعنى:

الرؤية.

۳- تنزيهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤية:

تذكر الآية أنّ موسى لما أفاق فأوّلُ ما تكلّم به هو تسبيحه سبحانه وتنزيهه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۰

وقال: سُبْحَانَكَ وذلك لأنّ الرؤية لا تنفكّ عن الجهة والجسمية وغيرهما من النقائص، فنزّه سبحانه عنها، فطلبها نوع تصديق لها.

ومن مصاديق التفسير بالرأى ما ربّما يقال: إنّ المراد- من التنزيه هنا- هو تنزيه اللَّه وتعظيمه وإجلاله عن أنْ يتحمّل رؤيته مَنْ كتب عليه الفناء، حتى لا يتعارض مع ما ورد من إثبات الرؤية عن اللَّه ورسوله فى دار الآخرة، وليست الرؤية من النقائص على ما يدّعيه نفاتها، فهى ليست نقصاً فى المخلوق، بل هى كمال، وكلّ كمال اتّصف به المخلوق وأمكن أنْ يتّصف به الخالق فالخالق أولى «۱».

يلاحظ عليه: بأنّه من أين وقف على اختصاص النفى بمن كتب عليه الفناء، مع إطلاق الآية، ولماذا لا يجعل الموضوع لعدم تحمّلها الوجود الإمكانى القاصر المحفوظ فى كلتا الدارين.

وما ذكره فى آخر كلامه من أنّ كلّ كمال اتّصف به المخلوق وأمكن أن يتّصف به الخالق فالخالق أولى به صحيح من حيث الضابطة والقانون، لكنّه باطل من حيث التطبيق على المورد؛ فإنّ ما يوصف به المخلوق على قسمين: فمنه ما يكون كمالًا له ككونه عالماً قادراً حيّاً سميعاً بصيراً، فاللَّه أولى بأن يوصف به، ومنه ما لا يكون كمالًا له ككونه مرئياً للغير، فلا يوصف به سبحانه، ولو افترضنا كونه كمالًا للأوّل، لكنّه يكون موجباً للنقص فى الثانى لاستلزامه التجسيم والتشبيه والجهة والحاجة إلى المكان، تعالى اللَّه عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وكان الأولى للكاتب وأشباهه أن لا يخوضوا فى غمار هذه المسائل التى تحتاج إلى قدر كبير من التفكّر والعناية الخاصّة.

إذا لم تستطع أمراً فدعهُ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ ۴- توبته لأجل طلب الرؤية:

إنّ موسى عليه السلام بعدما أفاق، أخذ بالتنزيه أولًا، والتوبة والإنابة إلى ربّه ثانياً، وظاهر الآية أنه تاب من سؤاله، كما أنّ الظاهر من قوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ أنّه أوّل المصدّقين بأنه لا يرى بتاتاً.

وللباقّلانى (ت ۴۰۳ ه) أحد دعاة مذهب الإمام الأشعرى كلامٌ فى تفسير التوبة، أشبه بالتفسير بالرأى، قال:

يحتمل أنّ موسى تاب لأجل أنّه ذكر ذنوباً له قد قدّم التوبة منها، فجدّد التوبة عند ذكرها لهول ما رأى، أو تاب من ترك استئذانه منه سبحانه فى هذه المسألة العظيمة «۱».

لكن كلّ ما ذكره وجوه لا يتحمّلها ظاهر الآية، وإنّما تورّط فيها لأجل دعم المذهب، وهذا هو الذى ندّد به النبىّ الأكرم قائلًا: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار» «۲»

، ومثله قول الرازى فى تفسير قوله: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بأنّه لا يراك أحدٌ فى الدنيا، أو أوّل المؤمنين بأنّه لا يجوز السؤال منك إلّابإذنك «۳».

شبهات المخالفين

اشارة

شبهات المخالفين

قد تقدّم أنّ الآية استدلّ بها النافون والمثبتون، وقد تعرّفت على استدلال النافين، وليس استدلال المثبتين للرؤية استدلالًا علمياً، وإنّما يرجع محصّل

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۲

كلامهم إلى إبداء شبهتين هما:

الشبهة الأُولى: لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم عليه السلام

الشبهة الأُولى: لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم عليه السلام

إنّ الآيـة دالّة على أنّ موسـى عليه السـلام سأل الرؤية، ولا شكّ فى كون موسـى عليه السـلام عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على اللّه تعالى، فلو كانت الرؤية ممتنعة على اللّه تعالى لما سألها، وحيث سألها علمنا أنّ الرؤية جائزة على اللّه تعالى «۱».

والاسـتدلال بطلب موسـى إنّما يكون متقناً إذا تبيّن أنه عليه السـلام طلبها باختيار ومن غير ضـغط من قومه، فعندئذٍ يصـلح للتمسّك به ظاهراً، وأنّى للمسـتدلّ إثبات ذلك، مع أنّ القرائن تشهد على أنّه سأل الرؤية على لسان قومه حيث كانوا مصرّين على ذلك على وجه يأتى بيانه، وتوضيحه يتوقّف على بيان أُمور:

۱- أنّه سبحانه ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية أولًا «۲».

۲- أنّه سبحانه أتْبعها بذكر قصة العجل وما دار بين موسى وأخيه وقومه ثانياً «۳».

۳- ثمّ نقل اختيار موسى من قومه سبعين رجلًا لميقاته سبحانه وقال:

وَاخْتَارَ مُوسَـى قَوْمَهُ سَـبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ «۴»

.

والإجابة الحاسمة تتوقّف على توضيح أمر آخر وهو: هل كان سؤال موسى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۳

الرؤية مسـتقلًا عن طلب القوم الرؤية، أم لا صـلة له بطلبهم؟ من غير فرق بين القول بوقوع الطلبين فى زمان واحد أو زمانين، بل المهم، وجود الصلة بين السؤالين، وكون الثانى من توابع السؤال الأوّل.

والظاهر بل المقطوع به هو الأوّل، ويدلّ على ذلك أمران:

الأوّل: سياق الآيات ليس دليلًا قطعياً

إنّ ذهاب موسى بقومه إلى الميقات كان قبل تحقُّق قصّـة العجل، لقوله سبحانه: يَسْأَلُکَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسـى أَكْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَـذَتْهُمُ الصَّاعِقَـةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَـذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذلِکَ «۱»

، فإنّ تخلّل لفظة «ثم» حاك عن تأخّرها عن الـذهاب، ومع ذلك كلّه فقـد جاء ذكر ذهابهم إلى الميقات فى سورة الأعراف بعد ذكر قصـة العجل، وهـذا لو دلّ على شـىء فإنّما يدلّ على أنّ السـياق ليس دليلًا قطعياً لا يجوز مخالفته، فكما جاز تأخير المتقدّم وجوداً فى مقام البيان فكذلك يجوز تكرار ما جاء فى أثناء القصة فى آخره لنكتة سنوافيك بها.

فما نقله الرازى عن بعضهم من أنّهم خرجوا إلى الميقات ليتوبوا عن عبادة العجل فقالوا فى الميقات: أَعْطِنَا مَا لَمْ تُعطِهِ أَحداً قَبْلَنَا... «۲» ليس بشىء، وقد عرفت تصريح الآية على تقدّم سؤالهم الرؤية على عبادته.

الثانى: استقلال السؤالين غير معقول

إنّ لاحتمال استقلال السؤالين صورتين:

الاولى: أن يتقدّم موسى بسؤال اللّه الرؤية لنفسه ثمّ يَحدث ما حدث، من

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۴

خروره صعقاً وإفاقته وإنابته، ثمّ إنّه بعدما سار بقومه إلى الميقات سأله قومه أن يُرى اللّه لهم جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

الثانية: عكس الصورة الأُولى؛ بأن يسير موسى بقومه إلى الميقات ثمّ يسألونه رؤية اللّه جهرة فيحدث ما حدث ثمّ هو فى يوم آخر أو بعد تلك الواقعة يسأل الرؤية لنفسه فيُخاطب بقوله: لَنْ تَرَانِى وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ «۱»

.

إنّ العقل يحكم بامتناع كلتا الصورتين عادة حسب الموازين العادية.

أمّا الأُولى، فلو كان موسى متقدّماً فى السؤال وسمع من اللّه ما خاطبه به بقوله لَنْ تَرَانِى كان عليه أن يذكّر قومه بعواقب السؤال، وأنّه سألها ربّه ففوجئ بالغشيان، مع أنّه لم يذكرهم بشىء مما جرى عليه حين طلبهم، ولو ذكّرهم لما سكت عنه الوحى.

أمّا الثانية: فهو كذلك؛ لأنّه لو كان قد تقدّم سؤال قومه الرؤية وقد شاهد موسى ما شاهد حيث اعتبر عملهم سفهياً فلا يصحّ فى منطق العقل أن يطلب الكليم ذلك لنفسه بعد ذلك مستقلًا.

وكل ذلك يؤكد عدم وجود ميقاتين ولا لقاءين ولا سؤالين مستقلّين، وإنّما كان هناك ميقات واحد ولقاء واحد وسؤالان بينهما ترتّب وصلة، والدافع إلى السؤال الثانى هو نفس الدافع إلى السؤال الأوّل، وعندئذٍ لا يدلّ سؤال موسى الرؤية على كونها أمراً ممكناً لاندفاعه إلى السؤال من قبل قومه.

وتوضيح ذلك: أنّ الكليم لمّا أخبر قومه بأنّ اللّه كلّمه وقرّبه وناجاه، قال قومه: لن نؤمن بك حتى نسمع كلامه كما سمعتَ، فاختار منهم سبعين رجلًا لميقاته وسأله سبحانه أن يكلّمه، فلمّا كلّمه اللّه وسمع القوم كلامه قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فعند ذلك أخذتهم الصاعقة بظلمهم، وإلى هذه الواقعة تشير

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۵۵

الآيات التالية:

۱- وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ «۱»

.

۲- وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ «۲»

.

۳- يَسْأَلُکَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ «۳»

.

۴- وَاخْتَارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّایَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِی مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ «۴»

.

إلى هذه اللحظة الحساسة لم يتكلّم موسى عليه السلام حول الرؤية ولم ينبس بها ببنت شفة ولم يطلب شيئاً، وإنّما طلب منه سبحانه أن يحييهم حتى يدفع عن نفسه اعتراض قومه إذا رجع إليهم، وهو القائل: قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّایَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ.

فلو كان هناك سؤال فإنّما كان بعد هذه المرحلة وبعد إصابة الصاعقة السائلين، وعودتهم إلى الحياة بدعاء موسى، وعندئذٍ نتساءل

هل يصح للكليم أن يطلب السؤال لنفسه وقد رأى بأمّ عينيه ما رأى؟ كلا، وكيف يصحّ له أن يسأله وقد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٥٦

وصف السؤال بالسفاهة، فلم يبق هناك إلّااحتمال آخر؛ وهو أنّه بعدما عاد قومه إلى الحياة أصرّوا على موسى وألحّوا عليه أن يسأل الرؤية لنفسه لا لهم، حتّى تحلّ رؤيته للّه مكان رؤيتهم، فيؤمنوا به بعد إخباره بالرؤية «١»، وهذا هو المعقول والمرتقب من قوم موسى الّذين عرفوا بالعناد واللجاج، وبما أنّ موسى لم يُقْدِم على السؤال إلّاباصرارٍ منهم لكى يسكتهم، لذلك لم يتوجّه إلى الكليم أيُّ تَبِعة ولا مؤاخذة، بل خوطب بقوله: لَنْ تَرَانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي «٢»

.

وللإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام هنا كلام حول سؤال موسى:

قال عليّ بن محمّد بن الجهم: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول اللّه أليس من قولك: أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن، فكان فيما سأله أن قال له: فما معنى قول اللّه عزّ وجلّ: وَلَمَّا جَاءَ مُوسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي كيف يجوز أن يكون كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أنّ اللّه- تعالى ذكره- لا تجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: «إنّ كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام علم أنّ اللّه تعالى عن أن يُرى بالأبصار، ولكنّه لما كلّمه اللّه عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً، رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ اللّه عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ثمّ اختار منهم سبعمائة ثمّ اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سَيناءَ، فأقامهم فى سفح الجبل، وصعد

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٥٧

موسى عليه السلام إلى الطور وسأل اللّه تبارك وتعالى أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه اللّه تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام؛ لأنّ اللّه عزّ وجلّ أحدَثَه فى الشجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأنّ هذا الّذى سمعناه كلامُ اللّه حتّى نرى اللّه جهرةً، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث اللّه عزّ وجلّ عليهم صاعقةً فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعتُ إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم؛ لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة اللّه إيّاك؟ فأحياهم اللّه وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت اللّه أن يريك أن تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته، فقال موسى عليه السلام: يا قوم إنّ اللّه لا يُرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بنى إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى اللّه جلّ جلاله إليه: يا موسى اسألنى ما سألوك فلن أُؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكِ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ (بآية من آياته) جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيكَ (يقول: رجعت إلى معرفتى بك عن جهل قومى) وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ منهم بأنّك لا تُرى».

فقال المأمون: للّه درّك يا أبا الحسن، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة «١».

وللزمخشرى فى المقام تفسير رائع قال: ما كان طلب الرؤية إلّاليبكت هؤلاء

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٥٨

الّذين دعاهم سفهاء وضُلّالًا وتبرّأ من فعلهم، وذلك أنّهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبّههم على الحقّ، فلجّوا وتمادوا فى لجاجهم، وقالوا لابدّ، ولن نؤمن حتّى نرى اللّه جهرةً، فأراد أن يسمعوا النصّ من عند اللّه باستحالة ذلك وهو قوله: لَنْ

تَرَانِی لیتیقّنوا وینزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة، فلذلک قال:
رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ «۱»

.

وعلی کلّ تقدیر فما ذکره صاحب الکشّاف قریب ممّا ذکرناه، وکلا البیانین یشترکان فی أنّ السؤال لم یکن بـدافعٍ من نفس موسی، بل بضغط من قومه.

ولکن الرازی ناقش فی هذه المقالة وقال:

ظاهر الحال یقتضی أنْ تکون هـذه القصـة مغایرة للقصة المتقدّمة؛ لأنّ الألْیَق بالفصاحة إتمام الکلام فی القصّة الأُولی فی وضع واحد ثمّ الانتقال منها بعد تمامها إلی غیرها، فأمّا ذکر بعض القصة (سؤال موسی الرؤیة) ثمّ الانتقال منها إلی قصة أُخری (اتّخاذ العجل ربّاً) ثمّ الانتقال منها بعـد تمامها إلی بقیّـة الکلام فی القصة الأُولی (سؤال قوم موسی) یوجب نوعاً من الخَبْط والاضـطراب، والأَولی صون کلام اللَّه تعالی عنه «۲».

والجواب: أنّه سبحانه أخذ ببیان قصة مواعدة موسی ثلاثین لیلة من الآیة ۱۴۲ وختمها فی الآیة ۱۵۵، فالمجموع قصة واحدة کسبیکة واحـدة، ولکن سبب العود إلی مـا ذکر فی أثنـاء القصـة فی آخرهـا هو إبراز العنایـة بسؤال الرؤیـة باعتباره مسألـة مهمّـة فی حیاة بنی إسرائیل.

فقد اتّضح ممّا ذکرنا عدم دلالة الآیة علی إمکان رؤیته سبحانه بطلب موسی.

***

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۵۹

الشبهة الثانیة: تجلّیه للجبل

الشبهة الثانیة: تجلّیه للجبل

إنّ تجلّیه سبحانه للجبـل هو رؤیـة الجبـل له، فلمّا رآه (سبحانه) انـدکّت أجزاؤه، فإذا کان الأمرُ کـذلک ثبت أنه تعالی جائز الرؤیـة، وأقصی ما فی الباب أنْ یقال:

الجماد جماد، والجماد یمتنع أن یَری شیئاً، إلّاأن نقول لا یمتنع أن یقال: إنّه تعالی خلق فی ذلک الجبل الحیاة والعقل والفهم ثمّ خلق فیه الرؤیة متعلّقة بذات اللَّه «۱».

لکن یلاحظ علی هذا الکلام: أنّ ما ذکره من رؤیة الجبال للَّه تعالی مع افتراضه الحیاة والعقل والفهم للجبل شـیء نسجه فکره، ولیس فی الآیـة أیّ دلیل علیه، والحافز إلی هـذه الفکرة هو الـدفاع عن الموقف المسبق والعقیـدة التی وَرِثها، وظاهر الآیة أنّه سبحانه تجلّی للجبل وهو لم یتحمّل تجلّیه لا أنّه رآه وشاهده.

وأمّـا التجلّی، فکمـا یحتمـل أن یکون بالـذات کـذلک یحتمـل أن یکون بالفعـل، فمن لم یتحمّـل تجلّیه بفعله وقـدرته فالأولی أن لا یتحمّل تجلّیه بذاته، وعندئذٍ فمن المحتمل جداً أن یکون تجلّیه بآثاره وقدرته وأفعاله، فعند ذلک لا یدلّ أنّ تجلّیه للجبل کان بذاته.

أضِفْ إلی ذلک أنّ أقصـی ما تُعطیه الآیـة هو الإشـعار بـذلک، لـذا لا یمکن التمسک به وطرح الدلائل القاطعة عقلًا ونقلًا علی امتناع رؤیته.

إلی هنا تمّ ما أردناه من دلالة الذکر الحکیم علی امتناع الرؤیة، وقد استنطقنا الآیات السالفة بوجه تفصیلی، وتعرّفت فیه علی موقفه من الرؤیة بالعیون والأبصار.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۰

دراسة أدلة المثبتين

(۵) رؤية اللّه فى الذكر الحكيم دراسة أدلة المثبتين

آية إلى ربّها ناظرة

آية إلى ربّها ناظرة

استدلّ القائلون بجواز الرؤيـة بآيات متعـدّدة والمهم فيها هو الآية الآتية، أعنى قوله سبحانه: كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ* تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ «۱»

.

يقول الشارح القوشجى فى شرحه لتجريد الاعتقاد: إنّ النظر إذا كان بمعنى الانتظار يستعمل بغير صلة ويُقال انتظرته، وإذا كان بمعنى التفكّر يستعمل بلفظـة «فى»، وإذا كان بمعنى الرأفـة يستعمل بلفظة «اللام»، وإذا كان بمعنى الرؤية استعمل بلفظة «إلى»، فيحمل على الرؤية «۲».

أقول: لقد طال الجدال حول ما هو المقصود من النظر فى الآية، بين مثبتى الرؤية ونافيها، ولو أتينا بأقوالهم لطال بنا المقام، فإنّ المثبتين يُركّزون على أنّ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۱

الناظرة بمعنى الرؤية، كما أنّ نافيها يفسّرونها بمعنى الانتظار، مع أنّ تسليم كونه بمعنى الرؤية غير مؤثّر فى إثبات مدّعيها كما سيظهر، والحقّ عدم دلالتها على جواز رؤية اللّه بتاتاً، وذلك لأمرين:

الأول: أنّه سبحانه استخدم كلمة «وجوه» لا «عيون»، فقسم الوجوه إلى قسمين: وجوه ناضرة، ووجوه باسرة، ونسب النظر إلى الوجوه لا العيون، فلو كان المراد هو الرؤيـة لكان المتعيّن استخدام العيون بـدل الوجوه، والعجب أنّ المسـتدلّ غفل عن هـذه النكتـة التى تحدّد معنى الآيـة وتخرجها عن الإبهام والتردّد بين المعنيين، وأنت لا تجـد فى الأدب العربى القـديم ولا الحـديث مورداً نسب فيه النظر إلى الوجوه وأُريد منه الرؤية بالعيون والأبصار، بل كلما أُريد منه الرؤية نُسب إليهما.

الثـانى: لاـ نشكّ أنّ «الناظرة» فى قوله إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ بمعنى الرائيـة، ونحن نوافق المثبتين بأنّ النظر إذا استعمل مع «إلى» يكون بمعنى الرؤيـة، لكن الّذى يجب أن نُلفت إليه نظر المسـتدلّ هو أنّه ربما يكون المعنى اللغوى ذريعة لتفهيم معنى كنائى، ويكون هو المقصود بالأصالة لا المدلول اللغوى، فلو قلنا: زيد كثير الرماد، فالجملة مستعملة فى معناها اللغوى، ولكن كثرة الرماد مراد استعمالىّ لا جِدّىّ، والمراد الجِدّى هو ما اتّخذ المعنى الاستعمالى وسيلة لإفهامه للمخاطب، والمراد هنا هو جوده وسخاؤه وكثرة إطعامه، فإذا قال الرجل: زيد كثير الرماد، فلا نقول: إنّ القائل أخبرنا عن كثرة الرماد فى بيت زيد الذى يعدّ أوساخاً ملوثة لبيته، فيكون قد ذمّه دون أن يمدحه، بـل يجب علينا أن نقول: بأنّه أخبر عن جوده وسـخائه، والعبرة فى النسـبة المراد الجـدى لا الاسـتعمالى، وهـذه هى القاعـدة الكليـة فى تفسير كلمات الفصحاء والبلغاء.

والآن سنوضح مفاد الآية ونبيّن ماهو المراد الاستعمالى والجدى فيها، وذلك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۲

لا يعلم إلّابرفع إبهام الآية بمقابلها، فنقول: إنّ هناك ست آيات تقابلها ثلاث، وهى كالآتى:

۱- كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةِ يقابلها: وَتَذَرُونَ الْآخِرَة.

۲- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ يقابلها: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ.

۳- إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ يقابلها: تَظنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ.

فلاـ شـك أنّ الآيات الأربع الاول واضـحة لا خفاء فيها، وإنّما الإبهام وموضع النقاش هو الشقّ الأوّل من التقابل الثالث، فهل المراد منه جـدّاً هو الرؤية، أو أنّها كناية عن انتظار الرحمة؟ والّذى يعيّن أحد المعنيين هو الشقّ الثانى من التقابل الثالث، أعنى: تَظنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ فهو صـريح فى أنّ أصـحاب الوجوه الباسـرة ينتظرون العـذاب الكاسـر لظهرهم، ويظنّون نزوله. وهذا الظن لا ينفكّ عن الانتظار، فكلّ ظانّ لنزول العذاب منتظر، فيكون قرينة على أنّ أصحاب الوجوه المشرقة ينظرون إلى ربّهم، أى يرجون رحمته، وهذا ليس تصرّفاً فى الآيـات ولاـ تأويلًا لها، وإنّما هو رفع الإبهام عن الآيـة بالآيـة المقابلـة لها، وترى ذلك التقابل والانسـجام فى آيات أُخرى، غير أنّ الجميع سبيكة واحدة.

۱- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ يقابلها: ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ «۱»

.

۲- وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ يقابلها: تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ «۲»

.

فإنّ قوله: ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ قائم مقام قوله: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ فيرفع إبهام الثانى بالأوّل.

۳- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ يقابلها: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ* تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً «۳»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۳

۴- وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ يقابلها: لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ* فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ «۱»

.

أُنظر إلى الانسـجام البـديع، والتّقابـل الواضـح بينهما، والهـدف الواحـد، حيث الجميع بصـدد تصـنيف الوجوه يوم القيامـة، إلى ناضـر ومسفر، وإلى ناعم وباسر، وإلى أسود (غبرة) وخاشع.

أمّا جزاء الصنف الأوّل فهو الرحمة والغفران، وتحكيه الجمل التالية:

إلى ربّها ناظرة ضاحكة مستبشرة فى جنةٍ عالية.

وأمّا جزاء الصنف الثانى فهو العذاب والابتعاد عن الرحمة، وتحكيه الجمل التالية:

تظنّ أن يفعل بها فاقرة ترهقها قترة، تصلى ناراً حامية.

أفبعْـدَ هـذا البيان يبقى شكّ فى أنّ المراد من إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ هو انتظار الرحمة!! والقائل بالرؤية يتمسّك بهذه الآية، ويغضّ النظر عمّا حولها من الآيات، ومن المعلوم أنّ هذا من قبيل محاولة إثبات المدّعى بالآية، لا محاولة الوقوف على مفادها.

ويدلّ على ذلك أنّ كثيراً ما تستخدم العرب النظر بالوجوه فى انتظار الرحمة أو العذاب، وإليك بعض ما ورد فى ذلك:

وجوهٌ بها ليلُ الحجازِ على الهوى إلى ملكٍ كهفِ الخلائقِ ناظرَهْ

وجوهٌ نـاظرات يومَ بـدرٍ إلى الرحمنِ يأتى بالفلاحِ فلا نشكّ أنّ قوله: وجوهٌ ناظرات بمعنى رائيات، ولكن النظر إلى الرحمن هو كناية عن انتظار النصر والفتح.

إنّى إليك لما وعـدتَ لناظرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغنى الموسرِ فلا ريب أنّ اللفظين فى الشـعر وإن كانا بمعنى الرؤية، ولكن نظر الفقير إلى الغنى ليس بمعنى النظر بالعين، بل الصبر والانتظار حتّى يعينه.

قـال سـبحانه: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ «۱»

، والمراد من قوله: لَايَنْظُرْ إِلَيْهِمْ هو طردهم عن ساحته وعدم شمول رحمته لهم وعدم تعطّفه عليهم، لا عدم مشاهدته إيّاهم؛ لأنّ رؤيته وعدمها ليس أمراً مطلوباً لهم حتى يهدّدوا بعدم نظره سبحانه إليهم، بل الذى ينفعهم هو وصول رحمته إليهم، والّذى يصحّ تهديدهم به هو عدم شمول لطفه لهم، فيكون المراد عدم تعطّفه إليهم، على أنّ تفسير قوله لَايَنْظُرْ إِلَيْهِمْ ب «لا يراهم» يستلزم الكفر، فإنّه سبحانه يرى الجميع وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ.

والحاصل: أنّ النظر إذا أُسند إلى العيون يكون المعنى بالمراد الاستعمالى والجدّى هو الرؤية على أقسامها، وإذا أُسند إلى الشخص كالفقير أو إلى الوجوه فيراد به الرؤية استعمالًا والانتظار جدّاً.

ثمّ إنّ لصاحب الكشاف هنا كلمةً جيدة، حيث يقول بهذا الصدد: يقال: «أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى» يريد معنى التوقّع والرجاء، ومن هذا القبيل قوله:

وإذا نظرت إليك من ملكك والبحر دونك زدتنى نِعَما وقال: سمعت سروية مستجدية بمكّة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول: عُيينتى نويظرة إلى اللّه وإليكم، تقصد راجية ومتوقّعة لإحسانهم إليها، كما هو معنى قولهم: أنا أنظر إلى اللّه ثمّ إليك، وأتوقّع فضل اللّه ثمّ فضلك «۲».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۵

خمس آيات على مائدة التفسير

(۶) خمس آيات على مائدة التفسير

اشارة

(۶) خمس آيات على مائدة التفسير

اتّفق المحقّقون على أنّه لا يُستدلُّ بآية على عقيدة إسلامية إلّاإذا كانت الآية واضحة الدلالة جليّة المرمى؛ لما عرفت من أنّ المطلوب فى باب العقائد هو الاعتقاد، وهو متوقّف على الإذعان، ولا يحصل إلّاإذا كان هناك سبب قطعى له.

وعلى ذلك الأصل، كان المرتقب من أصحاب القول بالرؤية التمسّك بما له ظهور على مدّعاهُم ولو كان ذلك الظهور بدائياً أو زائلًا حين التمعّن به، ولكن من المؤسف أنّنا نراهم يتمسّكون بما لا دلالة له على مدّعاهم، بل لا صلة بينه وبين القول بالرؤية، وعلى ذلك سنتناول فى هذا الفصل هذا القسم من الآيات.

الآية الأُولى: أمره سبحانه موسى بالشكر له

الآية الأُولى: أمره سبحانه موسى بالشكر له

قَالَ يَا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ «۱»

.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۶

قال الرازى: اعلم أنّ موسى عليه السلام لمّا طلب الرؤية ومنعهُ اللّه منها، عدّد اللّهُ عليه وجوه نِعَمه العظيمة الّتى له عليه، وأمره أن يشتغلَ بذكرها كأنّه قال: إن كنتُ قد منعتُك الرؤية فقد أعطيتُك من النِعم كذا وكذا، فلا يضيقُ صدرُك بسبب منع الرؤية، وانظر إلى سائر أنواع النعم الّتى خصصتُك بها، واشتغِل بشكرها، والمقصود تسلية موسى عليه السلام عن منع الرؤية، وهذا أيضاً أحد ما يدلُّ على أنّ

الرؤية جائزةٌ على اللَّه تعالى؛ إذ لو كانت ممتنعة فى نفسها لما كان إلى ذكر هذا القدر حاجة «۱».

وقد تبعه إسماعيل البرسوى فقال فى تفسير قوله وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ: أن اشكُر يبلغك إلى ما سألتَ من الرؤية؛ لأنّ الشكر يستدعى الزيادة، لقوله تعالى:

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ «۲»

والزيادة هى الرؤية لقوله تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ «۳»

، وقال عليه الصّلاة والسلام: «الزيادةُ هى الرؤية، والحسنى هى الجنّة» «۴»

.

ومن المثبتين للرؤية من يستحسن مواقفَ المستدلّين بهذه الآية ويقول: إنّ الاستدلال بهذه الآية على الجواز قوىّ؛ لأنّ اللَّه تعالى عدّد لموسى عليه السلام هذه النعم التى أنعم اللَّهُ بها عليه لما منعه من حصولٍ جائزٍ طلبه منه، فذكر ما ذكر تسليةً له، ولو منعه من ممتنع لكان بخطاب آخر، وذلك مثلُ خطابه تعالى لنوح: رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۷

مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ «۱»

.

وقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين قال: رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحيى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى «۲»

، والفرق بين خطاب اللَّه لموسى عليه السلام وبين خطابه لنوح وإبراهيم عليه السلام ظاهر «۳».

وقد نقلنا كلام هؤلاء بالتفصيل ليقف القارئ على كيفية تمسّكهم بما لا دلالة له على مطلوبهم، والشاهد على ذلك أنّا لو عرضنا الآية على أىّ عربىّ مخاطب بالقرآن لا ينتقلُ ذهنه إلى ما يدّعون، ويرى أنّ إثبات الرؤية بها تحميل للنظرية على الآية وليس تفسيراً لها، وإليك نقاط الضعف فى كلماتهم:

أمّا الرازى، فمن أين يدّعى أنّ الآية فى مقام مواساة موسى لئلّا يضيق صدره بسبب منع الرؤية؟ لو لم نقل إنّ الآية وردت على خلاف ما يدّعيه، فإنّما وردت فى مورد الامتنان على موسى وموعظة له أنْ يكتفى بما اصطفاه اللَّه به من رسالاته، وكلامه، ويشكره ولا يزيد عليه.

هذا هو الظاهر من الآية، ولا-وجه لحمل الآية على كونها بصدد المواساة بعدما صدر من موسى فى الآية المتقدّمة عليها قوله: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ* قال يا موسى إنّى اصطفيتك على الناس.. «۴»

فمقتضى ما صدر من موسى من تنزيهٍ وتوبةٍ وإيمانٍ بأنّه لا يُرى هو موعظته بالاكتفاء بما أُوتى ولا يزيد عليه، لا أن يعتذر سبحانه إليه ويواسيه بحرمانه رؤيته.

وأمّا ما ذكره صاحب روح البيان فعجيب جدّاً؛ فإنّ استدلاله يتوقّف على أنّ المراد من «زيادة» فى قوله سبحانه: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ هو الرؤية؛

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۸

وهذا أوّل الكلام، وسيوافيك أنّ المراد منها هى الزيادة على الاستحقاق، فانتظر حتّى يأتيك البيان.

وأمّا ما ذكره الدكتور تأييداً لما ذكره الرازى فَضَعْفُه واضح؛ لأنّ الآية ليست بصدد مواساته، وأمّا اختلاف الخطاب بينها وبين ما ورد فى طلب نوح، هو أنّ طلب موسى لَمّا كان نتيجة ضغطٍ من قومه دون طلب نوح، صار الاختلاف فى مبدأ الطلبين سبباً لاختلاف الخطابين، فخوطب نوح بخطاب عتابى دون موسى عليهما السلام، وإنْ كان العتاب على ترك الأَولى.

الآية الثانية: الحسنى والزيادة

الآية الثانية: الحسنى والزيادة
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ وَأُولئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «۱»

.

فقد فسّرت الحسنى بالجنّة، والزيادة بالنظر إلى وجه اللَّه الكريم، فقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبيّ قال: «إذا أُدخل أهل الجنّة قال اللَّه تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخِلنا الجنّة وتُنْجِنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحبّ إليهم من التنظّر إلى ربّهم عزّ وجلّ».
وفي رواية ثمّ تلا: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ «۲»

.

إنّ القرآن الكريم كتاب عربي مبين وهو تبيان لكلّ شيء، كما هو مقتضى قوله سبحانه: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ «۳»
، وحاشا أن يكون تبياناً
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۶۹
لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه، وسياق الآية يدلّ على أنّ المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، فقد جعل سبحانه الجزاء حقّاً للعامل- لكن بفضله وكرمه- وقال: لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ «۱»
، ثمّ جعل المضاعف منه حقّاً للعامل أيضاً، وهذا أيضاً بكرمه وفضله، وقال: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا «۲»
. وبالنظر إلى هذه الآيات يتجلّى مفاد قوله سبحانه لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى استحقاقاً للجزاء والمثوبة الحسنى وَزِيَادَةٌ على قدر الاستحقاق، قال سبحانه: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ «۳»

.

وبغضّ النظر عمّا ذكرنا من تفسير الزيادةِ على الاستحقاق فإنّ ما بعدَ الآية قرينة واضحة على أنّ المراد من «زيادة» هو الزيادة على الاستحقاق، ومفاد الآيتين هو تعلّق مشيئته سبحانه على جزاء المحسنين بأكثر من الاستحقاق وجزاء المسيئين بقدر جرائمهم، قال سبحانه بعد هذه الآية: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ «۴»

.

أفبعد هذا السياق الرافع للإبهام يصحُّ لكاتب عربي واعٍ أنْ يستدلّ بالآية على الرؤية!!
وبذلك يظهر عدم دلالة ما يشابه هذه الآية مدلولًا على مدّعاهم، قال
الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۰
سبحانه: أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ «۱»
فإنّ المراد أحد المعنيين، إمّا زيادة على ما يشاؤونه ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيُّهم، أو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.
أمّا مارواه مسلم فسيوافيك القضاء الحقّ عند البحث عن الرؤية في الروايات، وأنّ الآحاد في باب العقائد غير مفيدة، خصوصاً إذا كانت مضادّة للبرهان.

الآية الثالثة: رؤية المَلِك

الآیة الثالثة: رؤیة المَلِک

وَإِذَا رَأَیْتَ ثَمَّ رَأَیْتَ نَعِیماً وَمُلْکاً کَبِیراً «۲»

.

قال الرازی: فإنّ إحدی القراءات فی هذه الآیة فی «ملکاً» بفتح المیم وکسر اللّام، وأجمع المسلمون علی أنّ ذلک المَلِک لیس إلّااللَّه تعالی، وعندی أنّ التمسّک بهذه الآیة أقوی من التمسّک بغیرها «۳».

وقال الآلوسی عند تفسیرها: و قیل هو النظر إلی اللَّه عزّوجلّ، وقیل غیر ذلک «۴».

ویلاحظ علی کلامه: أنّ المسائل العقائدیة یستدلّ علیها بالأدلّة القطعیة لا بالقراءات الشاذّة الّتی لا یحتجُّ بها علی الحکم الشرعی فضلًا عن العقیدة، وسیاق الآیة یدلّ علی أنه هو المُلْک- بضمّ المیم وسکون اللّام- وکأنّه سبحانه یقول: وإذا رمیت ببصرک الجنّة رأیت نعیماً لا یوصف ومُلْکاً کبیراً لا یقدّر قدره.

والآیة نظیر قوله: فَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا کَبِیراً «۵»

.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۷۱

الآیة الرابعة: آیات اللقاء

الآیة الرابعة: آیات اللقاء

۱- فَمَنْ کَانَ یَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا یُشْرِکْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً «۱»

.

۲- وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّکُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ «۲»

.

۳- تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً کَرِیماً «۳»

.

۴- وَقَالَ الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ کَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِیلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً کَثِیرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ «۴»

.

وجه الاستدلال: أنّ الآیات تنسب اللقاء إلی اللَّه تعالی، ومقتضی الأخذ بالظاهر هو تحقّق اللقاء بالمشاهدة والمعاینة.

لکنّ هذا الاستدلال یلاحظ علیه: أنّ اللقاء کما أُضیف فی هذه الآیات إلیه سبحانه، کذلک أُضیف إلی غیره سبحانه فی سائر الآیات، فتارةً أُضیف إلی لفظ الآخرة، قال سبحانه: وَالَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ «۵»

وقال: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا وَکَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ «۶»

، وأُخری إلی لفظ «الیوم» قال سبحانه: یَتْلُونَ عَلَیْکُمْ آیَاتِ رَبِّکُمْ وَیُنْذِرُونَکُمْ لِقَاءَ یَوْمِکُمْ

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۷۲

هذَا «۱»

وقال سبحانه: وَقِیلَ الْیَوْمَ نَنْسَاکُمْ کَمَا نَسِیتُمْ لِقَاءَ یَوْمِکُمْ هذَا «۲»

.

وعلى ذلك يكون المراد من الجميع هو لقاء الناس يوم الجزاء، بمعنى حضور الناس فى يوم القيامة للمحاسبة والمجازاة، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، وإنّما سُمِّى هذا بلقاء الرب أو لقاء اللّه لما تعلّقت مشيئته على مجازاة المحسنين والمسيئين فى ذلك اليوم، فبما أنّه سبحانه يجزى المحسن والمسىء فى ذلك اليوم فكأنّهم يلقونه سبحانه فيه لا قبله.

وفى نفس الآيات الّتى استدلّ بها على ذلك قرينة واضحة على أنَّ المراد من الآيات هو الحضور يوم القيامة؛ وهى أنّه سبحانه يأمر من يرجو لقاء الربّ بالعمل الصالح ويقول: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً «۳»

، أى فليستعدّ لذلك اليوم بالعمل الصالح، كما أنّه فى آية أُخرى يأمر بتقديم شىء لهذا اليوم ويقول: وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّه وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ «۴»

، وذلك لأنّ مقتضى العلم بالحشر فى ذلك اليوم والمحاسبة والمجازاة هو تقديم الأعمال الصالحة.

والذى يدلّ على أنّ المراد من اللقاء ليس هو الرؤية، أنّ الرؤية تختصّ بالمؤمنين ولا تعمّ الكافرين، مع أنّه سبحانه يُعمِّم اللقاء بالمؤمن والكافر فيقول:

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ «۵»

فلو كان المراد من لقاء اللّه هو مشاهدته ورؤيته فيلزم أن يكون المنافق مشاهداً له، فلم تبق أىّ فضيلة للمؤمنين، مع أنّ القائلين بالرؤية يُزمِّرون بأنّ الرؤية فضيلة وزيادة تختصّ بالمؤمنين.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۳

ولما ضاق الخناق على بعضهم قال بوجود رؤيتين: إحداهما عامّة للمؤمن والكافر؛ وهى الرؤية يوم القيامة، والأُخرى خاصّة بالمؤمنين؛ وهى الرؤية فى الجنّة «۱». وهو كما ترى؛ فإنّ ظرف الرؤية للمؤمنين فى رواية أبى هريرة هو يوم القيامة كما سيوافيك، وفيه يرى المؤمنون خالقهم على صورته الواقعيّة.

وفى الختام نقول: إنّ منزلة آيات اللقاء هى منزلة آيات الرجوع إلى اللّه، قال سبحانه: إِنَّا للَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ «۲»

ولم نر سلفيّاً أو أشعريّاً يستدلّ بها على رؤية اللّه سبحانه، مع أنّ وزان الجميع واحد.

الآية الخامسة: آية الحَجْب

الآية الخامسة: آية الحَجْب

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمحْجُوبُونَ* ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ* ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ «۳»

.

هذه الآية استدلّ بها غيرُ واحد من القائلين بالرؤية.

قال الآلوسى: لا يرونه تعالى وهو حاضرٌ ناظرٌ لهم بخلاف المؤمنين؛ فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية؛ لأنّ المحجوب لا يرى ما حُجِبَ؛ إذْ الحَجْب:

المنع، والكلام على حذف مضاف، أى عن رؤية ربّهم الممنوعة؛ فلا يرونه سبحانه، واحتجّ بالآية مالك على رؤية المؤمنين له تعالى من جهة دليل الخطاب، وإلّا فلو حجب الكلّ لما أغنى هذا التّخصيص، وقال الشافعى: لمّا حجب سبحانه قوماً بالسُّخْط دلّ على أنّ قوماً يرونه بالرّضا، وقال أنس بن مالك: لمّا حجب عزّ وجلّ أعداءه سبحانه فلم يروه تجلّى جلّ شأنه لأوليائه حتّى

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۴

رأوه عزّ وجلّ «۱».

ويلاحظ على هـذا الكلام: أنّ الآيـة بصـدد تهديد المجرمين وإنذارهم، وهذا لا يحصل إلّابتحذيرهم وحرمانهم من رحمته، وتعذيبهم فى جحيمه، وأمّا تهديدهم بأنّهم سيحرمون عن رؤيته تبارك وتعالى فلا يكون مؤثّراً فيمن غلبت على قلبه آثار المعاصـى والمآثم فلا يفكر يوماً باللّه ولا برؤيته، وعلى ذلك، فالمراد أنّ هؤلاء محجوبون يوم القيامـة عن رحمته وإحسانه وكرمه، وبعـدما مُنِعوا من الثواب والكرامـة يكون مصير هؤلاء إلى الجحيم، ولـذلك رتّب على خيبتهم وحرمانهم قوله: إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

هذه هى الآيات الّتى وقعت ذريعة للاستدلال على العقيدة المستوردة من الأحبار والرهبان إلى المسلمين، فزعم المحدّثون والمغترّون كونها عقيدة إسلامية، فحشروا الآيات للبرهنة عليها سواء كانت بها دلالة أم لا.

ولو كان المستدلّون متجرّدين عن عقائـدهم لفهموا أنّ هـذه الآيات نزلت لبيان مفاهيم أخلاقيـة واجتماعية وسوق المجتمع إلى العمل الصالح وعدم التورّط فى المعاصى، وأين هى من الدلالة على أصل كلامهم حول الرؤية؟!

إنّ اللّه سبحانه ذكر نعم الجنّة الكثيرة ومقامات المؤمنين، ولو كانت الرؤيـة من أماثل نعمه سبحانه فلماذا لم يـذكرها بوضوح كسائر النعم؟

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٧٥

رؤية اللّه فى الأحاديث النبويّة

(٧) رؤية اللّه فى الأحاديث النبويّة

١- أحاديث أهل السنّة

اشارة

١- أحاديث أهل السنّة

إليك ما ورد فى الصحاح حول الرؤية:

أ- روى البخارى فى باب «الصراط جسر جهنّم» بسنده عن أبى هريرة قال:

قـال أُنـاس: يـا رسول اللّه هل نرى ربّنا يوم القيامـة؟ فقال: «هل تضارّون فى الشـمس ليس دونها سـحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللّه، قال: «هل تُضارّون فى القمر ليلـة البـدر ليس دونه سـحاب؟» قالوا: لا يا رسول اللّه، قال: «فإنّكم ترونه يوم القيامـة، كذلك يجمع اللّه الناس فيقول: من كان يعبـد شـيئاً فليتّبعه، فيتّبع من كان يعبـد الشـمس، ويتّبع من كان يعبـد القمر، ويتّبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأُمّة فيهـا منافقوهـا، فيأتيهم اللّه فى غير الصورة الّتى يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ باللّه منك، هـذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم اللّه فى الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا فيتّبعونه ويضـرب جسر جهنم...» إلى أن يقول: «ويبقى رجلٌ مُقْبل بوجهه على النار فيقول: يا ربّ قد قَشَبَنى ريحها، وأحرقنى ذكاوها، فاصرف وجهى عن النار، فلا يزال يدعو اللّه فيقول: لعلّـك إن أعطيتُـك أن تسألنى غيره، فيقول: لا وعزّتك لا أسألك غيره، فيصـرف وجهه عن النار، ثمّ يقول بعـد ذلك: يا ربّ قرّبنى إلى باب الجنّة، فيقول: أليس قد زعمت أن

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٧٧

لاـ تسألنى غيره؟ ويلـك ابن آدم مـا أغـدرك! فلاـ يزال يـدعو فيقول: لعلّى إن أعطيتـك ذلـك تسألنى غيره، فيقول: لاـ وعزّتك لا أسألك غيره، فيعطى اللّه من عهود ومواثيق أنْ لا يسأله غيره، فيقرّبه إلى باب الجنّة، فإذا رأى ما فيها سـكت ما شاء اللّه أن يسكت، ثمّ

يقول: ربّى أدخلنى الجنّة، ثمّ يقول: أوَليسَ قد زعمت أنْ لا ـ تسألنى غيره؟ ويلك يابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا ربّ لا تجعلنى أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتّى يضحك (اللّه)، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها...» الحديث «١».

ورواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة، مع اختلاف يسير «٢».

ورواه أيضاً عن أبى سعيد الخدرى باختلاف غير يسير فى المتن وفيه: «حتّى إذا لم يبق إلّامن كان يعبد اللّه تعالى من برّ وفاجر أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من الّتى رأوه فيها، قال: فما تنتظرون تتبع كلّ أُمّة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربّنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ باللّه منك، لا نشرك باللّه شيئاً، مرّتين أو ثلاثاً، حتى أنّ بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد للّه من تلقاء نفسه، إلّاأذن اللّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتّقاءً ورياءً إلّا جعل اللّه ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه...» الحديث «٣».

وقد نقل الحديث فى مواضع من الصحيحين بتلخيص، ورواه أحمد فى مسنده «۴».

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۸

تحليل الحديث

تحليل الحديث

إنّ هذا الحديث مهما كثرت رواته وتعدّدت نقلته لا يصحّ الركون إليه فى منطق الشرع والعقل بوجوه:

أوّلًا: أنّه خبر واحد لا يفيد شيئاً فى باب الأُصول والعقائد، وإن كان مفيداً فى باب الفروع والأحكام؛ إذ المطلوب فى الفروع هو الفعل والعمل، وهو أمر ميسور سواء أذعن العامل بكونه مطابقاً للواقع أو لا ـ بل يكفى قيام الحجّة على لزوم تطبيق العمل عليه، ولكن المطلوب فى العقائد هو الإذعان وعقد القلب ونفى الريب والشك عن وجه الشىء، وهو لا ـ يحصل من خبر الواحد ولا ـ من خبر الإثنين، إلّاإذا بلغ حدّاً يورث العلم والإذعان؛ وهو غير حاصل بنقل شخص أو شخصين.

ثانياً: أنّ الحديث مخالف للقرآن، حيث يثبت للّه صفات الجسم ولوازم الجسمانية كما سيوافيك بيانه عن السيّد الجليل شرف الدين رحمه الله.

ثالثاً: ماذا يريد الراوى من قوله: «فيأتى اللّه فى غير الصورة الّتى يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم»؟ فكأنّ للّه سبحانه صوراً متعدّدة يعرفون بعضها وينكرون البعض الآخر!! وما ندرى متى عرفوا الّتى عرفوها، فهل كان ذلك منهم فى الدنيا، أو كان فى البرزخ، أو فى الآخرة؟؟!

رابعاً: ماذا يريد الراوى من قوله: «فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا ـ يبقى من كان يسجد للّه من تلقاء نفسه...»؟ فإنّ معناه أنّ المؤمنين والمنافقين يعرفونه سبحانه بساقه، فكانت هى الآية الدالة عليه.

خامساً: كفى فى ضعف الحديث ما علّق عليه العلّامة السيد شرف الدين رحمه الله حيث قال: إنّ الحديث ظاهر فى أنّ للّه تعالى جسماً ذا صورة مركبة تعرض عليها الحوادث من التحوّل والتغير، وأنّه سبحانه ذو حركة وانتقال، يأتى هذه الأُمّة يوم

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۷۹

حشرها، وفيها مؤمنوها ومنافقوها، فيرونه بأجمعهم ماثلًا لهم فى صورةٍ غير الصورة الّتى كانوا يعرفونها من ذى قبل، فيقول لهم: أنا ربكم، فينكرونه متعوّذين باللّه منه، ثمّ يأتيهم مرّة ثانية فى الصورة التى يعرفون، فيقول لهم: أنا ربّكم، فيقول المؤمنون والمنافقون جميعاً: نعم أنت ربّنا، وإنّما عرفوه بالساق إذ كشف لهم عنها، فكانت هى آيته الدالّة عليه، فيتسنّى حينئذٍ السجودُ للمؤمنين منهم دون

المنافقين، وحين يرفعون رؤوسهم يرون اللّه ماثلًا فوقهم بصورته الّتى يعرفون لا يُمارونَ فيه، كما كانوا فى الدنيا لا يُمارون فى الشمس والقمر، ماثلين فوقهم بجرميهما النيّرين ليس دونهما سحاب، وإذا به بعد هذا يضحك الربّ ويعجب من غير معجب، كما هو يأتى ويذهب، إلى آخر ما اشتمل عليه الحديثان ممّا لا يجوز على اللّه تعالى، ولا على رسوله، بإجماع أهل التنزيه من أشاعرة وغيرهم، فلا حول ولا قوّة إلّاباللّه العلىّ العظيم «۱».

*** ب- روى البخارى فى كتاب الصلاة، باب مواقيت الصلاة وفضيلتها، عن قيس (ابن أبى حازم) عن جرير قال: كنّا عند النبىّ صلى الله عليه و آله فنظر إلى القمر ليلة- يعنى البدر- فقال: «إنّكم ترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أنْ لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثمّ قرأ: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» «۲»

.

وحديث قيس بن أبى حازم- مع كونه معارضاً للكتاب- ضعيف سنداًوإن رواه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۰

الشيخان، ويكفى فيه وقوع قيس بن أبى حازم فى سنده الّذى ترجمه ابن عبد البرّ وقال: قيس بن أبى حازم الأحمسى جاهلى إسلامى لم ير النبى صلى الله عليه و آله فى عهده، وصدق إلى مصدِّقه وهو من كبار التابعين مات سنة ثمان أو سبع وتسعين وكان عثمانياً «۱».

وقال الذهبى: قيس بن أبى حازم عن أبى بكر وعمر ثقة حجة كاد أنْ يكون صحابياً، وثّقه ابن معين والناس، وقال علىّ بن عبد اللّه بن يحيى بن سعيد: منكر الحديث ثمّ سمّى له أحاديث استنكرها، وقال يعقوب الدوسى: تكلّم فيه أصحابنا فمنهم من حمل عليه، وقال: له مناكير، فالّذين أطروه عدّوها غرائب، وقيل: كان يحمل على علىّ رضى الله عنه، إلى أن قال: والمشهور أنّه كان يقدّم عثمان، وقال إسماعيل:

كان ثَبتاً، قال: وقد كبر حتّى جاوز المائة وخَرِف «۲».

وقد تقدّم أنّ العدل والتنزيه علويان، كما أنّ الجبر والتشبيه أُمويان، وهل يصحّ فى ميزان النصفة الأخذ برواية رجل عثمانىّ الهوى، معرضاً عن الإمام على عليه السلام، وعاش حتى خَرِف؟ أو أنّ الواجب ضربها عرض الحائط.

۲- روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام

۲- روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام

إنّ أهل البيت أحد الثقلين «۳»، الّذين تركهما النبىّ بعد رحيله وأمر أنْ يُتمسّك

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۱

بأقوالهم وأفعالهم، وحينما نراجع ما روى عنهم ودوّنه الأثبات من المحدّثين كالشيخ الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱ ه) فى كتاب التوحيد، نجد مرويّاتهم المسندة إلى آبائهم عن علىّ عن النبىّ، تعارض ما رواه قيس بن أبى حازم، وإليك نماذج من أحاديثهم:

أ- روى الصدوق عن عبد اللّه بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر (محمّد الباقر) عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أىّ شىء تَعبد؟

قال: «اللّه»، قال: رأيته؟ قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُعرف بالقياس، ولا يُدرك بالحواس، ولا يُشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور فى حكمه، ذلك اللّه لا إله إلّاهو»، قال: فخرج الرجل وهو يقول: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته «۱».

ب- روى الصدوق أيضاً عن أبى الحسن الموصلى، عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال:

جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟

فقال: «ويلك! ما كنت أعبد رباً لم أره»، وقال: كيف رأيته؟ قال: «ويلك! لا تُدركه العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» «٢»

.

ج- أخرج الصدوق أيضاً عن عبد اللّه بن سنان، عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: «إنّ اللّه عظيم، رفيع، لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغُون كنهَ عظمته، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف ولا أين

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۲

ولا حيث، فكيف أصفه بكيف وهو الّذى كيّف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرفت الكيْف بما كيف لنا من الكيف؛ أم كيف أصفهُ بأين وهو الذى أيّن الأينَ حتّى صار أيناً، فعرفت الأينَ بما أيّن لنا من الأين، أم كيف أصفه بحيث وهو الذى حيّث الحيث حتّى صار حيثاً، فعرفت الحيث بما حيّثَ لنا من الحيث، فاللّه تبارك وتعالى داخل فى كلّ مكان، وخارج من كلّ شىء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار لا إله إلّاهو العلىّ العظيم وهو اللطيف الخبير» «١»

.

د- أخرج الصدوق أيضاً عن إبراهيم بن أبى محمود قال: قال علىّ بن موسى عليهما السلام فى قول اللّه عزّ وجلّ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «٢»

:

«يعنى مشرقة تنتظر ثواب ربّها» «٣».

*** إِنَّ فِى ذلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ «۴» الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۳

الرؤية القلبيّة

(٨) الرؤية القلبيّة

اشارة

(٨) الرؤية القلبيّة

كان المرتقب من أئمة الحديث والكلام الإشارة إلى قسم آخر من الرؤية الّذى لا يتوقّف على الأعين والأبصار، ينالُها الأمثل فالأمثل من المؤمنين، قال سبحانه:

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِين «١»

، فمن علم عين اليقين يرى لهيب الجحيم من هذه النشأة لا بعين مادية ولا بصر جسمانى، إنّما هى رؤية أخبر عنها الكتاب، ولا تتوقّف على الجهة والمقابلة، ولا التجسيم والمشابهة، وليس المراد من الرؤية فى الآية العلمَ القطعىّ؛ فإنّ العلم إن كان قطعياً غير الرؤية، قال سبحانه: وَكَذلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ «٢»

.

قال العلّامة الطباطبائى: إنّه تعالى يُثبت فى كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية الحسّية؛ وهى نوع شعور فى الإنسان، يشعر بالشىء بنفسه من غير استعمال آلة حسية أو فكرية، وفى ضوء ذلك إنّ للإنسان

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۴

شعوراً بربّه غير ما يعتقد بوجوده من طريق الفكر واستخدام الدليل، بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب ولا يجرّه إلى

الغفلة عنه اشتغاله بنفسه ومعاصیه الّتی اکتسبها، والذی یتجلّی من کلامه سبحانه أنّ هذا العلم المسمّی بالرؤیة واللقاء یتمّ للصالحین من عباد اللَّه یوم القیامة، فهناک مواطن التشرّف بهذا التشریف، وأمّا فی هذه الدنیا والإنسان مشتغل ببدنه ومنغمر فی غمرات حوائجه الطبیعیة وهو سالک لطریق اللقاء فهو بعدُ فی طریق هذا العلم لم یتمّ له حتّی یلقی ربّه، قال تعالی: یَاَیُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّکَ کَادِحٌ إِلَی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلَاقِیهِ «۱»

.

فهذا هو العلم الضروری الخاصّ الّذی أثبته اللَّه تعالی لنفسه وسمّاه رؤیة ولقاء، ولا یهمّنا البحث عن أ نّها علی نحو الحقیقة أو المجاز، والقرآن أوّل کاشف عن هذه الحقیقة علی هذا الوجه البدیع، فالکتب السماویة السابقة- علی ما بأیدینا- ساکتة عن إثبات هذا النوع من العلم باللَّه، والأبحاث المأثورة عن الفلاسفة الباحثین تخلو عن هذه المسائل؛ فإنّ العلم الحضوری عندهم کان منحصراً فی علم الشیء بنفسه حتّی یکشف عنه فی الإسلام، فللقرآن المنّة فی تنقیح المعارف الإلهیة «۲».

هذا التفسیر للرؤیة القلبیة ممّا أفاده أُستاذُنا العلّامة الطباطبائی رحمه الله، ولکن ربّما یفسّر بالعلم القطعی الضروری الّذی لا یتردّد إلیه الریب، کما سننقله عن الشیخ الصدوق توضیحاً للروایات الصادرة عن أئمة أهل البیت حول الرؤیة القلبیة، فإلیک ما روی عنهم- صلوات اللَّه علیهم-:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۸۵

روایات الأئمّة علیهم السلام فی الرؤیة القلبیّة

روایات الأئمّة علیهم السلام فی الرؤیة القلبیّة

إنّ فی روایات أئمة أهل البیت علیهم السلام تصریحاً بصحّة الرؤیة القلبیة، واللائح منها زیادة الیقین بظهور عظمته وقدرته، وإلیک البیان:

۱- أخرج الصدوق عن یعقوب بن إسحاق، قال: کتبت إلی أبی محمّد (الحسن العسکری) علیه السلام أسأله کیف یعبد ربّه وهو لا یراه؟ فوقّع علیه السلام: «یا أبا یوسف جلّ سیدی ومولای والمنعم علیّ وعلی آبائی أن یُری»، قال: وسألته هل رأی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ربّه؟ فوقّع علیه السلام: «إنّ اللَّه تبارک وتعالی أری رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ» «۱»

.

۲- أخرج الصدوق عن ابن أبی نصر (البزنطی) عن أبی الحسن الرضا علیه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: لمّا أُسری بی إلی السماء بلغ بی جبرئیل مکاناً لم یطأه جبرئیل قطُّ، فکُشِف لی، فأرانی اللَّهُ عزّ وجلّ من نور عظمته ما أُحبّ» «۲»

.

وفی ضوء ذلک فالرؤیة القلبیة شهود نور عظمته فی النشأتین، وهو غیر ما نقلناه عن العلّامة الطباطبائی.

۳- أخرج الصدوق عن عبید بن زرارة عن أبیه قال: قلت لأبی عبد اللَّه علیه السلام:

جعلت فداک الغشیة الّتی کانت تصیب رسول اللَّه إذا نزل علیه الوحی، فقال: «ذاک إذا لم یکن بینه وبین اللَّه أحد، ذاک إذا تجلّی اللَّه له»، قال: ثمّ قال: «تلک النبوّة یا زرارة» وأقبل یتخشّع «۳».

۴- أخرج الصدوق عن محمّد بن الفضیل قال: سألت أبا الحسن علیه السلام:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۸۶

هل رأی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ربّه عزّ وجلّ، فقال: «رآه بقلبه، أما سمعت اللَّه عزّ وجلّ یقول: مَا کَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی «۱» ، أی لم یره بالبصر «۲» ولکن رآه بالفؤاد».

۵- أخرج الصدوق عن أبى بصير، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام فى جواب سؤال شخص عن رؤية اللَّه يوم القيامة، فقال فى ذيل الجواب: «وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى اللَّه عمّا يصفه المشبّهون والملحدون» «۳».

ثمّ إنّ للمحدّث الأكبر الشيخ الصدوق، كلاماً فى الرؤية القلبية، وحكى أنّ محدّثين كبيرين من محدّثى الشيعة هما: أحمد بن محمّد بن عيسى القمى (المتوفّى بعد سنة ۲۸۰ ه)، ومحمّد بن أحمد بن يحيى روياها فى جامعهما ولكن لم ينقلها فى كتاب التوحيد، يقول: والأخبار التى رُويت فى هذا المعنى وأخرجها مشايخنا- رضى اللَّه عنهم- فى مصنّفاتهم عندى صحيحة، وأنا تركت إيرادها فى هذا الباب خشيةَ أنْ يقرأها جاهلٌ بمعانيها، فيكذب بها، فيكفر باللَّه عزّ وجلّ وهو لا يعلم «۴».

ثمّ إنّ شيخنا الصدوق فسّر الرؤية القلبية بما يلى:

ومعنى الرؤية الواردة فى الأخبار: العلم، وذلك أنّ الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات، فإذا كان يومُ القيامة كُشف للعباد من آيات اللَّه وأُموره فى ثوابه

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۷

وعقابه، ما يزول به الشكوك، وتُعلم حقيقة قدرة اللَّه عزّ وجلّ، وتصديقُ ذلك فى كتاب اللَّه عزّ وجلّ: لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد «۱»

فمعنى ما روى فى الحديث أنه عزّ وجلّ يرى أى يعلم عِلماً يقينياً كقوله عزّ وجلّ: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ «۲»

وقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ «۳»

وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ «۴»

وأشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين «۵».

*** هذه مسألة رؤية اللَّه، وهذه أقوال الأُمّة فيها، وهذا خلافهم الممتدّ من العصور الأُولى إلى عصرنا هذا، وهى مسألة كلامية اختلفت فيها أنظار الباحثين ولكلٍّ دليله وبرهانه، والنافى للرؤية ينفى لاستلزامها إثبات التجسيم والتشبيه، مضافاً إلى تضافر الآيات على نفيها بدلالات مختلفة، والمثبت إنّما يُثبتها اغتراراً ببعض الظواهر والروايات الواردة فى الصحاح.

ولكن ليس لكلّ من الطائفتين تكفير الأُخرى؛ لأنّ النافى يستند إلى أدلّة مشرقة تقنع كلّ من نظر إليها بلا نظر مسبق، وقول المثبت وإن كان يستلزم الجهة والتجسيم، لكنّه يقول بها مع التبرّى عن تواليها، متحصناً بقوله: «بلا كيف»، فتكون المسألة مسألة كلامية كسائر المسائل الكلامية.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۸۸

تكفير ابن باز لمن لا يقول بالرؤية

تكفير ابن باز لمن لا يقول بالرؤية

غير أنّ مفتى السعودية عبد العزيز بن باز غالى فى الموضوع، وذلك فى الفتوى الصادرة فى ۸/ ۱۴۰۷ ه المرقمة ۷۱۷/ ۲ جواباً على سؤال وجّهه عبد اللَّه بن عبد الرحمن يتعلّق بجواز الاقتداء والائتمام بمن لا يعتقد بمسألة الرؤية فى يوم القيامة، فأفتى: بأن من ينكر رؤية اللَّه سبحانه وتعالى فى الآخرة لا يصلّى خلفه، وهو كافر عند أهل السنة والجماعة، وأضاف أنه قد بحث هذا الموضوع مع مفتى الإباضية فى عُمان الشيخ أحمد الخليلى، فاعترف بأنّه لا يؤمن برؤية اللَّه فى الآخرة، ويعتقد أنّ القرآن مخلوق، واستدلّ لذلك بما ذكره ابن قيّم الجوزية فى كتابه «حادى الأرواح»:

ذكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك: إنّ قوماً يزعمون أنّ اللَّه لا يُرى يوم القيامة، فقال مالك رحمه الله: السيفَ السيفَ!

وقال أبو حاتم الرازى: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى علىّ عبد العزيز بن سلمة الماجشون رسالة عمّا جحدت الجهمية فقال: لم يزل

يملى لهم الشيطان حتّى جحدوا قول اللَّه تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «١»

.

وذكر ابن أبى حاتم عن الأوزاعى أنه قال: إنّى لأرجو أنْ يحجب اللَّه عزّ وجلّ جهماً وأصحابه عن أفضل ثوابه، الّذى وعده أولياءه حين يقول: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

إلى أن نُقل عن أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدّث بحديث عن رجل عن أبى العواطف أنّ اللَّه لا يُرى فى الآخرة فقال: لعن اللَّه من يحدّث بهذا الحديث اليوم، ثمّ قال: أَخْزى اللَّه هذا.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٨٩

وقال أبو بكر المروزى: من زعم أنّ اللَّه لا يُرى فى الآخرة فقد كفر، وقال: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى، والجهمى كافر، وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤيةُ من كذب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أنّ اللَّه لا يُرى فقد كفر باللَّه، وكذّب بالقرآن، وردّ على اللَّه أمره، يستتاب فإن تاب وإلّا قُتل...

تحليل هذه الفتيا:

تحليل هذه الفتيا:

١- إنّ هذه الفتوى لا تصدر عمّن يجمع بين الرواية والدراية، وإنّما متفرّعة على القول بأنّ اللَّه مستقرّ على عرشه فوق السموات، وأنّه ينزل فى آخر كلّ ليلة نزول الخطيب من درجات منبره «١»، وأنّ العرش تحته سبحانه يَئِطّ أَطيط الرحل تحت الراكب «٢»، ويفتخر بتلك العقيدة ابن زفيل فى قصيدته النونية ويقول:

بل عطّلوا منه السموات العُلى والعرشُ أخلَوهُ من الرحمنِ «٣» ومثل تلك العقيدة تنتج أنّ اللَّه تعالى يُرى كالبدر يوم القيامة، والرؤية لا تنفكّ عن الجهة والمكان، تعالى عن ذلك كلّه.

٢- إنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقبل إسلام من شهد بوحدانيّته سبحانه ورسالة النبيّ صلى الله عليه و آله، ولم يُرَ أنّ النبيّ الأكرم يأخذ الإقرار بما وراء ذلك، مثل رؤية اللَّه وما شابهه، وهذا هو البخارى يروى فى صحيحه: أنّ الإسلام بنى على خمس، وليس فيه شيء من الإقرار بالرؤية، وهل النبيّ ترك ما هو مقوّم الإيمان والإسلام؟!

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٦٩٠

٣- إنّ الرؤية مسألة اجتهادية تضاربت فيها أقوال الباحثين من المتكلّمين والمفسّرين، وكلّ طائفة تمسّكت بلفيف من الآيات؛ فتمسّك المثبتُ بقوله سبحانه:

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وتمسّك النافى بقوله سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «١»

.

فكيف يكون إنكارُ النافى ردّاً للقرآن، ولا يكون إثبات المثبت ردّاً له؟ وإذا جاز التأويل لطائفة لما يكون مخالفاً لعقيدته، فكيف لا يسوّغ لطائفة أُخرى؟

وليست رؤية اللَّه يوم القيامة من الأُمور الضرورية الّتى يلازم إنكارها إنكار الرسالة ولا إنكار القرآن، بل كلّ طائفة تقبل برحابة صدر المصدرين الرئيسيين- أعنى: الكتاب والسنّة- ولكن تناقش فى دلالتهما على ما تدّعيه الطائفة الأُخرى، أو تناقش سند الرواية وتقول: إنّ القولَ بالرؤية عقيدة موروثة من اليهود والنصارى أعداء الدين، وقد دسّوا هذه الروايات بين أحاديث المسلمين، فلم يزل مسلمة اليهود والنصارى يتحيّنون الفرص لتفريق كلمة المسلمين وتشويه تعاليم هذا الدين، حتى تذرّعوا بعد وفاة النبيّ بشتّى الوسائل إلى بذر بذور الفساد، فأدخلوا فى الدين الحنيف ما نسجته أوهام الأحبار والرهبان.

۴- أنّ الاعتقاد بشـیء من الأمور من الظواهر الروحیّة لا تنشأ جذوره فی النفس إلّابعد تحقّق مبادئ ومقدّمات توجد العقیدة، فما معنی قول من یقول فی مقابل المنکر للرؤیة: السیفَ السیفَ، بدل أنْ یقول: الدراسةَ الدراسةَ، الحوارَ الحوارَ.

ألیس شعار «السیفَ السیفَ» ینمُّ عن طبیعة عدوانیّة قاسیة، ونفسیة خالیة من الرحمة والسماحة؟! وأنا أُجلّ إمام دار الهجرة عن هذه الکلمة.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۱

۵- إنّ مفتی الدیار النجدیة لم یعتمد إلّاعلی نقول وفتاوی ذکرها ابن قیّم الجوزیة فی کتابه «حادی الأرواح إلی بلاد الأفراح» دون أنْ یرجع إلی تفسیر الآیات واحدة واحدة، أو یناقش المسألة فی ضوء السنّة.

فما أرخص مهمّة الإفتاء ومؤهّلات المفتی فی الدیار؛ حیث یکتفی فی تکفیر نصف الأُمّة بالرجوع إلی کتاب ابن قیّم الجوزیة فقط.

وفی الختام، أنّ ما نقله عن ابن قیّم الجوزیة یعرب عن جهله المطبق فی مسألة الرؤیة؛ فإنّ نفی الرؤیة شعار أئمة أهل البیت، وشعار الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام فی خطبه وکلماته قبل أن یولد جهم وأذنابه، ولأجل ذلک اشتهر: «العدل والتنزیه علویّان، والجبر والتشبیه أُمویّان».

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۲

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

لقد تجلّت الحقیقة بأجلی مظاهرها، وهی أصفی من أنْ تُکدِّر صفوها الشُّبه، ومن قرأ مباحث هذا الفصل بإمعان وتأمُّل وقف علی أنّ الحقّ مع النافین للرؤیة، وأنّه لیس للمثبتین دلیل لا عقلیّ ولا نقلیّ.

أمّا العقل: فهو مخالف للقول بالرؤیة، فلا یجتمع التنزیه من الجهة مع القول بالرؤیة، کما لا تنفکّ الإحاطة بالربّ بعضاً أو کلًّا عن القول بها.

وأمّا النقل: فلیس إلّامَظاهر بدائیة تزول بعد التأمّل.

غیر أنّ هناک مطالب متفرّقة لا یجمعها فصل واحد نشیر إلیها، منفصلة عمّا مضی من البحث:

الأوّل: أنّ أکثر من طرح مسألة الرؤیة فإنّما بحث عنها بدافع روحی، وهو إثبات عقیدته والترکیز علی نحلة طائفته، ولذلک ربّما انتهی البحث والدراسة عند بعضهم إلی الخروج عن الأدب الإسلامی.

وهذا هو العلّامة الزمخشری یُشبّه فی شعره أهل الحدیث والحنابلة القائلین بالرؤیة فیقول:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۳

جَماعةٌ سمُّوا هواهم سنةً وجماعةٌ حمر لعمری مؤکفة

قد شبّهوه بخَلْقِهِ وتخوّفوا شنعَ الوری وتستّروا بالبَلْکَفَة «۱» إنّ ما ذکره فی البیت الثانی وإن کان حقّاً فإنّ القول بالرؤیة لا ینفکّ عن التجسیم والتشبیه، والقول بأنّه جسم بلا کیف أو أنّه یُری بلا کیف مهزلة لا قیمة لها، لما عرفت من أنّ الکیفیّة محقّقة لمفهوم الرؤیة بالبصر، کما أنّها محقّقة لمفهوم الید والرِّجل، فالید بالمعنی اللغوی بلا کیفیة أشبه بأسد لا رأس له ولا بطن ولا ذنب.

ولکن البیت الأوّل لا یناسب أدب الزمخشری الذی تربّی فی أحضان الإسلام والمسلمین وخالط القرآن جسمه وروحه.

ولمّا أثار هذا الشعر حفیظة الأشاعرة وأهل الحدیث قابلوه بمثل ما قال، فقد قال أحمد بن المنیر الإسکندری فی حاشیة علی الکشّاف باسم الانتصاف:

وجماعة كفروا برؤية ربّهم حقّاً ووَعْدُ اللّه ما لن يُخلفه وتلقّبُوا عدليّةً قُلنا أجل عَدَلوا بربّهمُ فحسبُهُم سَفَه

وتلقّبوا الناجينَ كلّا إنّهُم إنْ لم يكونُوا فى لَظى فَعَلى شَفَه إنّ البادى وإن كان أظلم ولكنّهما كليهما خرجا عن مقتضى الأدب الإسلاميّ؛ فالمسلم مادام له حجّة على عقيدته ولم يكن مقصّراً فى سلوكها لا يُحكم عليه بشىء من الكفر والفسق ولا العقاب ولا العذاب.

وقد نصره تاج الدين السبكى بقوله:

عجباً لقوم ظالمين تلقّبوا بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه

قد جاءهم من حيث لا يدرونه تعطيل ذات اللّه مع نفى الصفه الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۴

وتلقّبوا عدلية قلنا نعم عدلوا بربّهم فحسبهم سفه «۱» فيا للّه! ماذا يعنى تاجُ الدين السبكى بقوله: تعطيل الذات مع نفى الصفة؟ فإنّ أحداً من المسلمين لا يعطل الذات عن الوصف بالعلم والقدرة والحياة والسمع، نعم إن عنى من تعطيل الذات نفى وصفه سبحانه بالأوصاف الخبرية بمعانيها اللغوية، كاليد والرجل والنزول ووضع القدم فى الجحيم؛ فإنّ هذا ليس تعطيلًا، بل مرجعه إلى التنزيه مع عدم التعطيل بجعلها كناية عن المعانى الأُخَر، تبعاً لأُسلوب الفصحاء والبلغاء والذكر الحكيم، كلام فصيح وبليغ، ليس فوقه شيء؛ فلا يعدّ مثل ذلك تعطيلًا، نعم، من يحاول وصفه سبحانه بهذه الصفات بمعانيها اللغوية، ويقول: إنّ للّه تبارك وتعالى يداً ورجلًا ونزولًا وحركةً بالمعنى الحقيقى ولكن لا تُعرَف كيفيتُها، يحاول الجمع بين المتضادّين؛ فإنّ مقتضى الحمل على المعانى اللغوية سيادة تلك المعانى على موردها، ومقتضى نفى الكيفية نفى معانيها اللغوية، فكيف يعدّون أنفسهم من المثبتين وأهل التنزيه من المعطلة.

ولا يقاس ذلك بوصفه سبحانه بالعلم والقدرة مع عدم العلم بالكيفية؛ لأنّ الكيفية فيهما ليست مقوّمة لواقعهما، فالعلم بمعنى انكشاف الواقع، وأمّا كونه عَرَضاً أو جوهراً حالًّا أو محلًّا فليست مقوّمة لمفهومه حتّى يرجع نفى الكيفية إلى نفى واقع العلم، وهذا بخلاف اليد؛ فإنّها بلا كيفية ليست يداً لغة.

وأظنّ أنّه لو انعقد مؤتمر علميّ فى جوٍّ هادئ واستعدّت الطائفتان للتأمُّل فى براهين النافين والمثبتين لقلّ الخلاف وتقاربت الطائفتان. نعم، إنّ خلافاً دام قروناً لا ينتهى بأُسبوع أو شهر أو بعقد مؤتمر أو مؤتمرين ولكن الرجاء تقريب الخطى وعدم تكفير إحدى الطائفتين للطائفة الأُخرى.

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۶۹۵

أوَليس الأولى لنا ألّا نُقسّم رحمة ربّنا وعذابه وجحيمه بيننا كما قسّمه الإسكندرى فى تعليقه على الكشّاف، ونتركه إلى اللّه سبحانه فهو أعلم بمن هو فى لظى أو شفة منها، أو قريب من الجنّة: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ «۱»

.

*** الثانى: أنّ أكثر الباحثين فى الرؤية يبحثون فى مفهوم الرؤية لغةً، ويحشدون كلمات أهل اللغة من القدامى والجدد، كما أنّهم يبحثون فى واقع الرؤية علمياً، وهل هى بسقوط الشعاع من العين على الأشياء أو بالعكس، مع أنّا فى غنى عن هذه المباحث، إذْ ليس البحث فى المقام عن لغة الرؤية ولا فى واقعها العلمى، وإنّما البحث فى أمر اختلفت فيه كلمة الأُمّة، ألا وهو رؤية اللّه تعالى بالعين فى الآخرة، وليس البحث فى هذا الإطار متوقّفاً على دراسة مفهوم الرؤية وواقعها، وليس مفهومها أمراً مبهماً حتّى نستمدّ فى تفسيرها من كتب اللغة.

وإن شئت قلت: إنّ البحث كلامى مركّز على إمكان رؤية اللّه بالعين فى الآخرة وعدمه.

نعم، من أراد الاستدلال على الجواز ببعض الأحاديث الماضية من أنّكم سترون ربّكم يوم القيامة... وشككنا فى معنى الرؤية، كان البحث عن مفهومها أمراً صحيحاً، وقد سبق منّا أنّ محلّ النزاع هو إمكان الرؤية بالعين الّتى نرى بها الأشياء فى الدنيا، وأمّا الرؤية

بحاسّة سادسة أو بالقلب أو بالرؤیا فلیس مطروحاً فی المقام، ولذلک استغنینا عن نقل کلمات أصحاب المعاجم کالعین للخلیل،

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۶

والجمهرة لابن دُرید، والمقاییس لابن فارس، واللسان لابن منظور، والقاموس للفیروز آبادی وغیرهم.

*** الثالث: لقد أخذنا علی عاتقنا التمسّک بالأدب الإسلامی فی الدراسة والتحلیل، ولکن ربّ حدیثٍ یسمعه الإنسان من آخر ربّما یجرُّه إلی القسوة أو التجرّؤ علی المقابل، وبدوری لما کنت أتفحّص الکتب والتفاسیر حولَ المسألة رأیت أُموراً من بعض المثبتین أشبه بالمهزلة، مع أنّ القائل یُعدّ من المفسّرین الکبار ویُکال له بصاع کبیر، وإن کنت فی ریب ممّا قلنا فاستمع إلی قول الآلوسی:

قال: روی الدار قطنی وغیره عن أنس من قوله صلی الله علیه و آله: «رأیت ربّی فی أحسن صورة»، ومن الناس من حملها علی الرؤیة المنامیة، وإذا صحّ هذا الحمل فأنا وللّه الحمد قد رأیتُ ربّی مناماً ثلاث مرّات، وکانت المرّة الثالثة عام ۱۲۴۶ ه رأیته جلّ شأنه وله من النور ما له متوجّهاً جهة المشرق وکلّمنی بکلمات أُنسیتُها حین استیقظت، ورأیت مرّة فی منام طویل کأنّی فی الجنّة بین یدیه تعالی وبینی وبینه ستر حبیک بلؤلؤ مختلف ألوانه، فأمر سبحانه أن یذهب بی إلی مقام عیسی علیه السلام ثمّ إلی مقام محمّد صلی الله علیه و آله فذهب بی إلیها، فرأیت ما رأیت وللّه تعالی الفضل والمنّة «۱».

نحن لا نعلّق علی کلامه بشیء سوی أنّها إمّا کانت أضغاث أحلام لیس لها شیء من الحقیقة ولا شیء من الواقع، أو أنّها کانت صور تفکیر الرجل فی یومه ونهاره حول تلک المسألة العقائدیة، فانعکس ما هو مخزون فی نفسه علی صفحات ذهنه فی المنام.

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۷

أما آنَ للواعین من الأُمّة أن یُنزّهوا کتبهم من هذه الخرافات حتّی لا یتّخذها المادّی الغاشم ذریعة للسخریة والتهکّم علی الدین وأهله.

*** الرابع: أنّ المثبتین للرؤیة یرکّزون علی الروایات المثبتة حسب ادّعائهم، ولکنّهم لا یرکّزون علی الروایات النافیة؛ فإنّ هذه الروایات من غیر فرق بین المثبتة والنافیة وإن کانت روایات آحاد لا تفید علماً فی مجال العقائد، ولکن مقتضی الانصاف الاستدلال بالروایة المخالفة أیضاً، وإلیک بعض ما ورد فی هذا المضمار:

۱- روی البخاری فی تفسیر قوله: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ عن عبد اللّه بن قیس أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «جنّتان من فضّة آنیتهما، وجنّتان من ذهب آنیتهما وما فیها، وما بین القوم وبین أن ینظروا إلّارداء الکبریاء علی وجهه فی جنّة عدن» «۱»

.

۲- روی مسلم عن أبی ذر قال: سألت رسول اللّه صلی الله علیه و آله: هل رأیت ربّک؟ قال:

«نور أنا أراه؟» «۲»

.

ودلالة الحدیث علی إنکار الرؤیة واضحة، فإنّ الرسول ینکر الرؤیة بأنّه سبحانه لیس نوراً حتی أراه.

نعم، رواه مسلم بصورة أُخری أیضاً، روی عن عبد اللّه بن شقیق قال: قلت لأبی ذر: لو رأیت رسول اللّه صلی الله علیه و آله لسألته، فقال: عن أیّ شیء کنت تسأله؟ قال:

کنتُ أسأله هل رأیت ربّک؟ قال أبو ذر: قد سألت فقال: «رأیتُ نوراً» «۳»

.

ولعلّ المراد ما رأیت سبحانه وإنّما رأیت حجابه کما فی الحدیث التالی:

الاضواء علی عقائد الشیعة الامامیة، ص: ۶۹۸

۳- روی مسلم عن أبی موسی قال: قام فینا رسول اللّه صلی الله علیه و آله بخمس کلمات فقال: «إنّ اللّه عزّ وجلّ لا ینام ولا ینبغی له أن ینام، یخفّض القسط ویرفعه، یُرفعُ إلیه عمل اللیل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل اللیل، حجابه النور».

وفى رواية أبى بكر:... النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلفه «۱».

۴- روى الطبرى فى تفسير قوله سبحانه حاكياً على لسان موسى عن ابن عباس قال: يقول: إنّا أوّل من يؤمن أنّه لا يراك شىء من خلقك «۲»

.

نعم، من لا يروقه قول ابن عباس من الرواة، نقله وذيّله بقوله: يعنى فى الدنيا، وهذا تأويل للرواية منه.

۵- روى الطبرى فى تفسير قوله: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ عن قتادة أنّه قال: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ... وهو أعظم من أن تدركه الأبصار «۳».

۶- روى مسروق قال: قلت لعائشة: يا أُمّ المؤمنين هل رأى محمّد ربّه، فقالت: سبحان اللَّه لقد وقف شعرى ممّا قلت!! ثمّ قرأت: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۴»

.

۷- روى الشعبى قال: قالت عائشة: من قال: إنّ أحداً رأى ربّه فقد أعظم الفِرية على اللَّه، قال اللَّه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ «۵»

.

وأضاف الطبرى وقال: قال قائل هذه المقالة: معنى الإدراك فى هذا الموضع هو الرؤية، وأنكروا أن يكون اللَّه ليُرى بالأبصار فى الدنيا والآخرة «۶».

ويظهر من الطبرى أنّ القائلين بالرؤية حاولوا منذ زمن قديم تأويل لفظ

الإدراك فى الآية بالإحاطة.

فقد نُقل عن عطية العوفى أنّهم ينظرون إلى اللَّه، لا تحيط أبصارُهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم فذلك قوله: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ «۱»

.

وأنا أُجلّ عطيّة العوفى تلميذ ابن عباس وجابر بن عبد اللَّه الأنصارى عن هذا التفسير الّذى لا يوجد له أصل فى اللغة، وهذه هى الكلمة الدارجة بين أهل الرجال فى أصحاب الرسول، يقولون: أدركَ رسول اللَّه أو لم يُدركه، فلا يُراد من الأوّل أنّه واكب حياته منذ بعثتِهِ حتّى رحيله، بل يراد منه أنّه رآه مرّة أو مرّتين، أو أياماً قلائل، وربّما يقال: إنّه أدرك رسول اللَّه وهو صبىّ فيعدّونه من الصحابة.

*** الخامس: أنّ للإمام عبده وتلميذه صاحب المنار كلمات حول الرؤية، قد حاولا بإخلاص جمع كلمة المسلمين فى هذه المسألة، فمن أراد فليرجع إلى تفسيره «۲»، وله كلام فى تفسير قوله صلى الله عليه و آله: «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، قال: والمعنى أنّ النور العظيم هو الحجاب الذى يحول بينه وبين خلقه، وهو بقوّته وعظمته ملتهب كالنار، ولذلك رأى موسى عليه السلام عند ابتداء الوحى ناراً فى شجرة توجه همّهُ كلّه إليها، فنودى الوحىُ من ورائها، وفى التوراة أنّ الجبل كان فى وقت تكليم الربّ لموسى عليه السلام وإيتائه الألواح مغطّى بالسحاب.

ورأى النبىّ الخاتم الأعظم صلى الله عليه و آله ليلة المعراج نوراً من غير نار، وربّما كان هذا أعلى، ولكنّه كان حجاباً دون الرؤية أيضاً، فقد سأله أبو ذر رضى الله عنه وقال: هل رأيت ربك؟ فقال: «نوره، إنّى أراه؟» وفى رواية أُخرى: «رأيت نوراً» ومعناهما معاً

رأيت نوراً منعنى من رؤيته، لا- أنّه تعالى نور، وأنّه لذلك لا يُرى، وهذا يتلاقى ويتّفق مع قوله: «حجابه نور» ولذلك جعلنا أحاديث النور شاهداً واحداً فى موضوعنا، وهى تدلّ على عدم رؤية ذات اللَّه عزّ وجلّ وامتناعها «۱».

السادس: إنّ القائلين بالرؤية على فرقتين: فرقة تعتمد على الأدلّة العقلية دون السمعية، وفرقة أخرى على العكس.

فمن الأُولى سيف الدين الآمدى (٥٥١- ٦٣١ ه) يقول: لسنا نعتمد فى هذه المسألة على غير المسلك العقلى؛ إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعيّة؛ وهى ممّا يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلّاعلى سبيل التقريب «٢».

ومن الثانية الرازى فى غير واحد من كتبه فقال: إنّ العمدة فى جواز الرؤية ووقوعها هو السمع، وعليه الشهرستانى فى نهاية الاقدام «٣».

والحقّ أنّ من حاول إثبات الرؤية بالدليل العقلى فقد حرم عن نيل مرامه؛ فإنّ الأدلّة العقلية التى أقامتها الأشاعرة فى غاية الوهن؛ فإنّهم استدلّوا على الجواز بوجهين: أحدهما يرجع إلى الجانب السلبى، وأنّه لا- يترتّب على القول بالرؤية شىء محال، والآخر يرجع إلى الجانب الإيجابى وهو أنّ مصحّح الرؤية فى الأشياء هو الوجود، وهو مشترك بين الخالق والمخلوق «۴».

أظنّ أنّ كلّ من له أدنى معرفة بالمسائل العقلية يدرك ضعف الاستدلال؛ إذ كيف لا يترتّب على الرؤية بالعين تشبيه وتجسيم، مع أنّ الرؤية بالمعنى الحقيقى لا تنفكّ عن الجهة للمرئى، مضافاً إلى أنّ واقع الرؤية عبارة عن انعكاس الأشعة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٧٠١

على الأشياء، فإثبات الرؤية بلا هذه اللوازم نفى لموضوعها، وأوضح ضعفاً ما ذكره من أنّ المجوِّز للرؤية هو الوجود، وهو مشترك بين الواجب والممكن؛ إذ المجوّز ليس الوجود بلا قيد، بشهادة أنّ النفسيّات كالحسد والبخل والعشق والفرح لا تُرى بالعين، ورؤيتها بغيرها كحضورها عند النفس خارج عن محطّ البحث، بل المصحّح هو الوجود الواقع فى إطار الجهة، وطرفاً للإضافة بين العين، وطرفاً للإضافة بين البصر والمبصر، ومثل ذلك يساوى الوجود الإمكانى المادّى.

ولضعف هذا النوع من الاستدلال نرى أنّ الشريف الجرجانى بعدما أطال البحث حول البرهان العقلى قال: إنّ التعويل فى هذه المسألة على الدليل العقلى متعذّر، فلنذهب إلى ما ذهب إليه الشيخ أبو منصور الماتريدى من التمسّك بالظواهر النقلية «١».

*** السابع: أنّ المنكرين للرؤية يفسّرون قوله سبحانه: إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «٢»

بالانتظار، وكلامهم حقّ فى الجملة، لكنّ أغلب من يذكر هذا التفسير لا يفرّق بين المعنى بالمراد الاستعمالى والمعنى بالمراد الجدّى.

وقد عرفت أنّ المعنى بالمراد الاستعمالى غير المعنى بالمراد الجدّى، فقد أُريد من الجملة حسب الاستعمال الرؤية وأُريد منها الانتظار جدّاً، فمثلًا تقول: إنّى أنظر إلى اللَّه ثمّ إليك، فالمعنى الابتدائى هو الرؤية، ولكن المعنى الجدّى هو الانتظار.

وهناك خلط آخر فى كلامهم، حيث لا يفرّقون بين النظر المستعمل المتعدّى ب «إلى» والمتعدّى بنفسه، فلذلك يستدلّون على أنّ الناظر فى الآية بمعنى الانتظار

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ٧٠٢

بقوله تعالى: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً «١»

وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ «٢»

وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ «٣»

مع أنّ الاستشهاد فى غير محلّه؛ لأنّ كون اللفظة بمعنى الانتظار فيما إذا تعدّت بنفسها غير منكر، وإنّما البحث فيما إذا كانت متعدية ب «إلى»، فعلى ذلك يجب التركيز فى إثبات كونها بمعنى الانتظار على الآيات والأشعار الّتى استعملت وتعدّت ب «إلى» وأُريد بها الانتظار.

*** الثامن: يقع بعض السطحيين فى تفسير المقطع الأوّل من آيات سورة «النجم» فى خطأين: خطأ فى إثبات الجهة للَّه سبحانه، وخطأ فى إثبات الرؤية للنبى، وإليك الآيات، ثمّ الإشارة إلى مواضع الاشتباه، أعنى قوله سبحانه:

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى* أَفَتُمارُونَهُ عَلَى مَا

يَرى* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أَخْرَى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى* لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۴»

.

إنّ الجمل التالية: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى إلى قوله: فَأَوْحى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى يؤكّد على شدّة اقتراب النبيّ من جبرئيل، أى على بُعد ما بين القوسين أو

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۳

أدنى، وهو تعبير عن منتهى القرب.

والضمائر كلُّها إلّاالمجرور فى إِلَى عَبْدِهِ ترجع إلى جبرئيل الّذى كُنّى عنه بشديد القوى، وأين هو من قربه صلى الله عليه و آله منه سبحانه.

ومن التفسير الخاطئ هو إرجاع الضمير فى قوله ثمّ دنا فتدلّى إلى النبيّ، وتفسير الآية بقرب النبى من اللَّه على أقرب ما يمكن، وبالتالى تصوّر انّ للَّه جهةً وقرباً وبعداً، وبذلك يتّضح خطأ مَنْ فسّر الآية على نحو أثبت للَّه جهة وقرباً.

إنّ المرئى فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى حسب الآيات المتقدّمة هو الأُفق الأعلى، والدنوّ والتدلّى والوحى، وحسب الآية اللّاحقة هو آيات الربّ حيث قال: لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «۱»

ومن تلك الآيات هو جبرئيل الّذى هو شديد القوى، وأين الآية من الدلالة على رؤية النبيّ ربَّه.

ومن التفسير الخاطئ جعل المرئى فى قوله: مَا رَأى هو الربّ، ومن حسن الحظّ أنّ السنّة أيضاً تفسّر الآية برؤية جبرئيل.

عن مسروق قال: «كنت متّكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة! ثلاث من تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على اللَّه الفِرية، قلت: ما هُنّ؟ قالت: من زعم أنّ محمّداً صلى الله عليه و آله رأى ربّه فقد أعظم على اللَّه الفرية، قال: وكنت متّكئاً فجلست، فقلت:

يا أُمّ المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى! ألم يقل اللَّه عزّ وجلّ: وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ «۲»

و وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى «۳»

؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأُمّة سأل عن ذلك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: «إنّما هو جبرئيل لم أره على صورته الّتى خُلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض،

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۴

فقالت: أوَلَمْ تسمع أنّ اللَّه يقول: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۱»

؟ أوَلم تسمع أنّ اللَّه يقول: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّه إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ «۲»

؟ قالت: ومن زعم أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كتم شيئاً من كتاب اللَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول: يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ «۳»

قالت: ومن زعم أنّه يُخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول: قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهَ «۴»

«۵»

.

*** التاسع: أنّ للشيخ الجصّاص الحنفى (ت ۳۷۰ ه) كلاماً رائعاً فى تفسير قوله سبحانه: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وقد فسّر الروايات الدالّة على الرؤية بالعلم الضرورى الّذى لا يشوبه شبهة، ولا تُعرض فيه الشكوك، ولأجل إيقاف القارئ على كلام ذلك المفسّر الكبير الّذى هو من السلف الصالح نذكر نصّ كلامه:

قوله تعالى: لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ يقال: إنّ الإدراك أصله اللحوق، نحو قولك: أدرك زمان المنصور، وأدرك أبا حنيفة، وأدرك الطعام، أى لحق حال النُّضْج، وأدرك الزرع والثمرة، وأدرك الغلامُ إذا لحق حال الرجال، وإدراك البصر للشيء لحوقه له برؤيته إيّاه، لأنّه لا خلاف بين أهل اللغة إنْ قال القائل أدركت ببصرى شخصاً معناه: رأيته ببصرى، ولا يجوز أن يكون

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۵

الإدراك الإحاطة؛ لأنّ البيت محيط بما فيه وليس مدركاً له، فقوله تعالى:

لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ معناه: لا تراه الأبصار، وهذا مدح ينفى رؤية الأبصار كقوله تعالى: لَاتَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ «۱»

وما تمدح اللَّه بنفيه عن نفسه فإنّ إثبات ضدّه ذَمّ ونَقْص فغير جائز إثبات نقيضه بحال، كما لو بطل استحقاق الصفة بلا تأخذه سِنَة ولا نوم لم يبطل إلّاإلى صفة نقص، فلمّا تمدح بنفى رؤية البصر عنه لم يجز إثبات ضدّه ونقيضه بحال؛ إذكان فيه إثبات صفة نقص.

ولا يجوز أنْ يكون مخصوصاً بقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ «۲»

لأنّ النظر محتمل لمعان، منه انتظار الثواب كما روى عن جماعة من السلف، فلمّا كان ذلك محتملًا للتأويل لم يجز الاعتراض عليه بما لا مساغ للتأويل فيه، والأخبار المرويّة فى الرؤية إنّما المراد بها العلم لو صحّت، وهو علم الضرورة الّذى لا تشوبه شبهة ولا تعرض فيه الشكوك؛ لأنّ الرؤية بمعنى العلم مشهورة فى اللغة «۳».

*** العاشر: أنّ من كتبَ حول الرؤية من إخواننا أهل السنة- من غير فرق بين النافى والمثبت- فقد دقّ كلّ باب، ورجع إلى كلّ صحابى وتابعى، ومتكلّم وفيلسوف، ولكن لم يدقّ باب أئمة أهل البيت عليهم السلام، وفى مقدّمتهم الإمام على عليه السلام باب علم النبىّ وأقضى الأُمّة وأحدُ الثقلين اللّذين تركهما النبىّ صلى الله عليه و آله لهداية الأُمّة، فقد طفحت خطبه التوحيدية بتنزيهه سبحانه عن رائحة التجسيم وشوب الجهة

الاضواء على عقائد الشيعة الامامية، ص: ۷۰۶

وإمكان الرؤية، فبلّغ رسالات اللَّه الّتى تعلّمها فى أحضان النبىّ صلى الله عليه و آله بأبلغ بيان.

وإذا ذَهَبتْ العدلية كالمعتزلة والإمامية إلى امتناع الرؤية فمنه أخذوا ومن منهجة تعلّموا، فبلغوا الغاية فى التنزيه حسب إرشاداته، كما صرّح بذلك غير واحد من أئمة العدلية، وقد ذكرنا بعض خطبه فيما مضى، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى خطبه عليه السلام فى نهج البلاغة، وإلى كلمات أبنائه الطاهرين فى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق.

تمّ بيد مؤلّفه أحقر عباد اللَّه

جعفر السبحانى فى مدينة قم المشرّفة

من شهور عام ۱۴۱۲ ه

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه ربّ العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و

بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.



مركز القائمية اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩